

من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

إِسْعِيَاءُ



القوس تاورس يعقوب بلاني

[القائمة الرئيسية](#)

سوف تجد نتيجة البحث مظلمة بلون مختلف
لإلغاء البحث اضغط F5

اضغط مفتاحي + / - علي لوحة المفاتيح

من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

إشعيا

القمص تادرس يعقوب ملطي
كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج

كنت أقرأ كتاباً عن إشعياء النبي، وإذا بي أشعر كأن سفر إشعياء يسحب قلبي ليملاً أعماقي تغرية وسط المتاعب. وكانت المفاجأة العجيبة أنني اكتشف في الصباح أن تلك الليلة كانت عشية استشهاده إشعياء النبي، هذا ما دفعني أن أبدأ في دراسة السفر لنوال بركة كلمة الله مع إشعياء. لقد أخذت بالمنهج الأبائي اليراسي ليصير مكملاً لسلسلة كتب الأب المحبوب القس لوقا سيدروس في ذات السفر الذي اتسم بمنهجه الوعظي وأسلوبه العذب.

الرب قادر أن يستخدم هذا العمل لمجد اسمه القديس.

شيكاغو في سبتمبر 1988.

القمص تادرس يقوب ملطي

<p>الأصاحح الرابع والثلاثون (ادانة الأعداء)</p>	<p>- الأنبياء</p>
<p>الأصاحح الخامس والثلاثون (بركات مملكة المسيح)</p>	<p>- مقدمة في سفر إشعياء</p>
<p>- الباب الثاني الأصحاحات [36-39]</p> <p>الأصاحح السادس والثلاثون (اثرة سنحريب)</p> <p>الأصاحح السابع والثلاثون (التجاء حزقيال)</p> <p>الأصاحح الثامن والثلاثون (مرض حزقيال وشفؤه)</p> <p>الأصاحح التاسع والثلاثون (حزقيال يكشف ذخاؤه)</p>	<p>- الباب الأول الأصحاحات [1-35]</p> <p>الأصاحح الأول (المحاكمة العظمى)</p> <p>الأصاحح الثاني (جبل بيت الرب)</p> <p>الأصاحح الثالث (مجااعة مهلكة)</p> <p>الأصاحح الرابع (غصن الرب هو العلاج)</p>
<p>- الباب الثالث الأصحاحات [40-66]</p> <p>الأصاحح الأربعون (عزوا عزوا شعبي)</p> <p>الأصاحح الحادي والأربعون (خلاص من المشرق)</p> <p>الأصاحح الثاني والأربعون (العبد المختار)</p> <p>الأصاحح الثالث والأربعون (ليس غوي مخلص)</p> <p>الأصاحح الرابع والأربعون (انسكاب الروح)</p>	<p>الأصاحح الخامس (نشيد الكرمة)</p> <p>الأصاحح السادس (رؤيا إشعياء ودعوته)</p> <p>الأصاحح السابع (خلاص آحاز والخلص المسياني)</p> <p>الأصاحح الثامن (مهير شلال حاش بز)</p> <p>الأصاحح التاسع (المولود العجيب)</p> <p>الأصاحح العاشر (هجوم آشور على يهوذا)</p>

[الأصاحح الحادي عشر](#) (المسيا والعصر المسياني)

[الأصاحح الثاني عشر](#) (تسبحة المفديين)

[الأصاحح الثالث عشر](#) (وحي من جهة بابل)

[الأصاحح الرابع عشر](#) (سقوط بابل)

[الأصاحح الخامس عشر](#) (وحي من جهة موآب)

[الأصاحح السادس عشر](#) (خضوع موآب ليهودا)

[الأصاحح السابع عشر](#) (وحي من جهة دمشق وأويم)

[الأصاحح الثامن عشر](#) (كوش تقدم هدية لله)

[الأصاحح التاسع عشر](#) (مبارك شعبي مصر)

[الأصاحح العشرون](#) (خضوع مصر لآشور)

[الأصاحح الحادي والعشرون](#) (انهيار بابل)

[الأصاحح الثاني والعشرون](#) (حصار أورشليم)

[الأصاحح الثالث والعشرون](#) (انقلاب صور وتجديدها)

[الأصاحح الرابع والعشرون](#) (تدنيس الأرض)

[الأصاحح الخامس والعشرون](#) (تسبحة شكر)

[الأصاحح السادس والعشرون](#) (تسبحة القيامة)

[الأصاحح السابع والعشرون](#) (تحطيم لويثان)

[الأصاحح الثامن والعشرون](#) (انهيار السامرة)

[الأصاحح التاسع والعشرون](#) (ويل لأريئيل)

[الأصاحح الثلاثون](#) (الاتكال على فوعون)

[الأصاحح الحادي والثلاثون](#) (الاتكال البشر)

[الأصاحح الخامس والأربعون](#) (كورش والخلص)

[الأصاحح السادس والأربعون](#) (الله حامل ائقالنا)

[الأصاحح السابع والأربعون](#) (انهيار بابل)

[الأصاحح الثامن والأربعون](#) (الخروج الجديد)

[الأصاحح التاسع والأربعون](#) (رسالية الخلاص)

[الأصاحح الخمسون](#) (بذلت ظهوي للضربين)

[الأصاحح الحادي والخمسون](#) (الشعب المفدي)

[الأصاحح الثاني والخمسون](#) (بهجة الخلاص)

[الأصاحح الثالث والخمسون](#) (المسيح المصلوب)

[الأصاحح الرابع والخمسون](#) (دعوة الكنيسة للقرنم)

[الأصاحح الخامس والخمسون](#) (دعوة عامة)

[الأصاحح السادس والخمسون](#) (بيت الصلاة)

[الأصاحح السابع والخمسون](#) (الرجاسات كعائق للخلاص)

[الأصاحح الثامن والخمسون](#) (الصوم المرفوض)

[الأصاحح التاسع والخمسون](#) (العصيان)

[الأصاحح الستون](#) (المدينة المنورة)

[الأصاحح الحادي والستون](#) (الحياة الجديدة)

[الأصاحح الثاني والستون](#) (الكنيسة عروس المسيح)

[الأصاحح الثالث والستون](#) (المسيح دائس المعصوة)

[الأصاحح الرابع والستون](#) (تضوعات)

[الأصاحح الخامس والستون](#) (السموات الجديدة)

الأنبياء

تُدعى الأسفار من إشعيا حتى ملاخي "أسفارًا نبوية". هذا لا يعني أن النبوة قد بدأت بإشعيا، وإنما وجدت منذ بداية ظهور موسى النبي كأول قائد لشعب إسرائيل، وإن كان بعض الآباء يرون أن النبوة تمتد منذ بدء الحياة البشرية، فيحسبون آدم نفسه نبيًا. هذا من جانب ومن جانب آخر فإن الأسفار النبوية لا تقف عند عوض النبوات وإنما ضمت تليخًا ونواميس وحكمة وشعوا الخ...

الأنبياء:

لا يفهم تعبير "أنبياء" بمعنى أناس يتنبأون بأحداث مستقبلية بقدر ما تعني الكشف عن فكر الله وإرادته من جهة الإنسان، خاصة خلاصه الأبدي الذي يتحقق خلال السيد المسيح. لقد أقام الله أنبياءه كرجالهم الذين يشهدون له بقوة وشجاعة بفعل روحه القدس في وقت انخرقت فيه القيادات الدينية والمدنية من كهنة وملوك. فقد انشغل كثير من الكهنة بالسلطة والكرامة مع الانغماس في حياة الترف والبهجة، لهذا اهتموا بلرضا الملوك والعظماء على حساب خدمة النفوس، وانشغلوا بالحرف القاتل كتغطية للفساد الداخلي. أما الملوك والأثواف فانشغلوا بالمجد الباطل معتمدين على خطط بشرية متجاهلين عنصر الإيمان بالله والاتكال عليه... لهذا ظهر الأنبياء يقاومون فساد القيادات والشعب أيضًا؛ الأمر الذي أثار الكل ضدهم لاضطهادهم.

جاء الخط واضحًا في كل كتابات الأنبياء، وهو:

- 1 . التوبة والرجوع إلى الله بالقلب لا بالممرسات الشكلية هو طريق علاج للمشاكل الداخلية والخلجية، الاجتماعية والسياسية والروحية.
- 2 . فضح الأخطاء خاصة التي ترتكبها القيادات الدينية والمدنية لا للتشهير بهم وإنما لطلب العلاج الروحي الحق.
- 3 . التنوء عن أحداث محلية مستقبلية قريبة لتأكد تأديب الرب لهم بسبب فسادهم وعدم الثقة فيه، أو لتأكيد رجيمته بسبب توبتهم، مثل السبي والرجوع منه.
- 4 . التنوء عن أحداث مستقبلية بعيدة موكها مجيء المسيا المخلص، الذي يُقيم مظلة داود الساقطة، ويُقيم مملكة روحية تضم الشعوب والأمم.
- 5 . الله وحده هو المخلص... والخلاص هو الموضوع الأوحد الذي يلزم أن يشغل فكر الكل.

نبوات الأنبياء مع كثرتها تشبه قيثارة يلعب على أوتلها روح الله القدس الذي لا يخطئ الغوف، فيقدم سيمفونية حب الله المعلن خلال عمل المسيح الخلاصي.

الأنبياء الكبار والصغار:

اعتاد الدرسون أن يقسموا أسفار الأنبياء إلى أنبياء كبار [إشعيا، رميا، حزقيال، دانيال] وأنبياء صغار [بقية أسفار الأنبياء]، هذا التقسيم لا يقوم على أساس التمييز بين الأنبياء أنفسهم وإنما بين الأسفار حسب حجمها. يشبه البعض بعض أسفار الأنبياء الصغار بالقنابل النوية الصغيرة في حجمها لكنها تحمل طاقات جبلة ^[1].

الفقرة	اسم النبي	الملوك المعاصرين	الظروف المحيطة	غاية السفر
ما قبل النبي	1. يونان 2. يونيل 3. عاموس 4. هوشع 5. إشعياء 6. ميخا	يربعام الثاني (مملكة إسرائيل). ربما عاصر الملك يوشيا. يربعام الثاني. عزيا، بوتام، آحاز، حزقيا [يهودا]؛ يربعام 2. عزيا، بوتام، آحاز، حزقيا. بوتام، آحاز، حزقيا [يهودا].	أرسل إلى نينوى ليتوبوا. التوبة القائمة على تجديد القلب. الخطايا الجماعية. الله يطلب زوجته الخائنة لتتراجع إليه. الإنجيل الخامس (العصر المسياني). يعلم التأديب مع نوات مسيانية.	الله للجميع: لليهود كما للأمم 4: 11. يوم الرب 3: 18. التأديب (نبي الويلات) 5: 13. هلم نوجع إلى الرب: لأنه أفترسنا فيشفينا 6: 1. القنوس المخلص 53: 5. من هو مثلك غافر الإثم؟! 7: 18.
بين سبي إسرائيل وسبي يهوذا	7. ناحوم 8. صفتيا 9. رميا 10. باروخ 11. حبقوق	حزقيا [هرب إلى يهوذا عند سبي السامرة]. وأائل ملك يوشيا. يوشيا، يهوياكين، يكنيا، صدقيا. [عصر رميا صديقه الشخصي]. كتب بعد معركة كرمشيش في أيام يهوياقيم.	يتحدث عن إدانة نينوى ويظمن شعبه. يتحدث عن قرب مجيء سبي يهوذا. يؤكد تحقق السبي ويطلب بالاصلاح القلبي. يبدو أنه سافر إلى المسيبين ليسندهم. أسئلة حول تأديب الشعب بالكلدانيين.	نهاية الشر 1: 8. الإله الغيور 1: 18. تأديبات الرب ممتوجة بحوه 3: 12-13. الحفاظ على الإيمان 4: 1-3. الحوار مع الله 1: 3.
سبي يهوذا	12. دانيال 13. حزقيا	خدم أيام ممالك: بابل، مادي، فارس، في السبي. عاصر دانيال.	شهد أمام الملك الوثني بسوته وحكمته. فتح باب الرجاء ببناء الهيكل المسياني.	إدانة الظلمة بالنور 2: 22. مجد الرب 10: 4، 18.
بعد السبي	14. حجي 15. زكريا 16. عوبديا 17. ملاخي	داريوس الملك داريوس الملك	التشجيع على البناء الداخلي للهيكل (القلب). تشجيع الشعب على إعادة بناء الهيكل. الله يودب أنوم لكبريائه، كراهيته. يعلم عن مجيء السيد المسيح بسبقه إيليا.	بناء بيت الرب الداخلي 2: 15. غوة الله 1: 14. كما فعلت بفعل بك 1: 15. محبة الله العملية للبشرية 1: 11.

مقدمة

في سفر إشعياء

دُعي إشعياء: "النبي الإنجيلي"، ودُعي سوه: "إنجيل إشعياء"، أو "الإنجيل الخامس". من يؤاه يظن أنه أمام أحد أسفار العهد الجديد، وأن الكاتب أشبه بشاهد عيان لحياة السيد المسيح وعمله الكفري خاصة "الصليب"؛ وى صورة حية للفداء وأسوره الإلهية العميقة.

يقول **القديس جيروم**: [إني أتمثل في سفر إشعياء - عند قواعه - إنجيلياً يصف حياة يسوع المسيح، فضلاً عن كونه نبياً يتكلم عن الأمور الآتية^[2]].

يقول عنه **H. A. Ironside**: [أكثر من أي كتاب نوي آخر، يحوى أكمل النوات المسيانية التي وجدت في العهد القديم، يشهد بطريقة أكيدة عن آلام المسيح وما يتبعها من أمجاد^[3]].

اهتم به آباء الكنيسة خاصة في حورهم مع غير المؤمنين لأجل ما تضمنه من نوات كثوة وصريحة عن شخص السيد المسيح وعمله الفدائي وكنيسته وعطية روحه القنوس الخ...^[4].

بعد تحول القديس أغسطينوس إلى الإيمان المسيحي بفترة قليلة سأل القديس الأسقف الشيخ أمبروسوس عما يؤاه، فأجابه "إشعياء"^[5].

إشعياء:

كان إسم إشعياء شائعاً بين اليهود، فنجد في الكتاب المقدس على الأقل سبعة أشخاص يحملون هذا الاسم.
"إشعياء" يُقابل "يشعيا" (عز 7: 8؛ نح 11: 7؛ 1 أي 3: 21)؛ يعني "خلاص الله" أو "الله يُخلص". وقد جاء اسمه يكشف عن رسالته، فالسفر في مجمله يحمل خطأً واضحاً عن خلاص الله العجيب الذي يتحقق بمجيء المسيا الذبيح مقيم الملوكت وواهب المجد.

دُعي "إشعياء بن أموص" لتمييزه عن بقية الأشخاص الحاملين ذات الاسم. هذا وى الكثير من الدالسين أن أموص هنا غير عاموس النبي^[6]، وبحسب التقليد اليهودي هو أخو أمصيا ملك يهوذا وأنه نبي أيضاً.

نشأ في أورشليم وعمل فيها (إش 7: 3؛ 22: 1، 15؛ 37: 2؛ 38: 5؛ 39: 3). على خلاف لميا تزوج وأنجب ولاداً؛ لميا مُنع من

الزواج حتى لا تُعاني أسوته من الضيق المرّ الذي يحلّ بالشعب ومن الفساد الذي حلّ بالجميع كوباءٍ معدٍ، أما إشعياء فتزوج ودُعيت زوجته: "النبية" (إش 8: 3) لا لمملستها النوبة وإنما لمشكلتها رجلها جهاده الروحي ومشاعره، فكانت خير رفيق له في تحقيق رسالته. أنجبت على الأقلّ ابنين حملاً أسمى رمزيين؛ دُعي الأكبر "شَلْيشوب" معناه "البقية سَرجع" (إش 7: 3)؛ والثاني "مهير شلال حاش بز" معناه "عجل النهب، اسوع الغنيمة" (إش 8: 3). وكان الاسمان متناسبين مع نوات إشعياء كما سَوى.

اعترز إشعياء النبي بأسوته المقدسة في الوب، وأيضًا بتلاميذه الروحيين الذين حسبهم أبناء له وكأفاد أسوته، فقال: "هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الوب آيات وعجائب في إسرائيل" (إش 8: 8). وقد استخدم الرسول بولس هذه العبارة كرمز لوبنا يسوع الذي يقود تلاميذه إلى المجد (عب 2: 13).

ظروف إشعياء الدينية والاجتماعية والأخلاقية:

1 . نشأ إشعياء - كأحد أعضاء العائلة الملكية - في أورشليم، في جوٍ رُستواطي، يُجالس الملوك ويصادقهم، ويقدم لهم المشورة الصالحة. كان نبيًا في مملكة يهوذا، وربما كان يشغل مركزًا سياسيًا هامًا في البلاط الملكي، كما يظهر من إمامه بالتبيلات السياسية في ذلك الحين بجانب إمامه بالتبيلات الدينية والاجتماعية. فقد كشف عن جماعة أنصار التحالف مع مصر (إش 29: 15؛ 30: 1) واستطاع أن يطرد شُبّانًا من موكبه الخطير (إش 22: 15).

بأشر عمله النووي في السنة التي مات فيه عُوّيّا ملك يهوذا (سنة 740) أو (739 ق.م)، هذا لا يعني أنه بدأ بعد موت الملك وإنما قبل موته في ذات العام الذي مات فيه؛ وقد استمر في خدمته حتى وفاة حزقيا (697 أو 696 ق.م)، وبحسب التقليد اليهودي بأشر عمله النووي في عهد منسي بن حزقيا، بهذا تكون مدة عمله النووي أكثر من 50 عامًا، وى بعض الدارسين أنها بلغت الستين عامًا. انتهت حياته على الأرض بنشوّه بمنشار خشبي كأمر الملك منسي إمعانًا في تعذيبه كما جاء في التقليد اليهودي وبعض كتابات آباء الكنيسة^[7]، وربما قصده الرسول بولس عندما تحدث عن الذين تُشروا (عب 11: 37).

2 . شاهد إشعياء في شوارع العاصمة - أورشليم - مركبات الملك والأسوة الملكية والعظماء المتعجرفين، يركبونها في زهو وغرور، خاصة نسلوهم المدللات في حياة ترف فاحش وبذخ شديد. تطلع إلى الولايم اليومية التي تُقام في القصر الملكي بغير انقطاع، تُدعى إليها القيادات العسكرية والمدنية والدينية، الكل يشرب الخمر بلا حساب لتتحول إلى مجالس هوء قانونها المداهنة والرياء. وفي نفس الوقت كان يُشاهد الأغنياء يدخلون الهيكل ليقدموا تقدمات وذبائح بلا حصر ليجنوا تكريمًا من القيادات الدينية الجشعة، ويخرج هؤلاء الأغنياء من الهيكل ليملسوا الرجاسات الوثنية باليوب من الهيكل! هذه هي صورة المدينة التي نُسبت لله وأُقيم فيها هيكله المقدس، بينما كانت صوخت الأمل والأيتام والفوء والمظلومين تنوي في أدني النبي بل توتقع إلى عرش الله.

أصيب يهوذا بالفساد، من جهة قياداته كما من جهة الشعب، "كل الرأس مريض، وكل القلب سقيم، من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة بل جوح وإحباط وضربة طوية لم تُعصر ولم تُعصب ولم تُلين بالوت" (إش 1: 5-6).

وى بعض الدارسين أن ما حلّ بيهوذا يصيب العالم الآن بشكل أو آخر مثل:

أ. تكتلات من أجل التمتع بالسلطة البشوية لا الاتكال على عمل الله (إش 8: 9-13).

ب. الجهل الروحي، فبينما تخضع الطبيعة غير العاقلة بالغرزة لصاحبها وراعياها يجهل الإنسان خالقه المعتنى بخلصه وأبديته (إش 1: 2-4).

ج. فساد القيادات وانحلالها بتصوفات صبيانية غير ناضجة مع دخول العنصر النسائي بطويقة تسلطية منحرفة حتى في بعض القيادات الدينية.

(إش 3: 12)، وتفتش روح المداهنة والمجاملة وغير موضوعية الحق ذاته.

د. الأثانية ومحبة المال وما يتبع ذلك من ممرسة للظلم وحب الرشوة (إش 1: 23).

هـ. ميوعة الإيمان، يقبل الإنسان الدين وينكر عمل الله الخلاصي أو الائوام بالحق أو الاعتراف بالدينونة الأبدية...

الظروف السياسية^[8]:

عاش إشعيا النبي في وقت قيام القوى العظمى في العالم والصواع بينها. بدأ هذا الصواع بين مصر وأشور على السيطرة على العالم في ذلك الحين، وفي أيام إشعيا الأخوة كان الصواع بين آشور وبابل، وكان مبدأ هذه النول هو: "القوة هي الحق".
أما أثر هذا الصواع على إسرائيل (مملكة الشمال) ويهوذا فيظهر مما ورد في ملوك الثاني (15-17):

❖ قدم منحيم ملك إسرائيل فضة لفول الآشوري ليتركه في مملكته (2 مل 15: 19-20).

❖ في الأيام الأخوة من عزيا حيث تسلم إشعيا رسالته، غلب تغلث فلاسر الآشوري ففتح ملك إسرائيل (2 مل 15: 29)؛ وقام الأخير بتخريب جيش آحاز ملك يهوذا حيث قتل 120 ألفاً وحمل 200 ألفاً إلى السامرة كمسبيين، كما تحالف مع رصين ملك سوريا ضد يهوذا، وذلك لأسباب سياسية. فقد أراد من يهوذا أن يتحالف معهما ويستندا على فرعون مصر لمقاومة آشور، لكن يهوذا رفض ذلك، مفضلاً الالتجاء إلى آشور ضدهما.

لا أريد الدخول في تفاصيل الأحداث السياسية، إنما ما حدث هو أن هوشع قتل ففتح، وأن الأول خضع للجزية لأشور (2 مل 17: 3) غير أن شلمنأسر الآشوري لم يثق فيه فسجنه وحاصر السامرة 3 سنوات ثم سبى إسرائيل (2 مل 17: 4-6)، وكان ذلك سنة 722 ق.م.
إن كانت السامرة عاصمة الأسباط العثوة في أنانية تحالفت مع رام سوريا ضد يهوذا، فإن يهوذا من جانبه أخطأ فقد أرسل آحاز إلى تغلث فلاسر يقول له أنه عبده وابنه يطلب نجدة ضد سوريا وإسرائيل (2 مل 16: 7)، مقدماً خزائن الهيكل والقصر هدية لأشور. وبالفعل سنده، لكن تغلث فلاسر احتوه فيما بعد ولم يسنده (2 أي 28: 20-21). بعد ذلك قام سنحريب بجيش عظيم ليستولي على يهوذا في أيام حزقيا بن آحاز وقد سمح الله بتدمير كثير من المدن لكنه حافظ على أورشليم إلى حين.

عاش إشعيا النبي في هذا الجو بقلب نري ملتهب حباً نحو شعبه. فكانت نفسه م توة بسبب الـ تقسام بين أوايم ويهوذا الذي بلغ أقصاه بتحالف إحداهما مع دول غريبة ضد الأخرى. هذا من جانب ومن جانب آخر فقد شاهد إشعيا يهوذا وى بعينيه ما حدث للسامرة التي تبعد حوالي 35-40 ميلاً من أورشليم، وما حدث لها من خراب (إش 22: 1) ومع هذا زداد يهوذا في الشر والعناد.

كان إشعيا - كرجل قومي - منشغلاً بأورشليم عاصمة يهوذا ومدينة الله، كانت مركز أحلامه وآماله، كثوًا ما يتحدث عنها، لكنه في صراحة يصف نجاساتها وفجورها، معلناً نضاله لا لأجل حمايتها سياسياً فحسب وإنما لأجل تقديسها لحساب الله القدوس.

إشعيا، كرجل سياسي حكيم وبلشاد روح الله القدوس، أترك شئون عهوه والأحوال التي كانت سائدة. فقد تنبأ عن سقوط دمشق والسامرة وامتداد سلطان آشور على الشرق الأوسط (إش 7)، كما امتد نظره - بروح النبوة - إلى مستقبل أبعد لوى بابل وخطرها المحقق بيهوذا (إش 39)، وبروح الرجاء يعلن عن عودة الشعب كله - جميع الأسباط - من السبي البابلي.

رأى إشعيا في آشور (وبعد ذلك بابل) أداة تأديب إلهي لإسرائيل وأيضاً ليهوذا، ولم يكن بنو يهوذا قارين على تصديق غزو آشور لأورشليم.

لقد أكد النبي أن التريخ كله والشعوب في يد الله يستخدمهم من أجل توبة شعبه ورجوعه إليه... وأنه لا علاج حتى لمشاكلهم السياسية بغير التوبة.

تمسك إشعيا بكلمة الحق في قوة وبسلطان الروح، ففي شجاعة يقول لآحاز الملك: "هل هو قليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا إلهي

أيضاً؟! (إش 7: 13)، كما وبخ الشعب كفاعلي شر (إش 1: 4)، ودعى العظماء "قضاة سدوم" (أش 1: 10)، وسخر بالأعداء الثاوين في وقت كانت

فيه أورشليم ترتعب منهم حاسبًا إياهم كشعلة مدخنة (إش 7: 4) ... ومع هذا زاه يئن قلبه لأنَّ ات موآب (إش 15: 5) وپوئى لسقوط بابل (إش 21: 4، 10؛ 22: 4).

سماته:

1 . منذ القدم دُعى إشعيا بالنبى العظيم بسبب شخصيته وأعماله وكتاباتة^[9] . حمل في شخصيته شجاعة دانيال ورقة حس لميا وآلام هوشع وثورة عاموس، وفاق الكل في قوته الأدبية الفريدة على النقد المقدس اللاذع مع فتحه باب الرجاء على مصواعيه لا لشعبه وحده وإنما لكل بشر .

2 . تحدث الله مع إشعيا النبي بالطرق الثلاثة الشائعة الخاصة بالإعلان الإلهي^[10] :

أ . خلال الرؤيا المجيدة (إش 6)؛ وقد دُعى بالوائي (إش 30: 10) . رأى السيد المسيح القادم وقد ملأ مجده الروحي كل العالم، فاهتوت السماء لتسبحه من أجل قداسته ومجده . هذه الرؤيا سيطرت على حياته وأفكره وتصرفاته وكلماته؛ فنجد القداسة مع المجد هما الخط الواضح في السفر، مصوهما ليس الزواج البشوى وإنما عمل المسيح الخلاصي . هذا الخط صبغ على السفر روح الرجاء بالوغم مما أعلنه عن بغض الله للخطية وسقوط الأمم تحت التأديبات القاسية بسببها .

ب . عمل الروح في حياة إشعيا، الذي أمسكه كما بيد قوية (إش 8: 11)، وألهب حياته، فصلرت كلمة الله أشبه بنار تلتهب في عظامه .

ج . الإعلان خلال الحديث الأوي؛ فيتحدث رب الصبؤوت المهوب في أدنى إشعيا كما يتحدث الصديق مع صديقه، يحدثه فمًا لقم (إش 8: 11؛ 20: 2؛ 22: 14)، ويعتبر هذا النوع أسمى أنواع الإعلانات الإلهية، إذ يقدم روح الصداقة الإلهية .

وكما تسلم النبي النوة بهذه الوسائل الثلاثة، قدمها بدوره خلال ثلاث وسائل:

أ . الكورة العلنية في الهواء الطلق من أجل توبة الجميع .

ب . العمل الوزى؛ جاء في (إش 20: 2-3) أنه صار علامة وأعجوبة، فقد سار حافي القدمين عرليًا لمدة 3 سنوات ليؤكد ليهوذا سببيه وتسليمه للعبودية تحت نير آشور .

ج . خلال الكتابة بإعلان واضح في مكان عام مثل الهيكل للتحذير .

3 . تمتع إشعيا بسر الله في وقت طغت فيه الشكلية في العبادة على حياة القادة والشعب، واتسم الكل بالوراء مع فساد الحياة الداخلية . لقد فشل الكهنة والملوك في تحقيق رسالتهم في ذلك الحين لإصلاح إسرائيل ويهوذا، لذلك استمر الله يخدم شعبه خلال الأنبياء . جاء إشعيا ليعلم أنه لا طريق للإصلاح أو النعوة أو المجد إلاً خلال الحياة المقدسة؛ وأن الله القوس يتوقف بالخطاة ويشعر بضعفاتهم ويشتاق إلى خلاصهم .

لقد قدم إشعيا نوات عن أحداث مقبلة، لكن غايته الأولى هي الاعلان عن فكر الله العامل عبر الزمن في الماضي والحاضر، والمستقبل، العامل خلال كل الشعوب حتى المقومة له . وكأن هذا السفر يُجيب على الأسئلة التالية^[11] :

❖ هل القوة تعطى الأمم "الحق"؟

❖ ما هو دور الله في العالم؟

❖ هل دينونة الله أو عقابه يعنى رفضه الإلهي للشعب؟

❖ ما هي طبيعة الاتكال عليه والثقة فيه؟

❖ ما هو مستقبل مملكة داود؟

4 . يعتبر هذا السفر من أروع الكتابات النبوية في أسلوب أدبي رائع . فالسفر كله شعوي باستثناء الأصحاحات (36-39) ، يدعو De Costa "هبة الشعر"^[12] .

لقد سمع بنفسه تسابيح السمائين (إش 6) ورأى السماء والأرض مملوئتين من المجد الإلهي فاهتوت أعماقه لتسبح الرب، وسكب نفسه مستخدماً بروح الله القديس كل قترته الأدبية الفائقة وبلاغة أسلوبه وغنى أفكاره ليهز كل نفس تستمع إليه لحساب ملكوت الله. قدم أنواعاً مختلفة من التسابيح تحمل حمداً ورفحاً ووصايا ودموعاً وحزناً ومجداً لله! جاء كتابه حديثاً نبوياً فيه يسكب نفسه في نفوسنا بحب فائق، عجيب في لغته، عذب في تشبيهاته، يتحدث بلغة الحب والإخلاص بروح نوي مستقبلي مع واقع يعيشه، معوياً بصراحة وشجاعة عن أحاسيسه تجاه القيادات المدنية والدينية والشعب خاصة المحرومين والمظلومين، مما جعل كتاباته حية وفعالة.

قدم إشعياى الطبيعة غير العاقلة كالجبال والغابات والأنهار والوديان كلها تشارك الإنسان حياته.

لم يتوك تشبيهاً أو تصوراً إلا واستخدمه.

يذكر *H. Bultema* التعليقات التالية على لغة هذا السفر ^[131]:

[يستحيل على أية ترجمة (للسفر) إلى لغة أخرى أن تحتفظ زهوة هذا الطابع دون ضرر] **القديس جيروم**.

[إن كانت لغة الوجدان *ecstasy* غريبة عليّ تماماً، فإنني لن أتجاسر وأترجم شعراً مثل إشعياى] *Van Der Palm*.

[إشعياى (فنان كامل في كلماته] *Dillmann*.

[إشعياى الملائكي والأمير] *De Costa*.

5 . يتميز إشعياى بكثرة النوات عن السيد المسيح، من جهة ميلاده من عذراء (7: 14)، لاهوته (9: 6)، من نسل يسى (11: 1)، ممسوح لأجلنا (11: 2)، معلن الحق للأمم (42: 1)؛ يسلك بالوداعة (42: 2)، واهب الرجاء لكل (42: 8)، هروبه إلى مصر وإقامة مذبح كنيسة العهد الجديد هناك (19)؛ آلامه وصلبه (50: 6؛ 53: 1-12)؛ فتح طريق الفوح للمفديين بقيامته (35: 8-10)، إقامة عصر جديد مملوء سلاماً يجمع المؤمنين من اليهود والأمم معاً. كما أفاض عن العصر المسياني كعصر ملوكي داخلي يحمل بركات فائقة.

تحدث أيضاً عن الروح القدس وعطيته الفائقة في العصر المسياني (11: 2؛ 32: 15؛ 40: 7؛ 42: 1؛ 44: 3؛ 61: 1 الخ).

ليس في الكتاب المقدس مواجهة مع الصليب في أعماق أسوره أروع مما سجله إشعياى. أما مياه الروح القدس، مياه الخلاص التي نادى عنها السيد المسيح في يوم العيد العظيم "إن عطش أحد فليقبل إليّ" فقد سجلها العظيم في الأنبياء إشعياى في الأصحاح (55) ^[141].

إشعياى في العهد الجديد:

لسفر إشعياى أهميته الخاصة فقد حسبه ابن سواخ "تغوية صهيون" ابن سواخ

(48: 24)؛ وقد اقتبس منه كتاب العهد الجديد - أغلبهم من اليهود - 21 نصاً مباشراً بجانب تلميحات كثيرة ^[151].

منذ بدء انتشار المسيحية يُنظر إلى سفر إشعياى كسفر هام للشهادة عن شخص السيد المسيح (أع 8: 27؛ 39؛ 1 بط 2: 22-25). وقد وُأ السيد المسيح في إشعياى مشوراً إلى شخصه (مر 1: 11).

إشعياى والليتورجيات القبطية:

لما كان سفر إشعياى قد ركز على عمل السيد المسيح الخلاصي والكشف عن عهده الذي اتسم بعطية الروح (المشار إليه بالماء والمطر) لهذا غالباً ما توأ فصل من إشعياى في طقس باكر من كل أيام الصوم الكبير، وأيضاً في صلوات اللقان في خميس العهد وعيد الرسل والغطاس المجيد.

الفكر اللاهوتي عند إشعياى:

وى بعض الدارسين أن منهج إشعياى اللاهوتي يمكن تقديمه تحت أربعة عناوين: "الله، البشوية والعالم، الخطية، الخلاص" ^[161]. ويمكن إجماله في العبارة التالية: [الله القديس يُدين الخطية التي أفسدت البشوية تماماً فسقط العالم كله تحت الدينونة، وقد حمل مخلصنا الدينونة في جسده ليُقيمنا فيه

جاء السفر يحمل مقابلات عجيبة مثل: المجد الإلهي - الانحطاط البشوي؛ الدينونة الجامعة المرعبة - خلاص الله الفائق؛ تقويه الله غير المورك - عجز العبادة الوثنية؛ حكمة الله الشاملة - غبلوة الأوثان؛ غنى عطايا الله - تدمير الخطية للوكات. خلال هذه المقابلات وأمثالها يعلن الله عن حبه الخلاصي نحو الإنسان، ليرفعه إليه ويهبه موائناً لجبل قدسه (إش 57: 13)، مع حكمة ونصوة وأمجاد.

1. الله "قنوس إسرائيل" [171] ...

كثوًا ما يستخدم إشعياء النبي هذا الاسم "قنوس إسرائيل" الذي لم يُستخدم في الأسفار الأخرى سوى ست مرات (إر 50: 29؛ 51: 5؛ حز 39: 7؛ مز 71: 22؛ 78: 14، 89: 18).

استخدامه بكثرة خلال السفر كله يكشف عن وحدة السفر (إش 1: 4؛ 5: 19، 24؛ 10: 17، 20؛ 12: 6؛ 17: 7؛ 29: 19، 23؛ 30: 11، 12؛ 31: 1؛ 37: 23؛ 41: 14، 16، 20؛ 43: 3، 14، 15؛ 45: 11؛ 47: 4؛ 48: 17؛ 49: 7 (موتان)؛ 54: 5؛ 55: 5؛ 60: 9؛ 61: 14).

ماذا يعنى بقنوس إسرائيل في هذا السفر إلا شخص السيد المسيح خالق إسرائيل وموحده ومجده خلال عمله الخلاصي ليحميه ويمجده. في كل أصحاح من هذا السفر يتجلى السيد المسيح كمركز الحديث.

لقد رأى إشعياء في بدء عمله النبوي السيد المسيح المخلص جالساً على عرش مجده والسرافيم يسبحونه: قنوس، قنوس، قنوس (إش 6). وقد شاهد القديس يوحنا في رؤياه الأربعة مخلوقات الحية حاملي العرش الإلهي ينشون ذات التسبحة في السماء (رؤ 4: 8).

كما سبق فقلنا إن إشعياء تعلم ألا يفصل بين قداسة الله المطلقة وأمجاده الأبدية؛ أما دعوته الله "قنوس إسرائيل"، فلأنه القنوس الذي يقيم شعباً مقدساً له ليشركه أمجاده الأبدية. هو قنوس في ذاته، لكن قداسته تلمس علاقتنا به في صميمها.

تأكيد فكرة قداسة الله تُحطم الفكرة الوثنية التي سادت بان الله مجرد "بشر فائق Superhuman" أو "جد grand father عظيم في السماء". الله مختلف تماماً عن خليقته، هو عال، يُغايير عالمه، هو القنوس وحده [181] ... لكنه في نفس الوقت غير معتول خليقته بل هو مقدسها.

بقدر ما أبرز النبي مدى فساد البشوية حتى الشعب الذي أختاره الرب، أكد أمانة الله الواحد القنوس والتقدير من جهة الخلاص (41: 14؛ 43: 3، 14-15؛ 47: 4؛ 48: 17 الخ)، ليهبهم شركة سماته (35: 8؛ 48: 2؛ 60: 14؛ 62: 12).

وبقدر ما أبرز بطلان الأوثان وعجزها أكد أن التقدير هو الخالق والمعين والقائد والدينان، في يده الزمن، وبقدرته يحرك الأمم لتحقيق وادته المقدسة من جهة مؤمنيه.

2. البشرية والعالم:

نظرة إشعياء نحو البشرية والعالم انعكست على شخصيته، فقد آمن أن الإنسان الكائن العجيب موضع حب الله وتدبيره من أجله يحرك الله كل شيء ليقدسه بل يقوم بنفسه بخلاصه، وفي نفس الوقت يرى الإنسان في ذاته ضعيفاً كل الضعف، صار كلاً شيء، حطم نفسه بنفسه، لا يقدر على الخلاص خراج العمل الإلهي.

هذا ما زاه في شخصية إشعياء نفسه، فقد وقف أمام الله يعلن: "ويل لي إنني هلكت، لأنني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين" (إش 6: 5). لكنه إذ تمتع بلمسة من الجورة التي قدمها أحد السرافيم من المذبح الإلهي ينطلق ليعمل بطاقات جبلة: حمل شخصية قوية جذابة تجمع روح النبوة مع اتساع الأفق، الحركة المستمرة للعمل مع عنوبة أسلوبه وسحر كلماته، يوبخ وينتهر بشجاعة مع فتح باب الرجاء، أمين لقوميته

ومحب لكل البشوية، واقعي يترك ما يحوط به في زمانه أما قلبه فمنطلق نحو المستقبل حتى يبلغ الأبدية عينها.

هكذا تكشف شخصية إشعيا النبي عن نظوته نحو الإنسان والعالم، أيضاً طريقة تعامله مع الغير تكشف ذات نظوته هذه. فهو لا ينشغل كثراً بالألقاب ولا بالوراكز، متوكفاً أن القوة الحقيقية تتبع في اللقاء الخفي الداخلي مع الواحد القدوس، لذا لا يخف من الحديث بكل جرأة مع الملوك أو ضد الأمم وفي نفس الوقت بكل رقة وحنان مع الأيتام والأمل والمظلومين... لقد عرف قيمة النفس البشرية مجردة عن الأمور الزمنية والشكليات الخرجية.

3. الخطية:

الخطية - في نظر إشعيا النبي - أيا كانت أشكالها هي "عصيان" ضد الواحد القدوس كما يظهر من افتتاحية السفر وختامه ^[19]. هذه النظرة واضحة في كل السفر، فإن القدوس يعمل لأجل تقديسنا لنشركه سماته، وكل خطية أشبه بثورة ضده.

4. الخلاص:

إن كانت الأصحاحات الأولى (1-39) تؤكد كراهية الله للخطية وتأديب الخطاة العاصيين فإن الأصحاحات التالية (40-66) تعلن خلاص الله العجيب للخطاة من كل الأمم والشعوب.

الله الديان هو بعينه المخلص، يكشف الجراحات لا لتشهير بها وإنما لمعالجتها برفقة وحنو مهما كلفه الثمن. لهذا في كل مرة يعلن حزمه ضد الخطية سوعان ما يكشف عن عمله الخلاصي ليبعث في النفس الرجاء الموح. لقد تحدث إشعيا بفيض عن الحياة الجديدة التي صلت لنا في المسيح (إش: 43: 18، 19؛ 62: 2؛ 41: 15، 16؛ 65: 17 الخ...).

عبد يهوه (عبد الرب):

من أهم المشاكل التي تقف أمام النقاد هي تعبير "عبد يهوه" أو "عبد الرب" الذي أشير إليه في الأصحاحات ما بين (40-50) (قراءة عشرين مرة: (إش: 41: 8، 9؛ 42: 1، 19؛ 43: 10؛ 44: 1، 2، 21، 26؛ 45: 4؛ 48: 20؛ 49: 5، 6؛ 50: 10؛ 52: 13؛ 53: 11؛ 54: 17). وتتخلص المشكلة في أمرين:

1 . أغلب الإشارات قدمته بكونه إسرائيل أو يعقوب.

2 . نثرة يظهر أنه عبد يهوه غير الأمين ونثرة العبد المختار موضع سرور الأب، المتألم لأجل خلاص البشر. من يكون هذا العبد ليهوه؟

1 . في بداية العصر المسيحي وجد بعض اليهود يفسرون "عبد يهوه" بكونه المسيا، لكن البعض الآخر رفضوا ذلك لأنهم لم يكونوا يتوقعون في المسيا ابن داود الذي يقيم المملكة الغالبة أن يتألم، لذاروا أن هذا العبد هو رمز لأمة اليهود ^[20]... هذا التفسير الأخير لا يقبله المنطق ولا يتفق مع ما ورد في السفر فقد أعلن النبي بوضوح أنه يتألم لأجل الخلاص، ويعمل من أجل ذلك (إش: 49: 5-6؛ 53: 5-11)، فهل تألمت الأمة اليهودية من أجل خلاص العالم؟

2 . حاول بعض النقاد تفسير هذا الشخص بكونه شخصية تزيخية أو فكرة أسطورية لتقديم مفهوم لاهوتي معين، وقد فرض *C. R. North* التفسيرين. عن الأول يتساءل: من يكون هذا الشخص التزيخي؟ هل هو النبي نفسه أم آخر؟! واضح أن الحديث لا ينطبق على شخصية تزيخية في العهد القديم. أما التفسير الثاني فغير مقبول لأن العهد القديم لم يستخدم قط الأساطير التي أتبعها الشوق الأدنى في ذلك الحين ^[21]. وقد رأى *North* أن ما ورد عن عبد يهوه إنما يجب تفسيره مسيانياً، أي ينطبق على المسيا.

3 . يرى البعض أن *North* قدر مركز على تسابيح العبد (إش: 42: 1-4؛ 49: 1-6؛ 50: 4-9؛ 52: 13-15؛ 12) التي لم يذكر فيها العبد

[221]

بكونه إسرائيل أو يعقوب إنما تركز على العمل الخلاصي لهذا قبل التفسير المسياني .

4 . إن عدنا إلى الكتاب المقدس نجد فيلبس الرسول يفسر هذا العبد بكونه يسوع المسيح (أع 8: 30-35) . فكيف يقدمه السفر ترة العبد غير الأمين وأخرى العبد المختار موضع سرور الآب. يُجيب ^[231] Ironside بأن إسرائيل هو عبد الله الذي لم يستطع أن يخلص نفسه فاحتاج إلى المختار من قبل يهوه العبد الذي جاء ليحقق رسالة الخلاص. آدم الأول قبل مشورة العدو فخل تحت العقوبة وصار في مذلة لتعوبه عن الله لذا جاء آدم الثاني لي حطم العدو ويقيم كنيسته (إسرائيل الجديد) ويعلم حضوره فيها (إش 8: 18؛ 12: 6؛ 30: 29؛ 31: 9).

إذن ما ورد عن عبد يهوه ترة يتحدث عن آدم الأول أو الإنسان الذي حطمته الخطية وترة عن آدم الثاني ابن الإنسان الذي حطم سلطانها. هذا وروى القديس أغسطينوس أن عبد يهوه رمز للسيد المسيح، كما ي شير أحياناً إلى كنيسته، إسرائيل الجديد، بكونها العروس المتحدة به، وجسده المتمتع بخلاصه ^[241] .

نسبة السفر لإشعيا ووحده:

يحاول بعض النقاد المحدثين أن ينكروا وحدة السفر ونسبته بأكمله لإشعيا النبي. فيدعى البعض أن إشعيا كتب القسم الأول منه (إش 1: 39)، وأن آخر اصطلحوا على تسميته "إشعيا الثاني" كتب بقية السفر. وادعى آخرون أن المدعو إشعيا الثاني كتب فقط الأصحاحات (40-55) بينما ثالث كتب الأصحاحات (56-66) . وقد بدأت هذه النظرية (تجزئة السفر) بتعليقات J. C. Doderlein عام 1775م و J. G. Eichhorn عام (1780-3871) . ومنذ بدء القرن العشرين بدأ بعض المفسرين يفصلون بين هذه الأجزاء ككتب مستقلة.

وأما حججهم في ذلك فهي:

1 . الخلفية التلخيفية: لا يقبل الناقدون إمكانية روح الله في الكشف عن المستقبل أمام رجال الله لبنيان الجماعة، ولا يبركون قول ابن سواخ عن إشعيا أنه تحدث عن المستقبل (ابن سواخ 24: 48) . لذا يؤكدون أن كاتب الأصحاحات (40-60) كان معاصراً للإمباطورية البابلية وعن أنهيلها أمام كورش (إش 44: 28، 45: 1)...

كما سبق أن قلنا في مقدمات الكثير من أسفار العهد القديم أن المشكلة تقوم أساساً على إنكار النقاد للنسبة ورفضهم للمعجزات الإلهية.

2 . الخلفية الفكرية: وى بعض النقاد أن الأصحاحات (1-39) تمثل كتاباً مستقلاً له فكر واحد هو تأديب شعب الله على خطاياهم خاصة اتكالهم على الزواج البشرية وانغماسهم في الوجاسات الوثنية كسائر الأمم المحيطة بهم، ثم فجأة تتحول الأصحاحات (40-66) إلى فكر آخر وإلى طابع مغاير، فيها يعلن الكاتب عن خلاص جديد خلال عهد جديد يقوم به الخالق المهتم بتجديد خلقته التي فسدت.

3 . الخلفية اللغوية والأدبية: وى بعض الدارسين أن الطابع اللغوي والأدبي في الأصحاحات (1-39) يختلف عما جاء في الأصحاحات (40-66) .

الرد على القائلين بإشعيا ثانٍ وثالث:

1 . يقول ^[251] Bultema بأنه أمر غريب للغاية أن يُكتشف وجود إشعيا ثانٍ في تليخ متأخر بواسطة بعض اللاهوتيين العقلانيين بينما لم يخبر بهذا الأمر أحد من حاخامات اليهود القدامى وآباء الكنيسة الأولى حتى الذين قاوا الحركة البروتستانتية لم يفكروا في هذا، فكيف كان إشعيا الثاني هذا مخفياً عبر كل هذه العصور!؟

2 . نسبت الترجمة السبعينية في القرن الثالث ق.م السفر كله لإشعيا النبي دون تجزئته.

3 . يقدم لنا المؤرخ اليهودي يوسيفوس شهادة خلجية عن أصالة هذا الجزء (إش 40-66) ونسبته لإشعيا، وأنه كتب في وقت مبكر جداً عن عصر كورش، إذ قال أن كورش نفسه قرأ ما ورد في سفر إشعيا فدهش وتحركت فيه رغبة قوية أن يحقق ما كتب عنه في هذا السفر ^[261] . واضح هنا

أن يوسيفوس لم يعرف سوى إشعياى واحداً.

لو أن الكاتب غير معروف في أيام كورش لكان هذا يعنى أحد أموين، إما أن ما كتبه يوسيفوس عن كورش ليس بذي قيمة، أو أن كورش كان غيباً خدعه اليهود.

4 . نسب يشوع بن سواخ السفر بأكمله إلى إشعياى النبي، وقد شهدت أسفار العهد الجديد لذلك باقتباس عبارات منه نسبتها إلى إشعياى النبي.

3 . من جهة اختلاف الفكر بين أقسام السفر. فكما يقول *Oswalt* أن محاولة تجزئة السفر في العصر الحديث هي التي خلقت تجاهلاً لوحدة الفكر الذي يحوى في السفر كله ^[271]. وقد قدم لنا مثلاً لوحدة الفكر في السفر نقدمه هنا مع شيء من التصوف.

يُجيب السفر كله على تساؤلين هما:

ما هي طبيعة شعب الله؟

وما هو مصوهم؟

في (إش 1-6): يعرض النبي المشكلة: الخطاة مدعون، والحل هو رؤية الله.

وفي (إش 7-39): يكشف عن الاتكال على الله لا على الأمم المجاورة، وأنه عوض الاتكال عليهم في ضعف يلزم أن يركوا رسالتهم ألا

وهي أن يكونوا نوراً للأمم. وقد بدأ بنو يهوذا بالاتكال على الله لكنهم لم يستمروا.

وفي (إش 40-48): يُّجيب على التساؤل: ما هو الحل لعدم استوار يهوذا؟ حثهم على ذلك ولو بالتأديب والسبي. فانه يسمح بالسبي لكنه لا

زال يعلن "أنا هنا"، مجده يملأ السماء والأرض كما رأى إشعياى (إش 6).

وفي (إش 49-55): يُّجيب على التساؤل: هل يمكن لإسرائيل الخاطئ أن يصير عبد يهوه؟ كما فعل الله بإشعياى مقدساً شفتيه بالجمرة (إش

6) هكذا يفعل بالمؤمنين مقدساً إياهم بعمله الخلاصي.

هنا يقدم مقابلة بين إسرائيل عبد يهوه والمسيا المخلص.

في (إش 56-60): الله الذي يختار شعبه ويخلصهم من خطاياهم يبقى عاملاً حتى يتحقق مجده فيهم كما سبق ففعل مع إشعياى في الرؤيا (إش

6).

هكذا يظهر الخط واضحاً في السفر كله، خط خلاص الله العجيب الذي يحققه بدعوة الخطاة وتقديسهم خلال المسيا مخلص العالم.

4. ما يدعيه النقاد - أي نظرية تفتيت وحدة السفر - يواجه مشاكل كثيرة بلا حل، نذكر على سبيل المثال ^[281]:

أ. أن آراءهم تفقد الوحدة بصورة صريحة، فوى *Radday* أن الأصحاحات (49-66) تمثل وحدة لغوية واحدة مقابل الأصحاحات (40-84)؛ فان كان هذا صحيحاً فانه يعرض فكرة إشعياى الثاني (40-55). هذا ووى أن الأصحاحات (23-35) ليست من قلم إشعياى الأول وهذا يعرض فكر أغلب النقاد.

ب. لو كان هذا السفر هو من عمل ثلاثة أشخاص، فإنه يصعب جداً تفسير كيف جاء السفر بشكله الحاضر. في كل المخطوطات السابقة للمسيحية لم تُوجد قط أجزاء منه قدمت ككتاب مستقل، إنما قدمت الأصحاحات الـ 66 كوحدة واحدة.

ج. يقول *Morgaliioth* إنه لم تستطع هذه النظريات أن تقدم تفسيراً لوجود مفاهيم مشوكة بين الأجزاء مثل (إش 1-7) مع (60-66)؛ 7-

(21) مع (36-39) ^[291].

د. وجدت دراسات إحصائية لغوية للسفر تؤكد وحدته مثل عمل *L. L. Adam* ^[301].

فيما يلي أمثلة قليلة لتشابه الأفكار والأسلوب خلال الأجزاء التي يدعى النقاد أنها كتبت مستقلة ^[31]:

* تسمية الله "قنوس إسرائيل" وردت 13 مرة في (إش 1-39)، 16 مرة في (إش 40-66)، بينما استعملت 7 مرات في بقية أسفار العهد

* تسمية الله "عزيز إسرائيل" في (إش 1: 24)، وأيضًا في (إش 29: 26؛ 60: 26).

* استخدام تعبير: "قم الرب تكلم" (إش 1: 20؛ 21: 17؛ 22: 25؛ 24: 3؛ 25: 8)؛ (40: 5؛ 58: 14).

* العلاقة بين الله وإسرائيل في الأصحاحات (1-39) (مطابقة في الصور والأفكار بما ورد في الأصحاحات (40-66).
من جهة الأفكار:

أ. بنو إسرائيل ولاد الله وشعبه المحبوب (1: 2، 3؛ 2: 6؛ 3: 12)؛ (40: 11؛ 41: 8، 9؛ 43: 1، 15).

ب. عصيانهم (1: 17، 23؛ 3: 12، 15؛ 5: 7، 23)؛ (8: 13).

ج. سقوطهم في الوثنية (1: 29؛ 2: 8، 20؛ 31: 7)؛ (40: 19، 20؛ 41: 7؛ 44: 9-20؛ 57: 5).

د. سفك الدماء الوثيئة (1: 15، 21؛ 4: 4) (9: 3، 7).

هـ. رفض الله لهم لعصيانهم (1: 15؛ 2: 6؛ 3: 8؛ 4: 6)؛ (42: 18-25؛ 43: 28).

و. الحكم عليهم بالسبي (5: 13؛ 9: 11، 12؛ 14: 3)؛ (42: 42؛ 43: 5، 6؛ 45: 13).

ز. السبي إلى بابل بالذات (14: 2-4؛ 39: 6، 7)؛ (47: 6؛ 48: 20).

ح. الرب يُبقى له بقية (6: 13؛ 10: 20-22؛ 11: 12؛ 14: 1، 3)؛ (43: 1-6؛ 48: 9-20). فكرة البقية التي تخلص كخيطة ذهبي

خلال السفر كله.

ط. الوعد بالعودة وغرسهم في الأرض المقدسة (14: 1؛ 35: 10)؛ (44: 26؛ 45: 3؛ 51: 11).

ي. انضمام الأمم إليهم (11: 10؛ 25: 6)؛ (42: 6؛ 49: 6؛ 55: 5).

ك. الوعد بملك عظيم (9: 6، 7؛ 24: 23؛ 32: 1؛ 33: 17)؛ (42: 1-4؛ 49: 1-12).

ل. يملك في جبل الله المقدس (2: 2؛ 11: 9)؛ (56: 7؛ 57: 13؛ 65: 11).

م. يكون فاديًا ومخلصًا (1: 27؛ 25: 9-10؛ 35: 4)؛ (41: 14؛ 53: 5؛ 59: 20).

ن. استخدام الاسم الرمزي لمصر "رهب" في الجزئيين (إش 30: 7)؛ (إش 51: 9).

من جهة الصور والتشبيهات:

أ. كثرة استخدام صور النور والظلام كرمز للمعونة والجهل؛ استخدم النور مجازيًا 18 مرة على الأقل والظلام 6 مرات، وقابل بين الاثنين 9

مرات (إش 5: 20، 30؛ 13: 10)؛ (إش 42: 16؛ 50: 10؛ 58: 10؛ 59: 9؛ 60: 1-3).

ب. استخدم أيضًا العمى والصمم في حالات متشابهة (إش 6: 10؛ 29: 10، 18؛ 35: 5)؛ (إش 42: 7، 16، 18، 19؛ 43: 8؛

44: 18؛ 56: 9).

ج. تصوير البشوية بالزهة أو ورقة سوعان ما تذبل (إش 1: 30؛ 18: 15)؛ (إش 40: 7؛ 64: 6).

د. تشبيه الإصلاح واية (إش 11: 12؛ 18: 3)؛ (إش 49: 22؛ 62: 10؛ 66: 19).

هـ. دعوة المسيا الغصن أو القضيب (إش 11: 1، 2؛ 53: 2).

و. العصر المسياني كعصر ماء (إش 30: 25؛ 33: 21؛ 35: 6)؛ (إش 41: 17، 18؛ 43: 19، 20؛ 55: 1؛ 58: 11؛ 65: 12).

ز. تشبيهه الله بالفخري والإنسان بإناء خرفي (إش 29: 16)؛ (إش 45: 9؛ 64: 8).

ح. تشبيهه أورشليم بخيمة ذات أوتاد (إش 32: 20)؛ (إش 54: 2).

ط. تشبيهه تطهير إسرائيل بتقية الفضة (إش 1: 25)؛ (إش 48: 10).

هذه أمثلة قليلة من كثير من وجود تشبيهات وتعبيرات مشوّكة بين ال. 39 أصحابًا الأولى وبقية السفر... مما يدل على وحدة السفر وان الكاتب شخص واحد. هذا ويلاحظ أنه لا يخلو أصحاب في كل السفر من تشبيه حيّ وتصوير رائع خاصة في الأصل العوي الذي يعطى سمو اللغة رونقًا خاصًا لهذه التشبيهات والتصورات.

مع هذا إن وُجد شيء من الاختلاف في الأسلوب بين ما ورد في (إش 1-39)؛ (إش 40-66) فإنه أمر طبيعي لتطور الأسلوب بالنسبة لنفس الكاتب خلال حقبات حياته المختلفة، خاصة وأن مدة نبوته طويلة، تبلغ حوالي الستين عامًا.

5 . كاتب كلا الجزئين يظهر أنه صاحب معرفة كاملة بتاريخ شعبه.

6 . كاتب الجزء الثاني (إش 40-66) ليس كما يدعى النقاد أنه إنسان يعيش في أرض السبي، إنما واضح أنه كان مقيمًا في الأراضي المقدسة،

وكما يقول *H. Bultema*:

أ. بينما يكرر لميا النبي إسم بابل أكثر من 160 مرة نجد هنا في هذه الأصحاحات السبعة والعشرون (إش 40-66) يُذكر ثلاث مرات فقط.

كما لم يشر الكاتب إلى المدن المحيطة ببابل ولا إلى قراها أو حصونها. أما بالنسبة لكنعان فكثرت ما يُشير إليها وإلى بعض المناطق التي فيها.

ب. لا يُشير الكاتب إلى الأمم المحيطة ببابل بينما يُشير إلى جبال كنعان وتلالها وصخورها وكهوفها وطرقها الجبلية ووديانها.

ج. يتحدث عن حجرة لا توجد في بابل بل في كنعان (إش 48: 19؛ 57: 6؛ 62: 10؛ 51: 1؛ 50: 7).

د. بالنسبة للنباتات أشار إلى نوع واحد من أشجار بابل "الصفاف" (إش 44: 4) ؛ أما أشجار كنعان فيكرها مرات ومرات مثل الأرز

والزيتون والصنوبر والآس والزان والسرو الخ...

هـ. بالنسبة للأخشاب، كان البابليون يستخدمون أشجار النخيل في البناء كما في القود بينما يُشير إشعيا إلى الأخشاب الكنعانية مثل الأرز

والسرو وسنديان والصنوبر (إش 44: 13-16).

و. لم تذكر هذه الأصحاحات نوعًا واحدًا من محاصيل بابل إنما أشرت إلى المحاصيل التي تنمو في كنعان مثل البهوت والكتان والقصب.

ز. ورد بهذه الأصحاحات أكثر من 25 نوعًا من الحيوانات لا يوجد من بينها نوع واحد من الحيوانات الخاصة ببابل، وهكذا بالنسبة للطيور

والأسماك.

ح. عندما تحدث عن الأصنام أشار إليها بكونها مقامة تحت الأشجار (إش 57: 5-7) وفي الكهوف وعلى الجبال والتلال؛ هذا يناسب كنعان

أما في بابل فوجدت الأصنام في هياكل ضخمة جميلة.

ط. في تشبيهاته المتعددة عبر السفر كله لم يشر إلى عجائب الدنيا في بابل مثل أسوار بابل الفريدة في سمكها، ومعبد بيل والقصر الملكي ل.

Neriglisser و الحقائق المعلقة.

من هذا كله واضح أن الكاتب يعيش في كنعان وليس في بابل أرض السبي كما ادعى النقاد ليغزلوا الأصحاحات (40-46) عن بقية السفر

بكون كاتبها إشعيا آخر في أرض السبي جاء في وقت متأخر عن إشعيا الأول.

التفسير الألفي لسفر إشعيا:

بينما ركز آباء الكنيسة الأولى على نوات إشعيا النبي بكونها شهادة صادقة وأمينة عن شخص السيد المسيح وعمله الخلاصي، يحاول كثير

من المفسرين المحدثين صبغه بالفكر الألفي، متطلعين إلى كثير من نواته على أنها ستتحقق عندما يأتي الرب ليملك ألف سنة على الأرض قبل حلول

الضيقة العظيمة.

ولعل السبب في ذلك يرجع إلى الآتي:

- 1 . تفسير النوات بطريقة حرفية، مثل إعادة مجد صهيون و أورشليم وغلبة المخلص على الأمم والشعوب المقاومة الخ... هذه المفاهيم ليست إنجيلية، فإن صهيون وأورشليم إنما هما كنيسة العهد الجديد، التي تدعى "إسرائيل الجديد". أما الغلبة على الأعداء فأشلة رمزية لغلبته على قوات الظلمة بالصليب.
- 2 . عدم إراكمهم أن الرب قد ملك فعلاً بالصليب على القلوب وأنه أقام مملكته المملوءة فوحاً وسلاماً لا ينطق به.
- 3 . إن الشيطان قد قُيد بالنسبة للمؤمنين بالصليب، وأننا قد أعطينا سلطاناً أن ندوس على الحيات والعقرب. (راجع تفسيرنا لسفر الرؤيا ص (19).

أقسام السفر:

وى علماء اليهود وآباء الكنيسة الأولى أن النوات الوردية في هذا السفر جاءت حسب ترتيب إعلانها للنبي، وإن كان بعض النقاد الحديثيين يرفضون هذا الوأي.

- | | |
|--------------------|------------|
| نوات في أيام عزيا | [ص 1-5]. |
| نوات في أيام يوثام | [ص 6]. |
| نوات في أيام آحاز | [ص 7-14]. |
| نوات في أيام حزقيا | [ص 15-66]. |

ويمكن تقسيم السفر حسب موضوعه إلى ثلاثة أقسام متكاملة تبرز عمل الله الخلاصي. ففي القسم الأول يعلن النبي تأديب الله لكل البشوية - اليهود والأمم - لأن الطبيعة البشوية قد فسدت وصلرت في حاجة إلى تدخل إلهي لتقديسها. وفي القسم الثاني يعلن الله القنوس عن إمكانية الغلبة على الأعداء (إبليس وجنوده) وعلى الموت وعلى الأنا بالله نفسه. هذا القسم تليخي نوي يظهر أن ما ننعم به من نصوة يتحقق بواسطة ابن داود الذي يموت ويقوم [قصة حزقيا الملك الذي أنعم عليه بـ 15 سنة كرمز لموت المسيح وقيامته]. وفي القسم الأخير يعلن الله القنوس عن تمتع البشوية بالخالص في مفهومه الواسع، أي شركة المجد الإلهي خلال آلام المسيح وصلبه.

هذه الأقسام الثلاثة هي:

- | | |
|-------------------------------|------------|
| أولاً: القنوس المؤدب | [ص 1-35]. |
| 1 . نوات خاصة بيهودا وأورشليم | [ص 1-12]. |
| 2 . نوات خاصة بالأمم المحيطة | [ص 13-23]. |
| 3 . نوات خاصة بالعالم | [ص 24-35]. |
| ثانياً: القنوس واهب النصرة | [ص 36-39]. |
| 1 . نصوة على الأعداء | [ص 36-37]. |
| 2 . نصوة على الموت | [ص 38]. |
| 3 . نصوة على الأنا | [ص 39]. |
| ثالثاً: القنوس المؤي بالخالص | [ص 40-66]. |
| 1 . عزوا عزوا شعبي | [ص 40-44]. |

2 . هجوم كورش على بابل [ص 45-47].

3. أحاديث الخلاص [ص 48-59].

4 . بناء مدينة الرب الجديدة [ص 60-66].

وي البعض أن هذا السفر يمثل الكتاب المقدس كله بعهديه، القسم الأول منه (إش 1-39) يتحدث عن حال إسرائيل قديمًا وما بلغ إليه من فساد وحاجة العالم إلى مخلص إلهي وهو بهذا يمثل العهد القديم، أما الأصحاحات السبعة وعشرون (إش 40-66) فتُشير إلى أسفار العهد الجديد السبعة وعشرين تعالج سرّ الفداء بكل وضوح وتعلن الملكوت المسياني وعطية الروح القدس لإقامة مدينة الرب الجديدة.

<<

الباب الأول

-

القفوس المؤدب

[ص 1 - ص 35]

الباب الأول

القفوس المؤدب

[ص 1 - ص 35]

غاية إشعياء النبي هو الكشف عن إنجيل الخلاص أو جذب البشرية كلها للتمتع بالمخلص القادر أن يصلح الطبيعة البشرية ويودها إلى صلاحها الذي خلقت عليه بل ويرفعها إلى شركة المجد السموي.

لكي يحقق هذا الهدف كان لابد أن يكشف عن مدى ما وصلت إليه الطبيعة البشرية من فساد، لهذا يبدأ سوه بالحديث عما بلغ إليه شعب الله، حاسباً أن "الثور يعوف قانيه والحمار معلق صاحبه أما إسرائيل فلا يعوف، شعبي لا يفهم؛ ويل للأمة الخاطئة" (إش 1: 3-4) لقد أصاب المروض الرأس (الملوك والرؤساء وكل القيادات المدنية). كما أصاب القلب (الكهنة والقيادات الدينية) وكل بقية الجسم (الشعب).

تمثلت مملكة إسرائيل بالأمم فقبلت رجاساتها، و أيضاً مملكة يهوذا صلت فيما بعد أشر من إسرائيل. استخدم الله أشور للتأديب فتعجرف على

الله؛ أذله بقيام مملكة بابل فامتألت بابل غطوسة ضد الرب، لذلك أرسل فرس ومادي يُحطمان بابل. على أى الأحوال يكشف إشعياء في نواته أن جميع الأمم استحققت الدينونة: إسوائيل، يهوذا، آشور، مصر، بابل، فرس ومادي، أنوم، موآب الخ... وهكذا يُريد النبي أن يعلن أنه لا خلاص من هذا الدمار الذي جلبه الإنسان لنفسه إلا بالتدخل الإلهي. لهذا وسط النوات العرة الخاصة بالتأديبات نجد خطين رئيسيين في هذه الأصحاحات بل وفي كل السفر، هما:

- 1 . التطلع إلى المسيا المخلص: كلما تحدث النبي عما يحل بالأمم أو بالإنسانية يفتح باب الرجاء بالتنبؤ عن المخلص القادم يسوع المسيح بن يسى.
 - 2 . الله يغضب على الخطية ولن يقبل الشركة مع الخطاة لأنه القنوس، وفي نفس الوقت يده ممدودة للخلاص لكي يقدر المقبلين إليه من كل الأمم. بمعنى آخر الله يكوه الخطية لكنه يُحب الخطاة، يحب كل البشوية، ويفتح بابه للأمم. هذا ما يؤكد بكل وضوح في الأصحاح التاسع عشر حيث يعلن عن هروب السيد المسيح إلى مصر، واقامة مذبح للرب في وسطها، مؤكداً "مبارك شعبي مصر".
- لقد أبرز في هذه الأصحاحات (1-35) الآتي:
- 1 . الله في تأديباته لا ينتقم لنفسه لكنه كطبيب يود أن يعالج ويشفي، لذا امتوجت التأديبات بإعلان الخلاص حتى لا يسقط السامعون في اليأس.
 - 2 . أعلن الله عن مجده لإشعياء (إش 6) وقداسته في نفس الوقت، ليؤكد للبشوية أنه لا شركة في المجد بدون القداسة، ولكي يزع عنهم كل اتكال على فراع بشري، فإننا إن تمجدنا إنما بقوة الله الممجد من السمايين، وإن تقدسنا فخلال شركتنا مع الواحد القنوس.
 - 3 . الله في تأديباته هو صاحب الكرم المشتاق أن يجد ثمرًا في كومة الغرير لديه جدًا، موضع رعايته الفائقة (إش 5).
 - 4 . يعقب الحديث عن الويلات (إش 10) نشيد الخلاص (إش 12)، ليؤكد رغبته في تحويل التأديب إلى تسبيح، وفوج حزن التوبة بوح الخلاص.
 - 5 . الله يؤدب، لكن ليس خلال أوامر ونواه، وإنما بروح الحب والحوار، لا يكف السفر عن الكشف عن مقاصد الله من التأديب (إش 25-27)، مطالبًا بحوار ودّي بينه وبين الإنسان.

<<

الأصحاح الأول

المحاكمة العظمى

يُفتتح هذا السفر بإعلان الله عن محاكمة شعبه؛ فيها يقف الله مدعيًا وقاضيًا. لا يُريد أن يحكم عليهم دون إعطائهم فرصة للدفاع عن أنفسهم. يستدعى الطبيعة الجامدة والأحداث الجارية حتى القضاة الظالمين شهودًا ضد شعبه. يعلن الاتهام وفي نفس الوقت يُقدم فرصة للحوار ويفتح باب العفو إن رجوا إليه بالتوبة. يقف قاضيًا وديانًا وفي نفس الوقت طبيبًا ومخلصًا، يفتح فواعه للنفس الساقطة.

1. مقدمة السفر [1].

2. استدعاء الطبيعة [2].

3. استدعاء الحيوانات [3].

4. وصف لحال الشعب [4-9].

5. استدعاء القضاة [10].

6. الاتهام: "العبادة الشكلية" [11-15].

7 . دعوة للتوبة [16-20].

8 . عتاب من واقع الماضي [21-23].

9 . الديان يتقدم كمخلص [24-31].

1. مقدمة السفر:

"رؤيا إشعيا بن أموص التي رآها على يهوذا وأورشليم في أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا" [1].

تعتبر هذه العبارة مقدمة للسفر كله الذي يضم مجموعة رؤى ونوبات أعلنت لإشعيا في ظروف مختلفة أيام عزيا العظيم ويوثام الملك الصالح وآحاز بعهد المظلم وحزقيا ومنسى الخ... لكنه يدعوها جميعاً "رؤيا"، لأنها وإن كانت رؤى متباينة إنما تمثل وحدة واحدة، لها هدف واحد هو إعلان الله عن فكره ومشينته وخطته الخلاصية من أجل بنين الجماعة المقدسة أو لتقديس البشرية المؤمنة به.

الرؤى هنا ليست أحلاماً تمتع بها النبي أثناء نومه، وإنما هي إعلانات إلهية قدمت للنبي أثناء يقظته بينما كانت حواسه ساكنة بسبب قصورها وعجزها، ليقول النبي مع القديس يوحنا الراهب: "كنت في الروح" (رؤ 1: 10). وربما قصد بالرؤيا الوحي الإلهي الخاص بالنبوة. هذه الرؤى "على يهوذا وأورشليم"، أي تخص مملكة يهوذا أو مملكة الجنوب (يهوذا وبنيامين) وتتركز على العاصمة أورشليم بكونها مدينة الله بها هيكله المقدس؛ لكنها ضمت أيضاً نوبات عن مملكة الشمال (بقية الأسباط) وعن الممالك المجاورة التي لها علاقة بالشعب.

هذه الرؤى هي كلمة الله التي لا تمس يهوذا في القرون الثامن ق.م. فحسب وإنما تمس حياة كل إنسان يشقاق نحو خلاص نفسه وتمتعه بالشركة مع الله، وكما جاء في سفر التثنية: "الرب إلهنا قطع معنا عهداً في حوريب، ليس مع آبائنا قطع الرب هذا العهد بل معنا نحن الذين هنا اليوم أحياء" (تث 5: 3)... إنها كلمة الله وإعلاناته لكل نفس بشوية!

2. استدعاء الطبيعة:

"إسمعي أيتها السموات وأصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلم: ربيت بنين ونشأتهم. أما هم فعصوا عليّ" [2].

يبدأ السفر بمحاكمة عظمى طوفاها الله والإنسان، تُستدعى فيها الطبيعة الجامدة - السماء والأرض - لتشهد هذه المحاكمة.

ربما استدعى إشعيا النبي الطبيعة كما سبق ففعل موسى النبي: "انصتي أيتها السموات فأتكلم، وتسمع الأرض أفعال فمي" (تث 32: 1). كأن إشعيا يؤكد لشعبه أن ما ينطق به إنما هو امتداد لكلمات موسى النبي الذي يعتز به كل يهودي. ولعله أراد أن يؤكد مدى قسوة قلب الإنسان وعمى بصيرته لذا يستدعى الطبيعة الجامدة للشهادة ضده، الأمر الذي أوضحه معاصرة ميخا النبي: "اسمعي خصومة الرب أيتها الجبال ويا أسس الأرض الدائمة، فإن للرب خصومة مع شعبه" (مى 6: 2).

ربما تمّ هذا الاستدعاء من ملاك من قبل الرب للشهادة على الإنسان في قسوة قلبه. ولعل الرب نفسه هو الذي حقق هذا الاستدعاء، إذ لم يستدع هيكله المقدس ولا شريعته لتشهد عليهم بل طلب الطبيعة الجامدة التي حققت مقاصد الله وتمت رسالتها بالخضوع له، أما الإنسان ففسد تماماً بسبب عصيانه.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [يليق الآن استدعاء السماء (للشهادة) إذ لا يوجد إنسان يسمع ويشهد لهذه الأمور [32].

وى القديس القديس إكليمنضس السكنوري ان الله يستدعي الغنوسيين، أي المؤمنين أصحاب الموعظة الإلهية السماوية (السماء) كما يستدعي من انشغلت قلوبهم بالؤمنيات والأرضيات [33].

"ربيت بنين ونشأتهم، أما هم فعصوا عليّ" [2].

الله لا يحمل مشاعر إنسانية لكنه ليس كائنًا جامدًا، إنما هو "الحب" عينه، فريد في حبه لخليقته السماوية والأرضية، خاصة حبه نحو الإنسان.

لهذا إذ يتحدث معنا نحن البشر يُحَثُّنا بلغتنا البشوية معوًا عن حبه كما بمشاعر إنسانية حتى يمكننا التلامس معه واختبار الاتحاد والشركة معه.

الله يعلم أنه ليس شيء يمكن أن يحزن الإنسان ويفقده طعم الحياة مثل شعوره بأنه قد فشل في تربية ولاده، خاصة إن قاموا ضده يعلنون

العصيان عليه. مع الفرق الشاسع، يكشف الله عن مشاعرة نحو الإنسان الساقط: أنه ابن محبوب، يقدم له أهوه السملوي كل إمكانيات الحياة الفائقة، لكنه

يُقابل الحب بالعصيان.

لقد دعى شعبه "الابن البكر" (خر 4: 22)، وهكذا يدعونا ولادًا له، إذ لم نأخذ روح العبودية بل روح التبني الذي به نصح أيها الأب أبانا (رو

8: 15).

يتوقع الله فينا أن نحمل روح النوة المتجاوبة مع أهوة الله الفريدة الحانية التي كلفته الكثير، مقدمًا ابنه الوحيد الجنس ذبيحة ليقنتينا له أبناء في

مياه المعمودية. يقول القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات: [كرواح صالح سعيت في طلب الضال، كأب حقيقي تعبت معي أنا الذي سقط].^[341]

يُحدثنا القديس كيريلانوس عن الزمانا كؤلاد الله نحو أبيهم، قائلاً: [إن كنا ولادًا لله، إن كنا بالفعل قد بدأنا أن نكون هياكله، إن كنا نتقبل روحه

القنوس، يؤمننا أن نحيا بالقداسة والروحانية].^[351]

يُعاتب الله ولاده من أجل عصيانهم، فإن عصيان البنين أمر من عصيان الأجرء والعبيد، جراحات الأعباء خاصة البنين أقسى من تلك التي

يُسببها الأعداء.

وى القديس إيريناؤس أن الله خلق الإنسان كابن له يمتثل به، ويتم لداته الإلهية من نوهه، لكنه إذ يمجذ الله ويقبل مشورة عدو الخير يصير

ابنًا لإبليس. لهذا دعى السيد المسيح مقوميه "أبناء إبليس" (يو 8: 44)، ونفى عنهم أنتسابهم الروحي لإواهم (يو 8: 39).

❖ بحسب الطبيعة - حسب الخلقة - يُقال إننا أبناء الله، إذ نحن جميعًا خليقته. أما من جهة الطاعة والتعليم فلسنا جميعًا أبناء الله، إنما الذين يؤمنون به

ويتمون رادته وخدمهم (أبناء). أما الذين لا يؤمنون ولا يطيعون رادته فهم أبناء الشيطان وملائكته، لأنهم يفعلون أعمال الشيطان.

^[361]
القديس إيريناؤس

❖ عندما اضطهد الفريسيون ربنا ومخلصنا بكى بسبب هلاكهم القادم. لقد أسؤا معاملته، أما هو فلم يبادلهم ذلك ولا بالتهديد، حتى عندما استخفوا به

وقته، وإنما على العكس حزن على تجاسوهم... هذه الأمور جميعًا كانت أمام أعينهم في الكتب المقدسة، فقد تنبأ الموتل، قائلاً: "الأبناء الغرباء

صنعوا بي باطلاً" (مز 18: 45). وقال إشعيا: "زبيت بنين ونشأتهم وأما هم فعصوا عليّ" (إش 1: 2). لم يعولوا بعد شعب الله أو أمة مقدسة إنما

صاروا لولة سدوم وشعب عمرة (إش 1: 10). تعولوا خطية أهل سدوم كما تنبأ النبي: "سدوم تنبرر أمامكم" (اجع حز 16: 48؛ روا 4: 6). فقد

قاول أهل سدوم ملائكة، أما هذا الشعب فهاجموا رب الكل وإله الجميع وملكهم، تجاسروا فقتلوا ملك الملائكة ولم يعرفوا أن المسيح الذي قتلوه يحيا

حتى اليوم.

^[371]
البابا أثناسيوس الرسولي

3. استدعاء الحيوانات:

"الثور يعرف قانيه، والحمار معلف صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرف، شعبي لا يفهم" [3].

إن كان الله قد دعى إسرائيل ابنه البكر (خر 4: 22)؛ فكان يليق بالابن أن يعرف أباه ويبرك أسوره ويتجاوب مع مقاصده وإرادته، لكن الإنسان

خلال عصيانه انحط منحورًا إلى ما هو أدنى من الحيوانات العجמות. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم ان الإنسان انحط إلى ما هو أقل من

الحيوان، فأخذ السيد المسيح طبيعتنا وصعد إلى السموات ليرفع طبيعتنا إلى ما هو سملوي.^[381]

لقد انحط الإنسان حتى قيل في سفر الأمثال: "أذهب إلى النملة أيها الكسلان؛ تأمل طرقها وكن حكيماً" (أم 6: 6).

عُرف الثور والحمار بغبؤهما إن قرنا ببقية الحيوانات ومع هذا إن جاعا يسوان بالغرزة نحو صاحبهما عند موضع الطعام كأنهما يطلبان منه أن يأكلا. أما إسرائيل فقد تمررت حياته بالسبي وصار جائعاً وعرياناً ومع هذا لم يرجع إلى الله أبيه الذي وعاه ويهتم به، ما تُملسه الحيوانات بالغرزة فاق تصرفات الإنسان العاقل في شوه!

إن كان الإنسان قد انحط هكذا إلى ما هو أدنى من الحيوان، فقد وُلد كلمة الله المتجسد في مزود حتى إذ يقترب الإنسان كما إلى المزود يجد السيد المسيح مأكلاً له. يأكل فتفتح بصوته ليبرك أسوار الله خلال اتحاده بالابن الوحيد العلف بأسوار أبيه، إذ يقول: "ليس أحد يعرف الابن إلا الآب ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن رآد الابن أن يعلن له" (مت 11: 27). هنا دعوة إلهية موجهة إلينا نحن الذين اقتنانا السيد المسيح بدمه، وقدم جسده ودمه طعاماً لنفوسنا، لذا لاق بنا أن نصغى إلى كلماته ونستجيب لدعوته.

يُقرن القديس يوحنا الذهبي الفم بين اليهود في العهد القديم والمؤمنين في العهد الجديد من جهة معرفة الله فيقول بأن الأولين عرفوا الله بفكهم لكن ليس بحياتهم وخيرتهم وأعمالهم (تى 1: 16).

❖ [\[39\]](#) خطأهم ليس في جهلهم (العقلي) وإنما في شوهم، في رادتهم الشروة، فإنهم حتى عندما عرفوا ذلك أختاروا أن يكونوا جهلاء.

❖ قبل الصليب حتى اليهود لم يعرفوا (الآب)، إذ قيل: "إسرائيل لم يعرف"، أما بعد الصليب فرى العالم كله إليه [\[40\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بلا شك كان سرّ ملكوت السموات محجوباً في العهد القديم، وكان يجب أن ينكشف في ملء الزمان في العهد الجديد. يقول الرسول: "لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح" (1 كو 10: 4) ... المسيح نفسه رُمزَ إليه بالصخرة عندهم، أما لنا فأعلن عنه بالجسد.

[\[41\]](#) القديس أغسطينوس

❖ كيف لا تحسبه أمراً موعباً إن كان الذين يعرفون الله (عقلياً) لم يبركوا الرب (عند مجيئه)، بينما يعرف الحيوانان الغيبان - الثور والحمار - من يقوتهما، وقد وُجد إسرائيل أكثر منهم غبلوة!؟

[\[42\]](#) القديس إكليمنضس السكنوي

❖ لقد كلوا يسوع ورفعه إلى فوق شاهدين عن جهلهم.

[\[43\]](#) القديس إكليمنضس السكنوي

4. وصف لحال الشعب:

بعد أن استدعى الطبيعة الجامدة والحيوانات غير العاقلة لتشهد محاكمة الله مع الإنسان، كشف عن الحال الذي بلغ إليه الشعب، كأنه عريضة اتهام، جاء فيها:

وُلأ: وصفهم بسبع سمات في [4]، وكأنه يقول مع عاموس النبي "من أجل ذنوب يهوذا الثلاثة والأربعة... من أجل ذنوب إسرائيل الثلاثة والأربعة" (عا 2: 4، 6). الثلاثة تُشير إلى خطايا النفس الداخلية التي على صورة الثالوث، والأربعة تُشير إلى خطايا الجسد الظاهرة الذي أخذ من الأرض (أربع جهات المسكونة). وكان الشعب قد تدنس في الداخل والخارج، بخطايا خفية وظاهرة، في الجسد والروح.

السمات الأربع الأولى هنا تُشير إلى الخطايا الجسدية الظاهرة: "ويل للأمة الخاطئة، الشعب الثقيل الإثم، نسل فاعلى الشر، وُلاد مفسدين؛"

والسّمات الثلاثة الأخوة تمثل الخطايا الداخلية: " توهوا الرب، أستهانوا بقنوس إسرائيل، رتنوا إلى الوراء".

على أي الأحوال فإن رقم 7 يُشير إلى "التمام" *Completeness*، وكأن خطاياهم قد بلغت إلى تمام الحدّ.

يلاحظ أن إشعياء معوم بالرقم 7 فكتنوا ما يُقدم 7 سمات في وضعه للأمر المختلفة.

جاءت عريضة الاتهام تعلن هذه الخطايا، ملخصها:

أ. خطايا جماعية: "ويل للأمة الخاطئة" [4]. إن كانت خطية عاخان بن كرمى سببت هلاكاً للشعب (يش 7: 11) فكم بالحري إن انحرفت الأمة

كلها إلى الشر؟! لقد دبّ الفساد في الكهنة كما في الشعب، في الأشراف كما في العامة، فصلت الحاجة إلى رجوع جماعي إلى الله مثلما فعل أهل

نيفوى. لقد دُعي هذا الشعب "الأمة المقدسة"، لكنه زل نفسه عن القنوس فحمل سمة، "الأمة الخاطئة" مستخدماً الكلمة العبرية *goi*، وهو تعبير خاص

بالأمم لعدم التصاقها بالله. وكان هذا الأمة انحرفت عن غايتها لتدخل في زمرة الأمم الغريبة عن الله.

ب. ثقل إثمهم: "الشعب الثقيل الإثم" [4]. إذ يتنبأ إشعياء النبي عن المخلص والخلّاص كان لابد أن يبرز ثقل الخطية التي تتحنى تحت ثقلها

النفوس... الله وحده يعوف ثقل هذا الإثم، فقد جاء كلمة الله المتجسد حمل الله الذي يحمل خطية العالم (يو 1: 29، 36).

تحت ثقل الخطية تتحنى النفس حتى تغوص كما في مياه العالم فتحمل طبيعة العالم لا السماء، لذا قيل عن فوعن وجنوده: "غاصوا كالوصاص

في مياه غامرة" (خر 15: 10)، وقيل عن الشر: "طُوح ثقل الوصاص على فمها" (زك 5: 8).

وى القديس غريغوريوس النيسى^[44] أن الإنسان الذي يسلك في الحياة الفاضلة يكون خفيف الوزن روحياً، أما الإنسان الشوير فيكون ثقيلاً

يغطس في المياه. الفضيلة خفيفة تجعل الإنسان كالسحابة مرفوعاً إلى فوق وكالحمامة التي تطير بأجنحتها الصغوة (إش 9: 8). وقد تحدث العلامة

أوريغانوس في ذلك بأسهاب، مطوّراً كيف كاد بطرس أن يغرق بسبب الخطية (الشك) وإذ وهبه الرب إيماناً سار على المياه^[45].

ج. متأصلين في الشر: " نسل فاعلي الشر، أولاد مفسدين" [4]. دبّت الخطية في حياة أسلافهم، فجاءت الأجيال متأصلة في الشر عن آبائهم

وأجدادهم. وكما قال الرب للكتابة والفيسييين: "فاملأوا أنتم مكبال آبائكم، أيها الحيات ولاد الأفاعي" (مت 23: 32-33).

د. توكهم للرب مصدر القداسة: " توهوا الرب؛ أستهانوا بقنوس إسرائيل؛ رتنوا إلى الوراء" [4]. ليس شيء أشر من أن يتوك الإنسان إلهه،

مصدر حياته وسرّ قداسته. يقول الرب على لسان رميا: "لأن شعبي عمل شرين؛ توكوني أنا ينوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم أبراً أبراً مشققة لا

تضبط ماء" (إر 2: 13).

إن كان إشعياء قد رأى الله القنوس (إش 6)، فهو "قنوس إسرائيل" مصدر تقديس مؤمنيه، يهبنا سماته عاملة فينا! لقد كرر النبي هذا التعبير

20 مرة.

هـ. مرض مستعصي: " علام تُضربون بعد؟! تردادون زيغاناً، كل الرأس مريض وكل القلب سقيم؛ من أسفل القدم إلى الرأس، ليس فيه صحة

بل جوح وإحباط، وضربة طرية لم تعصر ولم تلين بالزيت" [5-6].

بقوله: " علام تُضربون بعد؟! " يعلن الله أن هذا الشعب قد رفض النوبة لله لذا لم يعد مستحقاً أن يكون موضع اهتمام الله وتأديبه. فقد سبق فأدبهم

كأبناء له لكنهم رُددوا زيغاناً، لذا يود أن يوقف التأديبات الأبوية تركاً إياهم لنوال ثمر فسادهم الطبيعي، إذ يقول: "لم يسمع شعبي لصوتي، وإسرائيل لم

يرض بي، فسلمتهم إلى قسوة قلوبهم، ليسلكوا في مؤامرات أنفسهم" (مز 18: 11-12). وجاء في رميا: "لماذا تخاصمونني؟!... لباطل ضربت بنيكم؛

لم يقبلوا تأديباً" (إر 2: 30)، "ضربتهم فلم يتوجعوا. أفنيتهم وأبوا قبول التأديب" (إر 5: 3).

الآن يتوكهم الله لفسادهم الذي اختره بلذاتهم فيدبّ المرض في جسمهم من الرأس إلى القلب إلى القدم. يدبّ في الفكر فيصيروا عاجزين عن

التدبير، وأيضاً في القلب فتتنجس عواطفهم وأحاسيسهم الداخلية، حتى القدمين من أسفل فيصيروا عاجزين عن التحرك نحو الله في طريق ملكوته

الملوكي. دبّ الفساد بالرؤساء والعظماء (الرأس) كما بالخدام والكهنة (القلب)، وبعامة الشعب (الجسد) حتى بالمحتقرين منهم (أسفل القدم).

صلت الحواحات قاتلة وتوقف الدم غير متوقف... ليس من يتحرك لينقذ ويخلص، ولا من يُقدم زيت محبة ليلين الضوية القاسية!

أصاب الفساد الطبيعية البشرية ذاتها، وكما يقول القديس كيرلس الأورشليمي:

[عظيم هو جرح طبيعة الإنسان، من القدم إلى الرأس لا توجد فيه صحة^[461]].

و. خواب مطبق: " بلادكم خربة؛ مدنكم محرقة بالنار، أرضكم تأكلها غرباء قدامكم وهي خربة كانقلاب الغرباء، فبقيت ابنة صهيون كمظلة في

كرم، كخيمة في مقتاة، كمدينة محاصرة" [7-8].

يتحدث النبي هنا عما سيحل بيهودا بعد غزو سنحريب الآشوري، حاسبا ما سيحل بهم في المستقبل كأنه حاضر، لأنه أمر حادث لا محالة.

يقول القديس كيرلس الأورشليمي: [عاش إشعيا منذ وفاة 1000 عام، وقد رأى صهيون كسقفية (للمواشي)؛ كانت المدينة في ذلك الوقت

قائمة وجميلة بمنافعها العامة وملتحفة بالعظمة... لكنه يقول: "فبقيت ابنة صهيون كمظلة (سقفية للمواشي) في كرم، كخيمة في مقتاة". الآن نجد الموضوع

مملوء بزراعة مقتاة. أنظر كيف ينير الروح القدس القديسين^[471]].

الأرض التي تفيض عسلاً ولبناً، أرض الموعد التي وهبها الله لشعبه، والتي من أجلها احتل الشعب السير في الولاية أربعين سنة صلت

خربة. استولى سنحريب على 46 مدينة حصينة فصلت أورشليم مهددة بخطر مباشر "كمدينة محاصرة" و "كخيمة" أو "مظلة" من السهل احتلالها...

لقد شاهد أهلها ما فعله الغرباء (الآشوريون) بمدنهم، حيث أشعلوا النار فيها، فكانت تأكل مخلصيهم أمام أعينهم وهم عاجزون عن الحركة. صلت

مدنهم خربة كانقلاب الغرباء، أي كما سبق انقلبت سنوم وعمورة، أو كما لو فاض عليها طوفان ماء شديد حطمها.

هذا الخراب الذي حلّ هو علامة على ما ارتكبه يهودا من آثام، وحتمية طبيعية لتوكلهم الله مقدسهم ورتدادهم عنه، وعدم طاعتهم لصوته، فقد

قيل: "ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه... تأتي عليك جميع هذه اللعنات وترتكب؛ ملعوناً تكون في المدينة، وملعوناً

تكون في الحقل" (تث 28: 15-16).

هكذا كل نفس لا تلتصق بالله مقدسها يحل الخراب بكل مدنها: بالجسد والنفس والفكر والقلب مع كل الأحاسيس والمشاعر الخ... تتوَع عنها كل

حصانة وتصير كمظلة أو خيمة في الواء، فريسة سهلة في أيدي الخطية.

❖ هؤلاء هم الذين يدنسون أنفسهم ويحولونها عن كونها بيت الآب السموي، أورشليم المقدسة، بيت الصلاة، إلى مغرة لصوص... يأخذون منها ما هو

ثمين، ويسلبونها أفضل ما لديها لتصير كلاً شيء.

^[481] العلامة أوريجانوس

تعبير "بقيت ابنة صهيون" هنا يُشير إلى مركز شعب الله الذي حسبته شعبه الخاص، الابنة العزباء، والعروس المدللة، قد صلت متروكة "بقيت

وحدها"؛ تشعر بالعزلة Loneliness والتوكل، وهذه أقس عقوبة على نفس الإنسان! هذه العقوبة جلبتها ابنة صهيون على نفسها بنفسها. كانت عروساً

مدللة فصلت مهجورة ومطلقة. يقول العلامة أوريجانوس: [أظن أن الزوج (الله) قد كتب كتاب طلاق لعروسه القديمة، وأعطاه إياها في يدها، وطردها

من بيته^[491]].

وسط هذا الخراب المطبق يجد الله بقية قليلة أمينة تشهد له، بسببها لم يحطم شعبه الذي فسد، إذ قيل: " لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة

لصرنا مثل سنوم وشابها عمورة" [9]. وقد اقتبس الرسول بولس هذه العبارة في (رو 9: 29). وكان ما حدث في أيام إشعيا يتكرر في كل الأجيال

حتى في العصر الرسولي حيث قبلت قلة أمينة من اليهود الإيمان بالسيد المسيح.

لا يهتم الله بكثرة العدد وإنما بالبقية القليلة التي تتقدس له وسط الفساد الذي يحل بالكثيرين. هذه البقية هي "القطيع الصغير" الذي يسر الآب أن

يعطيهم الملكوت (لو 12: 1)؛ هذه البقية أبقاها رب الجنود لنفسه بكونها عمله، يهبها روحه القديس لتقديسها له فتكون خموة مقدسة تخمر العجين كله.



أنظر أن تنتمي إلى القلة المختارة، ولا تسلك ببرود متمثلاً بقرخي الكثرين؛ عش كالقلة حتى تتأهل معهم للتمتع بالله لأن كثرين يدعون وقليلين ينتخبون (مت 20: 16).

[\[501\]](#) القديس يوحنا كاسيان

من أجل هذه البقية القليلة يقصر الله أيام الضيق خاصة في الأزمنة الأخوة، إذ قيل: "من أجل المختارين تقصر تلك الأيام" (مت 24: 22).

5. استدعاء القضاة:

"اسمعوا كلام الرب يا قضاة سدوم، اصغوا إلى شريعة إلهنا يا شعب عمورة" [10]. في شجاعة بلا خوف ولا مداهنة يدعو إشعياء قضاة الشعب "قضاة سدوم" ويلقب الشعب نفسه "شعب عمورة"، وذلك من أجل الظلم والفساد الذي اتسم به كل من الرؤساء والمؤوسين. لا نجد في كل السفر موقفاً واحداً يشعر فيه النبي بالخوف أو الضعف سوى عند رؤيته للسيد المسيح في مجده (إش 6)، إذ يخشى إشعياء الله لا الناس.

وي أن العلاج الوحيد للقضاة كما للشعب هو كلمة الرب وشريعته.

6. الاتهام: العبادة الشكلية:

الاتهام الموجّه إليهم هنا خطير للغاية؛ فإنه لم ينسب إليهم الإلحاد ولا مملسة العبادة الوثنية إنما ينسب إليهم الرياء؛ يملسون العبادة لله بدقة شديدة مع حرفية قاتلة؛ يقدمون الكثير من الذبائح والتقدمات ويحفظون الأعياد أما قلوبهم فبعيدة عن الله وحياتهم فاسدة. هذا الاتهام موجّه ضد مدعى الإيمان عبر كل الأجيال، الذين يحفظون الحرف مع تجاهل للروح الداخلي، وكما قيل لملاك كنيسة اللاودكيين: "لأنك تقول إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان" (رؤ 3: 17)، لأنه تشبهه بالفويسي القائل: "اللهم أنا أشركك أي لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار؛ اصوم موتين في الأسوع وأعشر كل ما أقتنيه" (لو 18: 11-12).

هذا الاتهام أثار آباء الكنيسة للكشف عن غاية العبادة في حياة الكنيسة سواء في العهد الجديد أو القديم والالتزام بعدم الأنحرف عن هذه الغاية الإلهية:

أ. يقول القديس إيريناؤس: يُظهر الله أنه ليس في حاجة إلى شيء (إش 1: 11)، إنما يحثهم وينصحهم كي يملسوا هذه الأمور حتى يتبهر الإنسان ويقرب من الله [\[511\]](#).

الله يريد من عبادتنا أن نقرب منه ونتحد به لنحمل طبيعته فينا، طبيعة الحب والرحمة. فهو يريد رحمة لا ذبيحة (هو 6: 6؛ مت 9: 13). لهذا يوبخ اليهود قائلاً بأنهم يبسطون أيديهم للصلاة بلجاجة فلا يُسمع لهم، لأن أيديهم مملوءة دمًا برتكاب جرائم قتل (إش 1: 15)، عوض الحب حملوا كراهية وقتل للنفوس والأجساد، خاصة قتل الأنبياء والمتكلمين بكلمة الحق.

❖ لماذا هذه الانقسامات؟ لننا نحفظ العيد لكن بخموة الخبث والشر، فنقسم كنيسة الله إلى أجزاء، نحفظ ما يخص أمورها الظاهرة بينما نستبعد الأمور الأفضل: الإيمان والحب. لقد سمعنا من الكلمات النبوية أن مثل هذه الأعياد والأصوام لا تُسر الرب.

[\[521\]](#) القديس إيريناؤس

❖ واضح لكل أحد أن التقوى التي تقود إلى العبادة والتكريم هي أقدم العلل وأعظمها، وإن الثويعة نفسها تحث على العدل وتعلم الحكمة... بالدعوة إلى خالق العالم وأبيه.

[\[531\]](#) القديس إكليمنضس السكنوي

ب. لقد قدموا ذبائح كثوة ومحرقات في هيكل الرب، واختاروا المسمّات، لكن الله لا يُسر بها، فإنه لم يطلب الذبائح في ذاتها لأنه غير محتاج إليها، إنما يطلبها كرمز لذبيحة السيد المسيح الفريدة، من أجل مصالحة الإنسان مع الله وتمتعه بالشركة معه. لكن الهدف ضاع منهم فإنه لما جاء المسيح الذبيحة رفضوه؛ قدموا الذبائح الحيوانية واحتفلوا بعيد الفصح وجحدوا الفصح الحقيقي، حمل الله الذي يحمل خطية العالم.

❖ في أيام الرب ظن اليهود أنهم يحتفلون بالفصح لكنهم فعلوا هذا باطلاً لأنهم اضطهروا الرب. بشهادتهم لم يعد يحمل الفصح اسم الرب، إذ دعى فصح اليهود (يو 6: 4) لا فصح الرب... لأنهم جحدوا الرب الفصح.

[\[54\]](#) البابا أثناسيوس الرسولي

❖ لقد أبطلت هذه (الذبائح) جميعها حتى تتحقق شريعة ربنا يسوع المسيح الجديدة التي يتممها ليس تحت نير الالتزام (بل ببرداته إذ قدم نفسه فدية).

[\[55\]](#) رسالة بوناباس

ج. كانوا يجتمعون للاحتفال بالأعياد الأسوعية (السبوت) والشهرية والسنوية التي حسبها الرب أعياده هو، يُسر بها لأنه يجتمع مع شعبه فيملأهم من فوحه الإلهي.

هذه المحافل صلت ثقلاً على الله تبغضها نفسه (إش 1: 14)، فلا يعود يحسبها محافله.

❖ لم ينسب الرب (هذه المملسات التي حفظها) إليه بل حسبها أعمال الخطاة (إذ هي مكروهة بالنسبة له)، سواء كانت الشهور الجديدة أو السبوت أو اليوم العظيم أو الأصوام أو الأعياد.

في الشريعة الخاصة بالسبت نقواً في سفر الخروج: "... السبت هو راحة مقدسة للرب" ... "كلوا، اليوم هو سبت للرب" (خر 16: 23، 28).

[\[56\]](#) العلامة أوريجانوس

د. في أكثر من موضع يؤكد الله لشعبه أنه حين أخرجهم من أرض العبودية لم يقدم لهم شوائع خاصة بالذبائح (إش 1: 12)، حتى لا يظنوا أنه يخرجهم عن عز إلى عبادتهم أو تقدماتهم إنما ليتمتعوا هم به... يقول البابا أثناسيوس الرسولي إن الله أراد أن يسحبهم بعيداً عن الأوثان ويجتذبهم إليه، مقدماً لهم الشوائع في الوقت المناسب (بعد خروجهم)، ومع هذا نسوا الله الذي صنع معهم عجائب في مصر وعانوا يعبدون العجل (خر 16: 3). لقد جاءت الشوائع الخاصة بالذبائح بعد استلامهم الناموس حتى لا يقدموها للأوثان بل لله الحق. كان المطلوب منهم أن يتعلموا وألاً ترك الأوثان والاهتمام بوصايا الله وبعد ذلك تقديم الذبائح (إر 7: 22) [\[57\]](#).

❖ لا يقبل منكم الذبائح، ولا أكرمكم وألاً بتقدميها عن احتياج إليها إنما بسبب خطاياكم.

[\[58\]](#) القديس يوستين الشهيد

هـ. يقول: " من طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دوري؟! " [12] . فقد أكثروا الدخول في الهيكل ليقدموا ذبائح بلا حصر، فأهم الله - في عدم توبتهم - أشبه بالحيوانات التي تدوس بيته وتدنسه! تحول تقديم الذبائح عن المصالحة مع الله إلى صبّ غضب الله.

جاءوا بتقدمات كالبخور الذي يرمز إلى الصلاة، لكنهم إذ أعطوا الرب القفا لا الوجه (إر 2: 27) صار بخورهم مكروه للرب، لأنه حمل رائحة ريائهم وعدم توبتهم.

❖ الأعمال التي تُملس بطريقة تضاد رادة الله، أو تقدم في غير وقار لائق لا تنفع شيئاً... الله غير محتاج إلى شيء، مادام لا شيء يجعله دنساً! لقد بلغ إلى النهاية

بسبب تصوفاتهم المملوءة رياءً [11].

[\[59\]](#)

❖ الرب إلهنا لا يُسر بحفظ مثل هذه الأمور؛ إن وجد بينكم إنسان حانت بقسمه أو لصاً فليكيف عن هذا؛ وإن وجد زانياً فليتب؛ وعندئذ يحفظ سبوت الله العذبة الحقّة. إن كان لأحد أيد غير طاهرة فليغتسل ويتطهر.

[160](#)
الشهيد يوستين

7 . دعوة للتوبة:

فضحهم الله أمام أنفسهم مظهرًا بشاعة الفساد الذي حلّ بهم دون أن يُحطمهم باليأس أو يوح نفوسهم إنما بالحب الأوي السملوي قدم لهم العلاج ليستر عليهم ويودهم إلى طبيعتهم الصالحة التي خلفهم عليها. هذا العلاج هو التوبة النابعة عن الإيمان والمموجة بالحب، أما خطواتها فهي: أ. الاغتسال: بقوله "اغتسلوا" [16] لا يقصد التطهورات الناموسية، لأنه في اتهامه لهم يطلب ألا يقفوا عند الشكل الخرجي للعبادة، إنما عنى اغتسال المعمودية [161](#) الذي فيه نخلع الإنسان العتيق لنحمل فينا الإنسان الجديد الذي على صورة خالقنا. هذا ما عناه الرب بقوله للنفس البشوية "حمتك بالماء" (جز 16: 9)، إذ جاء في نفس السفر "وَرَشَّ عَلَيْكُمْ مَاءً طَاهِرًا فَتَطَهَّرُونَ مِنْ كُلِّ نَجَاسَاتِكُمْ... وَأَعْطَيْكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا وَأَجْعَلُ رُوحًا جَدِيدًا فِي دَاخِلِكُمْ" (جز 36: 25-26).

في العهد القديم لا يستطيع الكهنة أن يدخلوا الهيكل مالم يغتسلوا ولأولاً يموتوا (خر 30: 19-21)، ويقول الموتل: "أغسل يدي في النقوة فأطوف بمذبحك يرب" (مز 26: 6). إنه غسل داخلي! يقول القديس الذهبي الفم: [لا يقصد غسل الماء الذي ملسه اليهود وإنما غسل الضمير] [162](#). "تقوا" [16] ، إن كنا بالمعمودية لننا الإنسان الجديد، إنما لننا إمكانية جديدة لنملى الحياة الجديدة في المسيح، التي هي نقوة القلب، كشوط لروية الله، إذ يقول الرب: "طوبى للأتقياء القلب لأنهم يعاينون الله" (مت 5).

❖ إذ تدخلون الجرن الصالح العظيم المجد اجروا بوقار في سباق الصلاح. فإن ابن الله الوحيد الجنس هو حاضر هنا ومستعد ليخلصكم، قائلاً: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال وأنا أريحكم" (مت 11: 28). لقد أردتيم ثوب معاصيكم الخشن وربطتم بحبال خطاياكم، الآن اسمعوا قول النبي: "اغتسلوا، تقوا، فتمحى خطاياكم من أمام عيني" حتى ترم جوقة الملائكة فوقكم قائلة: "طوبى للذي غفر اثمه وسُوت خطيته" (مز 32: 1). يا من تشعلون مشاعل الإيمان احفظوها في أيديكم غير مطفأة.

[163](#)
القديس كيرلس الأورشليمي

❖ إذن إن كنا بالغتسال (في المعمودية) كما يقول النبي، في ذلك الجرن السوي، تتطهر رادتنا ويؤزع الشر عن نفوسنا، فإننا بهذا نصير أناساً أفضل فنبلغ حالاً أحسن.

[164](#)
القديس غريغوريوس النيسي

ب. " اغزوا شر أفعالكم من أمام عيني" [16] . إذ ينال الإنسان النقوة التي بها يُعاین الله يقدر أن يميز أعمال الشر عن العمل الإلهي، فيرفض كل ما هو شر، حتى لا يوج بين الطريقتين: الله والخطية. فوالنا سر الاغتسال والتقية بهبنا إمكانية إلهية للعمل الجاد في اكتشاف أنفسنا بالوب لندخل في غسل مستمر (بالتوبة) وتطهير من كل ما يتعلق بداخلنا من شر... نعرّف الله بخطايانا فننعم بمساعد مستورة نوره حتى زاه وجهاً لوجه.

❖ ها أنتم ترون أنه في سلطانكم أن تُدعوا في قلوبكم إما مّساعد أي أفكراً تخص الله أو مهابط أي أفكراً منحنطة نحو الجسديات والأرضيات.

[165](#)

الأب سيرينيوس

نعترف بخطايانا ونعتول شونا فزى الله فينا يعلن ذاته ومجده داخلنا. وكما يقول القديس أغسطينوس: [أظهر ذاتك لذاك الذي يعرفك فيكشف هو ذاته لك يا من لا تعرفه] ^[66].

"كفوا عن فعل الشر" [16]. إن كنا بالتوبة الصادقة نغزل الشر عن عيني

الرب، فإن علامة إخلاصنا له أن نكف تماماً عن كل عمل شرير. هذه عطية إلهية لكنها لا توهب دون طلبها بإيمان والحاح، مع جهاد ومثارة.

❖ إنه يود أن يقدم فوصة للتوبة لكل محبوبيه، مُثبِتاً إياها بإرادته القادرة إذن، فلنطع إرادته العظيمة الممجة؛ وإذ نضوع طالبين رحمته وحنو توفقه، نتركين كل عمل بطال وخصام وحسد يقود إلى الموت، نعود إليه ونلقي بأنفسنا في مراحمه.

^[67] القديس إكليمنديس الروماني

ج. "تعلموا فعل الخير" [17]: لا يكفي الجانب السلبي، أي زرع كل ما هو شر والكف عنه دائماً وإنما هنا يوجد الزام بالعمل الإيجابي، نحمل سمة المسيح الذي هو "الحق" فينا. نطلب "الحق" أي نطلب مسيحنا الحي ساكناً فينا وعاملاً بنا، نملس عمل المسيح محب البشر والمهتم بالمظلومين والمحتاجين والضعفاء. لهذا يوصينا "اطلوا الحق، انصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة". هذه هي التوبة الإيجابية التي خلالها نرجع إلى الله لا لنكف عن الشر والظلم فحسب وإنما لنمد أيدينا بالحب العملي والرحمة، خاصة تجاه العاجزين والأرامل.

❖ ليتنا نمد أيدينا نحن جميعاً - رجالاً ونساء - لهن، فلا نسقط تحت أوزان الترميل. لننتهدهن فنعد لأنفسنا مخزناً عظيماً من الحنان، فإن دموع الأرملة تقدر أن تفتح السماء عينها. ليتنا لا نطأ عليهن فتزداد مصائبهن بل نساعدهن بكل وسيلة.

^[68] القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أنظروا كيف أنه في كل موضع يحسب الله أعمال الرحمة العظيمة، فإنها تقف في صالح المخطئين.

^[69] القديس يوحنا الذهبي الفم

د. الحب العملي تجاه المتألمين والمعوزين هو انعكاس طبيعي لخوتتنا مع الله المتوفيق بنا، الذي لا يتعالى علينا بل يطلب الحوار معه كأصدقاء له. يفتح أبواب مراحمه أمامنا نحن الخطاة، قائلاً: "هلم نتحاجج يقول الرب: إن كانت خطاياكم كالقمرز تبيض كالثلج، وإن كانت كالنودى تصير كالصوف" [18].

هذه دعوة إنجيلية صريحة تعلن عن شوق الله نحو خلاص كل إنسان يقبل الشوكة مع القنوس خلال الصليب.

الله في حبه وإن كان قد أثبت دينونة بني يهوذا الرعية لكنه سوعان ما يطلب المصالحة. أنه ليس كالإنسان يوجه العناد بالعناد، والغضب بالغضب، إنما يسكب زيتاً موطباً على الحواجات الملتهية، لود كل نفس إليه.

الله يطلب من الإنسان أن يدخل معه في حوار، بينما نجد أحياناً بعض الأباطرة المسيحيين أغلقوا الباب أمام من أخطأوا، بل وأحياناً نجد الرعاة حتى الوالدين يحملوا ذات الروح الغريب عن روح الله محب البشر.

الله يُريد أن يغسل دم خطايانا (القمرز والنودى) بدمه الطاهر فنصير كالثلج في البياض والصوف في النقلة (نش 8: 5)، نصير ثوبه

المضيء كما في تجليه.

وى البعض أن كلمة "نتحاجج Cheyene" هنا تعني نضع حداً للتحاج، إذ يترك الله أنه لم يعد أمام الإنسان ما ينطق به بسبب خطاياها التي

صلرت ظاهراً كاللون القوزي الذي لا يُمحي، لهذا أراد أن يخرج من المرئق ويفتح له باب الصفح الإلهي حتى لا يوح مشاعوه... حب إلهي

عجيب!

بدعوته الموجهة إلينا لكي نتحاجج معه يسألنا أن نحكم على أنفسنا بأنفسنا، فإننا إذ ندرك خطايانا ونعترف بها فهو أمين وعادل لكي يغفوها لنا (1 يو 1: 9). نحكم على أنفسنا فلا يُحكم علينا.

❖ ليته لا يبأس أحد من نفسه حتى وإن بلغ أقصى الشر، حتى وإن عبر إلى العادة في صنع الشر، نعم حتى وإن حمل طبيعة الشر نفسها لا يخف... عظيمة هي قوة التوبة، فإنها على الأقل تجعلنا كالتلج، نبيض كالصوف، حتى وإن كانت قد ملكت الخطية علينا وصبغت نفوسنا.

[\[70\]](#)
القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ [\[71\]](#) إنه لا يذكر استحقاقاتنا الوديفة إنما لا زال يتحنن علينا ويحثنا على التوبة.

❖ [\[72\]](#) في سلطان الله وحده أن يهب مغفرة الخطايا وأن يتهمنا بالمعاصي إذ يأمرنا أن نغفر لإخوتنا التائبين كل يوم "فيغفر لنا" (مت 6: 14).

القديس إكليمندس الروماني

هـ. تقديس الحرية الإنسانية: يفتح الله أبواب محبته أمام الجميع لكنه لا يؤزم أحداً، فهو يطلب قلب الإنسان كتقدمة اختياريه؛ يقدم له الطريق ويهبه إمكانية العمل وفي نفس الوقت يتوك له حرية الاختيار، إذ يقول: " إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض، وإن أبيتم وتمودتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم" [19-20].

❖ [\[73\]](#) ها أنتم تزورون أنه يجب علينا أولاً أن نطهر أنفسنا (أي نحمل رادة مقدسة) وعندئذ يُطهرونا الله.

❖ [\[74\]](#) نحن سادة، في إمكاننا أن نجعل كل عضو فينا آلة للشر أو آلة للبر.

❖ يمكن للإنسان أن يتغير فجأة ويتحول من خرف إلى ذهب. ما يخص الفضيلة والوديلة ليس (إوامياً) بالطبيعة، إنما يمكن تغيوة بسهولة... إنني أعلم أن الكل وغبون أن يطيروا إلى السماء من الآن، لكن الحاجة إلى إظهار الرغبة بالعمل.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بقوله هذا [19] يوهن أن القبول أو الوفض يعتمد علينا.

[\[76\]](#)
القديس إكليمنضس السكثوري

يلاحظ هنا أن خطوات التوبة الوردية في [16-17] سبع: خطوتان سلبيتان في عدد 16 (الاعتسال والكف عن الشر) وخمس خطوات إيجابية وردت في العدد 17، يؤم مملستها.

8. عتاب من واقع الماضي:

يقرن هنا بين ما كانت عليه أورشليم قبلاً وما صارت عليه خلال انحرافها وفسادها، بأسلوب مملوء رثاء وحزنًا عميقًا. إشعياء النبي صريح كل الصراحة، لكنه مملوء حباً وعاطفة!

أ. كانت أورشليم "القرية الأمينة" [21] ، وقد صارت زانية". يشبهها بالعروس التي كانت مخلصاً لعريستها السملوي، تحفظ وصاياها وتعلن بهاءه ومجده خلال حياتها، وقد جرت وراء آخر (العبادة الوثنية) فتجسست بزناها الروحي مع محبيها (حز 16: 25، 32، 36). كانت عناء (إش 37) تتحد مع عريستها واهب القداسة لكنها تركته واتحدت بالرجاسات.

❖ يمكنك القول بأن الله الكلمة ترك مجمع اليهود كوان، فلقه وأخذ لنفسه زوجة زنا من الأمم، لأن هؤلاء الذين كانوا "صهيون المدينة الأمينة" صاروا زناة، بينما أولئك صاروا مثل راحاب الزانية التي قبلت جاسوسي يشوع وخلصت هي وكل بيتها (يش 6: 5).

[\[77\]](#)

العلامة أوريجانوس

ب. كانت " ملائمة حقًا، كان العدل يبيت فيها، وأما الآن فالقاتلون " [21]. كانت مسكنًا للقنوس الذي هو "الحق" و "العدل"، يبيت الرب فيها إذ يجد فيها راحتها، لكنها صلت مسكنًا للقتلة، لذا يقول الرب "ليس لابن الإنسان أين يسند رأسه" (مت 8: 10، لو 9: 58). حين تكون مقدسة تقول: "حبيبي لي، بين ثديي بيت" (نش 1: 13)؛ لكنها متى تتجست يصير قلبها "بين ثدييها" مسكنًا للشر.

ج. تسوب الزيف إليها فصلت فضتها زغلاً يحمل لمعان الفضة ومنظرها لكنه لا يحمل مادة الفضة ولا قيمتها. صار خورها مغشوشًا بالماء [22] يحمل لون الخمر لكنه مغشوش ماء... هذه صورة عن الأهتمام بشكليات العبادة وحرفية تنفيذ الوصايا بالمظاهر الخرجية دون الاهتمام بالأعماق. مسيحين يحول الماء خورًا، أما الشوير فيحول الخمر ماءً.

الفضة تُشير إلى كلمة الله (مز 12: 6)، والخمر يُشير إلى فوح الروح. الانسان الشكلي يتمسك بكلمة الله، وربما يحفظها عن ظهر قلب لكنه لا يحمل المسيح "كلمة الله" في قلبه ولا في سلوكه. له منظر الفوح الروحي وهو بعيد كل البعد عن الحياة السماوية الموحية وشوكة الملائكة والقديسين في الرب.

تشير الفضة إلى كنوز الغني، ويشير الخمر إلى الحب والعاطفة؛ فالشكلي في إيمانه يلجأ إلى حكمة العالم ككنز غاش له مظهر الفضة الثمينة وهوزغل؛ ويبدو مملوء حبًا وعاطفة بينما يحمل قلبه ماء (بلا حورة).

وي القديس إيريناؤس أن الشيوخ اعتادوا على خلط خمر وصايا الله البسيطة بماء التقليد البشري المضاد لكلمة الحق [178]. ويقول القديس غريغوريوس النزيوي: [لسنا مثل الكثرين القارين على على افساد كلمة الحق ومزج الخمر الذي يوح قلب الإنسان (مز 104: 15) بالماء، أي خلط تعليمنا بما هو مبتذل ورخيص ودنيّ وبال وبلا طعم [179].

د. " رؤسوك متمردون ولغفاء اللصوص" [23] ، أي يؤكلون اللصوص ويحفظون ثيابهم أثناء السرقة. كان يليق بالرؤساء أن يدبروا أمور الشعب ووعونهم، فإذا بهم يحولون الرعاية إلى سلطة وعناء، قد لا يسرقون لكنهم يتكفرون العدو الخير بجنوده يسرقون الشعب ويغتصبون قلوبهم وهم غير مبالين بسبب حبهم للسلطة. يحبون الوشوة والعطايا المادية أو الأدبية، ولا يباليون بالأيتام والأرامل، لأن المجد الزمني شغلهم عن التفكير فيهم. حوّلوا أورشليم "كنيسة المسيح" إلى بيت للظلم والقسوة والعنف.

عوض أن تكون القيادات مثالاً حياً للشعب في الخضوع لكلمة الله وممارسة الحياة التقوية صاروا عثرة لهم. يقول القديس إيريناؤس: [بدأ الكتابة والفريسيون منذ عصور الناموس يحترقون الله ولا يقبلوا كلمته، أي لم يؤمنوا بالمسيح [180].

9. الديان يتقدم كمخلص:

أمام هذه الصورة البشعة لا يقف الله مكتوف الأيدي، وإنما يقوم "رب الجنود، عزيز (قدير) إسوايل" [24] كقائد للجنود السماوية اعوت يده بالقوة من أجل خلاص شعبه مما حلّ بهم.

يلاحظ هنا الآتي:

أ. دعى الله بثلاثة ألقاب [السيد (يهوه)، رب الجنود، عزيز (قدير) إسوايل]. وي بعض الدارسين انها إشارة خفية عن الثالوث القنوس. فالآب غير المركب ولا منظور (يهوه = أنا هو)، والكلمة الذي تجسد ليقود المعركة ضد العدو الخير واهبا لجنوده كل نصوة روحية، والروح القدس القدير الذي يعمل في المؤمنين ليشكلهم على صورة المسيح فيجئوا لهم نصيباً في حضن الآب.

وحملت أورشليم 3 ألقاب: مدينة العدل، القوية الأمينة، صهيون تُقدى بالعدل [26-27].

ودُعي الأشرار بالقاب ثلاثة أيضاً: المذنبون، الخطاة، تركزو الرب [28].

ب. يحسب الله من يُتلف شعبه حملاً ثقيلاً (إش 23: 24)، فلا يكف عن مقاومة الشر حتى يستريح ويستريح معه شعبه: "أستريح من خصمائي، وأنتقم من أعدائي" [24].

تبقى أحشاء الوب تحنّ على شعبه حتى يُحطم الشر!

ج. " يُنقّي أورشليم من الوب كما بالبورق (بما يقصد بوتاسا المعادن)؛ إذ يعيد خلقة الطبيعة البشرية ليرد للكنيسة جمالها الأصيل كما بنار الروح القدس المطهر.

إنه ينقينا أيضاً بالتأديب ولو ظهر قاسياً كالنار:

❖ LXX مغبوط هو الإنسان الذي يُؤدب في هذه الحياة، فإن الوب لا يُعاقب عن أمرٍ ما مرتين (نا 1: 9) [81].

❖ لا يهذب الأب ابنه لو لم يكن يحبه، والمعلم لا يصلح من شأن تلميذه ما لم يرّ فيه علامات نوال الوعد. عندما يزوع الطبيب عنايته عن مريض [82] يحسب هذا علامة يأسه من شفائه.

القدّيس جيروم

❖ الله يوبخ لكي يُصلح، ويُصلح لكي يحفظنا له.

[83] القدّيس كبريانوس

د. "وأعيد قضاتك كما في الأول" [26]. إذ يعيد الإنسان إلى كرامته وتقله كما كان في بدء خلقته فيكون كقاضٍ حكيم.

هـ. يرد لأورشليم أو للنفس البشرية لقبها: "مدينة العدل القرية الأمانة" [26]. إذ تصير الكنيسة - أورشليم الجديدة - مدينة الله - عامود الحق وقاعدته، العروس الأمانة لعريسا. تمتلئ بالمفديين التائبين الحاملين برّ المسيح فيهم، أما تركوا الوب أورا فضوه فليس لهم موضع في الكنيسة الحقيقية ولا نصيب لهم في الكنيسة السملوية. هؤلاء يمتلئون خزياً لأنهم اشتبهوا العالم - أشجار البطم - وحسوه جنتهم فضاع العالم وضاعت آمالهم. يشبه العالم هنا بالبطمة، لأن اليهود اعتادوا أن يقيموا عبادة البعل والعشتاروت تحت شجرة البطمة.

يُشبه تركو الوب بالبطمة التي ذبل ورقها، وبالجنة التي بلا ماء [29]، لماذا؟ خلق الله الإنسان كجنة يجد الوب فيها ثمرته حلوّة في الداخل. كل ما يحمله الإنسان من طاقات وامكانيات وعواطف وغوايز هي عطايا إلهية أشبه بأشجار مغروسة في جنة يرويهها ماء الروح القدس فتثمر بوكرات لا حصر لها. أما إن حُرمت منه الروح فتجف وتحرق بالنار، وتتحوّل كما إلى مشاقّة (نسالة كتان) [31]، أي ما تبقى من كتان بعد مشطّة ليستخدم وقيداً للنار.

<<

الأصاحح الثاني

جبل بيت الوب

في الأصحاحات (2-4) ركز إشعيا أنظره على أورشليم - جبل بيت الوب - مع أنه لم يفرقها لكن حنينه إليها وشوقه إلى تقديسها لا يقل عن ذات حنين أنبياء السبي الذين عاشوا بالجسد في بابل أما قلوبهم فتعلقت بمدينة الله التي أصابها الخراب.

1. مقدمة [1].

2. جبل بيت الوب [2-5].

3. علة رفض الله شعبه [6-9].

1. مقدمة:

"الأمور التي رآها إشعيا بن أموص من جهة يهوذا وأورشليم" [1] . كان قلب إشعيا مشغولاً بشعب الله (يهوذا) وبالمدينة المقدسة (أورشليم)، فقد امتلأ حزناً على ما بلغ إليه الحال، رأى شعباً ضوبه الفساد، ومدينة تهدم هيكلها الروحي فأنت أحشاءه عليها. أمام هذا الحب الخالص وهبه الله بصوة وقدم له رؤى ونوبات لتغويته وتغوية كل نفس جريحة من أجل البشوية، قدم له الله كلمته المحيية. ❖ جاء (الكلمة) إلى (هوشع وإشعيا ولرميا) فأناز الأنبياء بنور المعرفة، وجعلهم يرون أموراً لم يفهموها في ذلك الحين.

[\[84\]](#)
العلامة أور يجين

2. جبل بيت الرب:

ماذا قدم الله لإشعيا الجريح النفس؟ حمله بالروح إلى ملء الزمان لوى يهوذا الجديد - السيد المسيح - وأورشليم الجديدة حيث يُبنى هيكل الرب ويُقام ملكوت الله في القلب... وى الجماعة المقدسة قادمة من كل الأمم والشعوب لتعبد الرب بالروح والحق في المسيح يسوع مخلص العالم، لذا قال: " يكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجرى إليه كل الأمم" [2]. وى البعض أن هذه النبوة اقتبسها إشعيا عن ميخا النبي (4: 1-5)، أو ربما اقتبسها الإثنان عن مصدر سابق. لكن ما الذي يمنع الروح القدس من أن يهب ذات العطية - النبوة - للنبين ولغيرهما إذ يجد فيهم القلب المخلص والملتهب نحو خلاص الإنسان وبنيناه، فيقدمها لإشعيا في أيام آحاز ولميخا في أيام حزقيا لتأكيد أن ما ينطق به الوحي لن يسقط. [\[85\]](#)

سحب الرب قلب إشعيا إلى ملء الزمان لوى السيد المسيح الذي يُقيم كنيسته عليه شخصياً بكونه صخر الدهور، الجبل الذي رآه دانيال النبي المقطوع بغير أيدي الذي يملأ الأرض (دا 2: 34، 45)، الصخرة الحقيقية التي تفيض مياه الروح على شعبه (1 كو 10: 4) والتي لا تستطيع الحية أن تحف عليه لتقرب إلى شعبه.

يقول القديس أغسطينوس: [الجبل كما تعلمنا الشهادة النبوية هي الرب نفسه] [\[86\]](#).

❖ توجد أيضاً جبال غير معروفة لأنها قائمة في مواضع معينة في الأرض... أما هذا الجبل فغير ذلك إذ ملأ كل وجه الأرض، عنه قيل "يكون ثابتاً في رأس الجبال" إنه جبل قائم فوق قمم كل الجبال، "تجرى إليه كل الأمم".

من يعجز عن إراك ما هو هذا الجبل!؟

من هو هذا الذي يُحطم رأسه بمقاومة هذا الجبل!؟

من يجهل المدينة القائمة على الجبل!؟

لا تتعجبوا إن كانت هذه المدينة مجهولة بالنسبة للذين يكهون الاخوة، إذ يسلكون في الظلمة ولا يعرفون إلى أين يذهبون، لأن الظلمة أعمت

أعينهم. إنهم لا يرون الجبل.

رُيدكم ألا تتعجبوا، فانهم بلا أعين؛ كيف؟ لأن الظلمة أعمتهم. وهن على ذلك؟ لأنهم يبغضون الاخوة!

[\[87\]](#)
القديس أغسطينوس

أسس الرب كنيسته حين ارتفع على جبل التجربة (مت 4: 8) (ليهبها روح الغلبة والنصوة على قوات الظلمة؛ ذهب بنفسه إلى الجبل، وكما

يقول القديس جيروم : [لم يصعد كمن هو مؤزم أو من هو أسير، إنما أفتيد بأشتياق إلى المعركة]، وأيضاً يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [ذهب الشيطان

إلى الإنسان (آدم) ليجره، لكن إذ لا يستطيع الشيطان أن يُهاجم المسيح ذهب المسيح إليه].

أسس أيضًا كنيسة على جبل التعليم (مت 5: 1) حيث قدم لشعبه وصيته سرّ حياة. وأيضًا على جبل تابور حيث أعلن بهاءه ودخل بكنيسته إلى السموات عينها (لو 9: 41)، وأخرًا على جبل الجلجثة حيث تتعم بعريسها الذبيح مخلص البشرية بدمه الثمين. على هذا الجبل بسط الرب يديه على الصليب ليجتذب إليه الكل (يو 12: 32)، لهذا يكمل النبي قائلًا: "وتجئ إليه كل الأمم وتسير شعوب كثيرة ويقولون: هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله، لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب" [2-3].

معروف أن الشريعة صلت من جبل سيناء للشعب اليهودي، لذا فهو يتحدث عن شريعة جديدة تصدر من أورشليم موجهة إلى المسكونة كلها.

❖ هذه الشريعة ليست ملكًا لأمة واحدة بل لكل الأمم، فإن شريعة الرب وكلمته لا تبقيان في صهيون وأورشليم بل تنتشوان في كل المسكونة. لذلك يقول الشفيق نفسه لتلاميذه الخائفين: "هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء ^[188] والزمير...". (لو 24: 44-47). هذا هو الطويق المسكوني لخلص النفس الذي سبق أن أعلنه الملائكة والأنبياء القديسين...

❖ هناك (في أورشليم) أخبر التلاميذ: "اذهوا وتلمنوا جميع الأمم وعموهم باسم الآب والأبن و الروح القدس" (مت 28: 19).

❖ يتعين أن يُعطى (الروح القدس) بعد قيامة المسيح في ذات المدينة التي تبدأ فيها الشريعة الجديدة - أي العهد الجديد - فإن الشريعة الأولى، التي تدعى العهد القديم أعطيت على جبل سيناء خلال موسى، أما هذه فأعطيت بالمسيح كما سبق التنبؤ عنها ^[190] من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب".

القديس أغسطينوس

ويلاحظ في هذه الكنيسة المؤسسة على جبل الجلجثة والمُنطلقة من أورشليم تحمل قوة الروح القدس الآتي:

أ. كنيسة ثابتة، تقوم على جبل بيت الرب الثابت [2]، يدعوها الرسول بولس "جبل صهيون" قائلًا: "قد أُتيمت إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحيّ أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبنكار مكتوبين في السموات" (عب 12: 22-23). سرّ قوتها وثباتها هو الرب نفسه الذي يقدسها له ويرفعها إلى سمواته فتحمل سماته.

ب. عالية في رأس الجبال [2]؛ لقد صلت نور العالم، تجاهر بالحق علانية دون خوف (أع 16: 26). أعضؤها قائمون بالجسد على الأرض أما قلوبهم وأفكلهم فمرتفعة كما فوق الجبال العالية تسبح في جو السماء. وكما يقول العلامة أوريجانوس: [يكفي انك لا تبقى على الأرض ولا تسكن الوديان ولا تبطئ في الأماكن المظلمة] ^[191].

ج. جذابة للأمم والشعوب [2-3]: أبوابها مفتوحة للجميع، تحمل أوممة حب نحو كل البشرية مستمدة من حب عريسها الجامع لكل البشر.

د. عملها المستمر أن تصعد بالبشر [3]. بالحب تقول إليهم دون أن تفقد قدسيتها أو طبيعتها السماوية لكي ترفع الكل بروح الله القنوس إلى أورشليم العليا فيملسوا الحياة الجديدة السماوية في المسيح يوع.

هـ. رسالتها اعلان طويق الرب [3]، تحمل كلمته إلى كل نفس وتقدم وصيته ليعيشها كل مؤمن، فينعم بشريعة الحرية (غل 4: 26).

و. تعلن أحكام المسيح العادلة، حيث يخضع المؤمنون من كل الأمم لملكوته وسيادته، كسيادة روحية فريدة في نوعها.

ز. تهب سلامًا بين النفوس المقدسة له، إذ لا يرون لهم أعداء بشريين على كل وجه الخليقة. لهذا يقول: " فيضطعون سيوفهم سكًا ورماحهم

مناحل؛ لا ترفع أمة على أمة سيفًا، ولا يتعلمون الحرب في ما بعد" [4]. المسيحي يمتلئ قلبه سلامًا حتى تجاه مقاوميه، فتتحول طاقاته الداخلية من الصواع إلى العمل البنّاء، من أنوات حرب إلى أنوات إنتاج للوحاء.

كلمة الله تُحوّل الأرض سماءً، فيحل السلام السمائي في حياة البشر، وتُقام مملكة السلام أو ملكوت الله الموح في داخلهم التي لا تستطيع عدوة الناس ولا قسوة الأحداث أن تنهها.

خرج من أورشليم إلى العالم رجال هم اثنا عشر بالعدد؛ كانوا أميين ليس لهم قوة على الكلام، لكنهم بقوة الله أعلنوا لكل جنس البشر أنهم مرسلون من المسيح ليعلموا الجميع حكمة الله. ونحن الذين كنا قبلاً نقاتل بعضنا البعض ليس فقط امتنعنا عن الحرب ضد أعدائنا بل وصونا لا نكذب ولا نخدع الذين يفحصوننا (للمحاكمة) ونموت بل ادتتنا معترفين بالمسيح.

[\[92\]](#) الشهيد يوستين

ح. التمتع بالمسيح "نور الرب"، إذ سمع إشعيا النبي: " يا بيت يعقوب هلم نسلك في نور الرب" [5]. السيد المسيح الحال في كنيسة هو بهاء مجد الآب ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قترته (عب 1: 3)، هو شمس البر والشفاء في أجنحتها (ملا 4: 2). يشرق على كنيسة فتصير هي ذاتها نوراً للعالم، تقدم النور للجالسين في ظلمة الخطية، تقدم مسيحها لكل أحد.

هذه الدعوة الموجهة لبيت يعقوب للسلوك في نور الرب هي دعوة لرفع بوق الحرف عن الناموس لكي يكتشف بيت يعقوب "المسيا" المختفي وراء الكلمات، تتمتع بكلمة الله لا كوصايا حرفية وإنما كشركة مع المسيح النور الحقيقي.

من هم بيت يعقوب؟ يُجيب الشهيد يوستين: [يليق بنا هنا أن نلاحظ وجود نسلين لليهودا، يوجد نسلان، كما يوجد بيتان ليعقوب؛ واحد مولود من لحم ودم والآخر من الإيمان والروح] [\[93\]](#).

3. علة رفض الله شعبه:

يُقرن النبي بين تصورات شعبه المعاصرين له وتصورات الأمم في المستقبل حيث يقبلون الإيمان بالله المخلص ويدخلون ملكوت السلام وينعمون ببركات فائقة بسكناهم في جبل بيت الرب.

رفض بيت يعقوب الله عملياً بالرغم من اهتامة الشديد بحرفية العبادة لذارفضه الله، وكان ذلك رمزاً لرفض اليهود لشخص السيد المسيح تحت ستار دفاعهم عن الحق وغيرتهم على شريعة موسى.

قدم الله أربعة أسباب لرفض الشعب، وهي: التشبه بالغباء، حبهم لغنى العالم، اتكالمهم على إمكانياتهم العسكرية، قبولهم العبادة الوثنية.

أ. التشبه بالغباء: "امتألوا من المشرق" [6].

لقد أفرزهم الله لنفسه ليمتلأوا من روحه ويحملوا حكمته السماوية ويكونوا شهود حق وخموة مقدسة للعالم، لكنهم فتحوا أبوابهم للغرباء خاصة بني المشرق، يتعلمون منهم السحر والعبادة الوثنية والرجاسات عوض الشهادة أمامهم بعمل الله فيهم. من أجل المكسب المادي والانغماس في الرجاسات شجعوا الوثنيين على الإقامة في وسطهم، واختلطوا بهم (هو 7: 8)، وخافوا العهد الإلهي.

يقول أيضاً: "وهم عانفون كالفلسطينيين" [6]. عوض الرجوع إلى الله في كل أمورهم تشبهوا بالفلسطينيين في ذلك الوقت مُلتجئين إلى العيافة والوفاة، مخالفين الوصية الإلهية (لا 19: 26).

ب. انشغالهم بغنى العالم والماديات: " امتلأت رُضهم فضةً وزهباً ولا نهايةً لكنوزهم ". امتلأت قلوبهم بمحبة المال، فحسوه قاوراً على إشباعهم، واحتل موضع الله في فكرهم وأحاسيسهم.

ج. اتكالمهم على إمكانياتهم العسكرية: " امتلأت رُضهم خيلاً ولا نهايةً لمركباتهم" [7]. اتكوا على الخيل والمركبات عوض الإيمان والرجوع

إلى الله.

د. قبولهم العبادة الوثنية [8].

هذه هي الأسباب التي من أجلها رفض الله شعبه، أما ثروة ذلك فهو الانحدار المستمر عوض النمو والصعود [9]. انهيار في كل جوانب الحياة عوض التقديس بالتمام بالرب الصاعد إلى السموات.

4 . بطلان الزواع البشري:

إن كان الله قد رفض شعبه فلأن شعبه مُصرّ على رفض الله بكل وسيلة، لكن الله يبقى في حبه متوفّقاً بهم وبكل البشرية معلناً خلاصه للإنسان. إذ تعاضم الإنسان جداً في عيني نفسه وتضخمت الأنا، يعلن الرب بهاءه فيتصاغر الإنسان ويطلب الخلاص. يدخل كما في صخرة ويختبئ في التراب أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته [10]. عندما ظهر الله لإواهم أنرك أب الآباء أنه تراب ورماد، وعندما رأى موسى مجد الرب ارتعب وارتعد، وهكذا التصقت نفس أيوب في التراب. ليس شيء يُحطم كوياء الإنسان مثل ملاقاته مع الله. يتحطم الكوياء ولا تتحطم نفسه بل تُشفي وتمتلئ رجاء في الرب.

ما هي الصخرة التي نختفي فيها أمام العظمة الإلهية إلا السيد المسيح، إذ فيه نجد لأنفسنا ملجأ أمام العدل الإلهي. لذلك عندما اشتهد موسى النبي أن يرى المجد الإلهي قيل له: "لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا واني ويعيش... هوذا عندي مكان فتقف على الصخرة (المسيح صخرتنا) ويكون متى اجتاز مجدي إني أضعك في نوة من الصخرة (الاتحاد مع المسيح) واستوك بيدي حتى أجتاز" (خر 33: 20-21). مادما نتكى على مسيحا الصخرة الحقيقية ونثبت فيه ونوجد كما في نوة داخله نرى بهاء المجد الإلهي، أما إن اتكلنا على أنفسنا أو على الزواع البشري فإننا نهلك ونحرم من معاينة الله .

يُشبه النبي تشامخ الإنسان بالآتي:

أ. " أرز لبنان العالي المرتفع وكل بلوط باشان" [13] تشير إلى الاتكال على غنى مورد الطبيعة، كما تشير إلى الملوك والقادة المتعجرفين مثل ريشاقي.

ب. " الجبال والتلال الشامخة" [14] ، تشير إلى الصلابة والجمود، وربما تعني أيضاً الممالك الكوي والممالك الصغرى التي قانونها الكوياء مع العنف.

ج. " الأوج العالية والأسوار المنيعة" [15] ، تشير إلى الاتكال على أعمال البر الذاتي، فالإنسان قادر أن يرتفع إلى فوق يُحصن ذاته ضد كل عدو؛ لعلها تشير إلى المدن الحصينة.

د. " سفن ترشيش والزينات والأعلام المبهجة" [16] ، تشير إلى الانهماك بالتجارة والمال مع الترف والغنى على حساب الاهتمام بالنفس. التشبيهات السابقة كلها تنور حول اعتداد الإنسان بذاته وبإمكانيات الطبيعة ومولدها مع تقدمه المستمر حاسباً أنه قادر بنفسه على خلق جو من الشبع والوحد والسلام مع أمان واستقرار في العالم متجاهلاً الزواع الإلهي. لهذا فهو محتاج أن يتجلى الرب له ليكشف له عن زوال كل هذه الأمور خاصة في يوم الرب العظيم.

ارتبط الكوياء بالعبادة الوثنية لهذا يؤكد النبي أنه عندما يكتشف الإنسان عجز الأوثان يلقي بها أمام الجردان والخفافيش [20] مستخفاً بها، عوض أن يأخذها معه في أسفله لمساندته. عوض تكريمها في أماكن للعبادة يلقي بها في أماكن ظلمة مهجورة تلهو بها الفؤان والخفافيش.

أخراً يبرك الإنسان خطأ الاتكال على الزواع البشري، فيقول النبي: " كفوا عن الإنسان الذي في أنفه نسمة، لأنه ماذا يُحسب؟! " [22]. ليصمت كل إنسان مهما بلغت عظمته أو قدرته أو غناه، فإنه تخرج نسمة حياته فلا يكون بعد في العالم. تخرج روحه فيعود إلى التراب (مز 104:

(29).

≪

مجاعة مهلكة

خلق الله العالم بكل إمكانياته المبركة وغير المبركة من أجل سلام الإنسان وسعادته، حتى يوح كل بشر بالله محبوبه، متكاً عليه، مشتاقاً أن ينعم بشركة حب أعمق. أما وقد انشغل الإنسان بالعطية لا العاطي استند على " كل سند خبز وكل سند ماء" [1]. صار الإنسان يفتخر بغناه وقواته وكثرة خواته وجماله عوض افتخاره بالوب واتكاله عليه. لهذا ينتزع الله العطايا ويحرم الإنسان من البركات الوهمية، لا للإنتقام منه ولا لإذلاله أو حرمانه وإنما لكي وجع بقلبه إلى الله مصدر حياته وشعبه وسلامه وفرحه ومجده فينال في هذا العالم أضعافاً وفي العالم الآتي حياة أبدية؛ ينال الله نفسه نصيباً له ومواتاً!

هنا يُهدد النبي بحدوث مجاعة وحرمان وتحطيم للإثني عشر عموداً التي تتكئ عليها الجماعة [للخبز والماء، الجباوة (القانونين) ورجال الحرب، القضاة، الأنبياء، العوافين، الشيوخ، رؤساء الخمسين، المعتوين، المشيرين الماهرين بين الصناع، الحاذقين بالوقي]. لقد أنتزع الرب المولد الطبيعية خلال المجاعة والطاقات البشرية خلال السبي حتى وجعوا إليه.

1 . أنواع سند الخبز وسند الماء [1].

2 . أنواع القيادات الناضجة [2-15].

3 . أنواع إمكانيات الترف والتشامخ [16-26].

1 . أنواع سند الخبز وسند الماء:

"فانه هوذا السيد رب الجنود يتّوع من أورشليم ومن يهوذا السند والوكن وكل سند خبز وكل سند ماء" [1].

حين يسمح الله لأورشليم ولبنى يهوذا، شعبه العروس، أن تصير في عز إلى الخبز والماء إنما يُحطم السند والوكن لعلها تعود فتفكر في الاتكاء على حبيبها (نش 8: 5) لتجد فيه شعبها ولتواءها.

لقد انتزع الله من شعبه رائحة اللحم والكؤات والبصل بإخراجهم من مصر لكنه

وهبهم المن السموي في البرية وسار بهم إلى أرض تفيض عسلاً ولبناً؛ حرمهم من مياه الترع ليُقدم لهم الصخرة التي تتبعهم تفيض ماءً، وكانت الصخرة هي المسيح (1 كو 10: 4). الله يحرمنا من السند الزمني ليصير هو سندنا وخزونا السموي والينوع الحي الذي يروي نفوسنا بكل طاقاتها.

هنا يُهدد النبي بحدوث مجاعة كثرة للعصيان (لا 26، تث 28)، وقد تحقق ذلك في التاريخ عند خراب السامرة وأورشليم.

ما هو أخطر، حدوث هوع لكلمة الله كما جاء في عاموس النبي: "هوذا أيام تأتي يقول السيد الرب أرسل جوعاً في الأرض لا جوعاً للخبز ولا عطشاً للماء بل لاستماع كلمات الرب" (عا 8: 11).

❖ (كلمة الله) طعام للنفس، وحليها، وأمانها، ففي عدم الاستماع لها مجاعة وحرمان!

[94] القديس يوحنا الذهبي الفم

2 . أنواع القيادات الناضجة:

أقام الله لشعبه قيادات ناضجة قادرة على العمل مثل موسى العظيم في الأنبياء ودواود الملك البار ودبيرة النبوة والقاضية الخ... لكن الشعب انعرف مع قياداته العسكرية والقضائية والمدنية والروحية. اكلوا على النزاع البشري بقواته وفكوه وظنوا أنهم ينجحون ويتقدمون بالرغم مما حلّ بهم

وبقياداتهم من فساد. لهذا انزع الله منهم القيادات الناضجة الحكيمة ليتوكلهم يقيموا لأنفسهم قيادات ضعيفة وعاجزة، فيدركوا حاجتهم إلى العون الإلهي حتى في التمتع بقيادات حية وقوية.

" (يتوع) الجبار (القدير) ورجل الحرب؛ القاضي والنبى والوفاء (المتدبر) والشيخ، رئيس الخمسين والمعتبر والمشير والماهر بين الصناعات والحاظق بالوقية (الحاظق في الخطابة)" [2-3].

ربما قصد بانزعهم ليس طردهم ولا موتهم وإنما تجريدهم مما وهبهم من قنات وإمكانيات، فيضعف الجباوة وينهار رجال الحرب أما العدو ويفقد القضاة الحكمة وتفسد بصوة الأنبياء الكذبة الخ... بهذا يجنى الشعب ثوة اتكاله على النزاع البشوي، إذ يجد نفسه منهلاً في الداخل والخارج. هذا ما يحل بالإنسان الرافض لعمل الله فيه؛ تزع النعمة الإلهية (القدير) عنه؛ ويحرم من الشوكة مع السمائيين (رجال الحرب الروحانيين) ليجد نفسه بلا عون إلهي ولا سند سموي؛ ويفقد مواهب الروح من حكمة (القاضي) وتمييز (النبى)، ولا يستطيع أن يأخذ قرأً (انزع المتدبر والشيخ)؛ ويشعر بالفشل حتى في عمله الزماني (انزع الماهر في الصناعة)؛ ويعجز حتى عن الكلام (انزع الحاذق في الخطابة). بمعنى آخر يفقد الإنسان حياته وقناته حتى الطبيعية ليعيش في فراع داخلي وفساد وفشل بالوعم مما يحمله من مظاهر القوة والحكمة والغنى والنجاح. والآن إذ ينزع الله القيادات الناضجة ويفقد الإنسان نعمة الله، ماذا يحدث؟

أ. وأجعل صبياناً رؤساء لهم وأطفالاً تتسلط عليهم" [4]. حين ملك رحبعام بن سليمان قيل مشورة الأحداث المتسوعة العنيفة والمتطرفة ورفض مشورة الشوخ الحكيمة المتزنة والمملوءة حباً وتوقفاً (1 مل 12)، فانقسم الشعب وحلت الحروب الداخلية بين الأسباط، وسادت العداوة عوض الحب والوحدة.

الله محب للشباب، يسندهم ويطلب نموهم المستمر، لكن مانعنا هنا بالصبيان والأطفال هو عدم النضوج الروحي والفكري. لقد كان يوحنا المعمدان جنيناً ناضجاً روحياً، شهد للسيد المسيح وهو بعد في أحشاء البتول مريم، بينما كان كثير من الكنبه والفريسيين والصدوقيين والكهنة ناضجين من جهة السن دون الروح، فكانوا يسلكون كصبيان، يطلبون قتل السيد المسيح والتخلص منه. هكذا زى في تليخ شعب الله منذ نشأته حتى اليوم كثير من الشباب قادة ناضجين بينما نجد رجالاً وشيوخاً سلخوا بروح الطفولة غير الناضجة. لذا يوصى الرسول جميع المؤمنين: "كونوا رجالاً" (1 كو 16: 13)، بمعنى النضوج والقوة الروحية، إذ يليق بكل المؤمنين: رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخاً وشباباً أن يكونوا من جهة الروح رجالاً ناضجين. يُعلق العلامة أوريجانوس على إحصاء الشعب الولد في عدد 1 إذ شمل الرجال دون الأطفال أو النساء قائلاً: [يُعلمني النص الحالي أنه إذا اجتذت سداجة الطفولة، أي توقفت عن أن يكون لي أفكار الطفولة، إذ لما صوت رجلاً أبطلت ما للطفل" (1 كو 13: 11)، أقول قد صوت شاباً قاواً على الغلبة على الشوير (1 يو 2: 13)، فظهرت كمتحق أن أكون بين الذين قيل عنهم إنهم يسيرون في قوة... وأحسب أهلاً للتعداد الإلهي. لكن إن كان لأحد منا أكلراً جسداًية متلرجحة... فلا يستحق أن يُحصى أمام الله في سفر العدد الطاهر والمقدس [195].

ربما يُشير إشعياء النبي إلى منسي الذي تولى الحكم وهو في سن الثانية عشرة عندما مات والده حزقيا. ب. ويظلم الشعب بعضهم بعضاً والوجل صاحبه، يتمرد الصبي على الشيخ والدنى على الشريف" [5]. علامة فقدان القيادات السليمة الناضجة اختلال الموزين فيسود قانون الظلم ويحل روح الفوضى في حياة الجماعة كما في داخل الإنسان. إذ لا توجد قيادة صادقة ومخلصة يطلب كل إنسان ما لذاته على حساب الغير، ويحسب كل واحد أنه أحكم وأفضل من غيره.

أقول حينما يفقد الإنسان قيادة الروح القدس يحل في داخله قانون الأتانية والظلم والتعود، فيدخل في صواعات بلا حصر بين النفس والجسد وبين العقل والعاطفة والحواس، ويتمرد الجسد على النفس ليمتطى حياة الإنسان بكليته ويقودها في شهوات جسدية مع خوع واذلال للملذات الزمنية. ج. الدخول في حالة يأس شديد، خلالها يرفض أي إنسان استلام مسئولية، فيمسك كل إنسان بأخيه ويقول له: "لك ثوب" علامة قبوله رئيساً، لأن

تسليم الثوب للغير هو رمز لتسليم الإنسان جسده تحت قيادة الغير. لكن بسبب ما حلّ بالبلد من خراب مع عجز الجميع عن التصوف يقول كل واحد: "لا تجعلوني رئيس شعب" [7]، معللاً ذلك بقوله: "لا أكون عاصباً (اضمد الجراحات) وفي بيتي لا خبز ولا ثوب" [7]. هكذا صار الكل في جوع وعوي، فمن يقبل الرئاسة؟ من يقدر أن يضمّد جراحات شعب كهذا بينما هو نفسه لا يجد طعاماً أو ملبساً؟ هذا ثمر طبيعي لمن يطلب مخلصاً بشوياً يظن أنه قادر على انقاذه وقيادة حياته نون الالتجاء إلى المخلص الإلهي الوحيد. يقول الموتل: "لا تتكوا على الرؤساء ولا على بني آدم حيث لا خلاص عنده" (مز 146: 3).

د. فقدان الحياء ومخافة الله، إذ صار لهم الوجه المكشوف الذي لا يخجل من ارتكاب الشر: "يُخبرون بخطيتهم كسوم، ولا يخفونها" [9]. بلغت الخطورة أن أورشليم انحوت في عوّات متكررة لا عن ضعف أو جهل وإنما عن عمد لإغاية الرب [9]. ترتكب الشرور بالقول والفعل بلا خجل أو حياء. هذه هي صورة العالم في العصر الحديث إذ يشعر كثير من الشباب أن ما يملسه من انحرافات في كل صورها هو حق طبيعي للإنسان. يقول: "نظر وجوههم يشهد عليهم" [9]، فإن مجرد التطلع إلى وجوههم يكشف عن بصمات الخطية وحرمانهم من عمل النعمة عنهم، وكما يقول الكتاب: "ولاد الله ظاهرون ولولاد إبليس" (1 يو 3: 10).

إن كان الأثوار ظاهرين وقد صلروا أغلبية لكنه توجد قلة مقدسة للرب، لن يتجاهلها الله، لا تضع ولا يصيبها ضرراً، لذا يقول النبي: "قولوا للصديق خير، لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم" [10]. في وسط الضيق الشديد يحفظ الرب صديقيه، ويحوّل كل الأمور التي تحل بهم إلى خورهم ومجدهم. لقد عانى يوسف الصديق الكثير، وكانت أتعابه هي بعينها طريق مجده؛ فزاه يقول لاختوته: "أنتم قصدتم لي شراً، أما الله فقصد بي خيراً" (تك 50: 20). الله لا يهلك البار مع الأثيم (تك 16: 25)، إنما يحفظ أولاده وقت التجربة، يخفيهم في مظلمته في يوم الشر ويستورهم بستر خيمته (مز 27: 5)، يعرفهم إذ نقشهم على كفه (إش 49: 16).

يُعلق القديس يوستين على قول النبي: "ويل لنفوسهم لأنهم يصنعون لأنفسهم شراً، قولوا للصديق خير، لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم" [9-10]: [حقاً إن يدكم مرفوعة لارتكاب الشر لأنكم قتلتم المسيح ولا تتوبون، إنما لا زالوا تكهون وتقتلون من يؤمنون به في الله أب الكل قدر ما تستطيعون، وتلعنوننا نون سبب، وتفعلون هكذا مع الذين يقفون في صفنا. أما نحن فجميعنا نُصلي لأجلكم ولأجل كل البشر كما علمنا مسيحنارب الكل عندما أمرنا أن نُصلي حتى من أجل أعدائنا وأن نحب مبغضينا ونبارك لأعينا] [196]. ويقول القديس كيرلس الأورشليمي: [قيوا يسوع وجاعوا به إلى قاعة رئيس الكهنة. أتريد أن تعرف أن هذا أيضاً قد كُتب عنه ونُطق به؟ يقول إشعياء: "ويل لنفوسهم لأنهم يصنعون لأنفسهم شراً قائلين: لنُقيد البار فإنه مسبب متاعب لنا" [197].

لقد ظنوا أنهم يصنعون بالبار شراً لكنهم كانوا يصنعون ذلك لأنفسهم فيجنون ثمر عملهم لا كعقوبة إلهية للانتقام وإنما كثمر طبيعي لتصرفاتهم وحياتهم. "ويل للشرير شر، لأن مجزاة يديه تعمل به" [11]. "ما يزرعه الإنسان إياه يحصد" (2 كو 9: 6).

هـ. حب السلطة لارعاية الحب: الرؤساء الحقيقيون أشبه بأباء يحتضنون الكل أبناء لهم، يقدمون حياتهم مبنولة من أجل الشعب، لكن متى أنزعت نعمة الله يتحول الرؤساء - حتى الدينيون - إلى متسلطين، لا همّ لهم سوى الدفاع عن مواكهم وسلطانهم بترويات متنوعة تحت ستار الدفاع عن الحق وهيبة المراكز القيادية والقوة على بتر الشر. هؤلاء يتحولون من آباء باذلين إلى أطفال صغار تسيطر عليهم "الأنا"، أو إلى ما هو أشبه بنساء (مز للضعف الجسماني) يطلبون السيطرة، إذ يقول: "شعبي ظالموه ولأولاد، ونساء يتسلطن عليه. يا شعبي مرشوك مزلون ويبلعون طريق مسالكك" [12].

وي بعض الدارسين أن هذا تحقق حرفياً إذ تسلّم بعض الصبيان الملك في يهوذا وقامت بعض النساء بألوار خطوة في تدبير الأمور. أما متى الجانب الرمزي فالموشدون هنا خاصة الكهنة والأنبياء تسلط عليهم روح التهور وحب السيطرة، فانحرفوا عن الحب الحقيقي والرعاية الآمنة. هؤلاء في نفاقهم يقولون للشرير أنت صديق (أم 24: 24). وكما يقول الحكيم: "صار موضع الحق هناك الظلم، وموضع العدل هناك الجور" (جا 3: 16).

وسط هذا الفساد خاصة من جانب القيادات يتدخل الله من أجل البسطاء في شعبه، فينتصب لمحاكمتهم بكونهم الكوامين الذين أكلوا الكرم عوض الاهتمام به، موبخاً إياهم هكذا: "ويل لوعاة إسرائيل الذين كانوا وعون أنفسهم؛ ألا وعى لوعاة الغنم؟! تأكلون الشحم وتلبسون الصوف وتذبحون السميين ولا وعون الغنم" (جز 34: 2-3). يسلبون حقوق البائسين كما سلبت ازابل حقل نابوت اليرزي عيلي (1 مل 21)؛ يسحقون الشعب ويطحنون وجوه البائسين [15].

3 . أنواع إمكانيات الترف مع التشمخ:

بعد الحديث عن محاكمة القيادات الفاسدة بدأ الحديث عن بنات صهيون المتشامخات، لعلهن كن وراء فساد هذه القيادات. فقد نسيت بنات صهيون انتسابهن لصهيون وللرب وسلكن كالثنيات في عجرفة مع ترف ولهو.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [لم توجه هذه الكلمات إليهن وحدهن وإنما هي موجهة إلى كل امرأة تتشبه بهن. يقف بولس أيضاً كمتهم فيقول لتيموثاوس ألا تكون زينة النساء "بضفائر أو ذهب أو لآلي أو ملابس كثرة الثمن" (1 تي 2: 9). فإن لبس الذهب ضار في كل موضع خاصة عندما تدخل (المرأة) الكنيسة وتجتاز أمام الفقير. أتريد أن تكوني موضع اتهام؟ احلمي مظهر القسوة وعدم الإنسانية].^[98]

وى القديس يوحنا الذهبي الفم أن حياتنا هي وقت للجهاد الروحي لا للترف في الملابس والتشمخ في المشي.^[99] يليق بنا الآن أن نجاهد كما فمركة روحية فلا نهتم بالمظاهر الخرجية إنما بنوال النورة والغلبة فسيأتي حتماً وقت المجد العلني. مرة أخرى يُطلبنا ذات القديس أن نركز أنظرنا على مسيحا فنهتم بالزينة الداخلية اللائقة به ولا نطلب الأمور الظاهرة. [لك المسيح عيسك أيتها العزواء، فلماذا تطلبين أن تجتذبي محبوبين بشويين؟!].^[100]

يُقدم لنا النبي بعض ملامح الخلاعة التي اتسمت بها بنات صهيون:

أ. التشمخ: " وقال الرب من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق... [16] . لقد سيطر الكرياء عليهن فصورن متشامخات، يمشين ممدودات الأعناق بعد أن نسين آباءهن وأمهاتهن الذين انحنت أعناقهن تحت نير العبودية في مصر.

"قبل الكسر الكرياء، وقبل السقوط تشامخ الروح، تواضع الروح مع الودعاء خير من قسم الغنيمة مع المتكويين" (أم 16: 18-19).

ب. الغمز بالعيون [6]: [انشغلن بأصطياد قلوب الرجال وأسوها كثرة طبيعية لواع القلب الداخلي، فنصبن بعيونهن شباكاً للموت، إذ يقول الحكيم: "فرجدت أمر من الموت العروة التي هي شباك وقلبها أثواك ويدها قيود، الصالح قدام الله ينجو منها" (جا 7: 26).

وجاءت كلمة "غازات" في الأصل بمعنى يُجمَلن عيونهن بمسحوق أسود، إذ كان الشوقيون مغرمين بالعيون الواسعة المحاطة بدائرة

سوداء.^[101]

ج. الخلاعة في المشي: " خاطرات في مشيهن، يخشخشن برجلهن" [16] ، دلالة على فساد القلب الداخلي. يمشين في عجب وخيلاء ويضعن "خلائيل" في رُجلهن أو أحراساً في أحذيتهن للفت النظر إليهن.

ماذا يفعل الرب بؤلاء البنات المتعجرفات السالكات في لهو وترف؟

أ. " يُصَلِّع الرب هامة بنات صهيون ويوي الرب عورتهن" [17] . الصلغ أو الوعة بالنسبة للفتاة علامة القبح الشديد، فقد وهب الله المرأة الشعر تاج مجد لها لتعيش مكرمة ومحبوبة في الرب، يُعجب بهارجلها ويحبها ويكرمها فتشركه الحياة الأسوية على قدم المساواة، بكونها الجسد الذي لا يستغنى عنه الرأس. لكنها إذ تخرج عن الناموس الطبيعي بروح الكرياء واللهو تفقد حتى جمالها الطبيعي وكرامتها فتصير كمن أصيبت بوقع. تعرية عورتها كناية عن كشف فساد طبيعتها، أو إشارة إلى عُريها، ليس من يبسط ذيله عليها ويستتر حياتها ويهبها اسمه لتحتمي فيه وتربط به.

هذه هي حالة النفس البشرية الساقطة بالكوياء، إذ تفقد عطايا الله لها، وينفضح فساد طبيعتها فتصير بلا جمال ولا قوة ولا كرامة، تسخر بها أنفه الخطايا ويلهو بها مجرد الخيال وأحلام اليقظة.

ب. انزع كل مظاهر الغنى والزينة من خلاخيل وضمائر وأهله وحلقان وأسوار وواقع وعصائب وسلاسل ومناطق وحناجر الشامات (خمرات - طُوح) واحواز وموائي (ملابس شفافة للإثارة الجسدية) وقمصان (ملابس داخلية غالية) وعمائم وأزر.

هكذا يزع عنها الزينة الخرجية والملابس الداخلية لتصير في عوى وقبح... لعلها توجع إلى الله وتطلب أن يستر عليها بنفسه فيصير الرب نفسه ملبسها الساتر عليها (غل 3: 27؛ كو 3: 10).

يسمح الله بهذا التأديب لبنات صهيون لكي تجد في المخلص سرّ زينتها ومجدها.

هنا يُشير إلى ما يحل بنات صهيون خلال السبي، إذ يقول:

" فيكون عوض الطيب عفونة" [24] ؛ بعد أن كن منشغلات بالطيب والروائح الذكية، ينفقن الكثير على ذلك، سببين بواسطة العدو وحُملن إلى أرض غريبة ينهمن في العمل دون راحة فتصير رائحة العوق كريهة. هذا ما حدث فعلاً، أما من الجانب الروحي فإن النفس المتكورة تفقد زينتها الخرجية المخادعة فتتكشف عفونة طبيعتها وفوقها وعريها، لعلها تشعر بالحاجة إلى من يخلصها ويشبعها. وكما قيل لملاك (أسقف) كنيسة اللاودكيين: "لأنك تقول إنني أنا غنى وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان، أشير عليك أن تشتري مني ذهباً مُصفى بالنار لكي تستغني، وثياباً بيضاً لكي تلبس فلا يظهر خزي عريتك، وكحل عينيك بكحل لكي تبصر (رؤ 3: 17-18).

يتحدث القديس غريغوريوس النريزي عن تقديس حاسة الشم فينا حتى لا يتحول طيب الروح القدس فينا عنا فتصير لنا عفونة طبيعتنا الذاتية، قائلاً: [لنُشفى أيضاً من جهة الشم...، وبدلاً من أن يسكب علينا الزّاب عوض الروائح الذكية فلنشتم رائحة المسحة التي سُكبت علينا التي تقبلناها روحياً فشكّلنا (من جديد) وغوّرتنا، فتخرج من رائحة زكية [102]].

يقول النبي " عوض المنطقه جبل" [24] ، بعد أن كانت بنات صهيون يتمنطقن بمناطق ذهبية مزخرفة ومُرصّعة بحجارة كريمة رُبطن بالحبال لسحبهن إلى السبي كمنذولات. صورة مؤلمة تكشف عن ثمر الخطية!

" عوض الجدائل قوعة"، كعلامة للإذلال يُقص شعر الشريقات ليظوهن قبيحات.

" عوض الديباج زنار المسح، وعوض الجمال كي" [24] ... هكذا صلت ملابسهن المموح عوض الثياب الفاخرة وظهر الكي على جباهن أو أيديهن علامة العبودية... إذ كان العبيد من الجنسين يُختمون بختم معين بالكي ليعرف السيد من هم له.

في اختصار عبر عن تحطيم حياتهن تماماً لاتكالهن على المظاهر الخرجية وعلى الزواج البشري، لذا يقول: " رجالك يسقطون بالسيف، وأبطالك في الحرب، فتنن وتفتح أبوابها وهي فرغة تجلس على الأرض" [25-26]. مات الرجال وسُبيت النساء وصلت المدينة العظيمة كما في

واغ!

<<

الأصاحح الرابع

غصن الرب هو العلاج

في الأصحاحات السابقة قدم لنا الوحي الإلهي صورة مؤلمة لما بلغه الإنسان من فساد وانحلال بسبب الخطية حيث فقد الإنسان جماله وكرامته وأكله وشربه وزينته حتى حياته ذاتها، وصار العلاج الوحيد هو مجيء السيد المسيح "غصن الرب" يود للإنسان جمال طبيعته وبشبعه لا بتقديم خوات معينة بل بتقديم "نفسه" سرّ حياة وفوح وشبع.

1. الحاجة إلى المخلص [1].

2. غصن الرب [2].

3. البقية المقدسة [3-4].

4. حلول المسيح في وسط كنيسته [5].

5. كنيسة المسيح مظلة وملجأ [6].

1. الحاجة إلى المخلص:

" فتمسك سبع نساء برجل واحد في ذلك اليوم قائلات: نأكل خبزنا ونلبس ثيابنا، ليُدع فقط اسمك علينا، اؤرع علنا" [1].

هؤلاء النساء السبع هم جميع الأمم من بينهم اليهود، فقد شعر الكل بواغ شديد يجتاح الأعماق بسبب فساد الطبيعة البشرية. تجتمع هذه الأمم كعروس تطلب عريسها، تُريد اسمه ليؤزع عار فسادها، حينئذ تأكل خبزها وتلبس ثيابها. مسيحتها أهم من كل احتياجاتها، فيه تجد كل الشيع والستر من الوي والحماية من كل عار.

هذا من الجانب الوفي الروحي، أما من الجانب الحرفي فقد تتبأ إشعياء النبي عما كان سيحل بيهودا حيث يتعرض لحروب طاحنة خلالها يُقتل عدد كبير من الرجال، فتشتاق كل إرأة أن تجد لها رجلاً تحتمي تحت إسمه مهما كلفها الأمر. فهي مستعدة أن تُشركها فيه ست نساء أخريات وهذا أمر لا تطيقه السيدة بطبيعتها؛ بل وتطلب من رجلها ألا يستؤرم بشيء إنما تأكل وتشرب من تعبها هي الأمر الذي يُخالف الطبيعة نفسها... هذا كله لأنها تُريد أن تتجنب منه فيؤزع عنها عرها (تك 30: 23، 1 صم 1: 11).

2. غصن الرب:

الآن، إن كانت البشرية بكل شعوبها (سبع نساء) اكتشفت حاجتها إلى المخلص، فما هو النبي يبشورها بمجيئه قائلاً: "في ذلك اليوم يكون غصن الرب بهاءً ومجدًا وثمر الأرض فخرًا وزينة للناجيين من إسرائيل" [2].

يُقصد بـ "ذلك اليوم" ملء الزمان (غل 4: 4) الذي فيه تجسد ابن الله الوحيد الجنس، الذي دُعي "غصن الرب"، أو "الغصن" (إر 23: 5، 33: 15؛ زك 3: 8؛ 6: 12). هو غصن الرب وغصن برّ لدود، إذ هو المولود قبل كل الدهور رُلياً من ذات جوهر الآب وبتجسده وُلد من نسل داود. بدخوله إلى العالم أعلن البهاء الإلهي والمجد الفائق على المؤمنين الغرباء البسطاء كما على المخلصين من اليهود. وكما قال سمعان الشيخ "تور إعلان للأمم ومجدًا لشعبك إسرائيل".

نبت هذا الغصن بتجسده، فحلّ في وسطنا ليعكس البهاء الإلهي على طبيعتنا، فيقول لكنيسته: "خرج لكِ أسم في الأمم لجمالك، لأنه كان كاملاً ببهائي الذي جعلته عليك بقول السيد الرب" (حز 16: 14).

كلمة "غصن" تُعادل أيضًا "ناصوة"، لذا يقول الإنجيلي: "لكي يتم ما قيل بالأنبياء أنه يُدعى ناصويًا" (مت 2: 23).

3. البقية المقدسة:

من الذي يتمتع بغصن الرب؟

" الذي يبقى في صهيون والذي يُتوك في أورشليم" [3] . هؤلاء هم القلة التي قبلت الإيمان بالسيد المسيح من جماعة اليهود، بقوا في صهيون الروحية، في الكنيسة أورشليم الجديدة.

من الجانب الحرفي تُشير إلى البقية الباقية من السبي، أما من الجانب الروحي فهي القلة المقدسة، القطيع الصغير الذي لا يغادر قلبه صهيون ولا تفرق روحه أورشليم العليا. هذه البقية تحدث عنها كثير من الأنبياء (ك 13: 9)، وُجِدَتْ في كل عصر، ففي أيام إيليا النبي أعلن الرب أن له سبعة آلاف رجل لم يحنور كبة لبعل بعد، وفي أثناء السبي وُجد دانيال ومعه الثلاثة فتية ضمن القلة المقدسة، وأيضًا استير ومودخاي، وبعد السبي نسمع أيضًا عن هذه القلة المقدسة (ملا 3: 6؛ 4: 2)، والسيد المسيح نفسه يتحدث عن القطيع الصغير الذي سرّ الآب أن يعطيه الملكوت (لو 12).

في اختصار، كل نفس مخلصه ترفع قلبها إلى أورشليم العليا ترى الكنيسة المقدسة في الرب فتوح وتسر من أجلها.

رتبط قلب إشعيا بأورشليم عاصمة بلده ومدينة الله التي تضم هيكله المقدس، وقد دخل في مورة من أجل ما حلّ بها من فساد. الآن إذ يعلن عن مجيء "غصن الرب" يرى أورشليم جديدة يسكنها قديسون في الرب القدوس، وينعمون بالحياة الأبدية. يقول: " يُسمى قنوسًا كل من كتب للحياة في أورشليم" [3].

الكنيسة - أيقونة السماء - هي عربون أورشليم العليا التي لا يدخلها شيء دنس أو نجس ولا كل من يصنع كذبًا، إنما يدخلها من غسل ثيابه وبيضها في دم الحمل (رؤ 7: 14).

كأعضاء في الكنيسة المقدسة - أورشليم الجديدة - تمتعنا بمسحة روح الله القدوس، لنُتمم الوصية الإنجيلية: "تظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم قديسين في كل سوة" (1 بط 1: 15).

من الذي يُقدس حياتنا؟ الرب نفسه إذ يقول النبي: " إذ غسل الرب قدر بنت صهيون ونقى دم أورشليم من وسطها بروح القضاء وروح الإحراق" [4] . أنه غسل أَداناسا في مياه المعمودية في استحقاقات دمه، ولا زال يغسل كل ضعفاتنا بدمه الذي جرى من جنبه الطعون ممتوجًا بماء. إن كانت أيدينا قد تَلطخت بالدم خلال خطايانا فإنه يُقدم دمه كفارة عنا ليقيمنا كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن بل مقدسة في كل شيء. هذا الغسل أو التطهير يتحقق "بروح القضاء وروح الإحراق"؛ أما روح القضاء فتحقق برفعه على الصليب حاملاً ثمن خطايانا في جسده، متممًا العدل الإلهي من جهتنا فيه. وأما روح الإحراق، فيعني ما سبق فأعلنته الشريعة في سفر اللاويين عن "المحرقة" حيث تُحرق الذبيحة تمامًا إشارة إلى الحب الكامل... فذبيحة المسيح التي باسمنا هي "المحرقة" التي قُدمت علامة حبنا الكامل فيه نحو الآب. وربما قصد بروح الإحراق أيضًا الروح القدس الناري الذي حلَّ على الكنيسة لتقدسيها وغسل كل عضو فيها.

❖ في آخر الأيام عندما جاء ملء زمان الحرية قام الكلمة بغسل قدر بنت صهيون بنفسه، إذ غسل بيديه أقدام التلاميذ (يو 13: 5).

[1031] القديس إيريناؤس

❖ الحميم (بالمعمودية) الروحي الممتاز يزوع فساد النفس.

[1041] القديس إكليمنضس السكنوي

يُعلق القديس إكليمنضس السكنوي على القول "نقى دم أورشليم" بالقول: [هنا دم الجريمة وقتل الأنبياء [1051]، فمن جدد المسيح إنما اشترك مع آبائه في قتل الأنبياء أما من قبله فقد تنقى في أعماقه وتقدس.

4. حلول المسيح وسط كنيسته:

تغتسل الكنيسة بروح القضاء وروح الإحراق أي خلال ذبيحة المحرقة الفريدة التي قدمها السيد المسيح ويعمل روح القدوس في مياه المعمودية فتطلب حلول عريسها الذبيح في وسطها، يستر عليها نهرًا كسحابة تظلهم ويقودها ليلًا كعمود دخان وعمود نار يضئ لها الطريق. هكذا تعود الكنيسة

بذاكرتها إلى خيمة الاجتماع في وسط البرية حيث كان الله يجتمع فيها مع شعبه، لكنها خيمة جديدة على مستوى مغاير لخيمة العهد القديم، وذلك منجهة:
أ. "على كل مكان" [5] ، لم تعد الحضرة الإلهية أو الحلول الإلهي قاصواً على خيمة أو على هيكل إنما يحل في كنيسته الممتدة في كل مكان، في المشرق والمغرب؛ يسكن في قلوب الكهنة والشعب، أبوابه مفتوحة لكل الشعوب والأمم أينما وجوا.

ب. "وعلى محفلها" : يُشير هذا التعبير على عمل الله في الكنيسة كمحفل واحد، أو جماعة واحدة، يتمتع كل عضو فيها بعطية الحلول الإلهي لا كقود منغول وإنما كعضو حي في الجماعة يرتبط مع بقية الأعضاء خلال المسيح رأس؛ له علاقته الشخصية مع الله التي تريده اتحاداً مع اخوته.

ج. "يخلق... سحابة ودخاناً ولمعان نار ملتهبة"؛ يكون السيد المسيح هو سر حماية كنيسته واستلرتها.

د. بقوله: "لأن على كل مجد غطاء" يعني أن مجد ابنة الملك من داخل (مز 45) ، مخفي فيها. من الخرج تُشرك مسيحها آلامه وصلبه وموته وقوه فيقال عنها ما قيل عن عريستها: "لا صورة له ولا جمال فنظر إليه، ولا منظر فنشتهيه" (إش 53: 2)؛ وفي الداخل تُشركه مجد قيامته.

النفس التي تترك قيمة مجد مسيحها الداخلي وبهجة ملكوته فيها تغطيه لأنه ثمين... فقد اعتدنا أن نخفي ما هو ثمين ونحافظ عليه أما ما هو بلا قيمة فلا يحتاج إلى غطاء أو حفظ. الكنيسة في انشغالها بمسيحها الممجد تقول: "بين ثديي بيت" (نش 1: 13)... تُريده في أعماقها، مخفي في قلبها!

5. كنيسة المسيح مظلة وملجأ:

يحل الرب في كنيسته فيقيم منها مظلة تقي النفوس المتألّمة العريضة من حر النهار، وتضمها من السيول والأمطار (إش 4: 6).

وي القديس يوحنا الذهبي الفم أن هذه المظلة هي سحابة القديسين العظيمة (عب 12: 1) قائلاً: إيان تذكّار القديسين يُقيم النفس التي تنقلت بالويلات ويودها، فيكون كسحابة تحفظها من أشعة (الشمس) الساخنة جداً والمحرقة [1106].



الأصاحح الخامس

نشيد الكرامة

في الأصاح السابق تلامس إشعاع النبي مع محبة الله الفائقة نحو شعبه والمعلنة خلال التجسد الإلهي من أجل تقديس البشرية بروح القضاء وروح الإحراق... بهذا انفتحت بصورة النبي على حب الله لعروسه أو لكرمه فصار يتغنى بنشيد الكرامة، أو نشيد الحبيب للكرامة المشتهة.

1 . رعاية الله لكرمه [2-1].

2 . محاكمة بين الله وكرمه [7-3].

3 . عرض تفصيلي لخطايا إسرائيل [23-8].

4 . تأديب إلهي [25-24].

5 . الغزو الآشوري [30-26].

1 .رعاية الله لكرمه:

"لأشدنَّ عن حبيبي نشيد مُحبِّي لكرمه. كان لحبيبي كرم على أكمة خصبة، فنقبه ونقي حجرته وغرسه كرم سورك وبنى برجًا في وسطه ونقر فيه أيضًا معصرة، فانتظر أن يصنع عنبًا فصنع عنبًا رديًا (بريًا)" [1-2].

يعلن هذا النشيد قصة الحب الإلهي، حيث أحب الله الإنسان ولا زال يحبه ووعاه، ويبقى الله مستورًا في حبه بينما يقابل الإنسان الحب بالجفاف. تحققت هذه القصة مع أبونا الأولين آدم وحواء، وتحققت أيضًا مع شعب الله في بداية نشأته، إذ يقول موسى النبي: "إن قِسْمَ الرب هو شعبه، يعقوب حبل نصيبه؛ وجده في أرض قفر وفي خلاء مستوحش خرب؛ أحاط به ولاحظه وصانه كحديقة عينه" (تث 32: 9-10). أخرج الله شعبه من العبودية لا ليهبه الأرض التي تفيض عسلًا ولبنًا فحسب وإنما ليقوم كنيسة العهد الجديد التي تملأ الأرض كلها، تتعم بملكوته الله الداخلي، وكما يقول المرنم: "كومة من مصر نقلت، طردت أممًا وغرستها، هيأت قدامها فأصلت أصولها، فملأت الأرض" (مز 80: 8-9).

واضح أن "الكومة" هنا تُشير إلى الشعب كله: مملكة إسرائيل ويهوذا؛ فماذا قدم الرب لشعبه المحبوب لديه؟
أ. أقامهم على "أكمة خصبة" [1] ، إذ دخل بهم إلى كنعان التي تفيض لبنًا وعسلًا، فما يحل من جفاف وما يحدث من مجاعات لا يرجع إلى طبيعة الأرض أو ظروف المنطقة إنما هو ثمر لخطايا الشعب.

أقام الله كنيسة العهد الجديد على أكمة خصبة، فقد رفع قلبها كما إلى السماء لكي يتمتع أبناءها بدسم الحياة السماوية، فيشبعون ولا يعتزلون إلى شيء.

ب. "نقبه (سبَّح حوله)" [2] ، هذا السياج هو الناموس الذي أحاط به الرب شعبه قديما حتى لا يختلط بالأمم الوثنية المحيطة به فينقل عنهم الرجاسات. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [الشريعة هي سياج، صنعت من أجل الأمان (إش 8: 20)] ^[1071]. وى القديس أمبروسيو أن السور هو "العناية الإلهية بحفظ الكرم من هجوم الوحش الروحي" ^[1081]. ووى القديس جيروم أنه حواسة الملائكة ^[1091].

ج. "ونقَّى حجرته" [2] : تُشير الحجر إلى العبادة الوثنية حيث كانت الأصنام الحجرية، هذه التي أتوَعها الرب من وسط شعبه أو أتوَع شعبه منها ليعيش الكل في حياة تقوية لائقة. كما تُشير الحجر أيضًا إلى طبيعة القسوة والعنف التي يورديننا يسوع أن ينوَعها من كل قلب بعمل روحه القنوس. جاء على لسان حزقيال النبي "أزوع قلب الحجر من لحمهم وأعطيتهم قلب لحم" (حز 11: 9) . هذا القلب الجديد والروح الجديد (حز 36: 26) إنما يتحقق بنوالنا الميلاد الروحي الجديد في مياه المعمودية المقدسة. يقول القديس كبريانوس: [إنها المعمودية التي فيها يموت الإنسان القديم ويولد الإنسان الجديد كما يعلن الرسول مؤكدًا أنه خلصنا بغسل التجديد (تى 3: 5)] ^[1101].

د. " غرسه كرم سورك (كرمًا مختلًا)" [2] ، أي غرسه كرمًا من أفضل أنواع الكروم، كشعب مختار نال عهدًا مع الله، لكي يحمل "الحق" فيه، كقول الرب: "وأنا قد غرستك كومة سورك زرع حق كلها، فكيف تحولت لي سروع جفنة غريبة؟!" (إر 2: 21).

أما بالنسبة لكنيسة العهد الجديد فقد جاء "الحق" نفسه، كلمة الله المتجسد ليُقدم نفسه كرم يحملنا فيه أغصانًا حية تأتي بثمر كثير (يو 15: 5).
هـ. " وبنى برجًا في وسطه" [2] ، يسكن فيه صاحب الكرم أو الوقيب لحواسة الكرم من هجمات اللصوص والحيوانات المفترسة. وى بعض الدارسين أن الراج هو جماعة الأنبياء والكهنة وكل القيادات الروحية والمدنية التي كان يجب أن تسهر على الوعية وتحفظها من الثعالب الصغرة المفسدة للكروم.

في العهد الجديد الراج هو مذبج الرب الذي يُقام داخل النفس، عليه يقدم المؤمن صلواته وأصوامه وعطاياه وكل حياته ذبيحة محرقة للرب، خلال اتحاده بالمسيح الذبيح. خلال هذا الراج الروحي تُحفظ كنيسة المسيح في كل قلب قوية وفعالة، حيث يتمتع المؤمنون بشركة واتحاد مع الرب نفسه.
و. " ونقر فيه معصرة" [2] ، لعصر العنب وعمل خمر الحب الذي يقدم للروح الروحي. ما هذه المعصرة إلا صليب ربنا يسوع المسيح الذي اجتاز المعصرة وحده ولم يكن معه أحد من الأمم (إش 63: 3). قدم دمه المبذول خمر حب يوح كل قلب مؤمن.

يقول القديس أمبروسيوس: [حفر معصوة، لأن أسوار آلام المسيح تبدو كالخمر الجديد... وقد ظن الجمع أن التلاميذ سكرى حين نالوا الروح القدس (أع 2: 13). حفر حوض معصوة لكي يُسكب فيه الثمر الداخلي].^[1111]

يقول القديس إيريناؤس: [غرس الله كرم الجنس البشري عندما خلق آدم أولاً واختار الآباء، ثم أودعه في أيدي الكوامين عندما أقام التدبير الموسوي، وسيج حوله بتقديم تعاليم خاصة بعبادتهم له، وبنى وجًا باختياره أورشليم، وحفر معصوة إذ أعد وعاء للروح النوي. وهكذا أرسل أنبياء قبل سبي بابل ثم أنبياء أكثر (أثناء السبي وبعده) يطلب الثمار...].^[112]

ماذا قدم الكرم لصاحبه؟

" فانتظر أن يصنع عنبًا فصنع عنبًا رديًا (بريًا)" [2] . أنتظر الرب أن يجتني حُبًا مقابل الحب، وتوبة وندامة مقابل غوان خطاياها، لكنه وجد قلوبًا متحوّلة لا تصنع ثمرًا تليق بالتوبة. الكل زاغوا وفسدوا وأعزهم مجد الله، لذا كان يليق بكلمة الله أن يقول إلينا ككرم جديد، هو وحده يغرسنا فيه فنأتي بثمر كثير (يو 15: 5).

❖ عندما يقول: "أنا هو الكومة الحقيقية" (يو 15: 1) يميز نفسه دون شك عن تلك التي وجه إليها الكلمات: "كيف تحولت لي سرور جفنة غريبة؟" (إر 2: 21) ، إذ كيف يمكن لكومة حقيقية يُنتظر أن تصنع عنبًا فصنعت شوكة؟!^[113] .

❖ انتظرت أن تصنع ثمرًا فوجدت خطية.^[114]

القديس أغسطينوس

❖ اشتقت أن تعطى (الكومة) خرمًا فأخرجت شوكة. ها أنتم ترون الإكليل الذي أتين به.

^[115] القديس كيرلس الأورشليمي

2. محاكمة بين الله وشعبه:

ليس أصعب من أن يدخل كائن ما في محاكمة مع ابن محبوب لديه، لكن أمام قسوة قلب الإنسان وجحوده طلب أن يقف أمام شعبه للحوار، متسائلًا: " ماذا يُصنع أيضًا لكرمي وأنا لم أصنعه؟! " [4] . والعجيب أنه ترك الحكم للطرف الآخر، لمقاوميه، حتى يحكموا بأنفسهم على أنفسهم. هذا هو أسلوب الله في تعامله معنا، يفضح أماننا نفوسنا، ويكشف أمام أعيننا ضعفاتنا، ويترك لنا أن نحكم على أنفسنا بأنفسنا، ليس لأنه يُريد أن يغلب أو يعاقب وإنما لأنه يطلب رجوعنا إليه ودخولنا في علاقات حب وود معه.

ماذا كان يمكن أن يصنع الله معنا أكثر مما فعل؟! لقد خلقنا من العدم، وأقامنا على صورته ومثاله، وسلمنا الأرض بما عليها وما تحتها وما فوقها، وقدم الكواكب لحسابنا، وعندما فسدت طبيعتنا أرسل لنا ناموسه وأنبياءه وأخرًا جاء بنفسه يكتب نشيد حبه بالدم في جسده على الصليب! إذ لم يجد الكرم ما يُجيب به على الكرام العجيب في حبه، بدأ الكرام يعلن تأديباته حتى يتحرك الكرم، ألا وهي:

أ. " أتوع سياجه فيصير للوعى" [5] . أن كان ملاك الرب حال حول خانفيه (مز 34: 7) ، بل والرب نفسه يكون سور نار حول شعبه (ك 2: 5) ، فإن الله في محبته يتخلى عن المقاومين ويؤزع عنهم الحراسة السماوية ليتركوا ضعفهم، ويشعروا أنهم بلا سياج ولا سور، تدخل إليهم الحيوانات المفترسة لوعى كما في قفر أو في بوية جرداء، لعلهم يرجعوا إلى الله ويطلبونه ملجأ لهم.

إن وُعت نعمة الله عن الإنسان يصير بلا سياج، وتفتح نفسه على محبة العالم، لتدخل قطعان خنزروه الدنسة وتخرج بلا عائق، ويصير قلبه موسسًا بالشهوات النجسة وأفكله هائمة في الرجاسات، وتتحدر حواسه إلى الشهوة الرديئة.

وكما يقول القديس إكليمنضس السكثوي: [إن هذه الأمور (زوع السياج والسماح للأعداء بالدخول) يتحقق بسماح إلهي ليحولها للخير والبنيان. فإن [العناية الإلهية هي فن تأديبي].^[116]

ب. " اجعله خراباً لا يُقضب ولا ينقب" [6] . إذ يفرق الرب كرمه أي النفس البشرية تصير في فراغ وتُحسب خراباً. بيكيها الرب كما بكى على أورشليم، قائلاً: "هوذا بيتكم يتروك لكم خراباً" (مت 23: 38).

حين يثمر الكرم يقوم الكرام بالقضب والنقب لكي يأتي بثمر أعظم، أما إذا أثمر عنباراً فلا يمد يده إليه. فان كان القضب والنقب يشوان إلى تأديبات الرب الحانية نحو أولاده، فإننا إذ نسلك معه في الطريق يمد يده إلينا كأولاد له يهتم بنا ووعانا وأيضاً يؤدبنا حتى ترداد في ثمر الروح. فعدم القضب والنقب يشوان إلى عدم التأديب، وهذا هو أفسى أنواع العقوبة... التجاهل التام وعدم الاستحقاق حتى للتأديب. وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: [إنه حينما يتوقف الطبيب عن تقديم الدواء المرُّ أو استخدام المشروط هذا يعني أن حالة المريض ميؤس منها تماماً.

ج. " فيطلع شوك وحسك" [6] . هذا ثمر اعوَال الإنسان الله وانفصاله عنه، إذ ينبت من عندياته شوكاً وحسكاً. يقول الرسول: "وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق" (رو 2: 28).

ما هو هذا الشوك إلا فقدان الإنسان سلامه ليحمل في داخله متاعب وهموم لا يقدر أن يجابها بنفسه وحده؟!
د. " وأوصى الغيم أن لا يمطر عليه مطراً" [6] . يُشير المطر في العهد القديم إلى عطية الروح القدس ^[1171] ، فإن الإنسان الجاحد للرب الذي يطلب الانفصال عنه يخسر سكنى الروح فيه، فيتحول قلبه إلى قفر، لا يحمل ثمر الروح. لهذا عوض أن يثمر "الحق" إذا به يثمر "سفك دم"، وعوض "العدل" يثمر "صواخاً" [7].

يطلب الرب أن يجد فينا جنته المثوبة بالروح، حيث تُناجيه النفس قائلة: "ليأت حبيبي إلى جنته ويأكل ثمره النفيس" [16] . لكن حرمان النفس من المطر الروحي يحول الجنة المبهجة إلى موضع موعب ليس فيه سوى سفك دم وصواخ مستمر !

رى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن المطر في الكتاب المقدس يُشير إلى التعليم ^[1181] . هكذا إذ يجحد الإنسان الله يحرم نفسه من التمتع بتعليم الرب في أعماقه؛ بؤاً كلمة الله وربما يبرسها لكنه لا ينعم بفاعليتها وعزوبتها في أعماقه. هذا ما أعلنه **القديس أغسطينوس** ^[1191] في أول وعظة له على الإنجيل بحسب معلمنا متى البشير قائلاً: [إنه كان كعصفور صغير في عش، في كوياء قلبه رُاد الطوان بنفسه، درساً الكتاب المقدس بروح النقد، فسقط على الأرض وكان الملة أن يسحقه تحت أقدامهم لولا نعمة الله التي انتشلته وردته إلى عش الإيمان حتى صار له جناحان يقدر بهما على الطوان.

رى **القديس أغسطينوس** أن المطر هنا يُشير إلى الكررة التي أنتقلت من الكرم (الشعب اليهودي) إلى الأمم ^[1201] .

يقول: " إن كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل وغرس لذته رجال يهوذا. فانتظر حقاً فإذا سفك دم وعدلاً فإذا صوخ" [7].
لقد قدم الله كل الإمكانيات لكل الجماعة: للكهنة واللاويين كما للشعب، للغني كما للفقير، للمتعلم كما للأمي لكي يثمر هذا الكرم "حقاً" و"عدلاً"، وقد جاء "الحق" متجسداً من سبط يهوذا لكنهم سفكوا دمه وعوض العدل كان الصواخ: "أصلبه، أصلبه".

3 . عرض تفصيلي لخطايا إسرائيل:

بعدما كشف الرب عن حبه لكرمه ورعايته الفاتقة له، وكيف حرم الكرم نفسه من الثمر الحلو الروحي أو من الخمر الموح فصنع أشواكاً صفوت إكليلاً على رأس السيد المسيح، بدأ يستعرض أهم خطايا الشعب وثمرهم الودئ الذي جلب ويلات مؤرة عوض التمتع بركات الرب وشركة أمجاده.

أ. " ويل للذين يصلون بيتاً ببيت، ويقرونون حقلاً بحقل، حتى لم يبق موضع، فصرتم تسكنون وحدكم في وسط الأرض" [8] . يعني بهذا أنهم انهمكوا في شواء البيوت والحقول بكل الطرق، في أنانية حتى لم يتروك الواحد موضعاً لأخيه، خاصة الفقير والمحتاج. لقد ملكت قلة قليلة الأرض الزراعية والبيوت لتستغل عامة الشعب، وذلك على خلاف الناموس الذي طالب أن تبقى الأراضي موزعة بالتسوي (عد 33: 54) وأنه في سنة اليوبيل

يعود للكلمة ملكيته (لا 25).

الأرض في كنعان هي عطية مجانية قُدمت للشعب كله ليعيش الجميع في رخاء يتمتع بما تفيضه من لبن وعسل، كأنها ملك للرب الذي يقدمها لهم. لكنهم بتصرفاتهم هذه ارتكبوا خطية الجشع وأيضًا الكبرياء مع العصيان وكسر الناموس. لذا انتزعت البركة وحلت اللعنة، فتصير البيوت خرابًا بسبب الموت أو السبي، ففي لحظة مات 185 ألفًا في الحرب. هذا ولا تثمر الحقول كالعادة، فعشيرة فدادين كرم تنتج بئًا (حوالي 27.5 كيلو حرام) عوض حوالي 500 بئًا؛ وحومر (283.5 كيلو حرام) البذار يصنع ايفه (عشر حومر حرز 45: 11)، أي يبلغ المحصول عُشر البذار التي أُقيت في الأرض.

ب. "ويل للمبكرين صباحًا يتبعون المسكر، للمتأخرين في العتمة تلهبهم الخمر" [11]. إن كان الويل الأول منصبًا عليهم بسبب الطمع والظلم فالثاني بسبب اللهو الوائد. صلوا يسكرون في الصباح المبكر عوض قيامهم للعمل وأيضًا يبقون حتى ساعة متأخرة بالليل، أي يسكرون نهلاً وليلاً. هكذا يكسرون الوصايا الإلهية: "الإنسان يخوج إلى عمله وإلى شغله إلى المساء" (مز 104: 23). تحولت حياتهم عن الفرح الروحي المموج بجديّة الحياة والعبادة إلى اللهو المموج وخلوة يستخدمون كل آلات الطرب [12] مع الانشغال بإقامة ولائم لإثارة مشاعرهم وأحاسيسهم للشر، متجاهلين الحياة التقوية في الرب. وكما يقول عاموس النبي: "الهائرون مع صوت الوباب المخزوعون لأنفسهم آلات الغناء كداود، الشربون من كؤوس الخمر والذين يدّهنون بأفضل الأدهان ولا يعنمون على انسحاق يوسف؛ لذلك الآن يسبون في أول المسيبين ويزول صياح المتتمدين" (عا 6: 6-7).

❖ أنظر كيف يلوم الله الترف أيضًا؛ فإنه لا يدينهم هنا على طمع اقترّفوه وإنما لمجرد التبذير. ها أنت تأكل بتخمة والمسيح ليس له ما هو ضروري. *Thasian* أنت تأكل كعكًا متوعًا والمسيح ليس له الخبز الجاف. أنت تشرب خورًا من ولا تمنح المسيح كأس ماء بلرد خلال من هو ضامن. أنت ترقد على فراش ناعم مطرز وهو يهلك بردًا.

[\[1211\]](#) القديس يوحنا الذهبي الفم

أما عمل اللهو فهو سبي الإنسان الداخلي عن معرفة الحق، ليعيش أسيرًا للجهالة، يوع ويعطش داخليًا، ولا يوجد ما يشبعه أو يرويه. يقول النبي: "لذلك سبى شعبي لعدم المعرفة وتصير شوفؤه رجال جوع وعامتة يابسين من العطش" [13]. يقول الحكيم: "لأن السكر والمسرف يفتوان والنوم يكسو الخرق" (أم 13: 21). خلال اللهو يفقد الإنسان وعيه الداخلي لينحدر الهاوية، التي تفتح أبوابها على مصواعيها لتبتلع بغير حنود. بهذا يفقد الإنسان بهاءه وبهجته [14]، ويسقط في مذلة [15].

هذا هو الثمر المر الذي يجتنيه السالكون في الباب الواسع، باب اللهو الدائم لاشباع الشهوات الزمنية. أما ما هو أخطر فهو هلاكهم الأبدي إذ يقول: "لذلك وسعت الهاوية نفسها وفتوت فاهها بلا حد فينزل بهؤها وجمهورها وضجيجها والمبتهج فيها" [14]. يصور الهاوية *Sheol* أشبه بانفتاح الأرض لابتلاع الأثوار كما حدث مع قورح جماعته... تتفتح لتطلب المزيد، تبتلعهم إلى الأعماق ليبقوا في الظلمة إلى الأبد.

هذا ما يحدث بالنسبة للمنشغلين بحياة الترف واللهو، أما بالنسبة للرب الجنود فإنه يتمجد ويتقدس بإدانته للخطية بالعدل والبر [16]. ربما يتساءل البعض: ما هو حال البقية القليلة الآمنة للرب؟ يجيب النبي: "ووعي الخواف حيثما تساق وخرب السمان تأكلها الغرباء" [17]. زعى الخواف - القطيع الصغير - حيثما يقودها الراعي الصالح، يسوع المسيح، إذ يحفظها من الظلم والاضطهاد. هؤلاء يأكلون في هوء وأمان نون أن زعجهم أحد (خر 34: 14). عندما تخرب كنيسة العهد القديم برفض اليهود الإيمان بالسيّد المسيح توث الأمم (الغرباء) المواعيد والعهود والشريعة والنوات الخ...

ج. "ويل للجاذبين الإثم بحبال البطل، والخطية كأنه يربط العجلة" [18]. هذا الويل الثالث يحل بطالبي الخطية وغبة شديدة واجتهاد، يسعون

إليها بمحض اختيلهم ويدفعون أنفسهم إليها دفعًا أو يسحبونها بقوة نهمهم. هؤلاء يحل بهم الخطر إذ يسقطون

في حبال الباطل ويرتبطون بعجلة الخطية ليصيروا ملاصقين لها.

إنهم يجتذبون الخطية كما بحبل، وإذ هي ثقيلة للغاية تنهار على رؤوسهم فتُحطمهم.

وي بعض الآباء أن الأثوار ينحدرون من خطية إلى خطية وكأنهم يصنعون حبلًا طويلاً يسحبهم نحو الشر في عبودية... كل سقوط يؤدي إلى سقوط آخر وكل انحدار يُسبب انحدراً أكثر، فعوض أن يفكر الشير في الصعود ينهار أكثر فأكثر.

❖ حقاً، كل إنسان يضفر لنفسه حبلًا بخطاياها: "ويل للجاذبين الإثم بحبل طويل" [LXX 18].

من الذي يصنع حبلًا طويلاً؟ ذلك الذي يُضيف خطية إلى خطية.

كيف تُضاف خطية على أخرى؟ حينما تُغطي على خطية لتكبت بخطية أخرى ^[122].

❖ ^[123] عندما يُهدد (الأثوار) بقتل الأوار، إنما يربطون أنفسهم بقيود، بحبل قوى خشن هو من عندياتهم.

❖ ^[124] طوبى للذين بالعمل والأخلاق يرمون تسابيح المصاعد (الوجات)، وويل للذين يسحبون الخطية كحبل طويل (فينحدرون معها).

القديس أغسطينوس

بجانب ما للخطية من خطورة أنها تسحب الإنسان إلى سلسلة من الخطايا، فتجعله أشبه بكوة تلهو بها الخطايا فإن الخطر الثاني هو أنها تبعث روح الاستخفاف والسخرية عوض رغبة الإنسان في التحرر منها، فيردد الأثوار: " ليسوع ليعجل عمله لكي نرى، وليقرب ويأتي مقصد قنوس

إسرائيل لنعلم" [19]. إنهم يشكون في إمكانية قضاء الله، فيحسبون أنهم قادرون على مواجهته بواهين وحجج. في استخفاف يرددون "قنوس إسرائيل"

اللقب الذي استخدمه الأنبياء بالنسبة لجائهم في مجيء المسيح المخلص... وكأنهم يضيئون بهذا الرجاء عرض الحائط.

في كل عصر يوجد أثوار يستهينون بطول أناة الله ويسخرون بمواعيده ومحبته كما بتأديباته ظانين أنها مجرد كلمات أو أوام لن تتحقق: "ها هم يقولون لي: أين هي كلمة الرب؛ لتأت" (إر 17: 15).

"قد طالت الأيام وخابت كل رؤيا" (جز 12: 22).

"سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئون سالكين بحسب شهوات أنفسهم وقائلين: أين هو موعد مجيئه لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باقٍ هكذا من بدء الخليقة" (2 بط 3: 4).

د. "ويل للقائلين للشر خيراً وللخير شراً، الجاعلين الظلام نوراً والنور ظلاماً، الجاعلين المرّ حلوً والحلو مرّاً" [20]. يسقط الويل الرابع

على الذين يخلطون بين الحق والباطل، الخير والشر، النور والظلمة، الحلاوة والمرارة، المعرفة والجهل. هؤلاء يعطون الخطية مسحة الفضيلة كأن يبرروا الغضب بالدفاع عن الحق أو إدانة الآخرين تحت ستار الرغبة في الإصلاح الخ...

وي القديس إكليمنضس السكنوي أن هذا الويل هو تهديد ضد الكاذبين والمتكبرين ^[125]. الله هو الحق وإبليس هو الكذاب وأبو الكاذبين، من

يعرف إرادة الله يعرف الحق ويسلك في الخير، أما من يتجاهل الإرادة الإلهية فإنه يروج من دائرة الحق ليعيش في الكذب، وبهذا يفقد قدرته على التمييز وإبراك الخير أو النور أو المعرفة الصادقة للسمويات والإلهيات.

ه. ادعاء الحكمة والفهم مع الاستخفاف براء ومثورة الغير: "ويل للحكماء في أعين أنفسهم و الفهماء عند نواتهم" [21].

❖ من ينشغل بذاتيته ولا يطلب مشورة الغير، إنما يحمل علامة الغلوة. قيل: "أرأيت رجلاً حكيماً في عيني نفسه؟ الرجاء بالجاهل أكثر من الرجاء به" (أم 26: 12).

القديس يوحنا الذهبي الفم ^[126]

و. الأبطال المفسدون لطاقتهم: "ويل للأبطال على شرب الخمر ولنوي القوة على مزج المسكر" [22]. حينما تشغل القيادات بالولائم والترّف

والسكر تفقد بورها الحقيقي؛ هكذا كثوًا ما نفسد طاقاتنا بأنفسنا بانحرفنا عن هدفنا الجاد وانغماسنا في ملذات هذا العالم.

ز. أخذ الرشوة: " الذين يبررون الشرير من أجل الرشوة، وأما حق الصديقين فيؤعونه منهم" [23].

4. تأديب إلهي:

بسبب الخطايا التي ارتكبتها الشعب حمى غضب الرب كلهيب نار يحرق القش ليجعلهم أشبه بالغبار [24]. لقد سمح بتأديبهم بحزم شديد حتى ارتعدت الجبال وصلرت جثثهم ملقاة في الأرقعة. هنا يعني ما حل بشعب الله خلال الغزو الآشوري العنيف. وسط هذا اللهب يقول: "مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد" [25]؛ لا زال مملوء حبًا ينتظر عودة الإنسان إليه!

5. الغزو الآشوري:

يقدم لنا النبي وصفًا هيبًا لجيش آشور في غزوه شعب الله. هذا الوصف يكشف عن غزو العدو الخبير للنفس البشرية، بعنف وثراسة ومثاوة، وفي نفس الوقت يوبخ المؤمنين المتواخين؛ فالأشوار من أجل غنيمة زمنية لا يكفون حتى يحققوا هدفهم بينما ولاد الله يواخون في نوال شركة المجد الأبدي.

أ. " ليس فيهم روح (متعب)" [27] . بالرغم من طول المسافة التي يقطعونها والصعوبات التي تواجههم لكنهم لا يشعرون بتعب من أجل رغبتهم القوية في التمتع بالغنيمة... بينما كثوًا ما تواخى نحن المؤمنون في جهادنا الروحي تحت دعوى الإهاق أو التعب.
ب. "ولا عاثر" [27] بالرغم من وعرة الطريق؛ ربما لأن الله دعاهم لتأديب شعبه فسهل لهم الطريق. كان أولى بنا نحن ألا نخاف وعرة الطريق فإننا مادمنًا في يد مسيحنًا "الطريق" لا نتعثر قط.

ج. " لا ينعسون ولا ينامون" [27] من أجل الهدف الوهمي والشهير الموضوع أمامهم. أفما يليق بنا نحن المؤمنون ألا ننعس ولا ننام بل نبقي في يقظة الروح حتى نحقق غاية رسالتنا؟!
د. " ولا تنحل حزم أحقائهم ولا تنقطع سيور أحميتهم" [27] ، أي جادين ومتشددين للعمل. لقد أوصانا الرب: "لتكن أحقاؤكم ممنطقة" (لو 12: 35) ، حتى نتمم خدمة الرب بقوة.

هـ. " سهامهم مسنونة وجميع قسيهم ممدودة، حوافر خيلهم تُحسب كالصوان وبكواتهم كالزوبعة" [28] . مستعدين بأسلحتهم وعدتهم، كي يحلوا بقوة ولمدة طويلة وبسعة خاطفة فيحققوا الهدف. يليق بالمؤمنين أن يستعدوا ضد معركة إبليس بأسلحة الإيمان الروحية التي تحدث عنها الرسول بولس بأكثر توسع (أف 6).

و. " لهم زمجرة كاللوة، ويؤمرون كالشبل، ويهرون ويمسكون الفريسة ويستخلصونها ولا منقذ" [29] . إنهم يحملون صورة سيدهم إبليس، الذي يجول كأسدزائر يلتمس من يبتلعه (1 بط 5: 8) . كان يليق بالمؤمنين أن يصحوا ويسهروا مقاومين هذا العدو اسخين في الإيمان (1 بط 5: 8-9) القادر أن يُحطم العدو.

لقد تقدم الحمل - رب المجد يسوع - كأسد خرج من سبط يهوذا (رؤ 5: 5) حتى لا يهزمنًا إبليس بل نقاومه بالرب ونُحطم طاقاته.
ز. " يهرون عليهم في ذلك اليوم كهدير البحر" [30] ، إذ يسقط عليهم الجيش بأصوات الجند كهدير البحر الذي لا يُقاوم، يكتسح ويبتلع كل ما هو أمامه... وكأنه لا أمل لهم في النجاة من آشور.

ح. أخوًا يفقد الشعب كل رجاء فإنه " إن نظر إلى الأرض فهذا ظلام الضيق والنور قد أظلم بسحبها" [30] . وقت الضيق يرفعون عيونهم لعلمهم يجدون منفذًا للخلاص، لكن الظلام يُخيم على أفكلهم، وسحب الدخان الصاعدة من الحوائق تُحطم كل أمل عندهم. لقد رفضوا الله "النور الحقيقي" فملك الظلمة على أعماقهم. لهذا يصوح الموتل: "بنورك يلب نعاين النور" (مز 36: 9).

الأصاحح السادس

رؤيا إشعيا و دعوته

يسجل لنا إشعيا النبي رؤياه الشهيرة، إذ رأى الله القنوس جالساً علي كرسي عالٍ ومرفوع وأذنيه تملأ الهيكل، رآه في مجده الفائق تسبحه طغمة السوافيم، وقد عهد إليه بخدمة النوبة المقدسة.

يتساءل البعض: هل تمتع النبي بهذه الرؤيا قبل تنوّه بما ورد في الأصحاحات السابقة أم جاءت بعدها؟ ولماذا لم يفتح النبي السفر بها؟

1. رؤيا النبي في الهيكل [4-1].

2. تقديس فم إشعيا [7-5].

3. رسالية إشعيا النبي [13-8].

1. رؤيا النبي في الهيكل:

" في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالساً علي كرسي عالٍ ومرفوع وأذنيه تملأ الهيكل " [1].

تمتع النبي بهذه الرؤيا في سنة وفاة عزيا الملك، ربما بعدما أعلن نواته السابقة والتي حملت تهديداً للشعب، فقابلها الشعب بنفور واستخفاف، لهذا كشف له هذه الرؤيا ليعلمها للشعب مؤكداً أنه يحمل رسالة إلهية، يقدم كلمة الله. ولعل هذه الرؤيا قد تحققت قبل النوات وإنما أعلنها النبي بعد ذلك ليؤكد للشعب أن ما ينطق به ليس من عندياته، وذلك كما فعل القديس بولس حين أراد تأكيد رسوليته بالحديث عن الرؤيا التي شاهدها في بداية خدمته (2 كو 12).

ظهرت الرؤيا في سنة وفاة عزيا الملك الذي ملك علي يهوذا وهو ابن 16 سنة لمدة 52 عاماً وعمل المستقيم في عيني الرب، وقد نجح في كل أعماله: في الحروب وبناء مدن تعموها الخ... لكنه إذ ارتفع اسمه جداً سقط في الكبرياء ورأى أن يوقد للرب علي مذبح البخور فضربه الرب بالبرص وهو في الهيكل، وطرده الكهنة، وكان أوصاً إلي يوم وفاته، معزولاً في بيت بعيد عن قصر الملك.

لعل إشعيا كان يتابع بفرح نجاح عزيا مع استقامة قلبه ونموه في الروح لكنه

أغتم جداً لسقوطه في أيامه الأخوة، وموته هكذا معزولاً عن شعب الله، مطروداً من هيكله المقدس، ممثلاً بطلان المجد الزماني.

تطلع النبي إلي الشعب في سنة موت عزيا لواء منطقاً كغنم بلا راعي، خاصة وأن الملك كان قد اعتزل الشعب زماناً قبل موته بسبب برصه. ادرك إشعيا أن الشعب في حاجة إلي رعاية سماوية، لأن فواع البشر يعجز عن اشباع احتياجات الشعب، وكما يقول المونث: "لا تتكلموا علي الرؤساء ولا علي بني البشر الذين ليس عندهم خلاص، تخرج روحهم فيعودون إلي آباهم" (مز 146: 3).

وسط هذه العورة أعلن الرب هذه الرؤيا لإشعيا من أجل تعزيته: تحققت الرؤيا في الهيكل غالباً في وقت انقود فيه النبي للعبادة الخاصة، يصوخ إلي الله ليتسلم رعاية شعبه. ظهر له السيد جالساً علي كرسي عالٍ، ومرفوع ليؤكد له أنه هوراعي شعبه السموي، أفكره تعلقه عن أفكار البشر، وطرقه عن طرقهم. يجلس في الأعالي لكي يحمل كنيسته معه تشركه أمجاده العلوية. رأى أذنيه تملأ الهيكل، إذ حال في كنيسته ينتظر كل نفس تقبل إليه لتتمتع بالإتحاد معه. لقد رأى السيد المسيح في مجده (يو 12: 41) يملأ السماء والأرض بلاهوته ورعايته.

رى القديس يوحنا الذهبي الفم إن إشعيا وغوه من الأنبياء لم يروا جوهر اللاهوت كما هو إنما يظهر الله لهم خلال تنزله قدر ما يحتملون

الرؤيا وذلك من أجل محبته لخليقته؛ حتى بالنسبة للسمايين وحاملي عرشه فإن كل منهم واه قدر احتمالته أما الجوهر في ذاته أى في كماله المطلق فلا يمكن إيراكه ^[127].

❖ يصيح السواقيم قائلين: قوس قوس قوس رب الصبؤوت... إن القوات العلوية يأخذ منها الوعب كل مأخذ بغير انقطاع، فهي تدير وجهها وتبسط أجنحتها كحائط، يقيها من الاشعاع غير المحتمل الصادر من قبل الله، ومع ذلك فما تراه إنما هو صورة مصغرة للحقيقة...
بينما لا يقوى السواقيم حتى علي مشاهدة الله الذي لا يتجلي لهم إلا كتنزل منه حسب ضعفهم، زى أناساً تجاسرون متصورين في عقلم الطبيعة عينها التي يعجز السواقيم عن إيراكها. إنهم زعمون أنهم قادرون علي التطلع إليها بوضوح وبغير حدود!
رتعدي أيتها السموات واندھشي أيتها الأرض ^[128].

❖ حقاً إن الله حتى بالنسبة لهذه الطغمتا غير مُتوك، ولا يمكن الدنو منه. لهذا فهو يتنزل ليظهر بالطريقة التي وردت في الرؤيا. الله الذي لا يحده مكان ولا يجلس علي عرش... من قبيل محبته لنا يظهر جالساً علي عرش وتحيط به القوات السماوية. ^[129]

❖ هذه (رؤى الأنبياء) إعلانات، كلها أمثلة عن تنزله، وليست رؤى لجوهره بالكشف عنه. لأنهم لو نظروا جوهره ذاته لمارؤه تحت أشكال مختلفة، إذ هو بسيط، بغير شكل ولا أعضاء ولا أساليب محددة، طبيعته لا تجلس ولا تقف ولا تمشي... ^[130]

القديس يوحنا الذهبي الفم

" السواقيم واقفون فوقه، لكل واحد ستة أجنحة، باثنين يغطي وجهه وبأثنين يغطي رجليه وبأثنين يطير. وهذا نادى ذاك وقال: قوس، قوس، قوس رب الجنود، مجده ملء كل الأرض" [2-3].

لعل ما يُؤى نفس الخادم هو أن يرتفع قلبه لوى الخدمة الملائكية، فيتحقق أن كل متاعب الكنيسة وضعفاتها تنتهي يوماً ما لتتوكل مع السمايين في التسبيح أدياً. وأن الكنيسة هنا - كأيقونة السماء - تتمتع بعربون الخدمة السماوية. ففي إحدى العظاا القبطية تُعرف الكنيسة أنها: [موضع تغذية، هي اجتماع الملائكة وموضع الشاروبيم والسواقيم ^[131]]. قيل إن القديس باخوميوس المصري كان روى الكنيسة مملوءة بالملائكة.
السواقيم هم خدام العرش الإلهي، يحملون الوب بؤح وتهليل، يسبحونه بلا انقطاع. وكأن عمل كل خادم أو نبي في الكنيسة هو جذب كل نفس إلي الوب كعرش له يسكنه، ويقيم ملكوته داخله، فيصير أشبه بالسلروف النلري السملوي. لكل سلروف 6 أجنحة، باثنين يُغطي وجهه علامة اتسامه بالمخافة الإلهية، لا يقدر أن يترك كل البهاء الإلهي، وبأثنين يُغطي رجليه علامة الحياة - إن صح هذا التعبير- وبأثنين يطير مُحلّقاً في السمويات. هكذا يليق بنا أن نتشبه بالسلروف نعم بالمخافة الإلهية في احتشام مع نمو دائم وارتفاع مستمر نحو السمويات.

أما بالنسبة للتسبحة السلروفيمية "الثلاث تقديسات" فقد وردت في كتابات العلامة أوريجانوس؛ وربما يرجع تاريخ استخدامها بالإسكندرية إلي تاريخ سابق ^[132]. جاء في التقليد الكنسي إن يوسف الرامي ونيقوديموس اللذين اهتما بجسد الوب بعد ازاله من علي الصليب سمعاً هذه التسبحة وهما يضعان الحنوط علي جسد الوب قبل دفنه.

يقول السلروفيم: "مجده ملء كل الأرض" [3] ، لا يملأ السموات فحسب وإنما الأرض كلها. أنه حال علي الأرض ليقيم من الأرض سماء. وكما يقول القديس إكليمنس السكندري إن الأرض تصير سماءً بالنسبة للمؤمن الحقيقي. إن كان جسدنا في أصله وِاباً، فقد قبل كلمة الله طبيعتنا البشرية ليقدسها، فصار جسدنا ممجداً فيه، لا نعود نستخف به لأنه يشرك النفس تعبدها لله وجهادها واكليلها.
يلاحظ في هذه التسبحة الآتي:

أ. أن كلمة "السيد" جاءت بالجمع Adonai وليس المفود Adon . ربما لهذا السبب مع توار كلمة "قوس" ثلاث مرات رأى القديس غريغوريوس أسقف نيصص ^[133] تُعلن عن مجد الثالوث، بينما ينسبها الرسول بولس للروح القدس (أع 28: 25-26)، والقديس يوحنا للإبن (يو 12:

❖ بواسطة (السوافيم) أعلن سرّ الثالوث بوضوح، عندما نطقوا بتلك الصيحة العجيبة "قنوس" بكونها تحمل جمالاً مع مهابة لكل أقنوم من الثالوث.

[\[134\]](#)
القديس غريغوريوس النيصي

ب. دُعي الله "رب الجنود"، وهو لقب الله في معركته ضد الشر أو ضد قوات الظلمة، له معنى تعليمي [\[135\]](#)، لم يظهر في أسفار موسى ويشوع والقضاة وأيوب والأمثال والجامعة، إنما ظهر بصورة ناوثة في صموئيل وملوك وأخبار الأيام والزمامير؛ استخدم بكثرة في أسفار الأنبياء، ففي لميا استخدم حوالي 80 مرة وحجي 14 مرة، وزكريا 50 مرة، وملاخي أكثر من 24 مرة. أول من استخدمه حنه أم صموئيل في تسبحة النصوة التي نطقت بها إذ شعرت بأن الله هو سرّ نصوتها في معركتها الداخلية.

ج. تُستخدم هذه التسبحة في القداس الإلهي علامة شوكة المؤمنين مع السمائيين في العبادة علي مستوى سموي، بروح الوحدة والانسجام معاً:

❖ ليتنا نجتمع معاً بضمائرننا في اتفاق ونصوخ إليه بغوة كما بقم واحد، فنشترك في مواعيد العظيمة المجيدة.

[\[136\]](#)
القديس اكليمنديس الروماني

❖ لتتركوا بأية مهابة ومخافة ينطقون ذلك الأسم وهم يمجونه ويسبحونه؛ أما أنتم فتدعونهم في صلواتكم وطلباتكم وخوة شديدة، مع أنه كان يجب أن تمثلوا مهابة وأن تكونوا في سهر مع وقار.

[\[137\]](#)
القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الأمور الجديدة تسير في تناسق مع القديمة، والقديمة مع الجديدة. هوذا الساروفان يولان الواحد للآخر: قنوس قنوس قنوس رب الجنود. العهدان يسوان في نغم واحد، ولهما صوت واحد...

[\[138\]](#)
القديس أغسطينوس

" فاهتزت أساسات العتب من صوت الصلرخ وامتلاً البيت دخاناً" [4].

اهتوت أساسات بيت الرب أمام صوخت الساروفيم التي تمجد الله القنوس وامتلاً البيت سحاباً كثيفاً علامة حلول مجد الله فيه. وعندما دخل السيد المسيح أورشليم اهتوت أيضاً المدينة (مت 21: 10). ونحن في حاجة أن يعلن الرب حلوله فينا، ليقيم ملكوته داخلنا، نشترك مع السوافيم تسبحتهم الأبدية فتهتت أعماق نفوسنا مع إشعياء النبي، ويُعلن مجد الرب فينا، وتتقدس أعماقنا فنحسب شهود حق لإنجيله.

2. تقديس قم إشعياء:

إذ نقف في حضرة الله القنوس يُعلن لنا مجده ونكتشف نحن نجاستنا، كما حدث مع إشعياء النبي. "فقلت: ويل ليّ أي هلكت لأني إنسان نجس الشفتين، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين، لأن عيني رأنا الملك رب الجنود" [5].

يعترف الرسول بولس أنه أول الخطاة (1 تي 1: 15) ليس لأنه يفكر في خطايه ويحاول احصاءها، وإنما جاء ذلك ثرة استلته بروح الله القنوس الذي يفصح أعماقنا فنكتشف أننا كلا شيء أمام مجد الله، وأنا خطاة تماماً أمام قداسته. لذلك عندما بدأ إواهم أب الآباء يتحدث مع الله قال: "إني قد شرعت أكلّم المولي وأنا تراب ورماد" (تك 17: 27).

لعل إشعياء أراد أن يشترك مع السوافيم في تسابيحهم لله فأدرك أنه نجس الشفتين، وإذ تطلع إلي جماعة السوافيم في تهليلاتهم أدرك أنه ساكن بين شعب نجس الشفتين.

❖ بتنهديات يومية يحزن القديسون علي ضعف طبيعتهم، وبينما هم يبحثون في تغيير أفكارهم وولادتهم وأعماق ضمائرهم الداخلية يصرخون متضوعين

قائلين: "لا تدخل مع عبدك في المحاكمة فإنه لن يتبرر أمامك حيّ"... وهكذا يدركون ضعف بَرِّ الإنسان وعدم كماله مع الاحتياج الدائم إلي مراحم الله. لذلك يقول ذاك الذي رُأى الله شورة وخطاياهم بجمر "كلمته الحيّ" التي علي المذبح بعد رؤيته العجيبه لله وللسوافيم العلويين وتمتعه بإعلان الأسوار الإلهية: "ويل لي إني هلكت لإني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين".

[139]

الأب ثيونس

❖ ها أنتم ترون كيف أن كل القديسين بالحق يعترفون لا عن الشعب وإنما بالأكثر عن أنفسهم إنهم خطاة، لكنهم لا يبأسوا قط من خلاصهم، إنما يتطلعون إلي التبرير الكامل بنعمة الرب ورحمته.

[140]

الأب ثيونس

شعوره بنجاسة شفتيه ونجاسة شفاه شعبه لم يُحطم نفسيته، إنما ملأه رجاء في الله الذي تمتع برؤيا بكونه "رب الجنود"، قادر أن يُقيم من البشوية جنوداً روحيين له. هذا تحقق له، إذ قال: " فطار إليّ واحد من السوافيم وبيده جمرة أخذها بملقط من علي المذبح، ومسّ بها فمي وقال: إن هذه مسّت شفتيك فانتؤّع إثمك وكُفّر عن خطيتك" [6-7].

جاء في قسمة القديس الكولسي: لو كما طهرت شفتي عبدك إشعياء النبي إذ أخذ أحد السوافيم جمرة بالملقط من علي المذبح وطرحها في فيّه، وقال له: إن هذه لمسّت شفتيك ترفع آثامك وتطهر من جميع خطاياك، هكذا نحن أيضاً الضعفاء الخطاة عبيدك الطالبين رحمتك تفضل طهر أنفسنا وأجسادنا وقلوبنا واعطنا هذه الجمرة الحقيقية المعطية الحياة للنفس والجسد والروح، التي هي الجسد المقدس والدم الكريم اللذان لمسيحك]. وفي صلاة أخرى للقسمة يقول الكاهن: [لإني تقدمت للمس جسدي ودمك لشوقي في محبتك، فلا تحرقني بهما يا جابلي بل أحرق كافة الأشواك الخائفة لنفسي].

لقد حملت القديسة مريم كلمة الله متجسداً فيها، الجمر الملتهب، الذي يُقدس البشوية بدمه الثمين.

3 . رسالية إشعياء النبي:

إذ رأى إشعياء النبي السيد جالساً علي كوسي عالٍ ومرفوع وأذياه تملأ الهيكل، والسوافيم يسبحونه، وقد تطهرت شفتيه الجمر الإلهي، اشتاق إلى الحياة السماوية والتسبيح الملائكي، لكنه في نفس الوقت اشتاق أن يرى شعبه متمتعاً بهذه الحياة العلوية، كأنه يقول مع الرسول بولس: "لي اشتهاه أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً، ولكن أن أبقى في الجسد أؤم من أجلكم" (في 1: 24). هذا ما يعلنه النبي أيضاً بقوله: "ثم سمعت صوت السيد قائلاً: من أرسل ومن يذهب لأجلنا؟ فقلت: هأنذا أرسلني" [8].

هذا هو المنظر الخامس من ذات الرؤيا الذي فيه دُعِيَ للعمل النووي، لحساب ملكوت الرب؛ هذه المناظر هي:

1 . منظر السيد في مجده [1].

2 . منظر السوافيم المسبحين له [3].

3 . اهتزاز أساسات العتب وامتلاء البيت دخاناً [4].

4 . تقديس شفتي النبي [5-7].

5 . دعوة إشعياء بصوت الله نفسه [8 الخ].

جاءت الدعوة من الله القدير نفسه، وإذ آمن إشعياء بقوة الله الخلاصية وعمله التقديسي، تقدم للعمل مردكاً أنه حيث هو ضعيف فهو بالرب قوي. عندما نترك أننا لا شيء فلنؤمن بالله الكل في الكل، القادر بروحه القدوس أن يعمل بنا.

هنا يؤمنا التتويه أنه بينما المتكلم واحد: "من أرسل؟" نجده يستخدم صيغة الجمع: "من يذهب لأجلنا؟" لتأكيد أنه الله الواحد الثالث، أو المثلث

قَبِلَ اللهُ القنوس المثلث الأقانييم عرض إشعياء، وقال له: "ذهب" [9]. لقد رَأَى اللهُ أَلَا يُوسَلُ إِشعياء من أجل نوال كرامة أو مجد، إنما ليدخل في مِرارة مع شعب رافض الحق... فالخدمة ليست مراكز كنسية ولا كرامات إنما هي جهاد روحي من أجل غسل أقدام الآخرين وحثهم علي قبول الحق، وذلك خلال المنبج المقدس الذي يُقدس الشفتين الداخليتين ويهب كلمة الله الفعالة في حياة الخادم والمخدومين.

وضع الرب كلماته علي فم النبي: " **تسمعون سمعاً ولا تفهمون، وتبصرون أبصاراً ولا تعرفون**" [9]. لقد وضع الرب في فم إشعياء نوات كثرة عن السيد المسيح وعمله الخلاصي؛ وقد تحققت عند مجيء السيد المسيح، لقد سمعوا ورأوا لكنهم لم يؤمنوا به، لأن بصيرتهم الداخلية قد أصابها العمى؛ وذلك علي عكس التلاميذ الذين قال لهم الرب: "طوبى لأعينكم لأنها تبصروا لأنكم لأنها تسمع" (مت 13: 11-16).
يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** عن هذا الشعب: [إنهم يبصرون كيف يخوج الشياطين ويقولون: به شيطان؛ يبصرون القائمين من الأموات ولا يسجدون له، بل يفكرون في قتله].

سبق لنا راسة هذه النوبة أثناء شوحنا للإنجيل بحسب متى البشير الأصحاح 13، لذا اكتفي هنا بتعليق **القديس أغسطينوس** علي التساؤل: لماذا يلام اليهود علي عدم إيمانهم مادام الله أعمى عيونهم؟
[إنهم لم يقدروا أن يؤمنوا لأن إشعياء تنبأ عن ذلك، وقد تنبأ لأن الله سبق أن أخوه عما سيكون عليه حالهم. لكن إن سألت: ما هي علة عدم قرتهم علي الإيمان أجياب في الحال: إنهم لم يربوا. الله رأى رادتهم الفاسدة لذلك سبق أن أخبر النبي بذلك لأن المستقبل ليس مخفياً عنه... الله أعماهم وأغظهم بمجرد تركه إياهم وسحب معونته عنهم ^[141]].

يُجيب القديس إيريناؤس علي ذات السؤال قائلاً: [إنهم يصابون بالعمى بسبب عدم إيمانهم بالله، فإنهم ينظرون إليه فلا يرونه، لأنه بالنسبة لهم كأنه غير موجود؛ ذلك كما أن الشمس - خليقته - تُصيب ضعاف البصر فلا ينظرون نورها. أما الذين يؤمنون به ويتبعونه فيهب أذهانهم استترة أكمل وأعظم ^[142]].

هذا هو تفسير كلمات النبي: " **غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه وأطمس عينيه لنلا يبصر بعينه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيثفي**" [10]. يلاحظ هنا أن الله لا ينسب الشعب إليه، بل يدعوه "هذا الشعب"، وهذه عادة ما تحدث عندما يعلن الله غضبه عليهم فيحسبهم غير أهل للانتساب إليه بسبب غلاظة قلوبهم وثقل آذانهم وعمى أعينهم، أي بسبب العنف (القسوة)، والعصيان، والجهل الروحي.
هذه النوبة تُشير إلي جحد اليهود للسيد المسيح عند مجيئه، كما تُشير إلي جحد كلمات النوبة في أيام إشعياء فيسقطون تحت السبي ويحل بهم الخراب علي يدي سنحريب الآشوري.

حزن إشعياء النبي إذ أرك ثقل المسؤولية الملقاة عليه وما تنتظره من متاعب وآلام، كما حزن إذ أرك ما سيحل بالشعب من دمار حتى تصير المدن خربة بلا ساكن والبيوت بلا إنسان وتخرب الأرض وتقرر [11]، فوخ: " **إلي متى أيها السيد الرب؟**" [11]. هل كان يسأل: إلي متى يبقى هذا الشعب في القسوة؟! أما يسأل: إلي متى أعلن نوات مؤرة هكذا وقاسية؟!

كشفت له الرب عن حال الشعب بعد انكساره أمام سنحريب، فأعلن أنه وإن بقي في البلاد العُشر [13] يعود فيقيم الشعب خلال هذه البقية ويجعل منهم زرعاً مقدساً. بهذا يتنبأ عن السبي وما يحدث بعد السبي. وفي نفس الوقت تُعتبر نوبة عن سبي اليهود في جحدهم الإيمان بالسيد المسيح مخلص العالم، لكن في آخر الأيام تبقى بقية تعود للإيمان به. يقول الرسول بولس: "إن القسوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلي أن يدخل ملوء الأمم، وهكذا سيخلص جميع إسرائيل" (رو 11: 25-26).

خلاص آحاذ والخالص المسياني

لكي نفهم ما ورد في هذا الأصحاح يؤمنا بواسطة (2 مل 16، 2 أي 28)، حيث تكتشف حقيقة آحاز، كأشر ملوك يهوذا، عُرف بالوياً والجبن، أجاز ابنه في النار وقدم ذبائح للأوثان في المرتفعات وتحت كل شجرة خضراء.

في بدء حكم آحاز تحالف رام مع إسرائيل (أوايم) ضد يهوذا، وقاما بالهجوم عليه فقتل وفتح ملك إسرائيل 120 ألفاً في يوم واحد بينما أسر رصين ملك رام الكثيرين. أراد الاثنان فتح أورشليم لكن الله حفظها، وقد طمأن آحاز على لسان إشعيا بالوغم من فساد آحاز، معلناً اهتمامه بخلاص شعبه ومدينته.

انتقل إشعيا من هذا الخلاص الزمني إلى الحديث عن الخلاص الأبدي الذي يُحققه عمانوئيل المسيا.

1. تحالف رصين وفتح ضد آحاز [1].

2. خوف آحاز [2].

3. إشعيا يُطمئن آحاز [3-9].

4. آحاز يرفض طلب آية [10-13].

5. الآية الإلهية: عمانوئيل [14-16].

6. أشور الحليف يصير عوا [17-25].

1. تحالف رصين وفتح ضد آحاز:

في بدء حكم آحاز تحالف رصين ملك رام مع فتح بن رمليا ملك إسرائيل ضد يهوذا [1]. هجم الأول من جهة شرق الأردن بينما اندفع الثاني بجيوشه من الشمال، وانهمز آحاز. صعداً إلى أورشليم العاصمة لمحاصرتها، لكنهما لم يستطيعا اقتحامها. أما بسبب المعركة فهو اختلاف آحاز عن الملكين الآخرين سياسياً؛ فقد رأى آحاز أن يتحالف مع أشور بينما رأى الملك أن يتحالف مع مصر.

وجد آحاز نفسه في مرق، فطلب معونة فلاسر ملك أشور، الذي أسوع نحو دمشق حيث قتل رصين (2 مل 16: 9)، وهكذا فعل أيضاً بالسامرة (2 مل 15: 29).

2. خوف آحاز:

إذ عرف آحاز أن رام حلّ في أوايم (المملكة الشمالية أو إسرائيل) للتحالف معاً ضده " رجف قلبه وقلوب شعبه كرجفان شجر الوعر قدام الريح" [2]. لقد أترك آحاز وشعبه عدم قوتهم على مواجهة رام وإسرائيل، أما علة خوفهم الحقيقي فهو عدم إيمانهم بالله كسند لهم قادر أن يُحصنهم ويهبهم النصوة. لقد فقوا سلامهم الداخلي بانغوالهم عن الله مصدر الغلبة والسلام.

3. إشعيا يُطمئن آحاز:

اضطرب آحاز جداً، لأنه اسقط من حساباته عنصر الإيمان أو "الوجود الإلهي"، فلم يُنادِ بالتوبة والووع إلى الله، ولا ذهب إلى الهيكل ليضع الأمر بين يدي الله، ولا أرسل إلى النبي يستشوره، إنما استخدم الوسائل البشرية من التجاء إلى أشور لحمايته، وخروجه إلى طرف قناة البوكة العليا [3]

غوب أورشليم على رأس وادي ابن هنوم يختبر مع رجال الدولة مورد المياه ليحولونها إلى المدينة تنتفع بها أثناء الحصار المرتقب ولحومان العدو منها (2 أي 22: 3، 4؛ إش 22: 9-11) كما كان يُباشِر تحصين المدينة قدر المستطاع.

مع هذا كله تدخل الله ليس من أجل آحاز وإنما من أجل القلة القليلة المقدسة من شعبه، ومن أجل داود عبده ومدينته العزوة لديه. لقد طلب من إشعياء أن يخرج لملاقاة آحاز ومعه شلرياشوب (= البقية ستوجع) بكونه علامة وأعجوبة في إسرائيل (إش 8: 8)، مؤكداً له: "احترز وأهدأ؛ لا تخف ولا يضعف قلبك من أجل نبي هاتين الشعلتين المدخنتين بجمو غضب رصين ورام وابن رمليا" [4].

التقى النبي وابنه مع الملك عند الوكة ليعلم الله للملك أن الخلاص لن يتم بالتخطيط البشري والإمكانات الزمنية وإنما بعمل الله الفائق وعنايته نحو ولاده. التقى النبي مع الملك عند الوكة ليؤكد له أن الله يُريد أن يتحدث مع البشرية أينما وجدوا، يلتقي مع لوي عند مكان الجباية ومع زكا عند شجرة الجميز ومع السامرية عند بئر يعقوب الخ... هو يبحث عنا ويذهب إلينا أينما وجدنا مشتاقاً إلى خلاصنا أكثر من اشتياقنا نحن إليه. طلب الله من آحاز ألا يخاف ولا يضعف قلبه، للأسباب:

أ. أن العدوَيْن "فُحَّحَ ورَصِين" ليسا إلا شعلتين مدخنتين [4]. هكذا يجد أولاد الله مقاومة وتحالفاً من الأعداء ضدهم لكن هذا كله لن يُريد عن كونه شعلة مُدخنة تعكّر الجو وتؤدي الأنف إلى حين، بلا نار ملتبهة لتحرق. عدو الخير قوي وجبار في المظهر لكنه يصغر جداً ويضعف تماماً أمامنا إن اختفينا في المسيح الغالب لإبليس وكل قواته.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم لثيودور الساقط:

[إن كان للشيطان هذه القوة أن يطرحك لُصاً من العلو الشامخ والفضيلة السامية، إلى أبعد حدود الشر؛ فكم بالأكثر جداً يكون الله قاوراً أن يرفعك إلى الثقة السابقة، ولا يجعلك فقط كما كنت، بل أسعد من ذي قبل [143].

ب. عدم نجاح مؤامرة الأعداء: قام الملكان بمؤامرة شيطانية خفية لكن الله المدرك كل الخفيات أعلنها حتى يحتاط الملك آحاز بالرغم من شؤه وغباؤه. يقول الرب "لا تقوم، لا تكون" [7]. قد ينجح العدو في البداية حاسباً أنه يُحقق أهدافه الشؤرة، لكن الرب يُشتت المستكبرين بفكر قلوبهم (لو 1: 51).

ج. لن يقدر رام أن يتوسع كما ظن إنما يلتزم حدوده: "لأن رأس رام دمشق ورأس دمشق رصين" [8]. هكذا مهما حارب رصين فسيعود إلى دمشق ولا تنتسج مملكته على حساب يهوذا كما يظن. أما بالنسبة لأوإيم ففي مدة 65 سنة ينكسر حتى لا يعود يُحسب شعباً [8]، وى البعض أنه في مدة 5، 6 سنوات أي 11 سنة، لأن سبي إسرائيل تحقق بعد 11 سنة من حديث إشعياء النبي (2 مل 17: 3، 6). وإن كان بعض الدارسين يرون أن النبي يُشير هنا إلى خراب إسرائيل بواسطة أسوحدون الذي جاء بقوم من بابل وكوث و عدا وحماة وسفروايم وأسكنهم في مدن السامرة عوضاً عن بنى إسرائيل ليقضي على أمة إسرائيل تماماً (2 مل 17: 24).

ختم النبي حديثه بقوله: "إن لم تؤمنوا فلا تؤمنوا" [9]. فإنهم ما لم يؤمنوا بالوعد الإلهي واثقوا فيه متكلين على نواح الرب لن يثبتوا في هذه الظروف القاسية الصعبة. الإيمان هو الوجود (1 تس 5: 8) الذي يحمينا من ضوبات العدو.

جاءت هذه العبارة في الترجمة السبعينية: "إن لم تؤمنوا فلا تفهموا" وقد علق عليها القديس أغسطينوس كنواً، فمن كلماته: [لا تستطيعوا أن تتالوا الفهم ما لم يشوق الإيمان في القلب القائل مع النبي: "إن لم تؤمنوا بالتأكيد لن تفهموا" [144].

[الإيمان يُبحث عنه وأما الفهم فيوجد، إذ يقول النبي: "ما لم تؤمنوا لا تفهموا" [145].

[حسب تعليم الكنيسة الجامعة يليق بالعقل أن يتغذى أولاً بالإيمان البسيط حتى يقدر أن يفهم الأمور السماوية الأبدية [146].

[إنكم (يُحدّث الواطقة) لم تتعلموا في ملكوت السموات - أي كنيسة المسيح الحقيقية الجامعة - وإلا فإنكم كنتم قد نهلتم من كنز الكتب المقدسة، ما هو قديم وأيضاً ما هو جديد. يقول الرب نفسه: "من أجل ذلك كل كاتب متعلم في ملكوت السموات يشبه رجلاً رب بيت يخرج من كوزه شيئاً وعتقاء"

رى القديس أغسطينوس [1481] أن الإنسان بالإيمان وافقه السيد المسيح ليسير معه كل الطريق كما فعل مع تلميذي عمواس اللذين توسلا إليه أن يمكث معهما، فلما اتكأ معهما "انفتحت أعينهما وعرفاه" (لو 24: 31).

يلق القديس إكليمنضس السكثوري على ذات العبرة قائلاً: "هذا يعني أنه إن لم تؤمّنوا بما تنبأ عنه الناموس وتقبلوا تعليم الشريعة لن تفهموا العهد القديم الذي فسره (السيد المسيح) بمجيئه" [1491].

4. آحاز يرفض طلب آية:

قدم الله لآحاز كل امكانية للخلاص، لكن قلبه كان قد تقسى تماماً فوثق في أشور لا الله. ومع ذلك فإن الله في حبه ولطفه عاد يتحدث معه خلال إشعياء النبي قائلاً: " اطلب لنفسك آية من الرب إلهك؛ عمق طلبك أو رفعه إلى فوق" [11]. وكأنه يقول له: لماذا تطلب عوناً من أشور الغريب، أنا هو إلهك مستعد أن أوكد لك مواعيدي بأية من الأرض أو من السماء، فأنا إله السماء والأرض. أطلب ما تؤيد وأنا أعطيك. أطلب أن تحدث زلزلة أو انشقاق للأرض كما حدث مع هرح وجماعته، أو اطلب بروقاً أو عوداً أو أمطراً أو علامة في الشمس كما حدث مع يشوع حيث توقفت الشمس. فإني وإن كنت لا أحب تقديم آيات للاستعاضة إنما من أجل حبي لببيت داود ولكي تؤمن بي أعطيك سؤل قلبك. أما آحاز فقد صوّب نظره نحو أشور، رافضاً أية معونة من قِبَل الله، لذارفض طلب آية منه، مبرراً ذلك بنص كتابي " لا أجرب الرب" [12] (تث 6: 16). لم يقل هذا عن ثقة في الله وإنما رغبة في عدم التعامل معه.

هذا الفصل يؤوأ في باكر من الجمعة من الأسوع الثاني من الصوم الكبير حيث تركز الوآاءات على "تجربة السيد المسيح". وكأن روح الرب يؤكد أنه في كل العصور يوجد أشوار وغبون في تغطية شرورهم بنصوص كتابية، حتى الشيطان نفسه في حواره مع السيد المسيح عند التجربة استخدم ذات الأسلوب. ما أخطر إساءة استخدام كلمة الله!

كان آحاز مخادعاً في إجابته حتى على الرب، لهذا وبخه النبي قائلاً: " اسمعوا يا بيت داود؛ هل هو قليل عليكم أن تُضجروا الناس حتى تُضجروا إلهي أيضاً؟! [13]. لقد تضجر الناس بسبب مظالم آحاز وأهل بيته وها هم كمن يضجرون الله بعدم إيمانهم به متكلين على أشور لا الرب.

5. الآية الإلهية: عمانوئيل:

رفض آحاز أن يطلب من الله آية ليطمئن أنه سيخلصه من رام وإسرائيل، وها هو الرب يقدم نفسه آية لا آحاز وإنما لكل البشوية لنطمئن أنه يخلصها لا من الأنوع البشوية وإنما من كل قوات الظلمة الثورية، يرفعها فوق الأحداث الزمنية ويحملها معه إلى الأحضان الأبوية. وفي نفس الوقت يطمئن آحاز أن بيت داود لن يسقط تماماً، إنما يأتي ابن داود "الآية العجيبة" القادر أن يُقيم خيمة داود الساقطة.

الآية التي يُريد الرب أن يهبها لكل مؤمن هي أنه يعطي ذاته "عمانوئيل". نحن لا نعمق الطلبة ولا نرفعها إلى فوق إنما كآحاز نخشى أن نطلب مع أنه ينتظر أن يهبنا ذاته؛ يقول إيلنا لرفعنا إليه، فيكون هو نصيبنا الصالح الذي لن يزح عنا. لهذا يقول القديس إيريناؤس: [ما قاله إشعياء: رَفَع إلى فوق وعمق إلى أسفل" يعني الإشارة إلى ذلك الذي قول وصعد (اف 4: 10) [1501]. نطلب هذه الآية العجيبة عمانوئيل النزل إلينا ليصعدنا إلى سمواته. حقاً إنها آية فريدة، وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [لما كان ما هو مزعم أن يحدث أوماً غريباً لا يمكن لكثير من أن يصدقوه حتى عندما يتحقق لهذا أرسل أولاً وقبل كل شيء أنبياء يعلنون عن هذه الحقيقة [1511].

وبذات المعنى يقول الشهيد يوستين: [الأمور التي كانت تبدو غير معقولة بل ومستحيلة بالنسبة للبشر أعلن الله عنها بروح النبوة [1521].

أ. " ها العنواء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل" [14]. وكما يقول الشهيد يوستين في حواره مع تريفو (66): [من الواضح للجميع أنه لم يولد أحد في جنس إواهم من عنواء أو قيل عنه ذلك إلا مسيحنا].

بتولية القديسة مريم حقيقة إنجيلية تخفي إيماننا في المسيح يسوع ابنها. فإن كلمة الله عند تجسده لم يبال بؤع الموضع الذي يضطجع فيه، أو الملابس التي يتقمط بها، أو الطعام الذي يقتات به، لكنه حدد بدقة "العواء" التي تصير له أمًا ^[153].

الكلمة العبرية المستخدمة لعواء هي "ألما" *Alma* " وليس بتولية "لا" "إيسا"، فإن كلمة "ألما" تعني عواء صغيرة يمكن أن تكون مخطوبة، أما "بتولية" فتعني عواء غير مخطوبة بينما إيسا تعني سيدة متروجة. وكأن كلمة "ألما" تُطابق حالة القديسة مريم تمامًا بكونها عواء وفي نفس الوقت مخطوبة للقديس يوسف الذي كان بالنسبة لها مُدافعًا وشاهدًا أمينًا على عفتها، بوجوده ينتزع كل ريب أو ظن حولها.

تحدث حزقيال النبي (44: 1-2) عن بتولية القديسة مريم:

❖ حزقيال شهد وأظهر لنا هذا، قائلاً:

إنِّي رأيت بابًا ناحية المشرق،

الرب المخلص دخل إليه،

وبقى مغلقًا جيدًا بحاله.

أبصالة آدم يوم الأحد

بتولية القديسة مريم هي وهان على إيماننا بالسيد المسيح أنه ليس من زرع بشر، أنه ليس من هذا العالم، بل هو ابن الله المتجسد، جاء إلينا من الأعلى. لقد حملت "عمانويل" الذي يعني "الله معنا"؛ قول إلينا متجسدًا في الأحشاء البتولية لتحمل طبيعتنا وبصير واحدًا معنا، يحل في وسطنا، مقدسًا كل ما لنا.

❖ الذين أعلنوا أنه عمانوئيل المولود من البتول (إش 7: 14) أعلنوا أيضًا اتحاد كلمة الله بصنعة يديه.

إذ صار الكلمة جسدًا، وابن الله ابنا للإنسان، وافتتح الطاهر بنقولة والأحشاء النقية معطيًا للبشرية تجديدًا في الله.

^[154]

القديس إيريناؤس

❖ فتح السيد المسيح مستودع الكنيسة المقدسة، ذلك المستودع الصامت، الذي بلا عيب، المملوء ثراء، حيث يولد شعب الله.

^[155]

القديس أمبروسوس

❖ ميلادك الإلهي يرب قد وهب البشرية كلها ميلادًا... ولدتك البشرية حسب الجسد، وأنت ولدتها حسب الروح... المجد لك يا من صوت طفلاً لكي تجعل الكل جديدًا.

^[156]

القديس مار إفاوم السرياني

❖ إننا نؤكد أن الابن وحيد الجنس قد صار إنسانًا... حتى إذ يولد من امرأة حسب الجسد يعيد الجنس البشري فيه من جديد.

^[157]

القديس كيرلس الكبير

ب. " زبدًا وعسلًا يأكل متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير" [16].

هنا يؤكد النبي ناسوت السيد المسيح، فمع كونه ليس من زرع بشر لكنه صار بحق ابن الإنسان، يُشركنا أكلنا وتصرفاتنا ويشابهننا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها (عب 2: 7).

الزبد والعسل هما طعام الصبية الصغار، فانه لن يبلغ الوجولة دفعة واحدة، إنما يجتاز مرحلة الصبوة، خلالها يعوف أن يرفض الشر ويختار

الخير علامة نضوج نفسه وفكره. زاه في الثانية عشرة من عمره يجلس وسط المعلمين يسمعهم ويحلورهم حتى بهتوا من تعليمه (لو 2: 46-47).

هذا تحقق بالنسبة لربنا يسوع المسيح المولود وحده من العذراء؛ أما بالنسبة لما تم في أيام آحاز فقد أعلن الله عن ميلاد ابن لإشعياء، قيل عنه: " لأنه قيل أن يعوف الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير تَخلى الأرض التي أنت خاشي من ملكها" [16]. تحقق ذلك بكل دقة إذ هاجم ملك أشور دمشق بعد إعلان هذه النبوة بفترة قصيرة وقُتل رَصِين (2 مل 16: 9) كما قُتل هوشع بن إيلة فَفَّح بن رمليا وملك عوضًا عنه (2 مل 15: 30)، وأعيد 200.000 أسيرًا بسوسة (شَلْياشوب = البقية سَوَجع) وذلك لا بالقوة ولا بالقوة بل بروح الرب (2 مل 28: 8-15).

6. أشور الحليف يصير عونا:

إذ يتكئ آحاز على أشور كحليف له تون الرجوع إلى الرب لهذا يسمح الله أن ينقلب أشور عونا ضد يهوذا، ويجتاز يهوذا هولة لم يسبق له اجتيازها منذ انقسمت المملكة إلى مملكتين "إسرائيل ويهوذا" [17]، وفي نفس الوقت يرى أيامًا صعبة من جهة مصر فيصير يهوذا بين حَوَى رِحا، لا بمعنى أن ينفق أشور ومصر ضده، وإنما يتصلع الاثنان ضد بعضهما ويكون يهوذا هو كبش الفداء للإثنين، في أرضه تحدث المعرك والصواعات. " ويكون في ذلك اليوم أن الرب يصفر للذباب (جيوش مصر) الذي في أقصى توع مصر، وللنحل (جيوش أشور) الذي في أرض أشور، فتأتي وتحل جميعها في الأودية الخربة وفي شقوق الصخور وفي كل غاب الشوك وفي كل المراعى (أى تُغطى الجيوش كل بقاع يهوذا)" [18-19]. هذا ويصور الرب الخراب الذي يحققه أشور بموسى مستأجرة تحلق شعر الرأس وشعر الرجلين واللحية [20]. وكأن العدو يمد يده كما بموسى ليمسح كل ما لدى الملك وأهل بيته والعظام (الرأس) وما لدى عامة الشعب (الرجلين) وأيضًا الكهنة (اللحية). هكذا يتحول أشور إلى موسى مخرب ومُحطم! حلق اللحية كان علامة المذلة إذ كان الأسرى يلتومون بذلك لا رادياً. هوة أخرى يُعطي صورة لخواب يهوذا التي اشتهرت بتربية الأغنام، فكان كل إنسان يملك الكثير من الرؤوس، لكن بعد الخراب يصير للمقتدر عجلة بقر وشاتين [21]، وتتحول الكروم الجيدة إلى أرض للشوك والحسك [23]، إذ لا توجد أيّ عاملة بسبب الحرب...

<<

الأصاحح الثامن

مهير شلال حاش بز

في الأصاحح السابق تحدث الله مع آحاز الملك خلال إشعياء النبي الذي أعلن عن تدخل الله لانقاذ أورشليم من رام و إسرائيل، وقد انجب النبي ابنه الأول شَلْياشوب (=البقية سَوَجع) ليؤكد أن المسييين من يهوذا يرجعون سريعًا. الآن يتحدث الله مع الشعب في ذات الأمر وتحت نفس الظروف، وينجب النبي الابن الثاني المدعو مهير شلال حاش بز (=أسوع إلى السلب، بادر إلى النهب) ليؤكد أن أشور قادم شويغًا ليسلب رام وينهب إسرائيل منقذًا أورشليم، وفي نفس الوقت ينذر شعب يهوذا لاتكاله على أشور لا على الرب.

1. غلبة أشور على رام وإسرائيل [4-1].

2. إنذار بني يهوذا [8-5].

3. بلاد عمانوئيل [10-9].

4. تشكيك وتعثر في عمانوئيل [15-1].

5. البقية المقدسة [18-16].

1 غلبة آشور على رام وإسرائيل:

في الأصحاح السابق تحدث الرب مع آحاز المتجف من رام وإسرائيل، الآن يتحدث مع الشعب مؤكداً خراب المملكتين اللتين تحالفتا معاً ضد يهوذا. بأمر إلهي أخذ إشعياة لوحاً كبيراً كتب عليه بحروف واضحة "مهير شلال حاش بز" وتعني "أسوع إلى السلب، بادر إلى النهب". وضع إشعياة النبي اللوح في مكان ظاهر في الهيكل لكي يؤاه الكل، وقد شهد كاهنان عليه هما: أوريا وزكوريا، أوريا كان رئيس كهنة في أيام آحاز ومشوه الروحي والمشرك معه في العبادة الوثنية. فقد أقام مذبحاً على شبه مذبح الآراميين رآه حزقيا في دمشق، ليُقدم الملك عليه ذبائح (2 مل 16: 10-16).
وقع الكاهنان على اللوح أو ختماه بختميهما كشاهدين موثوق فيهما إذ على فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة (2 كو 13: 1)، شهدا أن ما كتبه كان قبل حدوث الأمر.

يعلن إشعياة النبي أنه عندما يبلغ ابنه مهير شلال حاش بز حوالي سنة واحدة من عمره تتحقق النبوة ضد رام وإسرائيل، إذ يقول: "قبل أن يعرف الصبي أن يدعو يا أبي ويا أمي تحمل ثروة دمشق وغنيمة السامرة قدام ملك آشور" [4]. وقد تم ذلك بواسطة تغلث فلاسر ملك آشور (2 مل 15: 29؛ 16: 9؛ 1 أي 5: 26).

2. إنذار بني يهوذا:

بعد أن أعلن الله خلاصه لمدينة أورشليم محطماً رام وإسرائيل اللذين تحالفا ضدها بدأ يسرد خطايا بني يهوذا وما سيحل عليهم من تأديبات. إن كان يدافع عنهم لكنه لا يدافع عن خطاياهم ولا يتستر عليها بل يطلب التوبة عنها والرجوع إليه .
يقول: " لأن هذا الشعب رذل مياه شيلوه الجارية بسكوت وسرّ يوصين وابن رمليا" [6]. "شيلوه" محوى مائي اسمه يعني "الموسل"، دعى في العهد الجديد "سوام". نُحت هذا المحوى في الصخر، طوله بضعة آلاف من الأقدام، يقع جنوب غربي أورشليم، تنساب المياه فيه في هوء، عليه تعتمد المدينة، كان رمزاً لببيت داود [158].
ماذا يعني رذل الشعب مياه هذا المحوى؟ لقد قرفوا بينه وبين نهري دمشق إبانة وفرفر، فذلوه واستهانوا به. هذا يُشير إلى استخفافهم بما وهبهم الله "مملكة يهوذا" متطلعين إلى ما هو لدى الغير "الأزوع البشوية". لقد فقوا إيمانهم بالله واهب النصوة وخشوارصين وابن رمليا الغريبين والمقولمين ليهوذا ملتجئين إلى من ينقذهم منهما.

مياه شيلوه تُشير إلى قوة الروح الهاديء والوديع، مصدر التقديس وبنوع البر.

أيضاً "شيلوه" تعني "الموسل"، تُشير إلى السيد المسيح الذي أرسله الأب لخالصنا، فذله اليهود ورفضوا عمل روحه القنوس.

هم رفضوا محوى الماء الهاديء طالبين المياه الغامرة القوية، لذلك يؤدبهم الرب بأن " يصعد عليهم مياه النهر القوية والكثيرة، ملك آشور وكل مجده" [7]. إن كان يهوذا يتكئ على آشور، فإنه سيأتي فعلاً ويخلصه، لكنه يعود فيما بعد يندفق عليه كنهري الوات الذي أعجوا به واشتهوه، يفيض على يهوذا ويغرقه [7].
لقد أنقذ تغلث فلاسر الآشوري يهوذا، لكن سنحريب الآشوري هجم بقوة على يهوذا وبلغ إلى العنق وحاصر الرأس أورشليم، وكادت أن تسقط لولا تدخل الله: " يفيض ويعبر يبلغ العنق ويكون بسط جناحيه (فوعي نهر الوات) ملء عرض بلادك يا عمانوئيل" [8].

هكذا يسمح الله بالتأديب فتحل التجرب كالسيل الجرف لكي تبلغ إلى أعناقنا، لكنه يحفظ الرأس (إيماننا بالسيد المسيح رأسنا) فوق سيول التجرب حتى لا يفنى إيماننا فنهلك (لو 22: 32)، لأننا أرض عمانوئيل، ملك الرب.

يلق القديس أغسطينوس على كلمات السيد المسيح: "كونوا حكماء كالحيات" (مت 10: 16)، قائلاً: إبانة يؤمنا أن نتشبه بحكمة الحية التي تضع رأسها بين جسدها عندما يحدق بها الخطر، فتسقط الضربات على الجسد دون الرأس، إذ تعلم أنها لا تهلك مادامت رأسها سليمة. هكذا يليق بنا أن نحفظ بإيماننا بالسيد المسيح رأسنا. سليماً مهما حلت بنا الضيقات فلا نهلك].

مهما حاول عدو الخير أن يبسط جناحيه في داخلنا [8] فإنه لا يصيبنا ضرر مادامت أرضنا بأكملها أرض عمانوئيل، أي مادامت حياتنا مستقرة تحت ظل جناحي الرب، مادامنا نحمل فينا مملكة المسيح!

3. بلاد عمانوئيل:

بينما يتحدث النبي عن الأمور الجارية في عهده إذا بالرب يرفع أنظرة وأنظار المؤمنين نحو عمل المسيح الخلاصي. الله في حبه يترفق بشعب يهوذا فيخلصهم من تحالف رام وإسرائيل ضدهم، وفي نفس الوقت إذ يخطيء الشعب بالتجائه إلى أشور يصير أشور نفسه مقلوماً لهم. هذا ما سمح به الله، لكنه لم يسمح بإبادة يهوذا تماماً، لأن منه يخرج السيد المسيح، الأسد الخرج من سبط يهوذا. يسمح بالغزو الآشوري فيفيض حتى عنق يهوذا لكنه لا يصيب الرأس، إذ يتجسد كلمة الله من سبط يهوذا - من القديسة مريم - ويحل بيننا عمانوئيل الذي يُقيم من قلوبنا أرضاً أو مملكة له... هذا ما دفع النبي إلى الانتقال المفاجيء من مشكلة يهوذا في عصر النبي أو بعده بقليل إلى الحديث عن القوى المتحالفة ضد عمانوئيل، قائلاً:

" هيجوا أيها الشعوب وانكسروا واصنوا يا جميع أقاصي الأرض. احترموا وانكسروا. تشاوروا مشورة فتبطل. تكلموا كلمة فلا تقوم. لأن الله معنا" [9-10].

لم يقف الأمر عند أشور الذي انهار حيث مات 185.000 رجلاً منهم في المعركة وإنما يعلن النبي عن سقوط كل قوى العالم المقاومة للحق: أشور يليها بابل ثم فارس ومادي والدولة الرومانية (إش 54: 17، مى 4: 13). وبالأكثر قصد قوات الظلمة الروحية المقاومة لمملكة المسيح. يعلن النبي أن هياج الأعداء وتحالفهم ومشوراتهم الشورة ضد الكنيسة، موجّهة ضد عمانوئيل الحال في وسطها، لهذا تنهار قوات الظلمة وتتمتع الكنيسة الحقيقية بالغبلة.

هذا الصوت النبوي يصوح ضد كل مقاومي المسيح، معلناً ما قاله الرب نفسه لشاول: "لماذا تضطهدني؟!... صعب عليك أن توفس مناخس" (أع 9: 4-5). ليفعل العدو كل ما في وسعه مقاوماً المؤمنين، فإنه إنما يُحطم نفسه.

4. تشكيك وتعثر في عمانوئيل:

يبدو أن البعض لم يصدق كلمات النبي وحسوا ذلك فتنة سياسية أو خيانة وطنية ومقاومة للملك والسلطات، كي لا يلجأ يهوذا إلى أشور فيهلك على أيدي الآميين وإسرائيل. لقد أمسك الرب كما بيد إشعياء ليشده [11]. وى البعض أن إشعياء نفسه-كانسان- مال أحياناً إلى رأي الملك ومشورته والشعب، لكن الله مُصرّ أن يوضح له الطريق وإن كان مخالفاً لرأي الجماعة؛ كأنه قد أمسك بيده ليدخل به الطريق الضيق المرفوض. ولعل الرب أمسك بيده ليشده من أجل الاتهامات الباطلة الموجهة ضده، ولكي لا يتوقف عن العمل النبوي بسبب ما يثوره هؤلاء القوم، إنما يُريده أن يُشدد الأيدي الأمانة بتقديسها للرب. وكان الرب يمسك بأيدي إشعياء ليمسك الأخير بدوره أيادي المخلصين ويضعها في أيدي الله القنوس. لذا يقول: " لا تخافوا خوفه ولا توهوا، قدسوارب الجنود فهو خوفكم وهور هبتكم" [12-13]. كل نفس أمانة في خدمة الرب تُقاوم، لكن الرب نفسه يسندها لا لكي تعمل فحسب وإنما لكي تسند الآخرين وتُشجعهم على العمل بروح الله القنوس، متطلعين لا إلى المقاومة بل إلى مساندة رب الجنود لهم.

ما أروع هذه الكلمات " لا تخافوا... قدسوارب الجنود فهو خوفكم ". لقد تكافقت القوى الشورة وتحالفت في تعالٍ وكرياء، أما ولاد الله فيتحنوا معاً في الرب، يتحنوا تحت قيادة رب الجنود القنوس في حب وتقديس. هؤلاء لا يتكئون على أروع بشوية ولا يريدون تحالفاً بين النور والظلمة وإنما يؤمنون بالغبلة والنصوة خلال التقديس أو الشوكة مع الله القنوس.

ليس إشعياء وحده يُقاوم ولا أيضاً الأمانة من المؤمنين، إنما يصير "عمانوئيل" نفسه مُقاوماً وحجر صدمة لكثيرين: " ويكون مقدساً وحجر صدمة وصخرة عثرة لبني إسرائيل وفخاً وشركاً لسكان أورشليم، فيعثر بها كثيرون فينكسرون ويعلقون فيلقطون"

[14-15].

إنه "مقدس" أو "حجر مقدس" بالنسبة للمؤمنين الذين يلجأون إليه ويتمسكون به لحمايتهم وخلصهم، هو "حجر الأساس" و"حجر زاوية" يربط المؤمنين من اليهود مع المؤمنين من الأمم كحائطين يلتقيان معاً فيه. وفي نفس الوقت هو حجر عثرة وصدمة لغير المؤمنين.

❖ متى قُدم (المسيح) في الكتاب المقدس كحجر يكون حجر عثرة لغير المؤمنين وحجر أساس للمؤمنين (إش 8: 14؛ 28: 16؛ دا 2: 34، 45؛ مت 21: 44؛ لو 20: 17؛ أع 5: 11؛ رو 9: 33 الخ...).

[\[159\]](#) القديس أغسطينوس

جاء السيد المسيح إلى خاصته وخاصته لم تقبله، لذا يقول " صخرة عثرة ليبيتي "؛ مما يزيد حواحاته أن الرفض هو من بيته. اقتبس القديس بطرس (1 بط 2: 8) هذه النبوة معلناً إتمامها في شخص السيد المسيح.

5. البقية المقدسة لله:

إن كانت خاصة السيد المسيح أو أهل بيته قدر فضوه فصار لهم حجر عثرة لكن وُجدت بقية مقدسة قبلته مثل التلاميذ والرسول والمويمات وبيت لعازر الخ... هذه البقية تُحسب خموة مقدسة يستخدمها روح الله لتخمير العجين في العالم كله.

ما حدث مع السيد المسيح تم مع إشعياء بصورة باهتة بكونه رمزاً للمسيح، إذ صار له هو أيضاً تلاميذ أمناء. " صرّ الشهادة اختتم الشريعة بتلاميذي " [16]. قبلت القلة المقدسة كلمات إشعياء النبي بكونها نوات صادقة وكلمة إلهية، حاسبين كلماته إعلاناً عن فكر الله وإرادته المقدسة. هؤلاء دعاهم النبي تلاميذه و أيضاً " الأولاد الذين أعطانيهم الرب " [8]. هؤلاء يؤمهم أن يختموا أو يصروا على ما سمعوه، لأن هذه النوات يجب أن تبقى محفوظة حتى زمنة العهد الجديد، حيث تعلن للأطفال البسطاء (مت 11: 25). ختمها أيضاً يعني الائتام بعدم الإضافة إليها أو الحذف منها.

ما ذكره إشعياء يبدو في عصوره أنه أمر مستحيل يجب مقاومته لهذا كان يؤمهم هو وتلاميذه أن يتسلحوا بالصبر للرب [17]. عاشوا في جو مقبض: الرب سائر وجهه عن شعبه [17]، كأنه ليس شعبه ولا يعرفه مسلماً إياهم لأذهانهم العفوسة المخربة، الأمر الذي أجزن قلب إشعياء وتلاميذه؛ وفي نفس الوقت يتطلع إليهم الشعب كغرباء عنهم وشواذ مملوئين حماقة. فبقوله: " هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب عجائب في إسرائيل من عند رب الجنود " [18] يعني أن إشعياء وتلاميذه أشبه بآيات وعجائب بالنسبة للشعب، إذ يختلفون عن الكل في إيمانهم وسلوكهم وأفكارهم نحو الرب. لقد حُسب تلاميذ إشعياء ولأدًا له، وهو في هذا يحمل رمزاً للسيد المسيح الذي يشناق أن يربط المؤمنين به برباط فريد أشبه برباط الأب مع ولاده.

❖ إنه أخ وصديق وعريس: "لا أعود أسمىكم عبيداً... لكني قد سميتكم أحبباء" (يو 15: 15). ويقول بولس: "خطبتكم لرجل واحد لأقدم عواء عفيفة للمسيح" (2 كو 11: 2)؛ "ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين" (رو 8: 29). لم نعد فقط إخوته بل صونا ولأدًا له، إذ يقول: "هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب" [18]، ليس هذا فقط بل وصونا أعضاء وجسده.

❖ هنا (عب 2: 13؛ إش 8: 18) يظهر (المسيح) نفسه أبًا كما أظهر نفسه قبلاً أخًا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ [يتحدث مع طالبي العماد].

❖ تشرككم الملائكة الوح، والمسيح نفسه رئيس الكهنة الأعظم... يُقدمكم جميعاً للآب قائلاً: "هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الله" ليحفظكم جميعاً موضع سرور نظوته.

القديس كيرلس الأورشليمي

كما يتقدم إشعياء النبي بتلاميذه إلى الله كشهود حق، رمزاً لشخص السيد المسيح الذي يُقدم مؤمنيه للآب أعضاء جسده وأبناءً للحق موضع سرور الآب، هكذا يليق بنا نحن أيضاً أن نهتم بكل أحد خاصة أوفاد الأسرة لنقدمهم لله أحبباء له. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [لنفكر جدياً في زوجاتنا وأولادنا وخدمنا، متركين أننا بهذا نقيم لأنفسنا تدبواً حسناً (سهلاً) ويصير تعاملنا معهم وديعاً ورفيقاً ^[163]].

6 . الالتجاء إلى الوافين:

شعر الشعب كأن الله قد حجب وجهه عنهم لهذا بدأوا يطالبون المسؤولين -ربما من بينهم بعض تلاميذ إشعياء - أن يلجأوا إلى أصحاب القواع والوافين لطلب المشورة والتعوف على الأمور المستقبلية. يدعوهم النبي " المشفقين والهامسين " [19] ، لأنهم يتكلمون بصوت خافت كما من عالم آخر ليتقوا تمثيل نهرهم .

ماذا يعني الالتجاء إلى الوافة؟ فقدان الإنسان كل ملجأ أو عون له، ذلك كما حدث مع شاول الملك. شعر أنه في عزلة عن الله، وعن أنبيائه، حتى الشعب تراجع عنه فلجأ إلى الموتى يسألهم خلال صاحبة الوافة .

كان يليق ببني يهوذا - قادة وشعباً - أن يلجأوا إلى الله ويستشيروا أنبياءه ويسموا كلمة الله التي تُنير وسط الظلام [20] ، فينالوا مشورة صالحة ومعرفة لإرادة الله ووعناً ونعمة، أما أن يلجأوا إلى الوافة بكل صورها وإلى سؤال الموتى، فهذا يعني أنهم رفعا أعينهم إلى فوق فوجوا السماء غاضبة [21] وتطلوا إلى الأرض فإذا بالظلام الدامس حالاً بها .

في اختصار سقط بنو يهوذا في خطيبتين خطيرتين هما: الالتجاء إلى التحالف البشوي عوض الاتكال على الله، والرجوع إلى الوافة والموتى عوض التمتع بكلمة الله الحية الواهبة استترة وقوة .

هذه الصورة المؤلمة تعلن عن حقيقة هامة: الحاجة إلى مخلص إلهي!

«

الأصاح التاسع

المولود العجيب

إذ يشتد الظلام ينبلع الفجر لتشرق الشمس على الجالسين في الظلمة، هكذا خُتم الأصاح السابق بصورة قاتمة عن الشعب الذي صار في ضيق شديد وظلمة، لذا جاء هذا الأصاح يحدثنا عن مجيء المسيا "شمس البر" الذي يبدد الظلمة، والذي يمد يده بالحب منتظراً رجوع الكل إليه .

1. نور أشرق في الظلمة [5-1].

2. المولود العجيب [7-6].

3. اليد الممدودة [12-8].

1. نور أشرق في الظلمة:

جاء ختام الأصحاح السابق قاتماً للغاية، لهذا بدأ هذا الأصحاح بكلمة "ولكن ... فإن الله لا يؤك شعبه هكذا، لكنه يُريد أن يشرق عليهم بنوره. " ولكن لا يكون ظلام للتي عليها ضيق كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتالي يكرم الأخير طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم. الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً. الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور" [1-2]. وقد تمت هذه النبوة بظهور السيد المسيح وكوّلته في جليل الأمم. يقول الإنجيلي: "لكي يتم ما قيل بإشعيا النبي القائل: أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم؛ الشعب الجالس في ظلمة أبصر نوراً" (مت 4: 14-16). اتسمت هذه المنطقة بالضعفة، فيقول نثنائيل: "أمن الناصوة يمكن أن يكون شيء صالح؟! (يو 1: 46). لعل هذا يرجع إلى أن هذه البقعة. (جليل الأمم) تقع على حدود الأمم، فكانت معوضة للغزوات، وبسبب اختلاطها بالأمم الوثنية المجاورة أخذت الكثير عن العادات الوثنية وظلت فترات طويلة في انحلال روحي، لذلك وضعها النبي: "الشعب الجالس في الظلمة".

منطقة الجليل عبلة عن دائرة تضم عشرين مدينة أهداها سليمان إلى حوام ملك صور، وكان اليهود فيها قليلي العدد، أكثر سكانها من الفينيقيين واليونانيين والعرب، لهذا سُميت "جليل الأمم"، جاء إليها السيد المسيح، معلم البشوية وشمس البر، ليُضيء على الجالسين في الظلمة. أما منطقة كفر ناحوم التي تعني "المُؤي" فتعتبر من أهم مناطق الجليل، وهي قلعة رومانية كان بها حامية من قواد الرومان.

❖ سكن في الجليل حتى وى الجالسون في الظلمة نوراً عظيماً.

[\[164\]](#) القديس غريغوريوس النزيوي

❖ فليز الجالسون في ظلمة الجهل نور كمال المعرفة العظيم؛ الأمور القديمة عويت، وهذا الكل قد صار جديداً (1 كو 5: 17)؛ الحرف انتهى وتقدم الروح، الظلال هوبت وجاء إليهم الحق.

[\[165\]](#) القديس غريغوريوس النزيوي

❖ بالإيمان يخرجون من الظلمة وموت الخطية إلى النور والحياة.

[\[166\]](#) القديس أغسطينوس

❖ يشوق نور اللوغوس الذي هو الحياة في ظلام نفوسنا، يأتي إلى حيث يوجد رؤساء هذه الظلمة المقولمين لجنس البشر لإخضاعهم للظلمة، هؤلاء الرؤساء لا يثبتون في قوتهم إذ يشوق عليهم النور الذي جاء ليجعل من البشر أبناء للنور.

[\[167\]](#) العلامة أوريجانوس

الله لا يسمح للظلمة أن تنوم إنما يشوق بنوره... فماذا يحدث؟

أ. "أكثرت الأمة" [3] ؛ بالرغم من سقوطها تحت التأديب بضوابط قاسية لكنها تنمو وتكثر ورحمة الله ونعمته.

ب. "عظمت الفرح" [3] توح الأمة كما في يوم الحصاد أو يوم التمتع بغنيمة، وكأن سرّ فوحها هو الحصاد الكثير والغلبة أو النصوة على عدو الخير.

الروح هو سمة كنيسة العهد الجديد المتلهلة بالحياة الإنجيلية وسط الآلام، توح من أجل حصادها المستمر لنفوس كثرة لحساب ملكوت الله، وتتمتع بغنيمة النصوة على عدو الخير. حياتها تهليل مستمر من أجل النفوس التائبة والمتمتعة بالخلاص ومن أجل نصواتها غير المنقطعة.

ج. التمتع بحرية مجيدة: " لأن نير ثقلة وعصا كتفه وقضيب مسغوه كسرتهن كما في يوم مديان " [4]. تتحرر من النير الثقيل والعصا وقضيب السغوة، كرمز للحرية والخلاص من عبودية إبليس خلال الصليب، فلم يعد لإبليس أو قواته سلطان على المؤمن المتمتع بحرية مجد أولاد الله.

2. المولود العجيب:

سر تمتع الأمة بالنمو المستمر والوحد الدائم مع الحرية المجيدة هو مجيء المسيح كخلص وغالب ومنتصر باسم البشرية ضد الأعداء. جاء ابن الله متأنساً ليحمل نير الصليب باسمنا فيهبنا كل امكانيات الخلاص. إذ يقول النبي: " لأنه يولد لنا ولد ونُعطي ابناً، وتكون الرئاسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيباً مشبواً لها قدوراً أباً أبدياً لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن وإلى الأبد، غيرة رب الجنود تصنع هذا" [6-7].

كانت البشرية المؤمنة تتوقب التجسد الإلهي حيث يأتي ابن الله الذي هو الخالق واهب الحياة ومجدها ليقيم طبيعتنا الميتة الفاسدة إلى صلاحها الذي خلقت عليه، باعادة خلقها وتجديدها المستمر فيهبها استعورية الحياة مع الوحد والحرية.

أ. " لأنه يولد وُلد وتُعطي ابناً "، أي يتأنس فيصير ابن الله ابن الإنسان، ويُحسب ولداً، يحمل طبيعتنا الناسوتية حقيقة في كمال صورتها بغير انفصال عن لاهوته ودون امواج أو خلط أو تغير. يُشركنا حياتنا البشرية ماعدا الخطية ويبقى كما هو "ابن الله"... يقول الرسول: "إذ قد تشرك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يُبدي بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس" (عب 3: 14).

❖ صار إنساناً في جسد خلاصنا، لكي يكون لديه ما يُقدمه عنا خلاصاً لجميعنا.

[11681](#)
البابا أثناسيوس الرسولي

❖ من هو هذا الذي يُؤيدنا أن نشركه في لحمه ودمه؟ إنه بالتأكيد ابن الله! كيف صار شريكاً لنا إلا باللحم؟ وكيف كسر قيود الموت إلا بموته الجسدي؟ فإن احتمال المسيح للموت أمات الموت.

[11691](#)
القديس أمبروسيوس

ب. "وتكون الرئاسة على كتفه"، فقد ملك على خشبة كقول الموتل، خشبة الصليب التي حملها على كتفه بكونها عرش حبه الإلهي.

❖ تكون الرئاسة على كتفه، إذ دخل مملكته بحمله الصليب.

[11701](#)
العلامة أوريجانوس

❖ هذه تعني قوة الصليب، لأنه استخدم كتفيه عندما صُلب لحمله الصليب.

[11711](#)
الشهيد يوستين

ج. "يُدعى اسمه عجيباً"، لأنه فائق الإواك، أعطى اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسمه كل ركبة ممن في السماء وممن على الأرض ومن تحت الأرض (في 2: 9-11).

أواك التلاميذ والرسول قوة اسم "يسوع"، به كانوا يكرزون، وبه كانوا يشفون مرضى ويخرجون شياطين ويقيمون موتى.

تكشف لنا كتابات العلامة أوريجانوس عن اعتراف الكنيسة الأولى باسم يسوع كسر قوة يتمسك به المؤمن ليعيش غالباً ومنتصراً على الخطية والشيطان وكل قوات الظلمة. فمن كلماته: [باسمه كثراً ما تُطرد الشياطين من البشر، خاصة إن رُدد بطريقة سليمة وبكل ثقة. عظيم هو اسم يسوع، الذي له فاعليته حتى إن استخدمه الأشوار أحياناً. اسم يسوع يشفي المتألمين ذهنياً، ويطرد أرواح الظلمة، ويهب شفاء للمرضى [11721](#)]. كما يعلن عن أن ألقابه تكشف عن نعمة المتعددة الغنيمة، إذ يقول: [بالغم من أن المسيح واحد في جوهره لكن له ألقاب كثرة تُشير إلى سلطانه وأعماله، يفهم أنه النعمة والبر

[11731](#)

والسلام والحياة والحق والكلمة [...] .

د. "مشهوراً"، بكونه "حكمة الله" (1 كو 1: 24)، المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم (1 كو 2: 3). جاءت الترجمة السبعينية "رسول المشورة العظيمة" "... ما هي هذه المشورة العظيمة التي أرسله الآب من أجلها؟ اعلان السرّ الإلهي للبشر، والكشف عن الآب الذي لا يعرفه إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له.

❖ دعى ابن الله هكذا (رسول المشورة العظيمة) من أجل الأمور التي علمها خاصة وأنه أعلن للبشر عن الآب، إذ يقول: "أظهرت اسمك للناس" (يو 17: 6) ... أعلن اسمه بالكلمات والأعمال.

[11741](#)
القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ليست معرفة بدون إيمان، ولا إيمان بدون معرفة... الابن هو المعلم الحقيقي عن الآب؛ إننا نؤمن بالابن لكي نعرف الآب، الذي معه أيضاً الابن. مرة أخرى، لكي نعرف الآب يؤمننا أن نؤمن بالابن، إنه ابن الآب. معرفة الآب والابن، بطريقة الغنوسي الحقيقي، إنما هي بلوغ للحق بواسطة الحق... حقاً، قليلون هم الذين يؤمنون ويعرفون.

[11751](#)
القديس إكليمندس الاسكنوري

❖ أرسل الكلمة الإلهي كطبيب للخطة، وكمعلم للأسوار الإلهية الذين هم أنقياء بلا خطية.

[11761](#)
العلامة أوريجانوس

هـ. "إلهًا قديراً": إله حق من إله حق، واحد مع الآب في الجوهر، القادر وحده أن يُجدد طبيعتنا بكونه الخالق، والشفيع الذي يقدر وحده أن يكفر عن خطايا العالم كله.
و. "أباً أبدياً": يلحق اللقب "إله قدير" بـ "أب أبدي"، ليعلن أن قوة السيد المسيح، الإله الحق ليست في إواز جيروت وعظمة إنما بالحوى في تقديم أبوة حب فريدة نحو البشوية، خلالها ننعّم بقوة المسيح فينا. أنه الخالق القدير الذي يُعطي ذاته لمؤمنيه كأعضاء جسده وكابناء له فيحملون إمكانياته فيهم. بمعنى آخر في المسيح يسوع تُعلن قوة الله الغير متركة مع حبه العملي الفائق، لنقول مع الرسول: "استطيع كل شيء في المسيح يسوع الذي يقويني".

ز. "رئيس السلام"، هو ملك السلام (1 تس 5: 33)، الذي يُقدم لنا دمه من أجل مصالحتنا مع الآب، فنحمل سلاماً داخلياً معه (رو 5: 1)، سلاماً مع الله ومع أنفسنا ومع إخوتنا، محطمين سياج العدوة الداخلية والخارجية.
إنه ابن داود، رئيس وملك، لا على مستوى الأرض والؤمن، وإنما لكي يملك أبدياً على كرسي داود أبيه (لو 1: 32-33) على مستوى القلب الداخلي والأبدية، ليس لمملكته ولا لسلامه حدود [7].

يملك بالحق والبر، إذ يخفيها فيه فنصير سالكين بالحق، حاملين وه. أما علة ذلك فهي "غوة رب الجنود تصنع هذا"، يغير على البشوية بكونه العريس السموي المتحد بعروسه.

في اختصار يعلن إشعياء النبي عن هذا المولود العجيب القدير، الذي لا يخلص آحاز من مقاومة أعدائه إنما يُقيم مملكة جديدة أساسها كرسي داود، مملكة سلام حقيقي يمتد إلى الشعوب والأمم ولا يكون لسلامه نهاية [7]، إذ يهبنا ذاته سرّ سلام أبدي.

❖ أنظروا لقد أعطى لنا ابن الله.

بعد قليل يقول: "وللسلام لا نهاية" [7].

للرومان حدود (نهاية) أما مملكة ابن الله فيبلا حدود.

فلس ومادي لهما حدود، وأما الابن فليس له حدود.

يقول بعد ذلك: "على كرسي داود وعلى مملكته..."، القديسة العنواء هي من نسل داود.

[177]

القديس كيرلس الأورشليمي

3. اليد الممدودة:

كلمة الله في محبته غير المحدودة ينتزل ليصير إنسانًا لكي يضيء للجالسين في الظلمة، يشوق عليهم بنوره الإلهي واهبًا إياهم نور المعرفة، مقدمًا لهم حياته سرّ فوح وتهليل ونصوة مستنورة، أما الإنسان - فعلى العكس - يتشامخ بالكبرياء، حاسبًا في نفسه أنه قادر بزواجه البشوي على تحقيق الخلاص. هذا ما حدث في أيام إشعيا النبي وما يحدث عبر العصور، فقد تشامخ بيت يعقوب رافضين مشورته النبوية، وأيضًا في أيام السيد المسيح حيث جنحوا الإيمان به... ومع هذا كله تبقى يد الله ممدودة بالحب تنتظر رجوع الإنسان إليه.

في هذا الفصل ثلاثة أبيات شعوية في العبرية تنهي بالعبارة: " مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد" [12، 17، 20] (أيضًا إش 10:

(4).

وى البعض أن هذه اليد الإلهية الممدودة علامة على دعوة الله للإنسان كي يقرب إليه ويلتقي معه ويتحد به. وأيضًا علامة حماية الله له، وكأنه يؤكد له أنه مهما بلغت العقبات فيد التقدير ممدودة لتخلصه من كل شر وتتقده من العورة والضيق. كما هي علامة على التأديب الإلهي النابع عن الحب، يمد يده ليضغط على الإنسان فوجع إلى نفسه ويطلب الله معينه. هذه العلامات الثلاث قد تحققت خلال تجسد الكلمة، حيث يدعونا إلى النبوة لله، ويقدم لنا الخلاص المجاني، ويحمل أجرة الخطية في جسده ليجتذبنا إليه. اليد الإلهية رمز للكلمة الإلهي الذي قول إلينا ليعلم حب الأب ويصالحنا معه بدمه ثمنا لخطايانا ومعاصينا.

الله - في محبته - سمح بالضيق لمملكة إسرائيل (أوايم) لكن عوض التوبة تشامخوا بالأكثر. هذا ما كشفه النبي بقوله: "القائلون بكبرياء وبعظمة قلب، قد هبط اللبن فنبني بحجارة منحوتة؛ قطع الجميز فنستخلفه بأرز" [10]. وى البعض أن النبي يتحدث هنا عن أوولة التي حدثت في أيام عزيا، والتي يبدو أنها كانت عامة (عا 1: 1؛ زك 14: 5)؛ بسببها سقطت معظم بيوت السامرة وأوايم وكثرت الضحايا، فصاروا يتهكمون على قضاء الله معلنين أنه وإن كان قد سمح بهدم بيوتهم المصنوعة من اللبن وسقوط أشجار الجميز، فإنهم يقيمون قصورًا مصنوعة من الحجارة المنحوتة ويغرسون أشجار أرز لا يقدر أوولة أن يهدمها أو يزيلها. وكأنهم بهذا يكررون ما فعله الإنسان عندما شوع في بناء ورج بابل ليكون رأسه في السماء (تك 11: 3-4).

يود إشعيا النبي على ذلك باعلان تأديب الله الأكثر شدة، فإنهم ماداموا لم يرتعوا بأوولة فسيسمح بهياج العدو "رصين" ملك رام، ويهيج أيضًا أعدائه (بما قصد أشور الذي هاجم إسرائيل وفيما بعد انقلب على يهودا). أنه يسمح بهياج الأمم ضد إسرائيل ليفتوسوهم تمامًا، كما يفتوس وحش غنمًا ويبتلعه: "فياكلون إسرائيل بكل الفم" [12]؛ لكن تبقى مواحم الله تنتظر رجوعهم، إذ يكمل حديثه: " مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد" [12].

4. تأديبات الرب لهم:

يبقى الشعب متحجر القلب لهذا: " يقطع الرب مع إسرائيل الرأس والذنب، النخل والأسل (الحلفاء أو القش) في يوم واحد" [14].

أ. ينزع رؤساء الشعب مهما كانت مقرلتهم (الرأس، النخل).

ب. ينزع الأنبياء الكذبة (الذنب، الأسل).

ج. إبادة المرشدين لأنهم مزلون [16].

د. لا يرق للفتيان بسبب صغر سنهم، ولا للأيتام أو الأمل مع أنه "أبو اليتامى وقاضي الأمل" (مز 68: 5) ... فقد اشترك الكل معاً في الشر مع عناد وعجرفة وحماسة [17]. كان الملوك الآشوريون في غاية القوة: تغلث فلاسير لم يتوقف بالصغار ولا بالأمل أو الأيتام في أوامهم.

هـ. يتحول الشعب كله إلى أشبه بغابة تحترق بنار الغضب الإلهي [19]، ليس لأن الله ينتقم لنفسه وإنما لأن فجورهم نار مدمرة [18].

ز. تتحول الأمة إلى حالة من الفوضى قانونها العنف والظلم وعدم التسبب، تسودها حروب أهلية دموية مدمرة: "لا يشفق الإنسان على أخيه، يلتهم على اليمين فيجوع، ويأكل على الشمال فلا يشبع، يأكلون كل واحد لحم نواحه (أى جله أو قريبه)" [19-20] ... هذه صورة بشعة لمجتمع شريعته الحرب والعنف والأنانية مع الجشع. يُفني الواحد الآخر (غل 5: 15)، وكما يقول حجي النبي: "زرعتم كثراً ودخلتم قليلاً، تأكلون وليس إلى الشبع، تشوبون ولا تروون، تكتسون ولا تدفأون، والأخذ أجرة يأخذ أجرة لكيس مثقوب" (حج 1: 6)، علامة خلو حياتهم من بركة الرب ونعمته.

ح. لا يقف التطاحن على الأواد وإنما يتسلل إلى الأسباط نفسها فيتحالف سبط مع آخر ضد ثالث وهكذا: "منسّي أوامهم وأوامهم منسّي، وهما معاً على يهوذا" [21].

"مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد" [21].

<<

الأصاح العاشر

هجوم آشور على يهوذا ومعاقبة آشور

يحوي هذا الأصاح ويّلين، الويل الأول ضد رؤساء الشعب بسبب شؤمهم، والثاني ضد آشور لأن الله سمح له بغزو يهوذا للتأديب فإذا به ينتفخ على الله ويجدف عليه، حاسباً أن آلهته غلبت إله إسرائيل.

رى البعض أن هذا الأصاح كُتب في السنوات الأولى من حكم حزقيا ملك يهوذا، بعد سقوط السامرة في سرجون ملك آشور (10: 11).

1. الويل الأول ضد القيادات [4-1].
2. الويل الثاني ضد آشور [19-5].
3. الناجون من إسرائيل [23-20].
4. لا تخف يا شعبي [27-24].
5. الغزو الآشوري ليهوذا [32-28].
6. سقوط آشور [34-33].

1. الويل الأول ضد القيادات:

رى البعض أن الويل الموجه ضد القيادات هنا هو تكملة لما ورد في الأصاح السابق عن كبرياء إسرائيل، ويدللون على ذلك أنه انتهى أيضاً

بالعبارة التي تكررت قبلاً: " مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد " (إش 9: 12، 17، 21؛ 10: 4). بهذا يكون الحديث موجهاً ضد قيادات الأسباط العشوة (إسائيل). غير أن تكلمة الحديث موجه إلى أورشليم عاصمة يهوذا لهذا يرى بعض الدارسين أن ما ورد هنا ينطبق على قيادات المملكتين لأنهما تشابهتا في الشر.

يكشف الله تصرفات القادة الجاؤة، التي تركز في القضاء بالباطل والحكم بالظلم [1]، يصنون الضعفاء عن التمتع بحقوقهم المسلوبة، ويسلبون حق البائسين خاصة الأيتام والأرامل [2]. وكما يقول الحكيم: "ثم رجعت ورأيت كل المظالم التي تُحوى تحت الشمس فهذا دعوى المظلومين ولا معز لهم ومن يد ظالمهم قهر" (جا 4: 1).

الآن إذ يُرك إشعياء عدل الله خاصة في دفاعه عن الضعفاء يسأل هؤلاء القادة:

" وماذا تفعلون في يوم العقاب حين تأتي التهلكة من بعيد؟ إلى من تهربون للمعونة؟ وأين تتركون مجدكم؟ إما يجثون بين الأسرى وإما يسقطون تحت القتلى" [3-4]. العقاب قادم لا محالة خاصة تجاه القيادات الدينية والمدنية، هذا أمر مفروغ منه وحقيقة لا يمكن تجاهلها. وكما سبق فقال: "ويل للشوير شر، لأن مجزاة يديه تُعمل به" (إش 3: 11). لا يجدون معونة، لأن الذي يعيننا في الحكم هو رحمتنا وتوفيقنا بالخير. تقول أمجادهم لأنها لتبطل بالؤمن لا بالله، لهذا منهم من يسقط أسوأ ليجثو في مذلة بين الأسرى، ومنهم من يُقتل عندما يهاجمهم آشور، فيسقط تحت جثث الآخرين. لقد داسوا حق الضعفاء فيطأهم الغير تحت أقدامهم.

مع هذا كله لازال الله يمد يد محبته ليخلصهم من شرمهم: "مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد" [4].

2. الويل الثاني ضد آشور:

سبق أن تحدث النبي عن قوة آشور العسكرية وجبروته ونصوته حتى على شعب الله، كما أكد أن ما حل بالشعب هو بسماع إلهي للتأديب، لكن آشور تعظم على الله وحسب بغلبته هذه أنه غلب إله هذا الشعب وأذله... لهذا يعود الرب فيؤدب آشور نفسه المتعالي والمتعجرف. اعتاد إشعياء النبي أن يتحدث بجراءة وصراحة فبينما يدعو آشور قضيب غضب الله وعصاهم هي سخط الرب [5] لكون آشور أداة لتحقيق تأديبات الرب، نجده يدعو شعب الله "أمة منافقة" و "شعب سخط الله" [6]، لأن هذا الشعب قد حمل صورة العبادة من الخراج بينما دب الفساد في حياتهم الداخلية. هذا ما دفعه إلى دعوة الشعب بأسماء مقوته وأن يعلن أن الله يُسلمهم لآشور للنهب والغنيمة لكي يطأهم آشور بالأقدام فيصيرون موسين كطين الأرقعة... من يستخف بالحياة المقدسة في الرب إنما يسلم حياته للفساد والضياع وينهار ليسخر به عدو الخير ويطأه تحت قدميه.

لم يترك آشور هذه الحقيقة أنه مجرد أداة للتأديب [7] إنما في كوياء قال: "أليست رؤسائي جميعاً ملوكاً؟! [8]، بمعنى أن الولاة الذين يقيمهم ملك آشور تحت قيادته هم جميعاً ملوك، فماذا يكون موكه هو؟! إنه ملك ملوك!

قال أيضاً: " أليست كلنو مثل كرمشيش؟! أليست حماة مثل رُفاد؟! أليست السامرة مثل دمشق؟! [9]. يرى الدارسون أن المتحدث هنا سنحريب الآشوري المفخر بانتصاراته بجانب أنتصارات سرجون السابق له بكونها انتصارات لحساب آشور ككل، تكشف عن عدم جوى مقاومة الوحف الآشوري.

ربما يقصد بـكلنو "كلنة" المذكورة مع حماة وحت في (عا 6: 2) والتي يظن أنها كُولاني أو كُولانيو الحديثة التي تبعد مسافة 6 أميال من رُفاد بالقرب من حلب.

كركميش : عاصمة الحثيين الشرقية، غربي نهر الوات عند فوضة في النهر وشمالى مكان التقائه بساجور. موقعها تجرى ممتاز، غنية جداً. استوفي آشور ناصر بال (885 - 860 ق.م.) منها جزية كبيرة جداً، واستولى عليها سرجون عام 717 ق.م.، وبسقوطها سقطت الإمبراطورية الحثية. دعاها الرومان كركيسيوم، في موقعها الآن جرابلس.

رُفَاد: مدينة في رام تبعد حوالي 13 ميلاً شمال حماة، في موضعها الآن "تل رُفاد". استولى عليها الآشوريون في القرن التاسع قبل الميلاد، لكنها ثلثت ضدهم ثم عانوا فاستولوا عليها عدة مرات، وهم يفخرون بغلبتهم عليها. هكذا لم تقف أمام آشور أعظم مدن الحثيين أو الأراميين، فهل تقف أمامه مدن يهوذا وإسرائيل؟! لقد حسب آشور نفسه أنه غلب آلهة الأمم وأوثانها التي تحميها فلن يقف إله إسرائيل أو يهوذا قدامه [10-11]، طائفاً أنه على ذات مستوى هذه الأصنام.

لقد سمح الله له بذلك، لكنه يعود فيؤدب آشور على سخريته به: " فيكون متى أكمل السيد كل عمله بجبل صهيون وبأورشليم إني أعاقب ثمر عظمة قلب ملك آشور وفخر رفة عينيه، لأنه قال: بقوة يدي صنعت وبحكمتي، لأنني فهمم، ونقلت تخوم شعوب ونهبت ذخائرهم وحططت الملوك كبطل، فأصابت يدي ثروة الشعوب كعش وكما يجمع بيض مهجور أنا كل الأرض ولم يكن مرفرف جناح ولا فاتح فم ولا مصفصف" [13-14]. هكذا ظن آشور أنه بقوته وحكمته صنع أعمالاً خارقة: حكم ملوكاً ونقل الشعوب، دمر وقتل واغتتى، في غزواته يتطلع إلى الشعوب كعش طائر لا حول له ولا قوة، ينهب ما فيه من بيض مهجور... لم يوجد من يقف أمامه أو ينطق بكلمة.

لم يترك آشور أنه كان فأساً أو منشولاً يستخدمه الله للتأديب، فتشامت الأداة على من يستعملها. لذلك يقوم الله بتأديبه هكذا: أ. يوسل على "سيمانه"، أي أبطال جيشه الجباوة، هوألاً [16].

ب. يوقد تحت "مجده"، أي جيشه، وقيداً كوقيد النار [16]، فتلتهمه ليصير رماداً. يصير الله "نور إسرائيل" نراً أكلة لآشور، والقنوس لهيباً يُحطم العدو [17]. بمعنى آخر الله الذي هو نور للمؤمنين وسرّ تقديس لحياتهم يكون نراً أكلة ولهيباً للآشور المقاتلين. ج. يُفني جيشه فيبقى عدد قليل (أشجار وعوة) يستطيع صبي أن يكتب اسماءهم [19]، هذا من جهة العدد أما من جهة القوة فيفتقون طاقتهم النفسية والجسدية ويكونون كملول يذوب [18].

3 . الناجون من إسرائيل:

كثراً ما تحدث الأنبياء عن "البقية" التي تخلص، قصصوا بها القلة القليلة التي تبقى أمينة للرب وسط انهيار القيادات الدينية وفساد القضاة والرؤساء والشعب أيضاً. هذه البقية التي تنجو من فساد الجماعة ورجاساتهم، يخلصون من الضيق الشديد وقت التجربة المؤة (رؤ 3: 10). هذه البقية التي تنجو من ظلم آشور لا توح بعودتها إلى أورشليم إنما بما هو أعظم، توح بلقائها مع الله القدير نفسه [21].

اقتبس الرسول بولس قول إشعيا النبي [22 و 23 Lxx] قائلاً: وإشعيا يصوح من جهة إسرائيل وإن كان عدد بني إسرائيل كرم البحر فالبقية ستخلص، لأنه متم أمر وقاض بالبر، لأن الرب يصنع أمراً مقضياً به على الأرض" (رو 9: 27-28).

جاء هذا القول في إشعيا [22، 23 Lxx] وكان يحمل نوبة عن المسيبين إذ كانوا كثيرين جداً بالنسبة للقلة القليلة التي تنجو من الأسر... وأن الله سمح بذلك، بل وقضى بهذا التأديب لأجل البر. طبق الرسول هذه النوبة بصورة أشمل على العصر المسياني حيث يؤسر عدد كبير جداً من اليهود تحت الجحود رافضين الايمان بالمسييا، وقليلون هم الذين يخلصون بقبولهم المسييا المخلص، وقد سمح الله بذلك لأجل البر، ليفتح الباب للأمة [178].

يلق القديس يوحنا الذهبي الفم: [إنه يعني أنني لا أهتم بالجمع (بالعدد الضخم)، ولا أتأثر بالجنس (اليهود)، وإنما أخلص من يتقدمون كمستحقين للخلاص. إنه لم يذكر "كرم البحر" بلا سبب. إنما ليذكروهم بالوعد القديم (تك 22: 17؛ 32: 12) الذين جعلوا أنفسهم غير أهل له. لماذا ترتبكون إذن إن كان الوعد لا يتحقق (للكل) إذ أظهر كل الأنبياء أنه ليس الجميع يخلصون؟ عندئذ يظهر الرسول أيضاً طريق الخلاص... "لأنه متم أمر وقاض (بسوة) بالبر، لأن الرب يصنع أمراً مقضياً به (سريعاً) على الأرض" (رو 9: 28)... هذا الأمر هو الإيمان الذي يحمل خلاصاً في كلمات قليلة: "لأنك إن اعترفت بمفك بالرب يسوع وأمنت بقلبك أن الله أقامة من الأموات خلصت" (رو 10: 9). ها أنتم ترون أن الرب متم كلمة قليلة على الأرض، والعجيب أن هذه الكلمة القليلة لا تحمل خلاصاً فحسب بل وواً [179]. كما يقول: [لئلا تظن أن الله يهتم بالعدد الضخم فقط يقول: وإن كان عدد بني

إسواتيل كومل البحر فالبقية ستخلص" [ويقول القديس أغسطينوس: [هذه هي البقية من تلك الأمة التي تؤمن بالمسيح [.

4. لا تخف يا شعبي:

وى بعض الدارسين أن النوبة هنا تُشير إلى الحدث التالي: عندما رفض حزقيا بن أحاز وخليفته دفع الجزية هاجم سنحريب الآشوري يهوذا بجيش قوي وحاصر أورشليم وكان على وشك استلام المدينة، لكن الله أمر بخلاصها. قُتل الجيش وهرب سنحريب حيث قتله أبنؤه. أشرت النوبة هنا إلى أمر هام وهو أن الله هو العامل في كل الأجيال. الله لا يكف عن أن يوصي شعبه بعدم الخوف، فهو الأب الملقوم بحياتنا وخلصنا ونموتنا وسلامنا، يعمل في كل العصور بزواجر رفيعة لخلص مؤمنيه. إن كان خروج بني إسواتيل أو خلاصهم من العبودية يُحسب أمراً فائقاً يكشف عن رعاية الله لمؤمنيه، فانه في أيام حزقيا يكرر خروجهم أو خلاصهم على مستوى أقوى وسط العورة التي يُعاني منها الكل. يُطالب الله شعبه ألا يخاف من آشور فإنه سيُباد، إذ يُقيم الله عليه سوطاً [26]، يضربه بملاكه ضربة قاتلة (2 أى 32: 21)، كما سبق فضوب غواب أمير مديان (قض 7: 25؛ مز 83: 11)، وكما ضوب فرعون وجنوده في بحر سوف خلال عصا موسى [26]. هكذا يُبهد الله آشور ليؤزع هذا النير عن كتف شعبه [27] وعن عنقه بسبب السمانه (الدهن)، لأجل المسحة المقدسة التي نالها داود الملك وبنة من بعده. الأمر الثاني هو أن الممسوح أو المسيا القدير يهبراحة للأرض كلها وسلاماً خلال ملكه الطوبوي... هذا هو الخط الرئيسي في السفر كله، بل في الكتاب المقدس بعهديه.

5. الغزو الآشوري ليهوذا:

قبل الحديث عن سقوط آشور تحدث النبي عن الغزو الآشوري ليهوذا ليوضح قدرته الحربية الجبلة وسوعة تقدمه نحو أورشليم العاصمة مع ضعف مقاومة يهوذا بل وانعدامها، وكيف لتعب يهوذا ولتعد [28-32]. قدم النبي وصفاً شاعرياً يكشف عن هولة مدن يهوذا، لكن آشور يتوقف عند نوب (مدينة للكهنة تقع في شمال أورشليم)، ربما ليستريح الجيش ويستعد لمواجهة أورشليم. لقد وقف سنحريب هناك لرفع يده ويمدها مهدداً أورشليم [32]، فظهر كشجرة شامخة متعرفة. هدد بسحق أورشليم ولم يدرك أن الله قد سمح بسحقه هو وليؤزع عنه أغصانه التي يتشامخ بها. في هذه النوبة لا يقصد الله سنحريب وحده إنما عنى كل تحرك شوير مقاوم لكنيسة الله أو لأحد ولأده.

6. سقوط آشور:

يعلن الله تحطيم آشور تماماً، فإنه يقضب أغصانه بل وينتزع أصوله لينهار تشامخه ويقول مجده إلى التراب [33-34]، هذه هي ثوة

الكرياء!.

<<

الأصاح الحادي عشر

المسيا والعصر المسياني

لم يكن ممكناً لإشعيا النبي أن ينحصر في الأحداث المعاصرة له ولا الخاصة بالمستقبل القريب بالنسبة له وإنما اتجه نحو الخلاص الأبدي، لوى عمل الله العجيب لا بسقوط آشور ولا بعودة القلة الأمانة إلى يهوذا، وإنما بسقوط عدو الخير إبليس واجتماع المؤمنين من اليهود والأمم كأعضاء في جسد واحد يتمتعون بالملكوت المسياني العجيب.

1. ظهور ابن يسي [1].
- 2 . المخلص وروح الرب [2].
3. أعمال المخلص [4-3].
4. سمات العصر المسياني [9-5].
5. سلام بين الشعوب [16-10].

1. ظهور ابن يسي:

في الأصحاح التاسع تحدث عن المخلص بكونه المولود العجيب: "لأنه يولد لنا ولد... ويدعى اسمه عجيبيًا مشوًا إلهًا قدورًا أَبًا أَبديًا" (إش 9: 6)، أما هنا فيؤكد ناسوته بكونه الملك ابن يسي: " ويخرج قضيب من جذع يسي وينبت غصن من أصوله" [1]. لم يقل ابن داود مع أنه شوًا هو ابن داود، لكنه أراد تقديمه بصورة متواضعة جدًا، كقضيب وغصن من يسي الذي عاش ومات قليل الشأن. والعجيب أن نسل داود الملك ضعف جدًا حتى جاء يوسف والقديسة مريم فواء للغاية.

بينما يتحدث الوحي في الأصحاح السابق عن آشور - يمثل عدو الكنيسة - كأغصان مرتفعة وقوية (إش 10: 33) يظهر المسيا كقضيب أو غصن متواضع. أراد أن يسحق الكورياء محطم البشوية باتضاعه. وكما تقول عنه الكنيسة في جمعة الصليبوت: "أظهر بالضعف (الصليب) ما هو أعظم من القوة".

❖ هذا هو المسيح، فقد حُبل به بقوة الله بواسطة العزراء من نسل يعقوب، أب يهوذا، وأب اليهود، من نسل يسي...

[\[182\]](#)
الشهيد يوستين

2 . المخلص وروح الرب:

" ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب" [2].

إذ جاء السيد المسيح ممثلًا للبشوية حلَّ عليه الروح القدس الذي ليس بغريب عنه، لأنه روحه. حلول الروح القدس على المسيح يختلف عن حلوله علينا؛ بالنسبة له حلول أفنومي، واحد معه في ذات الجوهر مع الآب، حلول بلا حدود. أما بالنسبة لنا فهي عطية مجانية ونعمة تُمنح لنا في المسيح يسوع قدر ما تحتمل طبيعتنا ليعمل على تجديدها المستمر. لذا قيل عن السيد المسيح "فيه سرُّ أن يحل كل الملاء" (كو 1: 19، 2: 9)، ومن ملئه الذي يملأ الكل ينال جميع المؤمنين نعمة فوق نعمة (يو 1: 16).

كلمة الله هو الحكمة عينها والفهم والقوة... فحلول الروح القدس ليس حولًا زمنيًا بل هو اتحاد رُلي بين الأقانيم الثلاثة. بالتجسد الإلهي قَبِل ربنا يسوع ظهور الروح القدس حَالًا عليه لكي يهبنا نحن فيه، كأعضاء جسده، عطية الروح القدس واهب الحكمة والفهم والمشورة والقوة والمعرفة ومخافة الرب.

ربما يسأل البعض: لماذا حلَّ الروح القدس على السيد المسيح عند عماده؟ نُجيب [\[183\]](#) : الروح القدس هو الذي شكَّل ناسوت السيد المسيح منذ لحظة البشارة بالتجسد الإلهي. ولما كان لاهوت السيد لم يفرق ناسوته، لهذا لم يكن الناسوت قط في مغزل عن الروح القدس، ولا في حاجة إلى تجديد الروح له، لأنه لم يسقط قط في خطية ولا كان للإنسان القديم موضع فيه، إنما طلب السيد أن يعتمد "لكي يكمل كل بر"، أي يقدم لنا وَا جديدًا نحمله فينا خلال جسده المقدس. حلول الروح عليه في الحقيقة كان لأجل الإنسانية التي تتقدس فيه، فتقبل روحه القنوس.

في هذا يقول القديس غريغوريوس النيسي : [اليوم اعتمد (يسوع) من يوحنا لكي يظهر الذي تدنس، ولكي يجعل الروح ينحدر من فوق فيرفع الإنسان إلى السماء، ويقيم الساقط الذي انحدر وصار في عار. لقد أصلح المسيح كل الشرور، فأخذ البشوية الكاملة لكي يخلص البشوية، ولكي يصبح

مثالاً لكل واحدٍ منا. لذلك فهو يقدس باكورة وثمار كل عمل يقوم به لكي يتّرك لعبيده غوة حسنة بلا شك في اقتفاء أثره ^[1184].

يتحدث **القدّيس غريغوريوس النزيوي** عن عمل الروح القدس في حياتنا كتنوع صلاحنا، قائلاً:

لُدعى روح الله وروح المسيح... وهو نفسه الرب.

روح النبوّة والحقّ والحريّة،

روح الحكمة والفهم والمشورة والقوّة والمعرفة والصلاح ومخافة الله.

إنه صانع كل هذه الأمور،

يملأ الكل بجهوه ويحيى كل الأشياء،

يملأ العالم في جهوه ومع هذا فلا يمكن للعالم أن يبرك قوته.

صالح ومستقيم، ملوكي بطبيعته وليس بالتبني.

يُقدّس ولا يتقدّس،

يقيس ولا يُقاس،

يهب شركة ولا يحتاج إلى شركة،

يملأ ولا يُملأ،

يحيى ولا يُحيى،

بورث ويمجد... مع الآب والابن.

هو أصبع الله، نار كالله (الآب)...

الروح الخالق الذي يخلق من جديد بالمعمودية والقيامة.

هو روح العالم بكل شيء، يهب حيث يشاء،

يرشد ويتكلم ويرسل ويفرز ويحزن،

يعلن وينير ويحيي، أو بالحري هو ذات النور والحياة.

يخلق هياكل ويؤله (يعطي شركة مع الله)،

يهب كملاً حتى قبل العماد (كما في حادث كورنيليوس أع 10: 9)،

تطلبه بعد العماد كعطية... يفعل فينا العمل الإلهي،

ينقسم في ألسنة نارية مُقسماً المواهب،

يقيم الوسل والأنبياء والإنجيليين والرعاة والمعلمين.

يُفهم بطرق متعددة، واضح، وينخس القلوب... ^[1185].

3. أعمال المخلص:

"ولذّته تكون في مخافة الرب، فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإتصاف

لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويُميت المناقق بنفخة شفّتيه" [3-4].

أ. يُقدّم لنا السيد المسيح صورة حيّة عن التعامل مع الآخرين، وهي ألا تقوم على المظاهر الخرجية المجردة، وألا تكون حواسنا هي الحكم

خاصة الشم والنظر والسمع.

يقول "لذته *His breath* تكون في مخافة الرب" [3] . حاسة الشم هي أسوع حاسة في حياة الإنسان، يؤم أن تمتص مع بقية الحواس بالمخافة الإلهية. هنا يجب أن نميز بين ثلاثة أنواع من الخوف: خوف العبيد، خوف الأحرار، وخوف البنين. فالعبيد يخافون سادتهم لئلا يقتلهم، والأحرار يخافون العاملين لديهم لئلا يرحمهم الأجر أو المكافأة، أما الأبناء فيخافون لئلا تروح مشاعر آبائهم. هذا الخوف السامي الذي يهبه روح الرب لنا حتى نهاب الله ليس خشية العقوبة ولا الحرمان من المكافأة وإنما لأننا أبناء لا نريد أن نوح مشاعر محبته.

ب. " لا يقضي بحسب نظر عينيه" [3] ، إنما حسب الأعمال الداخلية بكونه فاحص القلوب والعرف بالأفكار والنيات. يأخذ السيد المسيح موقفًا مضادًا لما حدث في أيام إشعياء إذ كان القضاة يحكمون حسب الوجه. هذه الضربة "المحابة" كثرة ما تُصيب الملقمين بمسئوليات قيادية، وقد وقف الرب حزمًا ضد هذا الوباء، فكان يوبخ القيادات الدينية التي أُصيبت بالمحابة والرياء مثل الفريسيين والصدوقيين والكتبة، بينما كان يدعو الأطفال إليه بلطف ويؤفّق بالخطاة والعشّرين.

ج. رفض الرشايات البشرية: "لا يحكم بحسب سمع أذنيه" [3].

د. اهتمامه بالمساكين والبنائسين والمظلومين [4].

هـ. " ويضرب الأرض بقضيب فمه" [4] . جاء رب المجد يضرب بكلمته (قضيب فمه) أو بسيف فمه (رؤ 2: 16؛ 19: 6)، سيف الكلمة ذي الحدين (عب 4: 3) كل من التصق بمحبة الأرضيات فصار رُصًا. غايته أن يُحطم فينا محبة الرُمنيات ليرفع كل طاقاتنا نحو السمويات. جاء لكي يُميت الرياء والنفاق بروحه القنوس (نفخة شفّيته)، فيعيش المؤمنون بالروح القدس العامل في داخلهم دون أن ينشغلوا بالمظاهر الخادعة.

و. " ويكون البر منطقة متنيه والأمانة منطقة حقويه" [5] . كان الأغنياء في الشوق يلبسون منطقة مزركشة بالخيوط الذهبية كرينة علامة العظمة والبهاء ولكيما تُرفع الثوب الفضفاض. أما الفقراء خاصة العبيد فيلبسون منطقة زهيدة تساعد الإنسان على سوعة الحركة في خدمته لسيدته وضيوفه، كما تستخدم المنطقة أثناء السفر لرفع الثياب، ويستخدمها الجند... على أي الأحوال جاء ربنا يسوع المسيح إلى العالم ملكًا روحياً يتمنطق بالبر والأمانة علامة غناه وجماله بكونه القنوس واهب الحياة القدسية، وجاء كخادم يتمنطق لكي يغسل الأقدام البشرية حتى يُظهر كل من يقبل إليه. كثرة ما يُشبّه البر بالثوب أو المنطقة، إذ ببر المسيح نستتر ونتحرك للعمل والجهاد (أى 29: 14؛ مز 109: 18، 19، أف 6: 13-17؛ رؤ 19: 8).

4. سمات العصر المسياني:

بعد أن تحدث عن عمل السيد المسيح استطرد ليتحدث عن العصر المسياني، مقدمًا لنا صورة حية عنه أبرزها اتسام البشرية المؤمنة بالاتحاد معًا في جسد واحد، يحملون طبيعة الحب والسلام، فتختفي من حياتهم كل ثورة أو عنف أو حب لسفك الدماء والقتل أو التخريب والتدمير. يصوّر هذا العصر قائلًا:

"فيسكن الذئب مع الخروف" [6] ؛ لا يوجد تضاد أعظم من هذا، يسكن سافك الدم مع الحمل الوديع العاجز عن الدفاع عن نفسه. يعيش صاحب القلب الذئبي المحب للاقتواس مع الإنسان الوديع كالحمل، يحملان طبيعة جديدة دستورها الحب والوفاق. لم يعد من كان ذئبًا يهدد الحمل، ولا الحمل يخشى من كان قبلاً من فئة الذئاب، إذ صار الكل قطيعًا واحدًا يحمل الخليقة الجديدة التي في المسيح يسوع.

"ويبيض النمر مع الجدي" [6] . الأول حيوان يتوقّب الفريسة ليُهجمها غورًا والثاني يلهو بلا اكزّات فهو مثير للنمر كي ينقض عليه... لكن طبيعة العنف والاقتراس قد وُعت عن النمر ليربض مع الجدي.

" والعجل والشبل والمسمن معاً وصبي صغير يسوقها" [7]. قطع عجيب غير متجانس، تحت قيادة عجيبة. من يتخيل صبيًا صغيرًا يقود عجلًا في رفقته شبلًا ومسمنًا! هذا الصبي الصغير يُشير إلى القيادات الروحية الكنسية التي تستطيع بروح البساطة أن تخلق بروح الوب من المؤمنين القادمين من أمم وشعوب مختلفة والذين يحملون مواهب متعددة قطيعًا وديعًا يخضع بروح الإنجيل كما لصبي صغير.

حقًا إن القيادات الوديعة- كالصبي- التي لا تعرف حب السيطرة تعرف أن تحول الأشبال إلى قطعان وذلك بعمل روح الوب.

" والبقرة والذئبة وعيان" [7]. [وي القديس إكليمنديس الاسكنوي 11861](#) أن البقرة تُشير إلى اليهود لأنها من الحيوانات التي تحت النير وهي طاهرة حسب الشريعة بينما الذئبة تُشير إلى الأمم والشعوب الوثنية إذ هي مفترسة (عنيفة) وبحسب الناموس غير طاهرة. وكأنه من سمات العصر المسياني أن يجتمع أعضاء من أصل يهودي مع آخرين من أصل أممي في رعية واحدة، تحت قيادة الراعي الواحد الصالح. لما كانت الذئبة مع اتسامها بالافتراس إلا أنها بطيئة الحركة لذا فإن البقرة الحلوب تُحسب فريسة ثمينة وسهلة تقدر على افتراسها دون أن تفلت منها، على عكس الثور الصغير. مع هذا الإغواء نجد مصالحة عجيبة بينهما وصدافة بينهما كما بين صغلهما، إذ قيل: " **تربض ولادهما معاً**" [7]. هذا ما حدث فعلاً إذ جاءت الأجيال التالية في كنيسة العهد الجديد لا تحمل تمييزاً بين من هم من أصل يهودي أو أممي.

"والأسد كالبقر يأكل تبنًا" [7] ، إذ فقد طبعه الوحشي وتغيرت طبيعته فصار كالحيوان المستأنس لا يطلب لحمًا بل تبنًا.

" ويلعب الوضع على سوب الصل" [8] ؛ لا يعود الوضع يزعج لأنه قد بطل سم الصلّ.

" ويمد الفطيم يده على جحر الأفوان" [8] . يمد الفطيم يده إلى فم الأفوان ولا يُصاب بشيء.

في اختصار عمل السيد المسيح هو تغيير الطبيعة البشرية الشوسنة خلال خدامه المتسمين بروح الوداعة، فتحمل الكنيسة كلها - خدامًا ومخدومين - روح الحب والوحدة. بهذا لا يُصيب الكنيسة - جبل قدس الرب - فساد " **لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب**" [9] ، لا معرفة فلسفية عقلانية بحتة، إنما معرفة التلاقي والاتحاد والخوة العملية للحياة الجديدة في الوب. هذه المعرفة الروحية تملأ حياة المؤمنين كأمر طبيعي تتحقق بتجسد كلمة الرب الذي جاء يُعونا الحق، ويعمل روحه القدس، فصلرت المعرفة تملأ الأرض " **كما تُغطي المياه البحر**" [9] . يقول رب المجد نفسه: "إنه مكتوب في الأنبياء: ويكون الجميع متعلمين من الله" (يو 6: 45؛ إش 54: 13؛ إر 31: 34؛ مي 4: 2؛ عب 8: 10؛ 10: 16).

يحدثنا القديس مقاريوس الكبير عن هذه المعرفة الروحية العملية، قائلًا: [إذ تتحد (النفس) مع الروح المُغوي بألفة لا توصف، وتختلط بالروح تمامًا تُحسب أهلاً أن تصير هي نفسها روحًا، باختلاطها معه حينئذ تصير كلها نورًا وكلها عينًا وكلها روحًا وكلها فرحًا وكلها راحة وكلها بهجة وكلها محبة وكلها أحشاء وكلها صلاحًا ورأفات] [11871](#).

5. سلام بين الشعوب:

أ. جاء السيد المسيح ليقيم ملكوته من كل الأمم والشعوب، واهبًا سلامًا للمؤمنين الحقيقيين " **ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسئ القانم راية للشعوب إياه تطلب الأمم ويكون محله مجداً**" [10] . اقتبس الرسول بولس هذه النوبة عندما تحدث عن تمجيد الأمم لله من أجل رحمته عليهم (رو 15: 6، 12) مبيّنًا أن قوله " **في ذلك اليوم**" تحقق بمجيء المسيا الذي ضم الأمم في ملكوته. لقد صار رب المجد يسوع راية تجمع حولها أبناء الله المتوقفين إلى واحد (يو 11: 52) ، فصاروا رعية واحدة لواحد. صار السيد راية تعلن الحب الإلهي في أعرق صورته برفعه على الصليب باسطًا يديه ليضم العالم كله في أحضانه (يو 12: 32) ، كلزًا بوح إنجيل الخلاص الذي ردّ للإنسان كرامته الأولى وغلبته على قوات الظلمة، فاتحًا لهم أبواب الفردوس. يقول " **إياه تطلب الأمم**" ؛ إنه مشتبه الشعوب، بحث عنه اليونانيون (يو 12: 20-21) ؛ ورسل قائد المئة كورنيليوس الأممي إلى بطرس لكي يسمع عن السيد المسيح (أع 10).

" **ويكون محله مجداً**" ؛ جاء في الترجمة اليسوعية " **يكون مثواه مجداً**" ؛ لعله يقصد أن صليبه الذي كان علًا صار بقيامته مجداً، إذ صار قوه

الفرغ مقدسًا للمؤمنين فيه يدركون حقيقة مسيحهم واهب الحياة والقيامة.

ب. ضم السيد المسيح إلى كنيسته البقية التي قبلت الخلاص، وقد جاءت من أماكن متوقفة (أع 2؛ يع 1: 1؛ أبط 1: 1)؛ لذلك يقول النبي: " ويكون في ذلك اليوم أن السيد يُعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه التي بقيت من آشور ومن مصر ومن فثروس (مصر العليا) ومن كوش ومن عيلام (مملكة في شرق نهر دجلة وشمال شرقي الخليج الفارسي) ومن شنعار (سهل بابل) ومن حماة ومن جزائر البحر" [11]. تحققت هذه النبوة في عيد العنصرة وأيضًا خلال خدمة الوسل وعبر الأجيال، وستتحقق مرة أخرى بصورة أوسع في الأيام الأخيرة حينما يقبل اليهود الإيمان بالسيد المسيح كقول الرسول بولس (رو 11: 11-27). في ذلك اليوم ينضم قابوا الإيمان القادمون من اليهود إلى الكنيسة التي سبق أن ضمت الأمم ويكون الكل أعضاء في جسد واحد: " ويرفع راية للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض" [12].

يحاول بعض المفسرين أن يحسبوا ذلك مجدًا لأمة إسرائيل بطريقة حرفية ^[1881]، إنما هنا إعلان عن مجد الكنيسة التي تضم من الأمم واليهود معًا تجمع الكل من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها دون تمييز في الجنس... إذ يصير الكل كنيسة واحدة تحمل راية مسيحها الواحد. ح. يُقدم الاتحاد الذي تم بين إسرائيل (أوايم) ويهوذا عند عودتهم من السبي بعد أن استحكمت الزاعات بل والعدوة بينهما قرونًا طويلة صورة للاتحاد بين الأمم واليهود [13].

في القديم كان الفلسطينيون وبنو المشرق وأنوم وعمون وموآب ومصر مقاومين للشعب لذا وهب الله شعبه إمكانية النصرة عليهم [14-16]، أما في العهد الجديد فتكون الغلبة لا بانتصارات حربية وإنما بقبول هذه الأمم للإيمان الحيّ فتصير أدوات للبناء لا للمقاومة والهدم. الله الذي سبق فحول البحر لخالص شعبه إذ أجّلهم فيه بعد أن فتح لهم فيه طريقًا للعبور هكذا يجفف كل مقاومة في قلوب الأمم لينفتح طريق الملكوت المسياني. بمعنى آخر الذي أصعد شعبه من مصر مجتازًا بهم وسط مياه البحر الأحمر، هو الذي يعبر بهم من آشور بعد السبي [16]، وهو الذي يعبر بالأمم إلى ملكوته بالوغم من كل العقبات والصعوبات التي تقف أمامهم.

<<

الأصاح الثاني عشر

تسبحة المفديين

اجتاز إشعياء النبي حالة الضيق التي أصابت نفسه بسبب ما بلغ إليه الشعب من فساد، الأمر الذي لأجله سمح الله بتأديبه بواسطة آشور وتلامس مع عمل الله الخلاصي لا بإعادة المسيبيين إلى يهوذا وإنما ما هو أعظم: ظهور ابن يسى راية للأمم يجمع بحبه الفائق مؤمنيه من كل الشعوب ليتمتعوا بسلامه السلمي. لم يكن أمام النبي إلا أن يُسجل على لسان هؤلاء المفديين بدم المخلص تسبحة موحية تعتبر امتدادًا للنبوة الواردة في الأصاح السابق التي تشدو بمجد المسيح وشخصه وعمله وملكوته وشعبه.

1 . مراحم الله وسط غضبه [1].

2 . يهوه سر خلاصنا وقوتنا وفرحنا [2-3].

3 . الشهادة لأعمال الله [4-6].

1 . مراحم الله وسط غضبه:

" وتقول في ذلك اليوم: أحمدك يارب لأنه إذ غضبت عليّ رتدَّ غضبك فتغزيني" [1].

تبدأ الترنيمة الجديدة التي ينطق بها كل من يتمتع بعمل السيد المسيح الخلاصي بالكلمات: "وتقول في ذلك اليوم". أي يوم هذا؟ إنه يوم الصليب أو يوم الكفارة العظيم الذي فيه نحمد الرب الذي حوّل الغضب إلى خلاص وتغوية ومجد. لقد تجسم الغضب الإلهي على الخطية التي تركبها بصلب السيد المسيح - كلمة الله المتجسد - لرفعنا من الغضب إلى المجد. ظهرت تغريات الله العجيبة إذ حررنا لا من السبي البابلي وإنما من أسر إبليس وجنوده وأعماله الشريرة ليملك البر فينا.

هكذا نُقدم الحمد والشكر لله لا كالفيسي الذي وقف في الهيكل مفتوحاً على الآخرين، وإنما كالص اليمين المطرود خارج المحلة من أجل خطايه فيجد في صحبته المسيح الرب مصلوباً لأجله، يفتح له أبواب الفردوس. هكذا يرتد غضب الله علينا إلى تغريات سماوية إلهية فائقة. في ذلك اليوم صار هو نفسه سلامنا (أف 2: 14)، وفيه صالح الله العالم لنفسه (2 كو 5: 19).

2 . يهوه سرّ خلاصنا وقوتنا وفوحنا:

" هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب، لأنه ياه يهوه قوتي وترنيمتي، وقد صار لي خلاصاً، فتستقون مياهاً بفوح من ينابيع الخلاص" [2-3].

اقتبست الكنيسة القبطية جزءاً من هذه التسبحة لتتشدها للرب المصلوب في يومي خميس العهد وجمعة الصليوب، وهو: "قوتي وتسبحتي (ترنيمتي) هو الرب، وقد صار لي خلاصاً. الله هو سر قوتنا وتسيبنا وخلاصنا! في وسط مشركة الكنيسة عريستها آلامه تسبح وتنشد؛ أما تسبحتها أو أنشودتها فهو المسيح نفسه، هو كل شيء بالنسبة لها.

بالمسيح المصلوب عرفنا الهتاف (مز 89: 15)؛ هتاف الغلبة على إبليس وأعماله الشريرة! هتاف الخلاص الذي به ننقل من الشمال إلى اليمين ننعم بشوكة الملكوت السموي الموح.

بالصليب تقجرّ ينوع دم وماء من الجنب المطعون لتتقدس وتنتهر، ولكن نشوب ونوح، إذ وجدنا ينوع خلاصنا الأبدي.

هنا يدعو الله "ياه يهوه"؛ "ياه" هي اختصار للإسم "يهوه"، وكأن التسبحة تكرر هذا اللقب الإلهي "يهوه" لتأكيد أنه الله السمودي غير المتغير، يتكئ عليه المؤمن فيجد فيه قوته وفوحه وخلاصه إلى الأبد، فيطمئن على النوام دون تحويف. وكما يقول القديس أغسطينوس: [إن شئت أن يكون فوحك ثابتاً باقياً، التصق بالله السمودي، ذاك الذي لا يعتويه تغيير، بل يستمر ثابتاً على حال واحد إلى الأبد ^[189]].

3. الشهادة لأعمال الله:

رى البعض أن العبارات السابقة [1-3] تمثل تسبحة مستقلة عن العبارات التالية [4-6] التي تمثل تسبحة ثانية. على أي الأحوال إن كانت الأولى تعلن انبعاث الحمد والتسبيح في النفس خلال التمتع بخلاص الرب، فإن الثانية مكملتها لها تعلن الالتزام بالشهادة لله المخلص أمام الأمم. فما نخوته خلال اتحادنا مع الله مخلصنا يثير فينا شوقاً نحو تمتع الغير بذات الخلاص. "وتقولون في ذلك اليوم: ادعوا باسمه، عرفوا بين الشعوب بأفعاله، ذكروا بأن اسمه قد تعالي. رنموا للرب لأنه قد صنع مفتوحاً، ليكن هذا معروفاً في كل الأرض. صوتي واهتفي يا ساكنة صهيون، لأن قنوس إسرائيل عظيم في وسطك" [4-6].

كيف نركز بالرب؟

أ. بالتبشير: " عرفوا بين الشعوب بأفعاله "، وكما يقول الرب لتلاميذه: "اذهوا إلى العالم أجمع واركزوا بالإنجيل للخليفة كلها" (مر 16: 5). كل مؤمن يلتمس بالشهادة لمخلصه، إذ زى الموتل داود وهو يعلن توبته في الزمور الخمسين يقول: "امنحني بهجة خلاصك فأعلم الخطاة طرقك".

ب. بالفوح المقدس: " رنموا للرب لأنه قد صنع مفتوحاً، ليكن هذا معروفاً في كل الأرض ". ليست شهادة للمخلص أعظم من تلامس الغير مع فوحنا الداخلي بالرب الذي يجتاز كل الأحداث والمتاعب. يقول الموتل: "حينئذ امتلأت أرواحنا فوحاً وألسنتنا تونماً، حينئذ قالوا بين الأمم: إن الرب قد

عظم الصنيع معنا" (مز 26: 2).

صوت التهليل الداخلي يشهد لسكني القنوس فينا!

الروح المقدس يعلن عن ملكوت الله الموح في داخلنا. جاء في سورة القديس أبوللو الكاهن بطيية على حدود هومبوليس (أشمونين)، أن وجهه كان دائم البشاشة، مجتذبًا بذلك كثيرين إلى الحياة النسكية كحياة موححة في الداخل، ومشبعة للقلب بالرب نفسه. كثوًا ما كان يُردد القول: [لماذا نُجاهد ووجوهنا عابسة؟! ألسنا ورثة الحياة الأبدية؟ اتوكرها العبوس والوجوم للوثنيين والعويل للخطاة (الأشوار)، أما الأوار والقديسون فحري بهم أن يروحوا ويبتسموا لأنهم يستمتعون بالروحيات [1901].

<<

الأصاح الثالث عشر

وحي من جهة بابل

إذ تحدث النبي عن السيد المسيح وأمجاد عصوه خشى أن يفهم البعض أن هذا الأمر يتم في عهده أو في المستقبل القريب لذلك تنبأ عن بابل وما سيحل بالشعب خلال السبي البابلي ثم العودة من السبي. قبل مجيء السيد المسيح تظهر مملكة بابل بكل عنفوانها لتتطم، ويأتي المسيا ليملك ولا يكون لملكه نهاية. يتكرر الأمر بالنسبة لمجيئه الأخير حيث تظهر مملكة الدجال كمملكة بابل تُقلوم الكنيسة وتسود العالم لكنها تنهار ليأتي رب المجد على السحاب. بابل وغوها من الأمم العنيفة إنما تُمثل المقاومة لله ولكنيسته... وقد جاء الوحي هنا يعلن أن كل القوى المُعادية لله ومسيحه وشعبه لن تنوم بل تنهار.

1. وحي من جهة بابل [1].

2. دعوة الأمم لمقاتلة بابل [2-5].

3. يوم خواب بابل [6].

1. وحي من جهة بابل:

" وحي من جهة بابل رآه إشعيا بن أموص " [1].

رأد النبي تأكيد أنه هو كاتب النبوة، تمتع بها من جهة بابل. أما تأكيده أنه هو الذي رآها فذلك لسببين:

أ. إن كان إشعيا قد تنبأ بخصوص يهوذا وأورشليم لكنه يتحدث هنا عن مصير الأمم المجاورة مؤكداً أن الله إله القديسين هو بعينه إله جميع

الأمم.

ب. لم يكن لبابل حسابان في ذلك الوقت، فكان يصعب على السامع أو القارئ أن يُصدق ما يقال عنها من هذه النبوات.

جاءت كلمة "وحي" بالعبرية *massâh* وقد تُرجمت في التوجوم والفولجاتا والنسخة السريانية بمعنى "حمل" أو "ثقل *burden*"، ربما لأن النبي

نفسه بسبب رفته كان يشعر بثقل شديد مורה من جهة ما سيحل بهذه الأمم من متاعب وتأديبات إلهيه. فإن كانت هذه التأديبات عن استحقاق وستؤول في

النهاية للخير لكن النبي كرجل الله لا يقف شامئاً بل متألمًا. بهذا الروح عاشت الكنيسة الأولى تؤدب لكن في حب وتوفيق لا تغلق باب التوبة أمام الخطاة

حتى بالنسبة لمنكوي الإيمان. وقد حسبت أمثال نوفاتينوس هراطقة من أجل قسوتهم على الخطاة. وكما يقول القديس أمبروسوس في رده عليه: [بهذا حكموا على فساد تعليمهم، إذ بإنكلهم سلطان الحل أنكروا سلطانهم للربط أيضاً... ماذا أقول أيضاً عن عرقتهم الموائية؟ فإن رادتهم تُناقض رادة روح الرب الذي يميل إلى الرحمة لا إلى القسوة... إنهم يفعلون ما لا يريدون. لأنه هو الديان ومن حقه أن يعاقب، نجده وحمته يعفو!... يجب أن نعرف أن الله إله الرحمة، يميل إلى العفو لا إلى القسوة. لذلك قيل: "لُيُدرحمة لا ذبيحة" (هو 6: 6)، فكيف يقبل الله تقدماتكم يا من تتكرون الرحمة، وقد قيل عن الله إنه لا يشاء موت الخاطيء مثل أن ووجع (حز 18: 32)؟ [191].

يظن بعض الدارسين أن ما ورد عن بابل في الأصحاحين (13، 14) ليس من وضع إشعيا النبي، وحجتهم في ذلك:

أ. أن بابل كانت مرتبطة بصداقة مع يهوذا (إش 39)، فكيف يعلن عن نوة قاسية ضدها؟!

ب. كانت بابل خاضعة لآشور في ضعف.

ج. يبدو من الحديث أن إسواثيل كان مسبباً لبابل أثناء إعلان النوة.

يُود على ذلك بأن النبي كان يتحدث عن المستقبل بروح النوة، فيشير إلى تأديب إسواثيل بواسطة آشور ثم موقف بابل فيما بعد عندما تحطم آشور وتصير مملكة عظمى، وسبي الشعب ثم عودته، وأخيراً مجيء المخلص عمانوئيل في ملء الزمان. يتكلم النبي عن المستقبل كحاضر يعيشه، وهذا أمر طبيعي اعتاده الأنبياء لتأكيد أن ما يعلنون عنه يتم تحقيقه بدقة. هذا ولا نتجاهل أن النبي الذي قدم تفاصيل دقيقة عن شخص السيد المسيح وحياته وعمله الخلاصي وسمات عهده يستطيع أن يتنبأ عن قيام دولة بابل وسبي الشعب بواسطتها الأمر الذي تم بعد حوالي 100 عام من إعلان النوة. وقد ردد لرميا النبي فيما بعد - أثناء العصر البابلي - ذات صوخت إشعيا .

أخوفاً فإن حديث النبي عن الرجوع من السبي (إش 11) وتهديده بالسبي البابلي (إش 39) يدل على أن موضوع السبي البابلي لم يكن بعيداً عن ذهن إشعيا النبي.

2. دعوة الأمم لمقاتلة بابل:

لم تكن بابل قد ظهرت عظمتها بعد، لكن النبي واهاً قادمة، عاصمتها مدينة عتاء، لهذا يبدأ نبوته عنها بتبريض الرب للأمم كي تتجمهر ضد بابل وتفتح أبوابها وتذل كبرياءها، قائلاً:

" أقيموا راية على جبل أوع" [2] . هكذا يصدر الله أوعاً بمحاربة بابل فيدعو الأمم أن تقيم راية الحرب على جبل خالٍ من كل شجر أو نباتات حتى يمكن لكل الجيش أن واهاً. كانت العادة في القديم أن يجمع بعض الجنود حطباً ويوقنونه ليلاً على الجبل علامة بدء الحرب؛ لذا فإن وجودهم على جبل خالٍ من الأشجار يُساعد سوعة انتباه الجيش لبدء الحرب.

" رفوا صوتاً إليهم" [2] ، أي اضربوا بالأوق لأجل تحميس الجيوش.

" أشيروا باليد ليدخلوا أبواب العتاء (الأشواف)" [2] ، أي يلوحون بالأيدي لتشجيع الهمم من أجل اقتحام مدينة الأحرار الأشواف في شجاعة وإقدام.

ما هي بابل إلا النفس المتعرفة التي يؤمننا أن نفتحمها لا وايات الحرب ولا بأصوات الأوق ولا بالتلويح بأيادٍ بشوية وإنما برفع راية الحب التي لمسيحنا المصلوب لتقول: "علمه فوق محبة" (نش 2: 4). لنضوب بيوق الإنجيل الموح للنفوس، ولنمد يد الحب العملي لنسند النفس الضعيفة التي أدلها الكبرياء... هكذا نفتحم النفس بروح الرب العامل فينا فنجتذبها لحساب ملكوته السموي خلال الحرب الروحية الفعالة بالنعمة الإلهية وليس بالعمل البشوي.

الحديث هنا أعظم من أن يكون خاصاً بدعوة فرس ومادي لاقتحام الإمواطورية العظيمة بابل، إنما هو دعوة تمس خلاص النفس الأبدية. لهذا

يكمل قائلاً: " أنا أوصيت مقدسي ودعوت أبطالي لأجل غضبي مفتخوي عظمتي، صوت جمهور على الجبال شبه قوم كثيرين، صوت ضجيج ممالك أمم مجتمعة. رب الجنود يعرض جيش الحرب. يأتون من أرض بعيدة من أقصى السموات الرب وأنوات سخطه ليُخرَب الأرض" [3-5].

يلاحظ في هذا النص:

وَأولاً: من هم هؤلاء المقدسين والأبطال المنتسبون لله الذين يُستخدمون في هذه المعركة؟ رى البعض أنهم القيادات العسكرية لفلس ومادي، فقد دعيت لمعركة مقدسة، ليسوا لأنهم في حياتهم أو إيمانهم قديسون وإنما لأن الله دعاهم دون أن يدروا لتحقيق أهدافه المقدسة، ووهبهم قوة للعمل واستخدمهم لتحقيق أمور ليست في أفكرهم. لقد حُسوا أبطال الله بالرغم من عدم إيمانهم به، كما دُعي كورش الوثني مسيح الرب الذي أمسك الله بيمينه ليُدوس أمامه أممًا الخ... (إش 45: 1).

هكذا هو صلاح الله العجيب، إذ يحوّل طاقات وأعمال حتى الأثوار لحساب نمو ملكوته وبنيان النفوس.

إن كان الله قد دعا مقتحمي بابل الوثنيين مقدسيه وأبطاله، فماذا يكون حال ولاده "الجنود الروحيين" الذين بحق هي قديسوا الرب إذ هم مفروزون للعمل الروحي القدسي، الذين يُحاربون ضد إبليس وكل أعماله الشريرة من أجل تقديس أعماقهم وتقديس الغير بكسبهم بالحب الإلهي؛ كما يدعوه "أبطاله" لأنهم يحملون قوته ويعملون بروحه القدس؛ وأيضًا يحسبهم "مفتخوي عظمته" إذ يحققون مجد اسم الله العظيم.

رى الآباء القديسون أن المعمودية هي دخول إلى الجنديّة الروحية حيث يُختم طالب العماد بختم الروح ويُحسب جنديًا روحياً لحساب مملكة

الرب.

❖ يأتي كل واحد منكم ويقدم نفسه أمام الله في حضرة جيوش الملائكة غير المحصية، فيضع الروح القدس علامة على نفوسكم. بهذا تُسجل أنفسكم في جيش الملك العظيم.

[\[192\]](#)
القديس كيرلس الأورشليمي

❖ كما يُطبع الختم على الجندي، هكذا يُطبع الروح القدس على المؤمنين.

[\[193\]](#)
القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من يتقبل حميم التجديد يشبه جنديًا صغيراً أُعطي له مكان بين المصلحين لكنه لم يوهن بعد على استحقاقه للجنديّة.

[\[194\]](#)
القديس غريغوريوس النيصي

ثانياً: ما هو صوت الجمهور القائم على الجبال شبه قوم كثيرين، " صوت ضجيج ممالك أمم مجتمعة، رب الجنود يعرض جيش الحرب" (إش 43: 4)، إلا صوت الكنيسة المجتمعة معاً بروح الحب والوحدة على الجبال المقدسة تتمتع بالحياة العلوية، تسكن على قمم الوصايا المبركة لا عند السفح، تجتمع من ممالك أمم كثرة كجيش بألوية (نش 6: 10) ... إنها كنائس متعددة لها ثقافات متباينة لكنها خلال الإيمان الواحد والفكر الواحد تعيش كجيش روحي سملوي... هذه هي سمة الكنيسة الحقيقية: كنيسة سملوية! لذا يقول الرسول بولس: "نحن جميعاً ناطرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (2 كو 3: 18).

❖ كم من كثيرين هاجموا الكنيسة فهلك الذين هاجموا، أما هي فحلقت في السماء.

❖ الكنيسة هي رجاؤك، خلاصك، وملجأك. إنها أعلى من السماء وأوسع من المسكونة.

[\[195\]](#)
القديس يوحنا الذهبي الفم

" يأتون من الأرض بعيدة من أقصى السموات الرب وأنوات سخطه ليُخرَب كل الأرض" [5]. تجتمع الكنيسة من أرض بعيدة، إذ كان أغلب أعضائها وثنيين مرتبطين بالعالم، غرباء عن بيت الله، لكنهم صاروا سماء الرب ومقدسه، يخربون الأفكار الزمنية أو محبة الأرضيات ليحملوا الآخرين

إلى خوة الحياة السماوية. وكأن تخريب الأرض يعني تحطيم انغلاق القلب على الؤمنيات لينفتح على السماء. وكما يقول القديس إكليمنديس الإسكندري إن الأرض تصير بالنسبة للمؤمن (الغنوسي) سماءً.

هذا من الجانب الوزبي، أما من الجانب الحرفي فقد دعا الله الأمم من فرس ومادي وغورهما ليستخدمهم لتخريب كل أرض بابل العظيمة.

3 . يوم خراب بابل:

يصور لنا النبي يوم خراب بابل الوهب على أيدي فرس ومادي بكونه يوم الرب الذي فيه يعلن غضبه على بابل المقاومة له ولؤلاده.

لقد تحقق ذلك على يدي كورش الذي لم يكن قاسياً لكن جيشه كان عنيفاً متوحشاً همجياً؛ لذلك خرب الجند بابل ليس من أجل سلبها كنزها قدر ما كان ذلك رغبة في سفك الدماء.

وي البعض أن ما ورد هنا تحقق فعلاً في أيام كورش ولكن بصورة جزئية، غير أنه سيتحقق بصورة أشمل في الأيام الآخرة كما جاء في سفر الرؤيا (رؤ 17) عن دينونة الزانية العظيمة الجالسة على مياه كثيرة، بابل العظيمة أم الزواني.

أقول إن هذه النبوة تعلن عما يتم بالنسبة لمملكة إبليس ليس فقط في الأيام الآخرة وإنما في قلب كل إنسان يقبل الإيمان بالسيد المسيح كملك يُقيم أورشليمًا جديدة فيه عوض بابل الزانية، أي يُقيم مدينته المقدسة عوض مملكة إبليس.

أ. يقول النبي: " ولولوا لأن يوم الرب قادم كخواب من القادر على كل شيء، لذلك ترتخي كل الأيادي" [6] ، فلا يقووا على حمل السلاح. لقد صلت مملكة بابل سيدة العالم كله؛ قد أطال الله أناته عليها عشرات السنوات، والبابليون يتمنون في كبرياء قلوبهم وعرفتهم ضد الرب نفسه، لذلك إذ يسقطون تحت غضبه ترتخي أياديهم العنيفة الحاملة للسلاح، فيصبرون في ضعف شديد وموضع سخرية.

هذه هي صورة عدو الخير كما كشفها القديس يوحنا الذهبي الفم في رسالته إلى صديقه ثيودور الساقط، موضحاً له أن إبليس يظهر عنيفاً للغاية وذا قوة وجبروت لكننا إذ نحمل مسيحنًا يضعف وينهار. وفي مقال عن: "سلطان الإنسان على مقاومة الشيطان يقول: [الشيطان شير، وأنا أسلم بذلك، لكنه شير بالنسبة لذاته وليس بالنسبة لنا مادنا حزين، لأن هكذا هي طبيعة الشر، إنها مهلكة بالنسبة للذين يتمسكون به وحدهم]" [1196].

ب. " وينوب قلب كل إنسان، فيرتاعون" [7-8] . هكذا ينتاب الكل حالة من الوعدة والخوف، من رجال ونساء وشباب وشوخ وأطفال؛ يصير الكل منهزلاً ليس من يسند أخاه بل كل واحد يُحطم نفسه كما يُحطم من هم حوله!

سررعدتهم حرمانهم من مخافة الله، فمن يخاف الله لا يخاف إنساناً ولا أحدًا بل يمتلىء فوحًا وسلامًا، لذا قيل: "رأس الحكمة مخافة الله". يقول القديس مار إوآم السرياني: [لتكن خشية الله في قلبك أيها الحبيب مثل السلاح بيد الجندي] [1197].

ج. " يتلؤون من الألم كالوالدة وهي في حالة طلق" [8] ، فقد حملوا في داخلهم ثمر شر يلدونه مورة المرّ. والعجيب أن الكتاب المقدس يشبه آلام الأثوار بآلام الطلق وأيضاً آلام المؤمنين (يو 16: 20) ، الأولون يئنون في بأس ووعدة لأنهم يلدون ربحًا (إش 26: 18) ، أما الآخرون فيفوحون وسط الحزن الخرجي لأنهم ينجبون إنسانًا في العالم (يو 16: 20).

د. تصوير " وجوهكم وجوه لهيب" [8] ، محموة جلاً بسبب انكسلهم الشديد وجنبهم، كما تبهت أحياناً وجوههم [8]، إذ تصفر بسبب الخوف. هـ. "تصير أرضهم خراباً ليس من يمشي عليها" [9] ، كرمز لما يحل بالجسد (الأرض) من فقدان لكل حيوية حقيقية. من يُقاوم الرب من أجل شهوات الجسد يفقد حتى جسده وتخرب نفسه الداخلية، إذ قيل: " لذلك تُزلز السموات (النفس) وتُزعزع الأرض (الجسد) من مكانها في سخط" [13]. ربما يُشير هنا أيضاً إلى ثورة الطبيعة ضد من يعصي خالقها. وكأن من يعصي الرب تعصاه الطبيعة ذاتها!

و. يحل بهم الظلام " فإن نجوم السموات وجبابرتها لا تبرز نورها، تظلم الشمس عند طلوعها، والقمر لا يلمع بضوءه" [10]. هذا يُشير إلى ظلمة الجهل التي تحل بالإنسان المقاوم لله، فإنه لا يرى نور الكواكب جميعها بما فيها الشمس والقمر. لا يرى شمس البر، أي الإيمان بالمسيح القادر أن

يهبه حكمة ومعرفة، ولا يرى نور القمر أي الحياة الكنسية المستنورة بالرب بكونها القمر الحامل انعكاسات نور الشمس، ولا يتمتع بنور الكواكب الأخرى أو الشوكة مع القديسين الذين يضيئون ككواكب منورة.

ز. يموت الرجال في الحرب، وإذ اعتادت النساء في بابل على الحياة الخليعة لذا يطلبن رجالاً لتحقيق شهواتهن الودينة فيصعب عليهن وجوده: " وأجعل الرجل أعز من الذهب الابريز والإنسان أعز من ذهب أوفير (ربما مقاطعة في الجنوب الشرقي من العربية أو مكان في الساحل الغربي للهند)" [12]. أيضاً يُشير ذلك إلى قلة الأيدي العاملة بسبب الحرب مع عودة المسيبيين وتحرر الأمم من السلطان البابلي.

ح. فقدان القيادة والوعاية: " ويكونون كظبي طريد وكغنم بلا من يجمعها، يلتفتون كل واحد إلى شعبه، ويهربون كل واحد إلى أرضه" [14]. يقصد هنا أنه يوم انكسار بابل يفقد الجيش القيادة فيهرب الجنود المأجرون أو المسخرون من الأمم كل إلى بلده. هذه هي حال النفس البعيدة عن الله فإنها تفقد قيادتها الداخلية، ليعيش الإنسان كطريد أو كغنم بلاراع يجمعها... يحمل في داخله صواعق مؤفة وتشتيت فكر مع تحطيم للطاقات الداخلية.

ط. بطش بالكل دون تمييز بين عسكري أو مدني، رجل أو إهواة أو طفل [15]. هنا يصور ما يفعله مادي ضد بابل، فإن الماديين لا يحطمونها لاقتناء غنى [17] وإنما لتحطيم كل طاقات بابل، فلا يبألون بفتى صغير ولا بجنين في بطن أمه [18]، إنهم يخربون كل مولدها فتصير كسوم وعمورة اللتين احترقتا بنار من السماء.

ي. تصير بابل قوفاً أبدياً، لا يسكنها إوابي وعى غنمه ولا يربض فيهارعاة خوفاً من الحيوانات المفترسة التي تسكنها (إش 30: 20-21). تصير خراباً يسكن اليوم ما تبقى من المنزل، ويوجد بها بنات النعام ومعز الوحش وبنات آوى والذئاب.

يقول الأب سيرينوس : [يجب ألا نأخذ كل هذه الأسماء بطريقة عشوائية، إنما تُشير إلى شواصة (الشياطين) وجنونهم تحت رمز الوحش المفترسة، بكونها ضلوة وخطوة... وأكثر منها شوا^[198]].

إنها صورة للنفس التي تستسلم لعدو الخير فيستخدمها لحساب ملكوت الظلمة، يملأها شواً ويحولها إلى معمل للفساد:

" تربض هناك وحوش الفقر" [21] ... يسكنها العنف والثواصة ومحبة سفك الدماء البريئة بلا سبب.

" يملأ البوم بيوتهم" [21] ، حيث يتشاعم غالبية الشوقيين من أصواتها... وكأنه لا تُسمع في داخل الإنسان الشوير سوى أصوات اليأس والتشاؤم الذي يكشف عن فراغ داخلي.

" تسكن هناك بنات النعام" [21] ، أي مملوءة نجاسة (لا 11: 16؛ تث 14: 15)، صوتها كالنحيب (مى 1: 8) لا يدخل إليها الوح السموي، طبعها جاف لا تحب بيضها (هرا 4: 3)؛ تدفن رأسها في الرمال متى رأت صياداً يقترب إليها، وكان يُظن أنها تفعل ذلك لأنها تحسب أنه بذلك لا واه الصياد لكن ظهر حديثاً أنها تفعل ذلك لأنها أجبن من أن ترى نفسها تقع ضحية للصيادين.

" توقص هناك معز الوحش" [21] . ربما يعني الوعل، لا يوجد إلا في الأماكن المقوفة. هكذا توقص وتلهو الشياطين في النفس الشوية إذ تجد فيها موضعاً لها.

" وتصيح بنات آوى (حيوان أكبر من الثعلب وأصغر من الذئب) في قصورهم والذئاب في هياكل التنعم" [22] ... أي تتحول القصور والهياكل من أماكن للتنعم إلى مؤي للحيوانات الشرسة.

هذا كله حل ببابل " بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين" [19] ، المدينة الذهبية (إش 14: 4) ، الغنية في كنوزها (إر 51: 13)، فخر كل الأرض (إر 51: 41) ، شُبهت بالرأس الذهبي في التمثال المذكور في سفر دانيال. تحققت فيها النوات كما وردت بطريقة حرفية، إذ يذكر التريخ أن كورش هدم جزءاً كبيراً من أسوار بابل وأبنيتها، وبعد 20 عاماً قام دليوس بهدم بقية الأسوار وزوع أبوابها النحاسية مع صلب ثلاثة آلاف من عظمائها. يُقال إن طول سور بابل كان 60 ميلاً، 15 ميلاً من كل جانب، لرتفاعه 300 قدم وسمكه 80 قدماً، يمكن لست مركبات أن تسير بجوار

بعضها على السور ^[1991]. عمقه في الأرض 35 قدمًا حتى لا يحفر العدو طريقًا لنفسه تحته، ومُقام على السور 250 برجًا للمراقبة والحراسة، وبه 100 بوابة نحاسية ضخمة لامعة.

بالفعل تحولت بابل إلى خراب، وقد حاول اسكندر الأكبر أن يعيد مجدها لكنه مات قبل تنفيذ مشروعاته. استخدمت حجرتها في بناء بغداد وإصلاح الترع وإقامة الكثير من المرافق العامة.

أخوًا فقد أكد النبي أن ما يقوله يتحقق سريعًا: " ووقتها قريب المجيء وأيامها لا تطول" [22] . فقد بدأ نجم بابل يتألق عام 606 ق.م.، وسقطت في يد فارس ومادي عام 536 ق.م.، بينما جاءت النوبة في القرن الثامن ق.م.

لقد بقيت بابل رمزًا لكل نفس منكورة عاصية كما جاء في سفر الرؤيا، وقد قيل: "إنه في ساعة واحدة جاءت دينونتك" (رؤ 18: 10).

«

الأصاحح الرابع عشر

سقوط بابل

يكمل النبي حديثه عن تأديب بابل وغورها من الممالك المقلومة لله ولشعبه، موضحًا أن غاية الله من هذا التأديب ليس سقوط بابل أو غورها إنما تقديم راحة لشعبه بعدما تأدب بالسبي. يُريد تأكيد تحقيق وعود الله وعهوده مع شعبه الذي أذلته بابل.

يظهر الله كقائد للمعركة ضد بابل يقوم بتخريبها، لأنها بعرفتتها وكرياتها تُشير إلى عدو الخير إبليس. أما ملكها فهو أداة للشيطان وممثل أو

رمز له.

1 . ترفق الله بشعبه [3-1].

2 . هجو على ملك بابل [21-4].

3 . خراب بابل [23-22].

4 . خراب آشور [27-24].

5 . خراب فلسطين [32-28].

1 . ترفق الله بشعبه:

الله الذي سمح لشعبه بالمذلة خلال السبي البابلي هو نفسه الله الرحمن الذي اختاره شعبًا خاصًا له [1] . لقد سبق أن أخرجته من مصر وحرره من فوعون وجاء به إلى أرض الموعد بفراعرفيعة، والآن يحقق خروجًا آخر إذ يحرره من السبي ويرده إلى أرضه ليس فرغًا ولا في ضعف، إنما في قوة يجتذب الغرباء إليهم ليصيروا دخلاء يُشركونهم ذات الإيمان والعبادة؛ كما يهب شعبه قوة فيسيون من سبقوا أن سبوا ويتسلطون على من سبقوا أن ظلموهم؛ بهذا يستريح الشعب من التعب والعبودية [4].

وى القديس يوحنا كاسيان أن ما حدث قديمًا مع هذا الشعب إنما هو رمز لما يحدث مع المؤمن الذي يتقبل "كلمة الرب" القادر أن يسير أمامه ويحرره من جور "الشهوات الشهوة" وتسلطها على جسده هذه التي تأسره كما في قضبان الرذيلة وتغزله عن المعرفة الخفية ^[2001] .

إننا محتاجون إلى عمل الله الدائم معنا، ليخرج بنا لا من عبودية فوعون ولا من

سبي البابليين إنما ليعتقنا خلال الصليب بروحه القدس من أسر الخطية، ينطلق بنا من الظلمة إلى النور، لنعيش في حربة مجد أولاد الله .

هذه الصورة الرائعة لمحبة الله نحو مؤمنيه تعلن بقوة في طقس المعمودية حيث يخلع الإنسان ثياب العبودية والأسر ويعترف أنه يجحد الشيطان وكل جنوده و يرفض عبوديته الداخلية، متقبلاً الدهن المقدس ليحمل بهاء الروح فيه... يقول إلى المعمودية ليتمتع بالعضوية في جسد المسيح فيصير قاوراً على الحياة الجديدة الغالبة للموت والظلمة، ليُسبح الله قائلاً: "بنورك يلب نعاين النور" (مز 36: 9).

❖ يدهن الله ملامحك ويختم عليها بعلامة الصليب. بهذه الطريقة يكبح الله كل جنون الشرير، فلا يجسر إبليس على التطلع إلى منظر كهذا، إذ يُصيب عينيه العمى بالتطلع إلى وجهك، ويكون كمن يتطلع إلى أشعة الشمس فيثب هرباً... لتعرفوا مرة أخرى أن الله بنفسه هو الذي يدهنكم خلال يد الكاهن، وليس إنسان. أصغ إلى كلمات بولس القائل: "الله هو الذي يثبتكم في المسيح الذي مسحنا".

بعد أن يدهن كل أعضائكم بهذا الدهن تصيرون في أمان قادرين أن تُحموا الحياة ولا يصيبكم ضرر.

❖ في كمال ظلمة الليل يخلع الكاهن ثوبك كمن يقودك إلى السماء عينها خلال الطقس، ويدهن كل جسدك بزيت أزيتون الذي للروح لكي تكون أعضائك قوية لا تغلبها السهام التي يوجهها العدو ضدك .

[\[2011\]](#)
القديس يوحنا الذهبي الفم

2. هجو على ملك بابل:

يتحدث النبي باسم الشعب المتحرر من سلطان بابل فيهجو ملكها واصفاً إياه هكذا:

أ. "الظالم" [4] . إن كانت بابل قد دُعيت مدينة الذهب بسبب غناها الفاحش، فإن هذا الغنى قد تحقق خلال ظلم ملكها وغطوسته؛ هذا الظلم لن يوم، وهذه الغطوسة لا بد أن تنكسر: " كيف باد الظالم بادت المغطوسة. قد كسر الرب عصا الأشرار قضيب المتسلطين" [4-5].

في كل عصر يوجد من يظلم بغطوسة مقاوماً الحق ومضطهداً أتقياء الرب، لكن الظلم ينتهي والمُذلين يوتقون. هذا ما حدث في أيام القديس يوحنا الذهبي الفم حين قَوم أتروبيوس الكنيسة وألغى حقها في حماية اللاجئيين إليها، وبسبب سوء تصرفاته واستغلاله للسلطة ثار الجيش عليه وطلب إعدامه، فلجأ إلى الكاتروائية التي كانت بالقرب من القصر، وذهب إلى المذبح وتعلق بالعمود، وظن الشعب أن ذهبي الفم ينتقم لنفسه وللكنيسة منه لكن القديس رفض معلناً رحمته ومحبته حتى للأعداء ^[2021] ... انتهى الأمر بهروب من الكنيسة وقتله بالسيف في خلبونية. وقد جاء في عظته الثانية على أتروبيوس ما يكشف عن ضعف كل ظلم بالنسبة لأولاد الله .

[من يُريد فليطردني خرجاً، ومن يُريد فلوجمني وليبغضني؛ فإن دسائس الأعداء ضدي هي الدعامات لوال إكليل النعوة، وكثرة خواءاتي تتوقف على عدد حواحتي.

لهذا لا أخاف من مؤامرات الأعداء، إنما أخاف أولاً واحداً وهو الخطية. فإن كان أحد لا يقدر أن يجزني على الخطية فليقم العالم كله بحرب ضدي، لأن مثل هذه الحرب تجعلني بالأكثر ممجداً.

رُيد أن ألقنك درساً وهو ألا تخاف من خداعات نوي السطوة، لكن خف من سطوة الخطية. لا يضوك أحد إن لم تضر أنت نفسك بنفسك.

إن كنت لا تخطيء فإن عشات الألوفا من السيوف تهددك، لكن الله ينتشلك منها حتى لا تقرب إليك. ولكنك إن كنت ترتكب شواً فإنك وإن كنت داخل فربوس فسنتطود منه].

ب. " الضرب الشعوب بسخطٍ ضربة بلا فتور، المتسلط بغضب على الأمم باضطهاد بلا إمساك" [6] . لم يتوقف عن الضرب لذا كسر الرب عصاه؛ ولم يمسه عن اضطهاد الشعوب، يكتم أنفاس الناس ويحجر على حريتهم، لهذا استحق أن يسقط في مذلة. وكما قيل: "كما فعلت يفعل بك، عملك

يوتد على رأسك" (عو 15).

بسبب هذه السمات عندما سقطت بابل اسواتحت الأرض وهنتفت تونما [7]، وقيل ليعقوب: " ويكون في يوم يريحك الرب من تعبك ومن اوعاجك ومن العبودية القاسية التي استعبدت بها" [3] . تحققت هذه الراحة جزئياً بعودة الشعب من السبي، لكن "بقيت راحة لشعب الله" (عب 4: 9)، هي الدخول إلى الحياة الجديدة التي في المسيح يسوع بكونه "سبتنا الحقيقي" و "راحتنا الأبدية".

يحاول أصحاب الفكر الألفي أن يفسروا هذه الراحة بكونها تمتع بهذا الحكم الألفي حيث يطلبون راحة زمنية على الأرض تحت حكم المسيح بطريقة مادية ^[2031] ، غير أن الذي ذاق راحة المسيح وتغويات الروح القدس يبرك بحق كيف نال راحة فائقة في هذا العالم هي عربون الراحة السماوية.

❖ كل البشرؤا الله قد خطب طبيعتنا، والشيطان رأى ذلك وتقهر. رأى العيون ولتعب منسحباً، رأى ملابس الوسل فهرب (أع 19: 11). يا لقوة الروح القدس!...

تأمل ماذا فعل الروح؟ لقد وجد الأرض مملوءة من الشياطين فجعلها سماءً.

^[2041] القديس يوحنا الذهبي الفم

لقد أورك الآباء أن التمتع بالعماد هو دخول إلى الراحة، وتنوق للحياة الفودسية:

❖ ^[2051] ها أنتم الآن في بهو القصر، ستقانون حالاً للملك.

❖ ^[2061] حالاً سيفتح الفودس لكل واحد منكم.

القديس كيرلس الأورشليمي

بسقوط بابل شمت السرو (الملك) وأيضاً أرز لبنان (الرؤساء)؛ قائلين: " منذ اضطجعت لم يصعد علينا قاطع" [8] ، بمعنى منذ نمت في القبر لم تعد توجد يد تؤذينا؛ فقد اعتاد الأعداء أن يقطعوا الأشجار في الحروب لمقاومة البلاد التي يستولون عليها ولاستخدامها كوقود، أو للبناء كما فعل نيوخذ نصر... على أي الأحوال، فإن الحروب مبددة للمورد الطبيعية.

لقد اضطجع السيد المسيح على الصليب بالجسد لكن الذي تحطمت قوته وصلبت إمكانياته هو إبليس... فصورنا بالصليب أهوراً من عبودية العدو، قارين أن ننوس على قوته تحت أقدامنا. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [لا تخف من الشيطان حتى ولو كان روحاً بلا جسد، فليس شيء أضعف منه ^[2071]].

لم يقف الأمر عند استهزاء الملوك بملك بابل، إنما يصوره النبي وهو منحدر في الهاوية يستقبله ملوك الأرض والعظمة - ربما الذين سبق أن اضطهدهم - يقومون عن كواسيهم في الهاوية لا لتكريمه وإنما للاستهزاء به وللسخرية منه، لكي يجلس على كواسيهم كما فعل وهو على الأرض. يقولون له باستخفاف:

" أنت أيضاً قد ضعفت نظيرنا وصوت مثلنا؟! " [10] ؛ كنا نحسبك إلهاً خالداً كما ادعيت، ولم نتخيل أنك تموت في مذلة مثلنا!

" أهبط إلى الهاوية ففرك رنة أعودك؟! تحتك تُفوش الرمة، وغطاوك الود" [11] . كنت تفوش الحرير وتطيب بأثمن الأطياب، فكيف تولت إلى الهاوية كمخدع لك تفوش الرمة وتتغطي بالود؟

" كيف سقطت من السماء يازهرة بنت الصبح؟! كيف قطعت إلى الأرض يا قاهر الأمم؟! وأنت قلت في قلبك: أصعد إلى السموات، رفع كُرسِيَّ فوق كواكب الله، وأجلس على جيل الاجتماع في أقصى الشمال، أصعد فوق مرتفعات السحاب، أصير مثل العلي" [14].

لقد تشبهت بإبليس سيدك الذي كان كوكباً عظيماً وموقفاً بين السمايين زهرة بنت الصبح، فتشامخ على الله خالقه، وظن أنه يقدر أن يرفع على مستوى الله نفسه بل ويصير أعظم منه، فسقط ليصير ظلاماً عوض النور إذ عزل نفسه بنفسه عن الله مصدر النور. أردت أن تجلس على جبل

صهيون (مز 48: 2)، جبل الله المقدس، حسبت نفسك كالله في العظمة فتعاليت فوق السحاب!

هذا هو سر هلاك ملك بابل، سقوطه في الكبرياء وتشامخه لا على الملوك المحيطين به فحسب وإنما حتى على الله نفسه، فصار أداة للشيطان يحمل سمته "الكبرياء"؛ هذه هي خطية أبونا الأوّلين حين كانا في الفردوس؛ وأيضًا خطية ملك صور الذي صار رمزًا للشيطان (حز 12-16)، وأيضًا سمة الدجال أو ضد المسيح أو إنسان الخطية إذ قيل عنه: "المقاوم والموتف على كل ما يُدعى إلهاً أو معبودًا حتى أنه يجلس في هيكل الله كإله مظهرًا نفسه أنه إله" (2 تس 2: 3-4).

يقول القديس يوحنا كاسيان:

«كان كبرياء القلب وحده كفيلاً أن يطرح من السماء إلى الأرض بقوة عظيمة هكذا متحلية بسمات قدوة كهذه؛ فإن سقوط (إبليس) العظيم جدًا يؤمننا أن نترك أي حذر يجب أن نكون عليه نحن المحاطون بضعف الجسد من كل جانب...»

لقد أنتفخ فظن أنه في غير حاجة إلى العون الإلهي ليستمر في النقلة التي كان عليها، وظن في نفسه أنه يشبه الله . بهذا حسب أنه غير محتاج إلى أحد، متكلاً على قوة رادته الذاتية التي بها يقدر أن يمد نفسه بكل ما هو ضروري لتحقيق الفضيلة واستمرارية البركة الكاملة. هذا الفكر وحده هو علة سقوطه الأوّل [1208].

"هكذا إذ يعرف الله الخالق طبيب الكل أن الكبرياء هي علة كل الشرور ورأسها لهذا يحرص أن يُشفي الضد بال ضد، فما هلك بواسطة الكبرياء يُصلح بواسطة الاتضاع"... يقول واحد: "أصير مثل العلي" [14] ، أما الآخر: "إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذًا صورة عبد... وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (في 2: 6-8). يقول واحد: "أرفع كرسيّ فوق هراكب الله"، بينما يقول الآخر: "تعلموا مني، لأنني وديع ومواضع القلب" (مت 11: 28). واحد يقول: "أنهلي هي لي وأنا أصنعها" (حز 3: 29) والآخر: "لست أفعل شيئاً من نفسي لكن الآب الحال في هو يعمل الأعمال" (يو 5: 30، 14: 10) [1209].

يقول القديس مار إفرام السرياني: [في الإنسان المتواضع تستويح روح الحكمة]، [إذ ظهرت في أعين اخوتك كالذهب النقي فاحسب نفسك مثل إناء لا يُحتاج إليه، فتقلت من الكبرياء الممقوتة من الله والناس]، [المتكبر مثل شجرة مرتفعة وبهيّة لا ثمر فيها... والحسود مثل ثمر بهي من ظاهره وتالف من داخله] [1210].

هكذا تُحدد الكبرياء الإنسان إلى الهلوية، لذا يُحدث النبي ملك بابل قائلاً: "انحدرت إلى الهلوية إلى أسافل الجب" [15]. لقد سقطت من قمة جبل أحلامك، وهبطت من سحاب خيالك، لتعيش في الهلوية مع إبليس سيدك.

أين جيروتك يا من زلزلت الأرض وزعزعت الممالك [16] ببطشك؟! حولت العالم إلى قفر وهدمت المدن لكي تسبي سكانها [17]؟! أين عزك ومجدك؟ فإن كل ملوك الأرض اضجعوا بالكرامة، حتى أولئك الذين أذلتهم وعذبتهم، فقد ماتوا في بيوتهم ورُفعت صلوات عنهم وحنطت بعض أجسادهم، " وأما أنت طرحت من قيرك كغصن أشنع " (توجد بعض النباتات سامّة جدًا وبعضها يضر الجلد لذا متى سقط منها فوع في الخلاء لا يجسر أحد أن يقرب إليه)، كلباس القتلى المضروبين بالسيف الهابطين إلى حجرة الجب (أي بلا قيمة، لا يُفكر أحد فيك كما لا يُفكر أحد في ثياب قتلى الحرب أثناء المعركة)، كجثة منسوة (يطأها الإنسان تحت قدميه) [19].

هذه النوبة تُشير إلى ذبح بليشاصر ليلة دخول الماديين بابل حيث لم ينشغل أحد بجثمان الملك وسط الخراب الذي حل بالمدينة.

هكذا فقد ملك بابل كل شيء، بل وقُتل شعبه وبوه [20-21] بكبرياء قلبه؛ خسر المدينة الملوكية والنسل الملوكي.

3 . خراب بابل:

بسبب الكوياء ينزع الله من بابل اسمها، ولا يتوك فيها بقية ولا تُربة (إر 51: 62)، لتكون مثلاً أمام العالم كله. تصير خراباً (إش 13) يسكنها القنفذ وأجام مياه [23].

وى بعض الدرسين أن القنفذ هنا "قنفذ بالعبرية" لا يقصد به حيوان القنفذ المعروف بشوكه الطويل وإنما طائر من الطيور التي تؤوى إلى الأماكن المهجورة، وحجتهم في هذا أن القنفذ لا يؤوى إلى آجام المياه، غير أن القائلين بأن ترجمة "قنفذ" تعني حيوان القنفذ يقولون بأن الخراب يحل بالبلد فيصير قسم منها آجام مياه والآخر مؤوى للقنفذ. على أي الأحوال فإن المدينة الملوكية العظيمة تتحول إلى مسكن سواء للحيوانات أو الطيور التي تسكن القفر، وتُحسب دنسة مملوءة رجاسات، تحتاج إلى الكنس بمكنسة الهلاك، أي الإبادة التامة للخلاص من رجاساتها، حتى لا تفسد من حولها.

4 . خراب آشور:

يذكر النبي ما سيحل بأشور وفلسطين لكي يتأكد السامعون صدق النبوة الخاصة ببابل والتي ستتم بعد حوالي 200 عامًا من إعلانها. لقد تعدى آشور أرض يهوذا بلا مبرر، وجدف على الله، لهذا يسمح له الله بالدخول إلى أرض يهوذا وجبالها بكونها أرض الله وجباله وهناك يُحطمه، في المواضع المقدسة التي انتهكها [24-25]، فتصير آشور مثلاً أمام كل الأمم التي تفكر في الاعتداء [26]. يكشف الله عن خطته في تأديبه للأشوار، ألا وهي أنه يتوكلهم يُتممون رادتهم الشروة بكامل حريتهم، فيجنون ثمر ثوهم فسادًا وهلاكًا، كأن الخطية تحمل عقوبتها فيها كما أن الحياة المقدسة في الرب تحمل مجدها داخلها. لهذا قيل: " قد حلف رب الجنود قائلاً: إنه كما قصدت يصير وكما نويت يثبت" [24].

5 . خراب فلسطين:

" في سنة وفاة الملك آحاز كان هذا الوحي: لا تفرحي يا جميع فلسطين لأن القضيب الضار بك انكسر، فإنه من أصل الحية يخرج أفوان، وثمرته تكون ثعبانًا سامًا طيرًا" [28-20]. كانت فلسطين في ذلك الحين مكونة من عدة إمارات، لهذا يُخاطبها قائلاً: "يا جميع فلسطين". يطلب منها ألا تفرح لأن القضيب الضار بها قد انكسر. وى البعض أن هذا القضيب هو تغلث فلاسر الذي استولى على مدن فلسطينية، وقد مات قبل آحاز بسنة أو سنتين، فسيفلخه شلمناصر وسرجون وسنحريب وهم أشر منه.

وى غالبية الدرسين أن القضيب المكسور هو غزيا الذي ضرب الفلسطينيين بقسوة فوجروا بموته (2 أي 26: 6). وأن أصل الحية هو بيت داود حيث يأتي حزقيا الملك الذي ضربهم ضربة أفسى من غزيا جده (2 مل 18: 8)، واستعبدتهم. أما الحية الطاؤة فهي مثل الحية النحاسية التي رفعها موسى في البرية، ترمز لشخص السيد المسيح المصلوب، الحامل سم خطايانا في جسده ليبيده بموته المحيي. هكذا ينتقل النبي من خلاص شعب الله من الأعداء البشويين إلى خلاصهم الأبدي من إبليس عدو الخير وذلك خلال الصليب. يعلن النبي أن فلسطين تواجه مجاعة قاسية [30]، وحرابًا مدمرة فتتحول مدنهم إلى دخان بينما في النهاية يحمي الرب شعبه ويتفوق ببائسيه [32].

الله - في صلاحه - لا يمنع الشر ولا يؤزم الأثوار على التوبة، لكنه في النهاية يُتم خطة خلاصه لمؤمنيه المتكلين عليه، مولاً كل الأمور لبنيانهم.

وحي من جهة موآب

يقدم إشعياء النبي نوات تخص بعض الأمم المحيطة بيهودا وإسرائيل تتحقق سويًا حتى يتأكد الشعب من أميين: صدق نوات إشعياء النبي فيما يخص المستقبل البعيد مثل السبي والروع منه ومجيء المسيا وأعماله الخلاصية، وأن الله هو إله الأرض كلها، ضابط الكوة الأرضية ومحرك الشعوب.

في هذا الأصاح يبرز النبي تحطيم موآب على يدي ملك آشور سوحون أو سنحريب بطريقة قاضية، الأمر الذي لأجله صوخ قلب النبي مشتاقًا إلى رجوعهم إلى الله وخلصهم عوض الدمار الذي حل بهم بسبب جحد الإيمان.

1 . سرعة تحقيق النبوة [1].

2. تحطيم المدن العظمى [5-2].

3. حلول مجاعة [9-6].

1 . سرعة تحقيق النبوة:

" وحي من جهة موآب. إنه في ليلة خربت عار موآب وهلكت. إنه في ليلة خربت قير موآب وهلكت " [1].

جاء الموابيون من نسل لوط، لذا فهم يمتون بصلة قابة لإسرائيل، سكتوا شرق البحر الميت، وكانت بلادهم تنقسم إلى بلاد موآب وعوبات موآب وهذه كانت في وادي الأردن مقابل أريحا. سمح بنور أوبين للموابيين بالسكنى في مدنهم وأخذوا عنهم عبادة الإله كموش، كما وجدت علاقات طيبة أحيانًا بين موآب وإسرائيل، فقد تغربت نعى هناك ورجعت ومعها راعوث، وعندما قاوم شاول داود أودع الأخير والديه لدى ملك موآب، ومع هذا فقد حمل الموابيون روح عدوله تجاه إسرائيل ويهوذا، فكثروا ما تحالفوا مع الشعوب المجاورة ضدهم.

يتنبأ إشعياء النبي عن خراب المدن الكوى في موآب، وقد تحققت هذه النبوة حرفيًا وبدقة خلال ثلاث سنوات من إعلانها (إش 16: 14)، وقد حلّ الخراب على يدي ملك آشور فجأة وبطريقة غير متوقعة.

"عار": اسم سامي معناه "مدينة"؛ تبعد هذه المدينة حوالي 14 ميلاً جنوبي نهر رنون (عد 21: 15؛ 22: 36)، سميت أيضاً عروير (تث 2: 36)، دعاها الإغويق عويبوليس نسبة إلى إله الحرب "ريس"، ودعاها اليهود "ربة موآب"، وهي خربة الربة.

"قير" اسم سامي معناه "سور" أو "مدينة ذات أسوار"، تبعد حوالي أحد عشر ميلاً شوقي الجزء الجنوبي من البحر الميت، موضعها اليوم مدينة كوك في الأردن.

هلكت المدينتان عار وقير في ليلة واحدة، وليس في يوم واحد أو نهار واحد. فإنه إذ يغيب شمس البر عن النفس البشرية التي تشبه مدينة عظيمة مسورة، يحل بها ظلام الشر والجهل وتفقد كل ما تعبته لسنوات طويلة ليحل بها الخراب. لذلك يقول القديس بولس: "جميعكم أبناء نور وأبناء نهار، لسنا من ليل ولا ظلمة، فلا نم إذا كالباقين بل لنسهر ونصح، لأن الذين ينامون فبالليل ينامون، والذين يسكرون فبالليل يسكرون" (1 تس 5: 5-6).

❖ من يشبه ذلك الواحد الجلي الذي يسهر ويصلي في الخفاء، تحيطه هالة من النور الخفي وسط الظلمة الخرجية، أما الشرير فكابن للظلمة يسلك، إنه يقف في ضياء النهار، ومع أن النور يكسوه من الخراج لكن الظلمة تكتفه من الداخل.

أيها الأحباء، ليتنا لا نندع بأننا ساهرون، لأن من لا يسهر بالبر، فسره لا يُحسب له!

[\[211\]](#)
القديس مار إوآم السرياني

❖ إذ يترك الإنسان (محبة) العالم المظلم يصبح نقيًا طاهرًا بعمل الروح وبالتصاقه بالنقاء الحقيقي... فتشع النفس ضوءًا وتصير هي نفسها نورًا كوعد الرب (مت 13: 43).

[\[212\]](#)
القديس غريغوريوس النيسى

2. تحطيم المدن العظمى:

يصور إشعياء النبي ما حلّ بالمدن الكوى في موآب بجانب عار وقير، فيقول:

"إلى البيت *Bajith* وديبون يصعدون إلى المرتفعات للبكاء" [2]. إذ حل الخراب بموآب لجأ الكثيرون إلى الآلهة الوثنية يصرخون بدوع وعويل لعلها تستطيع أن

تتقدم، لكن بلا جدوى، وذلك كما فعل أنبياء وكهنة البعل في أيام إيليا النبي.

لقد لجأوا إلى "البيت"؛ ووى البعض *Bajith* تعني "هيكلاً"، أو "بيت" *bayit* أي "بيت الإله كموش أو هيكل الإله" أو *bat* بمعنى "بنت" أو "ابنة" أي "أبنة المدينة" أو سكانها [\[213\]](#).

"ديبون" اسم موآبي يعني "مرتفعات" أو "هوالاً" أو "انحلالاً". وهي مدينة تبعد ثلاثة أميال شمال نهر رُنون، شمال غربي وعير، تُسمى بالعربية "ذبيان"، فيها وجد موقع الإله كموش الموآبي.

يُوجَم البعض "البيت وديبون" "بيت ديبون" أو "ابنة ديبون"، كأن الموآبيين قد هربوا إلى هيكل الإله كموش أو بيته في ديبون، ليكون ويوحون على ما حلّ بهم من خراب.

"تلول موآب على نبو وعلى ميدبا" [2].

لقد خربت "نبو"، بالقرب من الجبل العظيم نبو، شرقي الأردن في نهاية جنوب البحر الميت، وهو الجبل الذي صعد عليه موسى النبي لينظر من بعيد أرض الموعد فتتهلل نفسه مشتاقاً أن يعبر إلى أرض الأحياء وينعم بكنعان السماوية، وقد مات هناك (تث 34). كانت نوبة محصنة بالجبل العظيم، مركز دفاع للموآبيين، لكنها ضاعت وخربت فصلت علة للولولة. في ذات الموضع الذي تهلل فيه موسى ولول الموآبيون؛ ما يُوح قلب المؤمن يُحطم نفس الجاحد عديم الإيمان!

ولولوا أيضاً على "ميدبا"، معناها "مياه لراحة"، تُسمى حالياً "مادبا"، تبعد حوالي 5 أميال جنوب شرقي نبو، 14 ميلاً شرقي بحر لوط، دعيت هكذا لأن بها بركة في الجنوب طولها وعضها 360 قدماً كما توجد بها برك أصغر في الشوق والشمال.

يقول النبي " في كل رأس منها قعة، كل لحية مجزوة، في رُفتها يأترون بمسح، على سطوحها وفي ساحاتها يولول كل واحد منها سيالاً بالبكاء" [2-3]. هذه جميعها علامات الحزن الشديد (إر 48: 37؛ 2 صم 3: 31؛ إر 4: 8؛ 41: 5؛ وا 2: 10). قع الرأس يُشير إلى المذلة، إذ اعتاد الغالبون أن يخلقوا شعر الذكور والإناث المسيبين علامة العبودية والقبح؛ وجز اللحية إشارة إلى مهانة الكهنوت وفقدان سلطانه الروحي وكرامته، والأتار بالمسح علامة اليأس الشديد، أما البكاء حتى تصير الدوع كالسيل فمعناه فقدان الفوح الداخلي.

هذه هي صورة النفس التي تعزل إلهها ليسببها العدو الشرير؛ تفقد حريتها وجمالها وسلطانها وكرامتها وفوحها، لتصير أشبه بأمة قبيحة ذليلة منكسرة، لا تجدراحة لا في الأرقه ولا على السطوح (حيث يضع الوثنيون آلهتهم) ولا في الساحات؛ أينما وجدت لا تشعر بالراحة.

" وتصح حشبون والعاله، يسمع صوتهما إلى ياهص، لذلك يصوخ متسلحو موآب، نفسها توتعد فيها" [4]. كأن الموآبيين قد هربوا من مدينة

إلى مدينة، وكان صواخهم يسمع من بعيد، من مدن بعيدة؛ صواخ سكان حشبون والعاله يوى في ياهص.

"حشبون" اسم موآبي معناه "حسبان" أو "تدبير"، وهي مدينة سيحون ملك الأموريين، أخذها الموآبيون من سبط لاوي (يش 21: 29، أى 6:

81)، تُعرف حالياً باسم "حسبان"، وهي مدينة خربة قائمة على تل منزل بين رُنون وبيوق، تقع نحو سبعة أميال ونصف شمال مادبا ^[214].

"العاله"، كلمة عبرية ربما تعني "الله سعد"، تبعد حوالي ميلين شمال حشبون، تُسمى حالياً "العال"، تقع على تل.

وتعتبر المدينتان في أقصى الشمال، كانتا موضع زاع بين إسرائيل وموآب.

أما "ياهص" فكلمة عبرية تعني "موضعاً موساً"، تُسمى "يهصه"، يُقال إنها قرية أم الموآليد أو خربة اسكندر، تبعد حوالي 10 أو 12 ميلاً جنوب

حشبون.

لم يحتمل إشعياء النبي أن وى ما يحل بهذه المدن العظيمة، وكيف تحول شعبها إلى الصواخ المستمر، حتى صلت موآب ترتعد في داخلها:

"نفسها ترتعد فيها" [4]، لذلك يقول "يصوخ قلبي من أجل موآب" [5]. لا يقف شامناً في الأعداء، إنما يشركهم هولتهم، مشتاقاً إلى رجوعهم عن

عداوتهم وتمتعهم بالخلاص. هذه هي سمة رجال الله: الحب الداخلي الصادق والرغبة العميقة لخلاص حتى المقومين لهم!

❖ لو لم يكن شوواً ما كان قد صار لكم عنواً. إنن اشتهاوا له الخير فينتهي شوه، ولا يعود بعد عنواً لكم. إنه عنوكم لا بسبب طبيعته البشرية وإنما

بسبب خطيته!

^[215]
القديس أغسطينوس

❖ لا تفيدنا الصلاة من أجل الأصدقاء بقدر ما تنفعنا لأجل الأعداء... فإن صلينا من

أجل الأصدقاء لا نكون أفضل من العشرين، أما إن أحببنا أعداءنا وصلينا من أجلهم فنكون قد شابهنا الله في محبته للبشر.

^[216]
القديس يوحنا الذهبي الفم

يقول النبي: "يصوخ قلبي من أجل موآب، الهلبيين منها إلى صوغر كعجلة ثلاثية لأنهم يصعدون في عقبة اللوحيث بالبعاء، لأنهم في طريق

حوروناييم يرفعون صواخ الاتكسار" [5].

جاءت كلمة "الهلبيين" في العبرية في صيغة المفرد؛ وكان إشعياء النبي يصور لنا الهلبيين من أقصى الشمال إلى صوغر في الجنوب، المدينة

الصغيرة التي لجأ إليها لوط عند حرق سدوم وعمورة، أشبه بعجلة واحدة عمرها ثلاث سنوات قد هربت كما من النير الثقيل الذي لم تعتد عليه. صلوا

كنشخص واحد ليس من يسنده ولا من يغريه، يهرب إلى الأماكن الصغيرة (صوغر) فلا يجد له ملجأ.

أما اللوحيث وحوروناييم فلا يعوف موضعهما، إنما غالباً ما كانا بجوار صوغر.

3. حلول المجاعة:

لا يقف الأمر عند خراب المدن والهزيمة المنكرة والهروب والصواخ وإنما يحل بموآب مجاعة كثرة طبيعية للهزيمة في الحرب وتحطيم

المورد الطبيعية والبشرية، أو ربما كعلامة من علامات ثورة الطبيعة نفسها ضدهم. يقول النبي: "لأن مياه نمريم تصير خربة، لأن العشب يبس، الكلاً

فنى، الخضوة لا توجد، لذلك الثروة التي اكتسبوها وذخاؤهم يحملونها إلى عبر وادي الصفصاف" [6-7].

"نمريم" اسم سامي معناه "مياه صافية"، وهي ينابيع في وادي نموة في الساحل الجنوبي الشرقي للبحر الميت. والمعنى هنا أن جماهير اللاجئين

تكون عظيمة فلا تستطيع الواحة أن تكفيهم هم وحيواناتهم، لذا يتوكون حيواناتهم ويأخذون ما يستطيعون حمله من ثروة وذخائر ليكملوا الطريق لعلهم

يصيرون في غير عز، لكنهم لا يقدر أن يحملوا كل احتياجاتهم ^[217]. ووى بعض الدارسين أنه بجانب ما يحل ببلادهم من مجاعة يقوم الأعداء

بالاستيلاء على ثروتهم وذخاؤهم ويحملونها إلى بلادهم ليتوكون موآب خراباً.

تتحول موآب كلها إلى موضع صواخ وولولة، يوي الصواخ في كل تخومها، يُسمع في الجنوب في وادي نموة حتى اجلايم بجوار قير وبير ايليم في الشمال. وتتحول مياه ديمون إلى دم [9] بسبب كؤة سفك الدماء في تلك الليلة الشهورة [ديمون أو ديبون ومعناها دم، غالبًا ما يقصد مياه نهر رُنون]، فلا يجد أحد ما يروي ظمأه.

البقية التي تتجو تصير كما في حالة رعب، تواجه أسدًا مفترسًا لا يمكن مقاومته [9]! في اختصار تفقد موآب مدنها العظمى، وحقولها، ومياهها، وسلامها لتصير في خراب تام.

<<

الأصاح السادس عشر

خضوع موآب ليهودا

في أيام حزقيا يُقدم إشعياء النبي مشورة لموآب أن تفي بالحزبية التي تعهدت بها أمام يهوذا فترسل إليه حملان، وهي جزية مناسبة لأن موآب مشهورة بقطعانها (عد 32: 4). قدمت موآب فيما بعد جزية أيضًا لإسرائيل (2 مل 3: 4). بهذه المشورة تتمتع موآب بالحماية عوض أن تصير كطائر تائه لا يجد عشًا. وإذ خشى النبي ألا تقبل موآب مشورته كشف لها حراحتها المهلكة الأوهي الكورياء.

هذه دعوة مقدمة لكل نفس كي تخضع للسيد المسيح الملك الخرج من سبط يهوذا، لكي تقدم حياتها كحمل ذبيح من أجل الرب، فتنعم بالسلام الداخلي عوض أن يُحطمها جود الإيمان والكورياء.

- 1 . مشورة للخضوع ليهودا [5-1].
- 2 . الكورياء محطم للإنسان [6].
- 3 . ولولة على موآب [14-7].

1 . مشورة للخضوع ليهودا:

سبق أن رأينا قلب إشعياء النبي يتحرك بحنان شديد نحو موآب فصار يصوخ من أجلهم. الآن يُقدم للموآبيين مشورة صالحة لإصلاح حالهم وتمتعهم بعلاقات طيبة مع بني يهوذا وتوقعهم للسلام والحماية، بتقديم الجزية (حملان) لحزقيا الملك؛ كرمز لدعوة الأمم إلى الخضوع للسيد المسيح، الأسد الخرج من سبط يهوذا، فإنه لا سلام ولا حياة أبدية دون قبوله ملكًا في حياتنا الداخلية.

في نهاية الأصاح السابق قيل: "على الناجين من موآب أسدًا وعلى بقية الأرض" (إش 15: 9)، ووي البعض أن الأسد ربما يكون حزقيا، أو السيد المسيح الأسد الخرج من سبط يهوذا ليملك على الأمم روحياً ^[218].

يتقدم النبي نفسه ليعلن استعداد أن يكون وسيطاً أو شفيعاً لدى يهوذا عن موآب، مطالبًا الموآبيين بدفع الجزية: "أرسلوا خرفان حاكم الأرض من سالع نحو البرية إلى جبل ابنة صهيون، ويحدث أنه كطائر تائه كفواخ منوّة تكون بنات موآب في معابر رُنون" [1-2].

"سالع" Sala اسم عوي معناه "صخرة"، دعاء اليونانيون بوا Petra والتي تحمل ذات المعنى، إذ هو موقع حصين في أرض أنوم؛ كان الأثوميون يهربون إليه أثناء الحصار العسكري كقلعة طبيعية حصينة لا تُفهر، لأنها قائمة على قمة جبل (عو 2)، تُسمى حاليًا أم البيلة.

كأن النبي يدعو الموابيين الذين التجؤا إلى أنوم وتحصنوا في سالع أن يتقدموا مع بقية الموابيين الذين في الربة ليهودا، وأن يقدموا الحملان في أورشليم "جبل ابنة صهيون".

إنها دعوة لكل إنسان ألا يظن في الفراع البشري أو الإمكانات الطبيعية ملجأ له. إنما يكمن سلامه في بلوغه أورشليم، وتقديم حياته ذبيحة حب لابن داود، الأسد الخرج من سبط يهوذا. جاء الأسد كحمل ليصلب خرج أورشليم حتى نتقدم نحن كحملان - ذبائح حية - نُشركه آلامه، فندخل إلى أورشليمه السماوية.

❖ "أطلب إليكم أيها الإخوة وأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية" (رو 12: 1)...

ربما يُقال: كيف يصير الجسد ذبيحة؟ دع العين لا تنظر الشر، فتصير ذبيحة! لا ينطق لسانك بدنس فيصير ذبيحة! لا تلمس يدك عملاً معروفاً فتصير محرقة كاملة!... بهذا لا نحتاج إلى سكين أو مذبح أو نار، بالحري نحتاج إلى هذه كلها لكنها ليست مصنوعة بالأيدي، إنما تأتينا من فوق. نحتاج إلى نار علوية، وسكين كهذه؛ مذبحنها هو اتساع السماء.

إن كان إيليا إذ قدم ذبيحة منظرة تولت نار من فوق التهمت كل الماء والخشب والحجارة، فكم بالأكثر يحدث هذا بالنسبة لك؟!

[\[2191\]](#)
القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أحضر تقدماتك... تقدمات نفسك!

[\[2201\]](#)
القديس جيروم

خرج السيد المسيح وى النبي بنات مواب تعون نهر أنون كطائر تائه ليس له عش يستقر فيه، أو كواخ منوة تفتقر إلى ظل الجناحين والدفء والحماية [2]، أما بقبوله فنصير تحت جناحي صليبه، نجد راحتنا وسلامنا وشبعنا الداخلي.

يُقدم النبي أيضاً مشورة لشوخ يهوذا، مطالباً إياهم أن يستقبلوا الموابيين اللاجئين إليهم ليقدموا لهم ظلاً وسط الظهيرة، فيصير لهم الوقت كأنه ليل لراحة من شمس التجرب والضيقات؛ وأن يستروا المطرودين والهلبين إليهم بون خداع، فلا يسلموا عبيداً للأعداء [3-4].

يليق وجال يهوذا أن يحملوا رزماً للسيد المسيح الملجأ الحقيقي، فيفتنوا قلوبهم ومدنهم للهلبين، ويستقبلوهم بإخلاص؛ بهذا تعلن مملكة المسيح

القائمة على كرسي الوحمة أدياً: " فيثبت الكرسي بالرحمة، ويجلس عليه بالأمانة في خيمة داود قاضي ويطلب الحق ويبادر بالعدل" [5].

هكذا يُقدم لنا النبي نصاً مسيانياً، معلناً أن الكنيسة - خيمة داود - هي موضع النجاة، يملك فيها المسيا ليجتذب الأمم إليه فيجوا فيه الحق

ويتمتعوا بالراحم الإلهية، مترنمين: "العدل والحق قاعدة كرسيك؛ الوحمة والأمانة تتقدمان وجهك... لأن الرب مجننا وقنوس إسرائيل ملكنا" (مز 89:

14، 18).

2. الكبرياء محطم للإنسان:

قدم إشعياء النبي المشورة الصالحة لموآب، كما قدم دانيال النبي مشورته أيضاً لنبوخذ نصر (دا 4: 27) ... وقد كشف في نفس الوقت عن

ضعفهم الروحي أي الكبرياء كعائق لهم عن قبول المشورة. " قد سمعنا بكبرياء موآب المتكورة جداً عظمتها وكبرياتها وصلفها بطل افتخلها" [6]. لقد

سمع النبي عن كبرياء الموابيين وتشامخهم الوائد وكلماتهم الفرغة (الباطلة)!

الكبرياء محطم للإنسان كما للأمم، يحرم صاحبه من قبول المشورة الصالحة، ويفقده التمتع بنعمة الله ورحمته.

3. ولولة على موآب:

لم يسمع قادة موآب لصوت إشعياء النبي بسبب كبرياتهم واعتدادهم وأيهم لهذا سقطوا تحت العقوبات المؤرة واستحقوا الويلات التي يلاحظ فيها

الآتي:

أ. حدوث ولولة شاملة: " لذلك تولول موآب على موآب كلها يولول" [7] ؛ إذ صلت الولولة سمة عامة في كل موآب.

ب. شملت الولولة أكبر المدن مثل قير حرسة [7] التي ضُوبت، وأيضًا الحقول التي ذبلت كحقول حشيون وكومة سبمة Sibmah ويغير [8-9]؛ شملت المدن والقوى؛ المتعلمين والجهال، الأغنياء والفقراء الخ...

اشتهرت حشيون وسبمه ويغير بغنى كرومها.

ج. تحولت أفرح الحصاد إلى بكاء وفوح؛ عوض صيحات العيد المبهجة سُمعت صرخات المعركة المؤة [10].

د. انطلق الموابيون إلى المرتفعة للصلاة في هيكل الإله كموش بلا جوى [12].

هـ. تحدد ميعاد العقوبة بثلاث سنوات خلالها تنهار موآب أمام سنحريب ملك آشور، ويذل الموابيين ويتحطم مجدهم [14].

هذه هي نهاية الإنسان المتكبر، يصير كموآب تحل الولولة بحياته ككل، في الأمور الكبوة وأيضًا الصغوة، لا يعرف الفوح الداخلي ولا بهجة

القلب، أعياده تتحول إلى أزان، عبادته تكون بلا نفع، ينهار يومًا فيومًا ليفقد مجده تمامًا.

وسط هذه الصورة القاتمة يكشف إشعياء النبي عن جانبين مبهجين: الأول مشركة النبي بنى موآب متاعبهم، إذ يقول: "لذلك ترن أحشائي كعود

من أجل موآب وبطني من أجل قير حرس" [11] . لا تحتمل أحشؤه الداخلية أن تنظر نفسًا متألمة حتى وإن كانت آلامها ثرة خطاياها.

الجانب الثاني وجود بقية قليلة جدًا وضعيفة للغاية [14] ، ففي القديم تمتعت راعوث الموابية بالخلص، إذ جاءت تحتمي تحت ظل الله، وفي

العهد الجديد جاء الأمم إلى الإيمان ليتمتعوا بالحياة الجديدة في المسيح يسوع.

<<

الأصحاح السابع عشر

وحي من وجه دمشق وآوايم

ليس عند الله محابة، فإن كان يؤدب الأمم الوثنية مثل موآب لجدها الإيمان وعجرتها وتجديفها عليه فإنه يؤدب إسرائيل (أو آوايم- العشرة

أسباط) لأنها تحالفت مع رام أو سوريا (عاصمتها دمشق) ضد يهوذا متكئين على وُعون مصر ضد آشور. لهذا سمح الله لملك آشور أن يهجم على

رام وآوايم ويغلبها سريعًا.

هذا وقد وجدت علاقات بين دمشق (رام) وإسرائيل منذ القدم. لقد أوكل إواهم الذي في صلبه إسرائيل كل بيته في يدي عبده لعازر الدمشقي؛

وفي أيام أليشع النبي جاء نعمان السوراني لينعم بالشفاء من برصه في مياه الأردن، كما جاءت المرأة الكنعانية السورية إلى السيد المسيح تطلب منه شفاء

ابنتها، وكرز التلاميذ في دمشق، وظهر السيد المسيح لشاول الطرسوسي بالقرب من دمشق.

1. تدمير دمشق [2-1].

2. هزيمة آوايم [11-3].

3. هجوم الأعداء [13-12].

1. تدمير دمشق:

تعتبر من أعرق المدن، ورد ذكرها في أيام إواهم (تك 14: 15)؛ عواها دود الملك وأقام فيها حامية (2 صم 8: 5-6؛ 1 أي 18: 5-6). قام رزون وتمكن من تأسيس المملكة السورية ودامت الحرب بينها وبين إسرائيل زمانًا طويلًا لكنهما تحالفا معًا فيما بعد ضد يهوذا وأشور. وقد تعرضت للهزيمة عدة مرات، ففي سنة 843 ق.م. هاجم شلمنصر دمشق وهزم ملكها حزائيل، كما هاجمها تغلث فلاسر سنة 732 ق.م.، وقتل ملكها رصين وقاد شعبها إلى السبي (2 مل 16: 5-9؛ إش 7: 1-8؛ عا 1: 3-5). انتقلت بعد ذلك من الآشوريين إلى الكلدانيين ثم إلى الفرس فالبيونانيين المقنونيين فالرومان على يدي ميتلوس عام 64 ق.م. لتصبح سوريا مقاطعة رومانية عام 63 ق.م.

إن كانت دمشق قد تحالفت مع آفرايم ضد يهوذا، فقد حلت العقوبة على دمشق وآفرايم معًا. وهما يمثلان قوى العالم الشريرة المقاومة للحق كما جاء في سفر الرؤيا: "ثم سكب الملاك الراجع جامه على الشمس فأعطيت أن تحرق الناس بنار، فاحترق الناس احترًا عظيمًا وجدفوا على اسم الله الذي له سلطان على هذه الضربات ولم يتوبوا ليعطوه مجدًا" (رؤ 16: 19).

" هوذا دمشق تُال من بين المدن وتكون رجمة ردم؛ مدن عروعر متروكة، تكون للقطعان فتربض وليس من يخيف" [1-2].

كانت دمشق مزدهرة جدًا حتى حاصوها تغلث فلاسر الآشوري وقتل ملكها وسبى شعبها فصلت أشبه وجمة خربة.

أما عروعر، فتوجد 3 مدن على الأقل تحمل ذات الاسم [عروعر اسم موآبي معناه "علية" أو "عوى"]، وهي: مدينة في موآب تُسمى حاليًا عواير، تبعد حوالي اثني عشر ميلاً شرقي البحر الميت، جنوبي ديبان بقليل، وشمال نهر أرنون؛ وقوية في القسم الجنوبي من اليهودية (1 صم 30: 28) (تسمى حاليًا عولة على بعد اثني عشر ميلاً جنوب شرق بئر سبع، والثالثة وهي المقصودة هنا ^[2211] مدينة في جلعاد بالقرب من ربة التي هي ربة عمون (يش 30: 25، قض 11: 33) عمان عاصمة الأردن.

دمشق وعروعر يمثلان النفس المتشامخة على الله والمتحالفة مع الغير ضد كنيسته، فإنه وإن كان الله يتركها زمانًا لتظهر قوية وناجحة ومزدهرة، لكنها تعود فتنهار من جانبيين:

أ. تتحول من مدينة عظيمة إلى رجمة خربة، أي تفقد حياتها، لأنها تعول الله نفسه مصدر الحياة.

ب. تتحول كعروعر من مسكن للناس (مع الله) إلى موعى للقطعان والحيوانات، وكأن مقومتنا للحق تفقدنا كرامتنا وتحول حياتنا إلى ملهى لكل حيوان، فنحمل الطبيعة الحيوانية الجسدانية. لهذا يُسبَح القديس مار إؤأم السرياني طفل المزود قائلاً: [المجد لذاك الذي نظر إلينا كيف أننا قبلنا أن نُشابه الوحوش في هياجنا وجشعنا، فقول إلينا وصار واحدًا منا حتى نصير نحن سمائيين ^[2221]].

2 . هزيمة آفرايم:

وعمت دمشق فكة التحالف ضد يهوذا لهذا استحققت أن تُعاقب أولاً، وإذ ضعفت إسرائيل وخضعت للمشورة استحققت هي أيضًا التأديب القاسي مع فتح باب الرجاء أمامها وإعلان وجود بقية أمينة ومخلصة تتمتع بخلص الله. تقدم النورة الطبيعية للتحالف الشرير الذي فيه اتكأ على النزاع البشري والفكر الإنساني البحت مع تجاهل العمل الإلهي، هذه الثرة هي عقوبة طبيعية يسقط تحتها الإنسان في شوه:

أ. فقدان الحصانة: " يزول الحصن من آفرايم" [3] ؛ "في ذلك اليوم تصير مدنه الحصينة كالردم في الغاب والشوامخ التي توكوها من وجه بني إسرائيل فصلت خرابًا" [9].

إن كان الله إله خلاصنا هو صخرة حصننا [10] فإن اعواننا إياه ورفضنا لعمله هو زوال للحصن الحقيقي... عندئذ لا تقدر الحصون أن تحمي مدينتنا الداخلية بل تصير كردم في وسط الغاب بلا قيمة وكشوامخ متروكة لها المظهر الخرجي دون قوة العمل! الله هو حصننا الذي فيه نلتجىء فتستريح أعماقنا، عندئذ لا تقدر كل قوى الظلمة أن تتسلل إلينا.

ب. فقدان المجد الداخلي: " ويكون في ذلك اليوم أن مجد يعقوب يذل" [4] . إن كان مجد ابنة الملك من الداخل (مز 45)، فإن سر مجدها هو مسيحتها الساكن فيها، الذي يُقيم ملكوته داخلها. بالمسيح يسوع نتمجد ليس فقط أمام الناس وإنما أيضًا أمام الآب، إذ يقول القديس جيروم: [تطلع إلينا، فإنك ترى ابنك الساكن فينا] [2231].

ج. فقدان القوة: "وسمان لحمه تهزل" [4] ، لهذا يقول السيد المسيح: "بنوني لا تقفرون أن تفعلوا شيئاً" (يو 15: 5).

❖ [224] لا نقدر أن نحري في طريق الله ما لم نكن محمولين على أجنحة الروح.

❖ [225] ليس أقوى من الذي يتمتع بالعون السموي كما أنه ليس أضعف من الذي يُحرم منه.

❖ [226] لا نخشى شيئاً، فإننا لكي نقهر الشيطان يؤمنا أن نعرف أن مهلتنا لن تُفقد شيئاً، وأن كل شيء هو من نعمة الله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

د. فقدان الثمر، فقد عرف وادي رفايم بخصوبة أرضه ووفرة ثمره ومحصولاته، لكن بسبب الأعداء لا يتبقى لأوايم إلا أن يلتقط السنابل الساقطة وراء الحصادين ويجمع ما تبقى في رأس الفروع من شجر الزيتون حبتين أو ثلاث فقط [5-6] أي يصيروا كالفقراء الذين ليس لهم ما يحصدونه (تث 24: 20).

إنهم يُسبجون الحقول ويذرعون ولكن في وقت الحصاد يأتي العدو ليغتصب تركاً لهم ما يسقط منه على الأرض، فنتحول أعياد الحصاد إلى رُمنة للكآبة وعدم الرجاء [11]. بمعنى آخر يفقدون تعب جهادهم ويخسرون فرحهم وسلامهم.

الآن نتساءل: لماذا يسمح الله لـ أوايم بهذا الذل؟

لكي يرجع إلى الله خالقه عوض مشركة الأراميين مشرعاتهم الشريعة وعبادتهم الوثنية ورجاساتهم الدنسة، إذ يقول: " في ذلك اليوم يلتفت الإنسان إلى صانعه وتتنظر عيناه إلى قنوس إسوائيل، ولا يلتفت إلى المذابح صنعه يديه، ولا ينظر إلى ما صنعه أصابعه السوري Asherahs والشماسات hammanum " [7-8].

السوري هنا تعني التماثيل والصور الخاصة بإلهة الحب والجمال (عشتار) المقابلة لأفروديت [2271] ، إذ كانت توضع على سوري (أشبه بأعمدة من خشب). تُحسب هذه الإلهة زوجة ورفيقة للإله بعل، لذا يُحاط مذبحه بمجموعة من الأشجار أو السوري تحمل تماثيل الإلهة إشارة إلى خصوبتها [2281].

كانت هذه السوري والأشجار تحمل معاني جنسية إباحية لذا اختلطت العبادة بالنجاسة كخز لا يتخزأ منها (خر 34: 13؛ تث 16: 21؛ قض 6: 25؛ 2 أي 34: 4-7؛ مي 5: 14). سمح الله بتأديب شعبه لكي لا يُدنس نظرتة للجنس بل يرتفع بقلبه وفكره نحو الله الذي فرق الجنس والذي يهبنا قدسية للحياة الزوجية والعلاقات الجسدية [2291].

أما بالنسبة للشماسات [2301] فقد وُجِم البعض الكلمة العبرية بمعنى آلهة الشمس sun-gods والبعض وُجِمها بعل هامان وهو إله الشمس السوراني، كما وُجِمها آخرون "مذبح البخور" حيث كان يُقدم البخور لإله الشمس، لذا جاء هذا التعبير خاصاً بالعبادة الوثنية متمازاً عن البخور المقدس الذي يُقدم في الهيكل.

3. هجوم الأعداء:

يشبه الأعداء بالبحر الذي لا يمكن مقاومته... فقد سمح الله للشعوب الكثيرة أن تنزل على آوايم كمياء كثرة تغرقه، ومع هذا فإن الله قد وضع للبحر حداً. يسمح له أن يغرق إلى حدّ معين وإلى حين، إذ يحفظ القلّة الأمانة من ولاده من ثورة البحر وهياجه.

في تصوير رائع يقول: " أه ضجيج شعوب كثرة... قبائل تهدر كهدير مياه كثرة، ولكنه ينتهزها فتهرب بعيداً وتُطرد كعصافاة الجبال أمام

الريح وكالجل أمام الزوبعة، في وقت المساء إذارعب، قبل الصبح ليسوا هم. هذا نصيب ناهينا وحظ ساليينا" [12-14].

يسمح الله للأعداء أن يهجموا كمياه بحار غزوة لا يقف أحد أمامها، لكنه إذ ينتهوها تصير كعاصفة في مهب الريح على الجبال ليس لها موضع استوار ولا قوة على المقاومة، أو كعجلة مدرجة أمام زوبعة لا يمكن إيقافها. عدونا عنيف للغاية متى تركنا أنفسنا بين يديه سحبنا في نوامته لنغرق في أعماق بوه، لكننا متى اختفينا في الوب يصير العدو كلا شيء أمامنا، ينسحب كعصافة أمام ريح الروح القدس الناري، ويتدوج أمام كلمة الله الفعال.

لذلك يقول: " في وقت المساء عرب" [14] ، بمعنى أنه متى غاب شمس البر عن حياتنا تحل الظلمة فينا ونصير كما في المساء ليجد العدو له فينا موضعًا فوعينا، أما قبل الصبح، أي في الفجر، حيث يشوق فينا مسيحنا يصير العدو كلا شيء ويحسب غير موجود. هذا هو نصيبه فقد سبق أن نهينا حياتنا وسلبنا مجدنا لكنه يعود فيتحطم أمام الساكن فينا.

«

الأصاح الثامن عشر

كوش تقدم هدية الله

يعتبر هذا الأصاح من أكثر الأصاحات غموضًا في الكتاب المقدس. وى قلة من الدارسين أن الحديث هنا يخص آشور أما الغالبية فتوى أن الحديث أما الغالبية فتوى أن الحديث إما يخص مصر أو أثيوبيا. وقد رفض البعض نسبته إلى مصر بحجة أن الوحي الخاص بمصر جاء في الأصاح التالي مبتدئًا بالقول "وحي من جهة مصر" (إش 19: 1).

يُقصد بكوش جنوب مصر، حاليًا النوبة والسودان وأثيوبيا، وكان ملكها القدير تهاقة (2 مل 19: 9) قد ملك على كوش ومصر؛ هذا بعث بوسل على سفن صغيرة مصنوعة من حلف الودي إلى يهوذا طالبًا التحالف معه ضد سنحريب ملك آشور. لقد أراد النبي أن يؤكد أن كان كوش يطلب تحالفًا ضد قوى آشور الموائدة، فإن كوش ومعها مصر ستأتي إلى أورشليم مع بقية الأمم لتتعبد خاضعة لوب الجنود. بمعنى آخر الله لا يحتاج إلى تحالفات بشوية ضد قوى الشر إنما هو حصن منيع لكل الأمم التي تتوجه وتتعبد له .

1 . رسالية من كوش [6-1].

2. كوش تقدم هدية لله [7].

1 . رسالية من كوش:

يوجه النبي حديثه إلى كوش قائلاً: " يا أرض حفيف الأجنحة التي في عبر أنهار كوش " [1].

ماذا يقصد بأرض حفيف الأجنحة؟

أ. وى البعض أنها إشارة إلى السلطان الإمبراطوري الذي كان يسيطر جناحيه على كل أرض كوش وما حولها. وقد استخدم الكتاب المقدس هذا التشبيه مرارًا كثيرة، فقول عن ملك آشور "يكون بسط جناحيه ملء عرض بلادك يا عمانوئيل" (إش 8: 8). كما شبه ملك آشور بنسر عظيم ذي منكبين (جز 17).

ب. وى بعض الدارسين أن حفيف الأجنحة يُشير إلى سلطان مصر وعظمتها، وآخرون يروا إنها بريطانيا العظمى التي حملت أمجادًا عظيمة عبر البحار وآخرون حسوها الولايات المتحدة الأمريكية التي تتخذ النسر شعارًا لها [231].

ج. يُشير حفيف الأجنحة إلى الحشوات، لذا فهي ترمز إلى كوش كبلاد تشتهر بحشواتها الطاوة؛ خاصة وأن الكلمة العويبة هنا *silsal* استخدمت في (تث 28: 42) عن الحشوات (الصوصر) ^[232].

د. كلمة *sel* تعني "ظلاً"، لذا فهي تُشير إلى بلاد قريبة من خط الاستواء حيث يكون الظل مضاعفاً (أو ذات أهمية لشدة الحر) ^[233].

هـ. اعتمد البعض في تفسيرهم على ما جاء في الترجمة السبعينية والتوجوم أن حفيف الأجنحة يُشير إلى السفن؛ وكان النبي يقول بأن سفن أثيوبيا تبحر بواسطة شواعاتها كأجنحة الحشوات. اعتاد البحرة أن يدعو الشواع جناحاً ^[234].

على أي الأحوال بعث ملك أثيوبيا رسلاً خلال سفنه المصنوعة من البودي، وكان على عجلة، لأن العدو على الأبواب ويمثل خطراً على العالم كله في ذلك الحين. لقد عُرف الأثيوبيون بقدرتهم على التجسس على مواقع الأعداء وتحركاتهم بواسطة سفنهم الصغرة السريعة، لهذا لم يتوان الملك في التحرك ليدعو يهوذا إلى التحالف ضد خطر آشور المؤايد.

كانت رسالية الملك هي للتحالف، لكنها ليست رسالية سلام، وإنما رسالية دعوة للحرب ضد آشور وثورة ضد سنحليوب، الأمر الذي ترقبه كل الشعوب، إذ قيل: " يا جميع سكان المسكونة وقاطني الأرض عندما ترتفع الواية (اية الحرب) على الجبال تنظرون، وعندما يُضوب بالبوق تسمعون" ^[3].

ليت رسل الإنجيل يحملون ذات العوة التي لملك أثيوبيا ورسله، فقد دعوا للانطلاق كي يتحالف الكل معاً لا ضد آشور وإنما ضد عدو الخير حين ترتفع راية الصليب ويضوب بوق كلمة الله، فتثور المعركة الروحية تحت قيادة الكلمة الإلهية المتجسد المصلوب، يحملنا فيه ويخفيها في جنبه المطعون واهباً إيانا روح الغلبة والنصرة. لقد دخل المعركة خلال تجربته على الجبل وانتصر باسمنا ولحسابنا، وبقي يُجاهد من أجلنا حتى أكمل جهادة بالصليب.

❖ أعطانا الرب بمثاله كيف نستطيع أن ننتصر حين جُرب هو.

^[235]
الأب سوابيون

❖ يسوع قائداً سمح لنفسه بالتجربة حتى يعلم ولأده كيف يحلربون.

^[236]
القديس أغسطينوس

يقول النبي: " اذهبوا أيها الرسل السريعون إلى أمة طويلة وجرءاء، إلى شعب مخوف منذ كان فصاعداً، أمة قوة وشدة ودوس قد خرقت الأنهار أرضها" ^[2].

وى البعض أن الوصف هناك ينطبق على الأثيوبيين أو الآشورين أو الماديين... لكن الرسالية كانت موجهة إلى شعب الله الذي دُعي "شعب مخوف"، لأن إلهه إله مخوف (خر 23: 27؛ 27: 34؛ 10، تث 28: 58؛ يش 2: 9؛ مز 139: 14). إنه شعب مخوف منذ كان، أي منذ بداية نشأته، إذ خرج من مصر بيد قوية ونواع رفيعة. أما قوله " قد خرقت الأنهار أرضها" ^[2] فيشير إلى خطورة موقفها، لأن العدو مزعم أن يُهاجمها فيكون كنهير جلف، ووصفها " أمة طويلة (ممدودة) وجرءاء (حادة)" ^[2] ، جاء في الترجمة السبعينية "أمة مسحوقة ومزوقة"... إذ يسحب العدو الشعب كالغنم ويجرونهم إلى السبي فيصيروا مسحولين.

إن كان النبي يطلب من الشعب ألا يقبل رسالية ملك كوش للتحالف معاً، فما هو موقف الله من هجمات آشور على شعبه؟

" لأنه هكذا قال لي الرب: "إني أهدأ وأنظر في مسكني كالحمر الصافي على البقل، كغيم الندى في حرّ الحصاد" ^[4]. يبدو كأن الله هادئاً ساكناً لا

يعبأ بأمورنا، وقد يتوك الله ملك آشور المتجبر يدمر ويهلك ويحطم مدننا حتى يبلغ إلى أبواب أورشليم عندئذ يعلن الله عن دوره الخفي ويورد ملك آشور خائباً محطماً كوياءه وجيشه.

الله ضابط الكل يهتم بكل صغيرة وكبيرة، لكن في طول أناته نظنه قد نسينا أو لا يعبأ بحالنا، فنقول مع الموتل: "لا تتركنا إلى الغاية (كثوثاً)"، فإنه حتى فيما يبدو كأنه تركنا إنما هو يدير الأمر لخلصنا وبنياننا.

يُشبهه **القديس يوحنا الذهبي الفم** الله بمربية تضع يديها في يديّ الطفل الصغير لكي تُثربه على المشي؛ وفجأة تزع يديها عنه فيسقط ليرفع عينيه نحوها يُعاتبها بدموعه، أما هي فتعود تمسك بيديه... بهذا يترب على المشي. إنها تتركه من يديها لكنها لن تتركه عن فكرها أو قلبها. ما ندعوه تركاً هورعاية، فإن الله ينظر إلينا وسط ضيقتنا فيحول المر إلى حرّ يعطى نضوجاً للبقول، أو كغيم في حرّ الحصاد يُعطي رطوبة وظلاً... من الظاهر آلام ومن الداخل بنين وراحة!

وى أيضاً في الضيقات نوعاً من "تقليم الشجر" أي زع الفروع الزائدة حتى تأتي الشجرة بثمر متكاثر [5].

أخوًا بعد أن سمح لسنحريب بالنصرة على كثير من مدن يهوذا حطمه وحطم جيشه قبل دخوله أورشليم، فصلت جثثهم مأكلاً للوحوش والطيور الجرحة [6]، إذ مات في يوم واحد 185 ألفاً من جيش سنحريب.

2. كوش تقدم هدية لله:

إن كانت كوش أو مصر أو غوها من الأمم يحسبون أنهم قادرون على حماية شعب الله من آشور فستكتشف الأمم جميعاً أنها في حاجة إلى الخراج من سبط يهوذا لكي يحميهم من إبليس وكل أعماله الشريرة؛ فتأتي الأمم التي كانت مضروبة بالتشامخ في خضوع لتقدم هدية لوب الجنود [7] في جبل صهيون، أي في كنيسته.

رأى إشعياء النبي أعداداً بلا حصر من الملوك والرؤساء والعظماء يأتون إلى أورشليم يسجدون للملك الحقيقي الذي لم يحمل على رأسه إكليلاً زمنياً بل إكليل شوك. رأى المؤمنون كملوك روحيين يخضعون لملك الملوك رب المجد يسوع الخراج من سبط يهوذا.



الأصاحح التاسع عشر

مبارك شعبي مصر

في الأصاحح السابق حث النبي ملك كوش ومصر على تقديم هدية لوب الجنود في جبل صهيون عوض أن يبعث برسله طالباً التحالف مع شعب الله ضد آشور. أما في هذا الأصاحح فيقدم وحياً من جهة مصر بكونها تمثل بوعونها عنف العالم وقسوته، وبخصوبة أرضها إغواءات العالم ووقفه، وبأوثانها وهاكلها الاتكال على الحكمة البشوية والقوات الإنسانية... لقد رأى النبي الرب نفسه قادماً إلى مصر محولاً على يديّ القديسة مريم، السحابة البيضاء الخفيفة السريعة، يأتي في طفولته ليحطم ببساطته أوثانها وحكامها وسحرتها، وليقيم مذبحاً له في وسطها، وعموداً عند تخومها. نوبة صويحة عما حدث بخصوص العائلة المقدسة وأيضاً عن إقامة الكنيسة المسيحية الحية في مصر كشعب مبارك للرب.

1. هروب العائلة المقدسة [1].

2. تأديب مصر [2-17].

3. إقامة مذبح للرب [18-25].

1 . هروب العائلة المقدسة:

لا نجد بلدًا يتحدث عنه الكتاب المقدس مثل مصر وذلك بعد كنعان، والسبب في هذا أن إسرائيل كأمة وكشعب أقامت في مصر، وعاش اليهود هناك حوالي 400 سنة وأخوًا خرجوا بزوارع رفيعة. بخروجهم خلال دم الحملان صلواربؤًا للعالم كله المتحرر من عبودية إبليس خلال دم المسيح الذبيح الوحيد. صلت مصر تمثل قرة العالم بصفة عامة وبيت العبودية الذي يخلص شعبه منه.

افتتح إشعيا نبوته عن مصر بصورة موححة تخص مصر، قائلاً: " هوذا الوبراكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فتتجف أوثنان مصر من وجهه وينوب قلب مصر داخلها" [1].

رى القديس كولس الكبير أن السحابة الخفيفة السريعة (الوَجْمَة السبعينية) هي القديسة مريم التي قدسها روح الوب فصلت خفيفة ومرفوعة تحمل رب المجد يسوع لتعوب به إلى مصر من وجه هيرودس (مت 2: 13-15) ... بدخوله لتجفت الأوثان وهوت العبادة الوثنية، وذاب قلب المصريين حبًا ليقبلوه ساكنًا فيهم؛ إذ يقول: [السحابة المتألقة التي حملت الوب يسوع إلى مصر هي أمه العزراء مريم التي فاقت السحاب نقاء وطهورًا. أما المذبح الذي أُقيم للوب في وسط أرض مصر فهي الكنيسة المسيحية التي قامت على أنقاض الهياكل الوثنية على أثر تولد أوثنانها وانهايار وابيها أمام وجه الوب يسوع ^[2371]]. لهذا تسبح الكنيسة في عيد دخول السيد المسيح مصر، قائلة: [أوحى وتهللي يا مصر مع بنيها وكل تخومها، لأنه قد أتى إليك محب البشر، الكائن قبل كل الدهور].

إن كانت مصر بوعونها وعبادتها الوثنية مثلت العالم الوثني القديم في عنفه ورجاساته لكنها أيضًا كانت ملجأ للكثيرين خاصة في فترات الجوع، فجاها إليها أبونا إواهم (تك 12: 10)، واستقبلت يوسف المٌضطهد من إخوته ليصير الرجل الثاني بعد فوعون يقدم من مخزنها لكل البلاد المحيطة بها، وإليها جاء أبونا يعقوب وبنيه حيث بدأت فواة شعب الله القديم والأسباط الاثنى عشر في داخلها؛ وظهر أول قائد لهم هو موسى العظيم في الأنبياء يسنده أول رئيس كهنة. ومن بين الأنبياء الذين جاوا إلى مصر رُميا النبي الذي حث الشعب ألا يهروا إلى مصر فُرغموه على موافقتهم في رحلتهم إليها (إر 41: 1؛ 43: 7) وقد نطق بنواته الأخيرة في تحفيس في مصر (إر 43: 8-44). أما مجيء السيد المسيح السلموي إلى أرضنا فقد أقام كنيسته فيها تصطبغ بروح الوبانة، فجاعت عبادتها وطقوسها وأحانها تحمل نغم الحياة السماوية.

مصر، التي امتلأت بالعبادة الوثنية حيث أقامت عجل أبيس والقبط والتماسيح والضفادع... آلهة، استقبلت رب المجد فيها فأقام من قلوب المصريين مقدسًا له. تحولت مصر من كونها أكبر معقل للوثنية إلى أعظم مركز للفكر المسيحي والعبادة الروحية والحياة الإنجيلية في فورة وجزة. تلالًا نجم كنيسة مصر بمروسة الإسكندرية معلمة اللاهوت وتفسير الكتاب المقدس للعالم المسيحي الأول، وقائدة حركة الدفاع عن الإيمان المستقيم على مسقوى مسكوني. ومن مصر انطلقت حركة الرهبة المسيحية بكل صورها لتسحب قلب الكنيسة إلى الرية، فتملر الحياة الداخلية الملائكية في نفس الوقت الذي فيه انفتحت أبواب البلاط الإمبراطوري لرجال الدين، وكان الخطر يلاحق الكنيسة حيث يختلط العمل الروحي الكنسي بالسلطة الزمنية والسياسية. حملت كنيسة مصر صليب عريستها عبر الأجيال وقدمت أعدادًا بلا حصر من الشهداء والمعرفين، فاستشهدت أحيانًا مدن بأسورها وتسابق الكثيرون على نوال أكاليل الاستشهاد بوح وبهجة قلب ^[2381]...

2. تأديب مصر:

هروب العائلة المقدسة إلى مصر وإقامة مذبح للوب هناك لا يعني التغطية على شورها، وإنما على العكس كشف الوب عن ضعفاتها وجراحاتها الروحية حتى يزوع عنها كل ضعف (مملكة الشر) ويقيم ما هو جديد (ملكوت الله). مجيء الوب إليها يعني هدم أوثنانها وإزالة رجاساتها لأجل تقديس شعبها.

لقد أبرز ثمار الرجاسات القديمة، الأوهي:

ولاً: قيام حروب أهلية، " وأهيج مصريين على مصريين فيحاربون كل واحد وأخاه وكل واحد صاحبه مدينة مدينة ومملكة مملكة، وتهراق روح مصر" [2-3]. هذه ثورة طبيعية لاعتوالها الله واهب السلام الداخلي والحب والوحدة، إذ تحدث حروب على مستوى الأشخاص حتى بين الأصدقاء وعلى مستوى المدن والممالك [إذ وجدت مملكة في مصر العليا وأخرى في مصر السفلى]. الشر يُحطم النفس الداخلية ويدخل بها إلى حالة يأس وإحباط. اعتوالنا الله يفقدنا انسجامنا الداخلي، فنتحول حياتنا الداخلية إلى أرض معرّكة، فيصلوع الجسد ضد الروح، ولا تتسجم الطاقات الداخلية معاً... فيصير القلب جحيمًا لا يُطاق. وعلى العكس عندما يتسلم روح الله القيادة يخضع الإنسان بكليته له فيعيش في انسجام وتناغم، يسند الجسد النفس في تعبدها، وتتقدس الحواس والعواطف لتعمل معاً مع الفكر النقي بإرادة مقدسة صالحة في الرب.

ثانياً: فقدان الحكمة الحقيقية، فقد عرف المصريون كشعب ذكي جداً [239]، ويشهد الكتاب المقدس أن موسى قد تهذب بكل حكمة المصريين (أع 7: 20)، لكن اعتوالهم الله أفقدهم كل شيء فلم تسعفهم حكمتهم ولا علمهم وحضرتهم فلجأوا إلى الأوثان يطلبون المشورة: "وأفني مشورتها، فيسألون الأوثان والعرفين وأصحاب التوابع والوافين" [3].

ثالثاً: المعاناة من حكام عتاة [4] يميلون إلى التسلط والسيطرة لا إلى خدمة الشعب وبنيان البلد. فإذ تتقسي قلوب الشعب ببعدهم عن الله واهب اللطف والصلاح يسمح لهم بقيادات عنيفة، حتى كما يفعلون يفعل بهم. عندما يتقسي قلبنا الداخلي نحو الغير لا نتوقع إلا أن يُكّال لنا من ذات الكيل الذي به نكيل للغير، لذا يسمح لنا أن نسقط تحت قيادات عنيفة. هذا ما يحدث حتى في حياتنا اليومية في العمل والأسرية وحياتنا الشخصية... فإن من يقسو على والديه نجد جسده عنيفاً في حربه الشهوانية ضد النفس. ما نزرعه للغير إنما نحصد في حياتنا الشخصية.

رابعاً: المعاناة من حالة جفاف، " وتنشف المياه من البحر ويجف النهر وييبس، وتنتن الأنهار وتضعف وتجف سواقي مصر ويتلف القصب والأسل... والصيادون يئنون وكل الذين يلقون شصاً في النيل ينوحون... ويقرى الذين يعملون الكتان الممشط والذين يحيكون الانسجة البيضاء، وتكون عمدتها مسحوقة وكل العاملين بالأجرة مكتئبي النفس" [5-10].

كأن الشر يحمل ثوة المرّ حتى في حياة الإنسان اليومية واحتياجاته الضرورية، إذ يجف نهر النيل [لا زال يُدعى في كثير من بلدان الصعيد "البحر"] فلا يجد الناس ماءً للشرب وأيضاً للزراعة كما يفقد صيادو السمك عملهم لينوحوا بلا جوى؛ ويؤثر ذلك على الصناعة والتجارة... فينسحق العظماء الذين هم عمُد مصر وتكتئب نفوس العبيد العاملين لدى الأغنياء.

خلال الشر يدب الخراب والفساد في المولد الطبيعية (المياه) والطاقات البشرية من كل الطبقات! يفقد الإنسان الماء الذي يروي نفسه، والسمك الذي يشبعه داخلياً، وثياب الكتان التي تستر أعماقه، وسلامه الداخلي؛ وهكذا يُعاني من العطش والجوع والوعي والقرى!

خامساً: فقدان الحكماء والمشورين، فلا يُعاني الإنسان فقط من حالة حرمان مادي وإنما من معينين حكماء يسندونه وسط ضيقه. لذا قيل: "إن رؤساء صُوعن أغياء، حكماء مشوي فُوعن مشورتهم بهيمية. كيف تقولون لُوعون أنا ابن حكماء ابن ملوك قداماء، فأين هم حكماؤك فليخبروك ليعرفوا ماذا قضى به رب الجنود على مصر" [11-12].

عوض الحكمة التي عرفت بها مصر حلت الغلوة حتى في صُوعن، عاصمة شمال مصر القديمة. لقد قيل: "وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشوق وكل حكمة مصر" (1 مل 4: 30)... لكن هذه الحكمة تروى باعوال الإنسان إلهه مصدر الحكمة، لذا يقدم الحكماء مشيرو فُوعن مشورة بهيمية، أي أفكراً جسدانية (1 كو 2). أما علامة حرمانهم من الحكمة، فهي عجز الحكماء عن إرواك خطة الله رب الجنود من جهة مصر (إش 18: 12)؛ فكيف يثق شعب الله إذن في مشورة فُوعن الخاصة بالتحالف معاً ضد آشور؟!

" رؤساء نواف اندعوا وأضل مصر وجوه أسباطها" [13]. هذه كلثة مصر أنها قبلت الضلالة على أنها حكمة، فقد أخذت رؤساء عاصمة مصر العليا (جنوبي مصر) منوف (مفيس) بواسطة الحكماء الشرفاء، الذين يقابلون الأنبياء الكذبة المنافقين الذين كثروا ما تحدث عنهم لميا النبي.

سادساً: فقدان الوعي والدخول في حالة سكر؛ " مزج الرب في وسطها روح غي فأضلوا مصر في كل عملها كتونج السكون في قيئه" [14].
لما كانت الخطية مُسكوة تُفقد الإنسان وعيه وهدفه في الحياة لهذا متى شرب كأسها يسمح الله أن يحل به روح الضلال ليَتونج كالسكون بلا هدف. لا يكون له عمل جاد لبنائه وبناء الغير، سواء كان عظيماً أو محتوياً، نخلة أو أسلة (حلفاء). وهذا هو أخطر ما يصل إليه الإنسان، إذ يفقد بذلك كيانه الإنساني ليعيش أشبه بميت، لا طعم للحياة عنده.

سابعاً: الارتباك بحالة من الخوف، " في ذلك اليوم تكون مصر كالنساء فترتعد وترجف من هرة يدرج الجنود الذي يقضي به عليها" [16].
فوعن الذي يُحسب نفسه منقذاً لإسائيل ويهوذا من يد آشور في عجرفة وكبرياء يرتعب هو ورجاله ويصيرون كالنساء أمام رب الجنود وأمام يهوذا [17].

كأن الرب يشجع يهوذا ألا يرتعب من كلمات فوعن ولا يدخل معه في تحالف كما في إسائيل ورام، فإن فوعن نفسه يرتعب لا أمام آشور بل أمام يهوذا نفسه.

3 . إقامة مذبح للرب:

بعد أن كشف الله عن حواجات مصر وما فعلته الخطية بها من فقدان للوحدة الداخلية والحكمة الحقّة مع معاناة من قسوة الحاكم وقسوة الطبيعة (الجفاف) ولرتباك في اقتصادياتها (الزراعة والصناعة) وعجز في الطاقات البشرية القيادية بل ودخول في حالة من اللوعى والسكر مع الخوف والارتباك حتى أمام يهوذا المملكة الصغرة، فإن الله يتدخل ليشفي حواجاتها ويخلصها، مقدماً لها البركات التالية:

أ. لغة جديدة: " في ذلك اليوم يكون في أرض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان وتحلف لرب الجنود يقال لإحداها مدينة الشمس" [18].
هذه المدن الخمسة إلّا حواس المؤمن؛ فإذ يُقبل الأمم على الإيمان بالسيّد المسيح يسلمون الحواس الخمس في يديه لتقديسها لتتكلم بلغة الروح عوض لغة الجسد، فيقال لها كما قيل لبطرس الرسول: "لغتك تظهرك" (مت 26: 73؛ مر 14: 70).

يرتفع قلب المؤمن إلى كنعان السماوية ليس فقط أثناء اشتراكه في سر الأفخرستيا وكل الليتورجيات الكنسية الحية، وإنما أيضاً أثناء عبادته الخاصة، بل وفي خلال حياته اليومية حتى في لحظات أكله وشربه ونومه. هذا هو عمل روح الله القنوس في حياتنا يحملنا إلى السماء لنختوها في أعماقنا وتصير لغتنا كنعانية أي سماوية، لغة الحب والفرح الداخلي. نشرك السمايين ليتروجياتهم وفرحهم الدائم، ولا نكون شعباً "غامض اللغة" (حز 3: 5).

ب. القسم باسم رب الجنود؛ ماذا يعني: "تحلف لرب الجنود" [18]؟

كان القسم دليل الثقة والإيمان بمن يقسم الإنسان باسمه؛ فعوض القسم بالآلهة الوثنية يقبل الأمم -وعلى رأسهم مصر - الإيمان برب الجنود ويتمسك المصريون باسمه، حاسبين ذلك سرّ قوتهم.

ج. دعوة إحدى المدن "مدينة شمس" [8] ، يقصد بها "هليوبوليس" التي كانت مركزاً لعبادة الشمس، فقد تحولت عن العبادة للشمس المادية إلى العبادة لشمس البر الذي يشرق على الجالسين في الظلمة.

جاءت في التوجمة السبعينية "المدينة البرة" إذ تحمل برّ المسيح فينا.

د. إقامة مذبح للرب: " في ذلك الوقت يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخمها" [19]. يقصد بهذا مذبح كنيسة العهد الجديد، إذ كان مذبح العهد القديم في أورشليم ولا يجوز تقديم ذبائح للرب خلجها. لقد عورت العائلة المقدسة إلى صعيد مصر واختفت حوالي ستة شهور في الموضع الذي أقيم عليه الآن دير العزاء الشهير بالمرحوق، وهو يعتبر في وسط مصر، فيه أُقيمت كنيسة للرب وتقدم عليه ذبيحة الأفخرستيا، التي هي تمتع بذيبة الصليب عينها.

خضوع مصر لآشور

في الوقت الذي فيه يعلن الله عن خطته من جهة مصر بل ومن جهة كل الأمم ممثلة في مصر أنه يُقيم مملكته الروحية في وسطها ويهبها بركته يعود فيؤكد لبني يهوذا أنه يجب ألا يتكلموا على مصر لحمايتهم من آشور فإن مصر نفسه (وكوش) يسببها آشور، حتى لا يتقوا في الأوزع البشوية.

1. سبي مصر وكوش [4-1].

2. انهيار يهوذا [6-5].

1. سبي مصر وكوش:

كان بعض النقاد يظنون أن سرجون *Sargon* ملك آشور الذي أرسل توتان إلى أشدود هو شلمناصر أو سنحريب. بينما أنكر البعض وجود ملك بهذا الاسم في آشور، لكن كما يقول *Bultema* [243] إن الله جعل الحجرة تنطق ليخجل غير المؤمنين، فقد عُرف اليوم أن سرجون من أقوى ملوك آشور، وأنه هو أب سنحريب، اغتصب العرش من شلمناصر الخامس وخلفه. كلمة "سرجون" تعني "معين بواسطة الله" أو "الملك البار"؛ استخدم هذا الاسم للتغطية على اغتصابه العرش. "توتان" ليس إسم شخص وإنما في الغالب كان لقبًا خاصًا بقيادة الجيش.

رُسل سرجون رئيس جيشه إلى أشدود قاصدًا سوا ملك مصر (2 مل 17: 4)، إذ تعتبر أشدود التي على حدود الفلسطينيين مفتاحًا للدخول إلى مصر.

كشفت الواصات الحديثة أن سوا *Sua* ليس اسمًا لوعون، وإنما هو اختصار لإسم قائد كنيية في الدلتا يُدعى *Siba*، أو هو اختصار لإسم مدينة في غرب الدلتا تُسمى *Sais* استخدمها تافنخت *Tefnakhte* لاقامته [244].

إذ هزم آشور رام وأوايم حان الوقت لضرب وعون، لذا رُسل الملك قائده إلى أشدود فافتتحها، وهو نفس القائد الذي استخدمه سنحريب في حصار أورشليم.

رأد الله أن يحرك مشاعر شعبه ويغير قلوبهم ويؤنبهم على اتكالهم على مصر وكوش لذا طلب من نبيّه أن يمشي أمام الشعب عريانًا حافي القدمين لمدة ثلاث سنوات ليكون هو نفسه نوة عما سيجل بمصر وكوش حين يسببها آشور ويقود عظمائهما للسبي عبيدًا عواة حفاة الأقدام ومكشوفي الأستاه. صار إشعيا نفسه آية وأعجوبة [3] يستهوى به كل ناظره من أجل ما حلّ به، وذلك لأجل خلاص شعبه ومنعهم من الاتكال على وعون مصر.

كان إشعيا في آلامه وعوبه يحمل ظلًا لآلام السيد المسيح الذي احتمل العوي لكي يستقرنا بوه، حمل جراحات شعبه في جسده لكي يشفينا. سار إشعيا كعبد لا يوتدي الثوب الخرجي ولا ينتعل حذاءً صورة لسيده الذي صار كعبد (في 2: 7) لكي يُحررنا من نير العبودية.

2. انهيار يهوذا:

إذ يخضع وعون مصر لآشور يوتعب بنو يهوذا، ويتحطم رجولهم وتذل مصر فوهم، قائلين: " هوذا هكذا ملجانا الذي هربنا إليه للمعونة لننجو من ملك آشور فكيف نسلم نحن؟! [6].

الأصحاح الحادي والعشرون

إنهيار بابل أمام فرس ومادي

إن كان الله من أجل محبته لشعبه سمح بسبي المصريين بواسطة آشور حتى يرتجف بنو يهوذا المتكلمين على فوعون وجيشه؛ فإنه من أجل محبته أيضاً يسمح بتأديب بابل التي تسبي شعبه، بواسطة فرس (كاب حمير) ومادي (كاب جمال) حتى تنهار بابل دون أن تتحرك أو تائها لإنقاذها. وهكذا يعمل الله وسط الأمم كما في البيدر لفرز الحنطة (المؤمنين) عن التبن، حرساً ولأده من الأثوار.

1. انهيار بابل [10-1].

2. نبوة عن آنوم [12-11].

3. نبوة عن العرب [16-13].

1. انهيار بابل:

يشير إشعياء النبي إلى بابل باسم رفوي غريب: "وحي من جهة برية البحر" [1]. لقد دعى بابل المدينة الذهبية فخر الأمم بوية من أجل شوها الذي حولها إلى حالة من الفقر؛ كما دُعيت "برية البحر" من أجل موقعها على نهر الفوات، أو لكونها عاصمة أعظم من أمة بين الأمم، فالمياه تُشير إلى الشعوب الكثيرة، فصلت هي بوية جافة وسط الشعوب.

يعتقد اليهود أن الشياطين تسكن ثلاثة مناطق من العالم: اللوري القاحلة، المياه، الهواء؛ لذا حارب السيد المسيح إبليس خلال تجربته على الجبل في البرية وغلب، وحل به في مياه الأردن كما في عينه وغلب، وأيضاً حل به في الهواء حين ارتفع على الصليب وانتصر. أما بابل فدُعيت "برية البحر" لتأكيد أنها صارت موضع الشيطان الساكن في البرية وأيضاً في البحر. رآها القديس يوحنا اللاهوتي امرأة زانية جالسة على مياه كثرة (رؤ 17:

(1).

رأى إشعياء النبي جيش كورش القادم لتحقيق خطة الله من جهة بابل أشبه بزوابع في الجنوب، كعاصفة قادمة من البرية من أرض مخوفة [1]. الزوابع أو الرياح العنيفة التي في الجنوب تعني أنها ساخنة، بعكس القادمة من الشمال فهي باردة؛ وكان جيش كورش يشبه رياح ساخنة عنيفة تصاحبها عاصفة من البرية مشحونة بالمال تدمر الحقول وتفسد المحاصيل وتضر البيوت والطرق وتسبب امراضاً خاصة للعيون. بمعنى آخر تُحطم امكانيات الإنسان ومسكنه وبصيرته. هذا على عكس الرياح الجنوبية الساخنة والهادئة فأنها تسبب نزوحاً للمحاصيل، لهذا تقول العروس: "استيقظي ياريح الشمال، وتعال ياريح الجنوب، هبّي على جنتي فتقطر اطيابها؛ ليأت حبيبي إلى

جنته ويأكل ثوه النفيس" (نش 4: 16).

لم يحتمل النبي في رفته العجيبة حتى بالنسبة للأعداء أن وى ما يحل بابل من خراب ونهب [2]، فيقول: " لذلك امتلأت حقواي وجعاً واخذني
مخاض كمخاض الوالدة، تلويت حتى لا أسمع، اندهشت حتى لا أنظر، تاه قلبي، بغتني رعب، ليلة لذتي جعلها لي رعدة" [3-4].

يبدو أنه رأى هذه الرؤيا في الليل [4]، إذ تحولت ليلة لذته بالصلاة إلى رعدة... وربما يتحدث هنا باسم البابليين الذين تحولت ليلة الوليمة
والفوح إلى رعدة بسبب اقتحام كورش العاصمة؛ فقد رأى المائدة الملوكية معدة والحراس يلهون في الأكل والشرب مع أنه كان يليق بالوؤساء أن
يمسحوا المجن بالدهن لكي يقاتلوا كورش.

لم يحتمل النبي أن وى بابل وجالها العظماء تلهو في غير اكوثا ليقتم العدو الأبواب التي صلت بلا حواصة فتاه قلب النبي وامتأرعباً
ووجعاً. أهول كيف لا نئن نحن أيضاً من أجل الخدام الذين ينشغلون عن الجهاد الروحي بالشكليات والوسميات والولائم ليؤكروا كنيسة الله ورعيته كما
بغير حواصة يقظة.

تبقى كلمات القديس يوحنا الذهبي الفم بخصوص الرعاية خالدة.

[إني أب مملوء حقواً. اسمعوا ما يطلبه بولس: "يا ولأدي الصغار الذين أتمخض بهم" (غلا 4: 19). كل أم تصوخ وهي تتمخض في ساعة
الولادة، هكذا أفعال أنا أيضاً] ^[245].

[لبيتم تستطيعون معاينة النوان الملتهبة في قلبي لتعرفوا إني احترق أكثر من سيدة شابة نئن بسبب توملها المبكر، فإني لست أظنها تخزن على
زوجها ولا يحزن أب على ابنه، كحزني أنا على هذا الجمهور الحاضر هنا] ^[246]...

جاءت الدعوة الإلهية للنبي: " اذهب أقم الحرس، ليخبر بمارأى" [6] ، فقد دعى النبي في القديم "حرساً" أو "رقيباً" كما دعى راثياً. عمل النبي
أن وأقب من الوج المرتفع ويحرس النفوس بكلمة الله كما أن وى بالصورة الروحية ليعلن رادة الله وخطته الخلاصية.
وقف حبوق النبي رقيباً، إذ يقول: "على موصدي أفق، وعلى الحصن أنتصب، وأراقب لأرى ماذا يقول لي" (حب 2: 1)؛ كما دعى حزقيال
النبي رقيباً في أكثر من موضع (حز 3: 17؛ 33: 2، 6، 7).

رأى إشعيا فلرس (كاب حمير) ومادي (كاب جمال) قادمين ليغتصوا بابل؛ رأى وسمع بإصغاء شديد [7] فإن الأمر جاد وخطير يمس حياة
شعبه. لم يقف عند الرؤية والاستماع وإنما صار زار كالأسد [8] ليعلن خطة الله نحو سقوط بابل وخلص شعب الله.

" سقطت سقطت بابل، وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها إلى الأرض. يا دياستي وبني بيوري. ما سمعته من رب الجنود إله إسرائيل
أخبرتكم به" [9-10].

تكرار التعبير مرتين مثل " سقطت سقطت بابل " هو إحدى سمات هذا السفر (أش 21: 9؛ 24: 4، 16؛ 28: 13، 29: 1؛ 40: 1، 9؛ 43: 11 الخ...)،
ربما لأن الحديث في هذا السفر الخلاصى موجه إلى الأمم كما إلى اليهود، دعوة الخلاص جماعية لقبول إله الكل والتغلب على الشر. فانه
يليق هنا بكل إنسان - سواء من أصل أممي أو يهودي. أن يطمئن أن بابل التي أسوت قلبه بالشهوات وأكسبته عنفاً، تنهار أمام خلاص الله لتقوم أورشليم
السماوية في قلبه. لتتهار كل أوثان بابل ليقوم الرب في القلب ويعلن ملكوته. هذا والتكرار أيضاً يعني نوعاً من التأكيد. وبجانب ذلك فإن التكرار مرتين
يحمل رمزاً للحب الذي يجعل من الاثنين واحداً كما يقول القديس أغسطينوس . بالحب تسقط بابل الداخلية وتنهار مملكة إبليس الذي لا يحتمل الحب،
وبه نتمتع بالحياة الإنجيلية كوصية الرب: "بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي إن كان لكم حب بعض لبعض" (يو 13: 35).

وى النبي العالم أشبه بالبيدر فيه تُداس المحصولات ثم تُورَى لفصل الحنطة المخفية وسط التبن... إنها حنطة الرب نفسه التي لا تهلك بل تُورز
عن التبن.

يتحدث القديس أغسطينوس عن السبي البابلي والخلص منه، قائلاً:

يقول الرسول: "فهذه الأمور جميعها أصابهم مثلاً، وكُتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا وأخر الدهور" (1 كو 10: 1). يؤمننا أن نعرف سببنا وعندئذ خلاصنا؛ يليق بنا أن نعرف بابل التي أسونا فيها، وأورشليم التي تثن للروح إليها. فإن هاتين المدينتين - من جهة الحرف - هما مدينتان واقعتان.

"بابل" معناها "رتباك" (بلية)؛ وأورشليم "رؤية سلام"!!!...

هاتان المدينتان قد بنيتا في وقت معين لتكونا رمزاً لمدينتين تبقيان إلى نهاية العالم... عندما يجلس البعض على اليمين والآخر على اليسار، وأورشليم تكون على اليمين وبابل على اليسار...

نوعان من الحب يُوجدان هاتين المدينتين: حب الله يُوجد في أورشليم، وحب العالم يُوجد في بابل. لهذا يسأل كل واحد نفسه: ما الذي يحبه؟ وعندئذ يعرف أية مدينة هي وطنه. إن وجد بابل وطنه فليقتل عنه الطمع وليزرع المحبة، أما إن وجد أورشليم وطنه ليحتمل السبي موجياً الحوية... الآن، لبيتنا أيها الأخوة نسمع عن هذه المدينة التي نحن مواطنون فيها؛ لنسمع عنها ونتغني بها ونشاق إليها ^[2471].

هكذا يتطلع القديس أغسطينوس إلى أولاد الله الذين رتبوا بالحب الإلهي كمواطنين لأورشليم العليا، مدينة الحب الأبدي؛ يعيشون هنا في جهاد ضد بابل التي لا تتوقف عن بذل كل طاقتها لسبي أولاد الله وحرمانهم من وطنهم السموي، إذ سلموا أنفسهم بانفسهم للسبي حين قبلوا الخطية؛ وقد جاء المخلص يفتح باب الرجاء لهم ليهبهم حوية مجد أولاد الله.

في نظرة مملوءة رجاء يعلق القديس أغسطينوس على قول النبي: "إذا مارد الرب سبي صهيون صونا مثل المتغرين" (مز 126: 1)، قائلاً: كان الإنسان مواطناً في أورشليم، لكنه بيع تحت الخطية فصار سائحاً (بلا مدينة)...

"بابل" معناها "رتباك"... فإن أمور هذه الحياة الحاضرة البشرية كلها رتباك يكونها لا تنتمي لله. في وسط هذا الارتباك، في هذه الأرض البابلية أسوت صهيون، ولكن ردد الرب سبي صهيون "فصونا مثل المتغرين"، أي فوحنا لأننا تقبلنا تغوية...

أنا نحن على ما نحن عليه الآن، لكننا متعززون في رجاء. سيعبر الحاضر الذي لحزننا ويأتي الفوح الأبدي، فلا تكون هناك حاجة إلى تغوية حيث لا نُصاب بضيق ما ^[2481].

2. نوة عن أوم:

" وحي من جهة نومة، صوخ إلي صلخ من سعير: يا حلس ما من ليل، يا حلس ما من ليل. قال الحلس: أتى صباح وأيضاً ليل. إن كنتم تطلبون فأطلبوا، رجوا تعالوا" [11-12].

يدعو النبي آدم باسم نوي سوي "نومة" *Dumah* وهو اختصار لـ *Idumea*. إن كان إسم "أوم" معناها "دموي" أو "وآبي"، يكون أوم يمثل الأثوار محبي سفك الدماء، الموتبطين بمحبة الأومنيات والأرضيات والجسديات، فإن اسم "نومة" معناها "صمت" أو "سكوت الموت"... وقف النبي على المحرس كل الليالي [8]، إذ ساد العالم نوعاً من الظلمة الداخلية، يتوقب مجيء شمس البر لينتزع ظلمة الليل ويحل الصباح. الآن يسمع صوتاً ربما من السماء أو من بقية الأنبياء ورجال الله: "يا حلس ما من ليل"... لقد جاء ملء الزمان وأشرق نور الصباح؛ لتصمت الأمم ولتتمت عن إنسانها القديم لتتمتع بنور الحياة؛ لتطلب الآن فتجد نورها خلال إيمانها بالسيد المسيح، لتوجع إلى الله مخلصها وتأتي إليه فتجده باسماً يديه بالحب العملي ليحتضنها.

يُكرر "يا حلس ما من ليل" موتين لأن الحديث مع النبي خاص باليهود كما بالأمم، وأيضاً خاص بمؤمني العهدين القديم والجديد كي يتمتع الكل بالخلاص وهم في سكون يتأملون عمل الله معهم.

3. نوة عن بلاد العوب:

جاء الأصل *Ereb* وليس *Arabia*، وهو يعني "مساءً"، إذ يتحدث عن كل قاطني الظلمة.

هنا يُحدِّث قبائل ديدان وقيدان، القاطنة جنوب شوقي أوم، هؤلاء استقبلوا الهلبيين من السيف، والذين سلموا أنفسهم مقابل التمتع بماء للشرب

أو خبز للأكل...

إذ عاشت هذه القبائل في ظلمة الوثنية صلت عاجزة عن أن تقدم عونًا حقيقيًا للهلبيين إليها، لأن أعمى يعود أعمى يسقطان كلاهما في حوة

(مت 15: 14؛ لو 6: 39).

<<

الأصحاح الثاني والعشرون

حصار أورشليم

يتنبأ إشعياء النبي عن حصار أورشليم وسبي أشرفها، وذلك لأنهم اهتموا بالتحصينات العسكرية وتدبير المؤنة خاصة المياه ولم يضعوا عنصر

الله والرجوع إليه في حساباتهم. عوض التوبة الصادقة عاشوا في توفزائد، ولسان حالهم "لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت" حتى في لحظات الحصار

ذاتها.

يبرز النبي تأديبات الله للأشوار المتكلمين على الفراع البشوي والمنشغلين بالثمنيات وفي نفس الوقت يفتح باب الرجاء على مصواعيه ليعلن

ظهور المخلص الذي يسكن في أورشليم الجديدة الحرة والتي لا تقدر قوات والظلمة أن تُحاصوها.

1 . حصار أورشليم [7-1].

2 . حسابات بشرية للخلاص [11-8].

3 . تجاهل التوبة [14-12].

4 . عزل شبنا [19-15].

5 . إقامة الياقيم عوض شبنا [25-20].

1 . حصار أورشليم:

" وحي من جهة وادي الرؤيا. فما لك أنك صعدت جميعاً على السطوح" [1].

❖ ماذا يقصد بوادي الرؤيا؟

أ. وى الدارسون اليهود أن هذا اللقب يليق بأورشليم لأنها المدينة التي فيها وهب الله خدامه رؤى وإعلانات ^[249]. ولعل الوحي استخدم هذا

اللقب ليقظ فيهم البصوة التي انطمست. أورشليم هذه التي سمح الله بحصلها هي مدينته التي أقام فيها هيكله ليعلن ذاته ومملكته وأمجاد سماوته فيها

فتكون سرّاً بركة للبشرية، لكن فساد شعبها أطمس بصورتها.

ب. قيل عنها "وادي الرؤيا" مع أن أورشليم لم تُقم على وادي بل على جبال، لكن وجود جبال مرتفعة حولها يجعلها بالنسبة لهذه الجبال أشبه

بوادي. على أي الأحوال لقد أراد الله أن يُقيم من مدينته جبلاً عالياً ثابتاً لكن فساد شعبها أزلها لتصير وادياً.

يتساءل البعض: أي حصار يتحدث عنه النبي هنا؟ ^[250].

هل هو الحصار الذي قام به سنحريب أم حصار آسودون في أيام منسي؟ أم هو حصار نيوخذنصر أم تيطس؟!

وى البعض أنه حصار سنحريب، وإن كان من الجانب الروحي ينطبق على كل حصار سقطت فيه أورشليم، وبالأكثر ينطبق على الحصار الذي يحل بأورشليمنا الداخلية، القلب والفكر والنفس.

❖ **الصعود على السطح [1]** : لم يكن يتوقع الشعب أن الله الذي يحب مدينته ويعلن عن وجوده خاصة داخل قدس الأقداس حيث يتوآى مجده في الشاكينا (تايبوت العهد) يسمح بحصار مدينته بواسطة الوثنيين لذا صعودا على السطح لينظروا بأنفسهم ما حلّ بالمدينة من الخرج. لعل صعودهم إلى السطح يُشير إلى اهتمامهم بالخرج بون الداخل، وبالمظاهر بون الأعماق؛ عوض الدخول إلى بيت نفوسهم الداخلية لاكتشاف سرّ ضعفهم اهتموا بما هو على السطح. لهذا يوبخهم النبي قائلاً:

" يا ملآنة من الجلبة، المدينة العجاجة، القرية المفتوحة (الفرحة) " [2]. هذه سمات خلجية، إذ صلت أورشليم متمثلة بعواصم البلاد المحيطة بها تفنخر وتوحد بالمظاهر الصاخبة عوض الروع الخفي الصامت نحو الله سرّ فخوها وقوتها وبهجتها.

❖ " قتلاك ليس هم قتلى السيف ولا موتى الحرب. جميع رؤسائك هربوا مغاً، أسروا بالقسى، كل الموجودين بك أسروا مغاً. من بعيد فروا. لذلك قلت اقتصروا عني فأبكي بمرارة. لا تلحوا بتعزيتي عن خواب بنت شعبي " [2-4].

رأى إشعياء ما وصلت إليه مدينة إلهة المحبوبة جداً إليه فطلب ألا يُعزبه أحد بسبب شدة مرارة نفسه. رأى جيش أورشليم خرجاً في الحقول تحت قيادة رؤساء لم يموتوا بالسيف وإنما بسبب الخوف هربوا فلحق بهم العدو وأسروهم وأذلهم.

" قتلاك ليس هم قتلى السيف ... فقد طعن الشعب نفسه بنفسه بسهام الشهوات النزلية، وغزلوا أنفسهم بأنفسهم عن الله مصدر حياتهم، وهكذا سقطت نفوسهم قتلى قبل أن يحل الخواب الخرجي. رأى النبي ما هو أخطر من سنحريب وجيشه، الاستسلام للخطايا والرجاسات وجدد الإيمان عملياً. فإن الخطية "طحت كثيرين حوى وكل قتلاها أقرباء، طوق الهاوية بيتها هابطة إلى خنور الموت" (أم 7: 26-27).

لم يكن أمام النبي إلا أن ينسكب بدوع أمام الله؛ هذا ما يفعله كل قائد روحي حكيم وى شعب الله ينحرف أو نفوساً تهلك، فيقول مع لميا النبي: "يا ليت رأسي ماء وعيني ينوع دوع فأبكي نهلاً ولبلاً على قتلى بنت شعبي" (إر 9: 1). رب الأنبياء نفسه "نظر إلى المدينة وبكى عليها" (لو 19: 41).

❖ لست أنكر أن أورشليم الأولى قد خربت بسبب شر سكانها، لكنني أتساءل: ألا يليق بك البكاء على أورشليمك الروحية؟!

إن أخطأ أحد بعد قبوله أسوار الحق، فإنه يُبكي عليه، لأنه كان من أورشليم ولم يعد بعد...

لُبئك على أورشليمنا، لأنه بسبب الخطية يُحيط بها الأعداء (الأرواح الشريرة) بمؤسة ويحاصرونها ولا يتكون فيها حوى على حجر.

^[251]
العلامة أوريغانوس

❖ بكى (السيد) على أورشليم إذ أراد لها الطوبوية - كما قلت - بقبولها الإيمان به وتوحيبها بالسلام مع الله. هذا هو ما دعاهم إليه بإشعياء قائلاً: "لنصنع معه سلاماً" (إش 27: 5 الترجمة السبعينية)... لنصنع سلاماً مع الله بالإيمان.

^[252]
القدّيس كيرلس الكبير

❖ لا يكف مخلصنا عن البكاء حتى الآن خلال مختلبيه متى رأى إنساناً يتوك الحياة الصالحة ويسلك في الطريق الشوير.

^[253]
البابا غريغوريوس (الكبير)

لقد عاش أهل أورشليم خاصة القيادات المدنية والدينية في توف وتدليل، يقضون لياليهم في حفلات وأكل وشرب بينما وقف إشعياء ينذر

ويُحذر. الآن يقف الشعب على السطح يرون الخراب بأعينهم أما إشعياء فينكسر قلبه حزناً ومهولة، يدخل إلى مخدعه يبكي بدوع غزوة لعل الله يؤأف على شعبه. عاش جريئاً وصريحاً في توجيهاته ومحباً رقيقاً في مشاعره.

يصف إشعياء ما حلّ بأورشليم من شغب ودوس وارتباك وصواخ [5]، فقد حلّ اليأس بالمدينة كلها، لا يعرف أحد كيف يتصرف أو إلى أين يذهب. ربما نادى البعض بتقوية الأسوار وآخرون ناولوا بالهروب إلى الجبال وجماعة أخرى فضلت الاستسلام. تحولت أورشليم من وادي الرؤيا الإلهية واهب السلام إلى وادٍ مريبك ومحطم للنفس... وقد دعى إشعياء هذا اليوم "يوم رب الجنود" [5]، إذ هو يوم تأديبه لشعبه.

2. حسابات بشرية للخلاص:

ما هو موقف يهوذا مما حدث لأورشليم؟ لقد تجاهلوا "ستر العلي" الذي يحميهم ويحصنهم، كقول الموتل: "الساكن في ستر العلي، يستريح في ظل إله السماء" (مز 91: 1)، "احتمي بستر جناحك" (مز 61: 4). بهذا تخلت النعمة عنهم وانكشفوا أمام العدو في ضعف. "ويكشف ستر يهوذا فتنتظر في ذلك اليوم إلى أسلحة بيت الوعر" [8].

وى البعض أن "الستر" هنا يُشير إلى الحجاب الذي اعتادت النساء الشريفات أن يلبسنه ليخفين وجوههن. فقد تطلع النبي إلى يهوذا كعروس روحه لله، رفضت عريسها وفقدت طهرتها وعفتها وزعت حجابها في غير حياء، يشتتها الغباء، وتسلم جسدها لهم. هذه الصورة تنطبق على يهوذا عندما بدأت الأسوار تنهدم وصلرت أورشليم كوجه مكشوف يطعم الغباء فيها.

حاول يهوذا إيجاد حل للمشكلة لكنه عوض الرجوع إلى الله استخدم حسابات بشرية محضنة لتحقيق الخلاص؛ منها:

أ. اندفاع الشعب إلى "بيت الوعر" الذي بناه سليمان الحكيم (1 مل 7: 2 الخ) الذي وضع فيه أسلحة ذهبية، سوقها شيشق ملك مصر فاستعاض عنها رجبام بأسلحة نحاسية. لقد كان البيت مملوء أسلحة، لكنها لا تقدر أن تسند الشعب وتحميه ضد الأعداء.

ب. الاهتمام بمياه الوكة السفلى وتحويل المياه من خراج الأسوار إلى داخل المدينة حتى لا ينتفع منها الأعداء خراج الأسوار ولا يتعرض الشعب المحاصر للظمأ ونقص المياه.

ج. بدأت الأسوار تتشقق ففكروا في هدم بيوتهم وتحويل الودم إلى ناحية السور لحمايته من الانهيار. لم يفكروا في الله السور الحقيقي الذي لا يقدر العدو أن يقترب منه؛ الله الذي يُقيم نعمته لحراسة أسورنا الداخلية فلا تنهدم، إذ قيل: "بإلهي تسورت أسورا" (مز 18: 29)، "هوذا على كفي نقشتك. أسورك أمامي دائماً" (إش 49: 16).

3. تجاهل التوبة:

الله في حبه لنا يدعونا إلى التوبة لنبكي ونوح على خطايانا، فننعم بسلام داخلي فائق وفوح أبدي لا ينقطع، لكن الإنسان في قصر نظره يُريد أن يتمتع باللذة المؤقتة والترف الومني حاسباً أنه يموت غداً.

" ودعا السيد رب الجنود في ذلك اليوم إلى البكاء والنوح والوقعة والتنطق بالمسح. فهوذا بهجة وفوح ذبح بقر ونحر غنم أكل لحوم وشرب خمر لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت" [12-13].

❖ يتجه هؤلاء الأثوار نحو قتل أنفسهم بكل أنواع الشهوات... نعم فإنهم حتى عندما يعيشون يكونون في عار، إذ يحسبون بطونهم إلهتهم، وعندما يموتون يتعذبون.

[12541](#)
البابا أنثاسيوس الرسولي

4. عزل شينا:

اختلفت الآراء من جهة مركز شبنا في قصر حزقيا الملك، هنا يبدو أنه المسئول عن خزينة الملك وفي (2 مل 18: 37) دُعي بالكاتب، ووى البعض أنه مشورا للملك أو كبير حجاب القصر أو وزورا... على أي الأحوال كان ذا سلطان عظيم. ويبدو أنه كان غريب الجنس. أراد أن يخلد ذكواه فنحت لنفسه قورا عظيما في ذات الصخرة التي دفن فيها ملوك يهوذا. كان رجلا شورا فوبخه إشعياء ودعا "حزي بيت الملك" كما تنبأ عن عزله وإقامة الياقيم عوضا عنه، وقد تحقق ذلك حوالي سنة 701 ق.م.

أما شوه فيُنصب ولأ في عدم تصديقه لكلمات إشعياء النبي للشعب بأنه سيُسبى، وأن إقامته القبر علامة عدم تصديقه أو عدم إيمانه بنوات إشعياء [255]. أما الجانب الآخر للشر فهو حبه للعظمة فقد أراد أن يُدفن مع الملوك، واخرا أنه لم يكن مخلصا للملك فقد أساء استخدام ثقة الملك فيه. لهذا كله صدر الحكم الإلهي بعزله وحرمانه من الدفن فيما شيدته يداه وعض تمتعه بالمركبات الفخمة يُلقى به في مدينة غريبة كأنه بكرة يلقىها طفل ويلهو بها بلا عائق.

وى كثيرون أن شبنا يرمز لصد المسيح الذي يظهر في آخر الأيام أو لإنسان الخطية الذي بكويائه يود لا أن يدفن في مقورة ملوك يهوذا نسل داود، وإنما أن يتوبع في هيكل الرب ويقيم نفسه إليها (2 تس 2: 4). أما الياقيم فيُشير إلى السيد المسيح الذي يُحطم ضد المسيح وينزع عنه جبروته لكي يُخلص المختلرين.

يلاحظ هنا أن النبي لم يقل عن شبنا أن حزقيا الملك يعزله. وإنما يقول: " هوذا الرب يطرحك طرحا يزل ويغطيك تغطية، يلفك لف لفيفة (أي يفضك بدفع قوي) كالكرة إلى أرض واسعة الطرفين... واطردك من منصبك ومن مقامك يحطك" [17-19].

5. إقامة الياقيم عوض شبنا:

جاء الحديث هنا [20-25] يفتح باب الرجاء أمام كل نفس يُحاول عدو الخير أن يُحطمها، إذ لا بد لشبنا أن يزول وينتهي ويحتل الياقيم موضعه. سيحمل ضد المسيح أو النبي الكذاب أو إنسان الخطية سلطانا وقوة لكنه حتما ينهار لتعلن مملكة المسيح إلى الأبد. جاءت النبوة هنا واضحة بأن الياقيم رمز للسيد المسيح.

أ. والبسه ثوبك وأشددة بمنطقتك وأجعل سلطانك في يده، فيكون أبيا لسكان أورشليم ولبيت يهوذا" [21].

كان شبنا معورا بالثوب والمنطقة مع السلطان، يأمر وينهى بكونه الرجل الثاني، موضع ثقة الملك، يتصرف بروح السلطة والعرفة. لكنه إذ يحتل الياقيم موضعه يأخذ ثوبه ومنطقته لكنه يحمل روح الأبوّة الحانية تجاه شعب الله. "ضد المسيح" صاحب سلطة مع عنف وقسوة، أما "المسيح" فحُب وحنان وأبوّة روحية فائقة. ما يميز أولاد الله عن أولاد إبليس، هو الحب المملوء حورا مقابل السلطة المملوءة عنفا.

قيل عن السيد المسيح: "الرب قد ملك؛ لبس الجلال، لبس الرب القوة، انثر بها" (مز 93: 1). وقد رآه إشعياء النبي لابسا ثيابا محبوة كدائس المعصوة (إش 63: 1-3). إذ لبس كنيسته التي صبغها بدمه الثمين فتقدست وحملت بهاءه.

لقد تمنطق ليغسل الأقدام ويخدم بروح الحب والاتضاع.

ب. "وأجعل مفتاح بيت داود على كتفه، فيفتح وليس من يغلق، ويغلق وليس من يفتح" [22]. من الذي له المفتاح إلا "القدس الذي له مفتاح

داود الذي يفتح ولا أحد يغلق، ويغلق ولا أحد يفتح" (رؤ 3: 7). أنه السيد المسيح. الذي يشجع كنيسته قائلاً لها بإنه وحده يفتح لها أبواب السماء ويغلق عليها فلا يقدر إبليس وكل قواته أن يفتروا إليها. أما المفتاح الذي يفتح به ويغلق فهو: "سلطان الحلّ والربط" الذي وهبه الرب لعروسه خلال تلاميذه

(مت 16: 19) كما يقول القديسان كيرلس الكبير وجيروم ؛ والصليب الذي به يفتح ربنا يسوع فودسه ويغلق به أبواب الجحيم عنا كقول القديس يوحنا

الذهبي الفم ؛ وأيضاً فهم الكتاب المقدس خاصة النوات التي كانت مختومة قبلاً وغير مركة كقول القديس غريغوريوس صانع العجايب [256]. أيضاً يقول العلامة أوريجانوس: لكل عمل مكتوب يحتاج إلى اللوغوس الذي أغلق عليه لكي يفتحه، "يغلق وليس من يفتح" وعندما يفتح لا يقدر أحد أن يُشكك

[257]

فيما يقدمه من شوح [.

لا نعجب من القول "وأجعل مفتاح بيت داود على كتفه"، لأن هذا المفتاح هو الصليب الذي حمله ابن داود على كتفه ليحقق خلاصنا .

ج. " وأثبتته وتدًا في موضع أمين ويكون كرسي مجد لبيت أبيه، ويعلقون عليه كل مجد بيت أبيه الفروع والقضبان، كل أنية صغيرة من أنية الطسوس إلى أنية الفتاني جميعًا" [23-24].

في المناطق الريفية الفقوة لا يجد الإنسان موضعًا في بيته لكثير من احتياجاته وممتلكاته فيقوم بتعليقها على مسامير في الحائط من ملابس وأوتار مطبخ وغسيل الخ... الآن وى النبي أن المسيا المخلص هو هذا المسمار أو الوند المثبت في موضع أمين ليقوم المؤمن بتعليق كل ممتلكاته واحتياجاته عليه، وذلك في الكنيسة "بيت أبيه". هذه صورة رمزية تعني اتكال المؤمن على السيد المسيح الحال في كنيسته والحامل لكل أتعابنا. عليه يضع الملوك الأمناء أكاليل مملكتهم وعليه يضع الفقير احتياجاته البسيطة. انه سند العظماء والفقاء بلا تمييز .

كل إناء - أيا كانت قيمته - يُعلق عليه يصير إناء للكرامة. فيقول المؤمن مع الرسول بولس: "ولكن لنا هذا الكنز في لوانٍ خرفية، ليكون فضل القوة لله لا منا" (2 كو 4: 7).

هذا عن الإيمان بالسيد المسيح، الوند الثابت في الكنيسة بيت الأب، فماذا يعني بزوال الوند [25]؟

وى البعض أن هذا الزوال يعني به رفض اليهود للمسيح المصلوب فيزول من وسطهم هؤلاء الذين لديهم النوات عنه ومعهم الوموز، فيتحطمون. ووى البعض أنه يُشير هنا إلى ما حسبه اليهود في ذلك الحين وتدًا أمينًا ثابتًا (شبنًا أو غوه)، فيقلن بين الإيمان بالمسيا المخلص والاتكال على الطرق البشوية للخلاص.

<<

الأصاح الثالث والعشرون

إنقلاب صور وتجديدها

صور تمثل الغنى الفاحش خلال تجلثها العالمية مع الإنحلال والفساد، لأنها بلد تجلثي مفوح للغرباء. يصور النبي ما يحل بها من دمار تام لتكابد مع شعب الله المخطيء ذات التأديبات كقول الرسول بولس: "شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر اليهودي ولأثم اليوناني" (رو 2: 9). لكن هذا التأديب لا يبقى إلى الأبد إنما يُقدم الله الخلاص لكل و تتمتع صور بالتجديد في المسيح يسوع المخلص العالم.

1. انقلاب صور [14-1].

2. تجديد صور [18-15].

1. انقلاب صور:

سبق لنا الحديث عن صور في تفسيرنا لسفر حزقيال (حز 26) [258].

كلمة "تصور" *tsor* تعني "صخرة"، ربما لأنها قامت على جزوة صخرية، إلا أن القديس جيروم وى أن كلمة "صور" في العبرية تعني "محنة" [259] ، لذا وى أن سكانها يشيرون إلى الساقطين تحت محنة الشيطان وبلاياها.

[260]

وى Keith و Urquhart أن ما ورد في هذا الفصل عن صور قد تحقق حرفياً .

13 لقد سقطت صور تحت الحصار عدة مرات منها: حاصوها شلمناصر لمدة خمس سنوات ولم يقدر أن يستولى عليها؛ وحاصوها نيوخذنصر لمدة سنة نون جنوى؛ وحاصوها أسكندر الأكبر وافتتحها بعد سبعة شهور سنة 332 ق.م. وقام بتدموها. حاصوها أيضاً انطيوخوس Antigonos كما حوصرت في العصور الوسطى عدة مرات بواسطة الصليبيين. وتعتبر صور هذه المسئولة عن قيام الحرب العالمية الأولى التي مات فيها وفاة 40 مليون شخصاً، إذ اشتعلت بسبب محاولة المانيا إنشاء سكة حديد بين برلين وبغداد لتنمية التجارة مع بلاد الشرق الأوسط [261].

ما ورد هنا لا يخص حصراً معيناً لصور، وإنما يمثل ما يحل بكل نفس تتشبه بصور من جهة لتباكها بالغمى مع الوجاسات.

يصف النبي حصار صور قائلاً: " **وحي من جهة صور؛ ولولي يا سفن توشيش لأنها خربت حتى ليس بيت حتى ليس مدخل من أرض كتيم أعلن لهم [1].** هنا يبرز أثر الخراب الذي حلّ بصور على بحلة السفن التجارية العائدة من توشيش ويبدو أنهم لم يكونوا قد سمعوا عن انهيار المدينة فذهلوا إذ لم يجنوا مدخلاً للمدينة فقد تهدمت أسورها، ولا وجنوا بيتاً واحداً. لقد انتشر الخبر لفداحتها حتى بلغ كتيم أي جزوة قوص كرمز لسماح دول أوربا جميعها عن هذا الحدث. ووى البعض أن هذا الحصار تم بواسطة الجيش المقونوني، جيش الأسكندر الأكبر، القادم من جزوة قوص. يدعو النبي المدن المجاورة لتندب حال صور، فقد كانت مصدر خير لها خلال التجارة والآن قد تدمرت تماماً وفقدت بعض المدن الكثير من الوبح.

سمع تجار صيدون (تعني "صيد السمك" تبعد حوالي 22 ميلاً شمال صور وتعتبر المدينة الأم لصور فقد جاءت تندب حال ابنتها)، جاء التجار الذين اعتادوا أن يجولوا في شولها وقد أصابتهم الدهشة لما حلّ بها فلم يستطيعوا أن ينطقوا بكلمة بل حلّ بهم الحزن الشديد. أما المصريون سكان وادي النيل فحزنوا لأن صور كانت موكراً هاماً لاستيراد غلاتهم ومحاصيلهم مقابل استيراد بضائع صور. يُشير النبي إلى نهر النيل بكلمة "شبحور" وتعني "اضطراباً" (إش 22: 3).

هكذا تحزن صيدون على ابنتها الذليلة بل المنهولة صورة، هذه التي كانت كعروس البحر الأبيض المتوسط أو كملكة متوجة انعشت بلاد كثرة في أفريقيا وأوروبا، الآن صلت أشبه بفناة عانس تثن من العولة، بلا زوج ولا بنين، فقدت بلاداً كثرة التي كانت أشبه ببنين لها [4]. حزنّت مصر لأنها فقدت موكراً هاماً لتصدير غلاتها، وربما لأنها خشيت أن يحلّ بها ما حلّ بصور. هذا ما حدث في أيام نيوخذنصر الذي نهب ثروة فوعن بعد حصوله صور (حز 29: 17-20).

يطلب النبي من البقية الباقية في صور أن وحلوا إلى توشيش وهي مدينة قديمة في أسبانيا وأحد مستعمرات صور المزدهرة، رحلوا وهم مولولين لأنهم هربون كلاجئين. وى البعض أن النبي نطق بذلك كفوع من السخرية بسكان صور المتعرفين منذ القدم، ها هم وحلون في رعب وخوف ليعيشوا غرباء ولاجئين.

يقدم النبي سؤالاً لاهوتياً يثير السامعين على البحث عن الأجابة، وهو: " **من قضى بهذا على صور المتوجة، التي تجلها رؤساء، متسببها موقروا الأرض؟** " بمعنى آخر من الذي قضى على صور الملكة المتوجة والتي جعلت من مستعمراتها أرواء ورؤساء ومن تجلها أشرافاً موقرين في كل المسكونة؟! لقد كانت ملكة غنية أفاضت بالغمى والترف والكرامة مع الكوياء على الدول التي كانت تتعامل معها فمن حكم عليها هكذا؟ رب الجنود هو الذي قضى بذلك [9] [ليقول بكويائها إلى الحضيض ويهين كل تجلها أصحاب الوقار والكرامة الزمنية. هذا ما عناه عاموس النبي حين قال: "هل تحدث بلية في مدينة والوب لم يصنعها؟!"] (عا 3: 6). يقول الأب ثيودور: [حينما يتحدث الحكم الإلهي مع البشر يتكلم معهم حسب لغتهم ومشاعوهم البشرية. فالطبيب يقوم بقطع أو كي الذين يعانون من القروح لأجل سلامة صحتهم، ومع هذا وى غير القانونين على الاحتمال أن ذلك

شر [262].

الله قضى بذلك، لكن علة الخراب هو الكوياء والمجد الباطل، الخطية هي التي تفسد الإنسان كما الأمم، أما حكم الله إنما هو إعلان عما يجلبه

يشبه النبي صور الهلابة بعد الخراب بأورة فقدت كل شيء تجتار نهر النيل وليس لديها منطقة تربط بها ثيابها؛ أو تشبه مياه النيل عند المصب فإنها تتدفق على البحر وليس من يقدر أن يوقفها، هكذا هرب أهل صور من مدينتهم المحطمة بلا قوة ولا قوة وكان المياه تعرفهم نحو البحر [10]، لذا يدعوها "المتهتكة العزراء بنت صيدون" [12].

مدّ الرب يده بالغضب على البحر، أي أمر الممالك أن تثور ضد فينيقية (كنعان) لتخرب حصونها [11]، وتحطم كبرياتها فلا تعود تفتخر [12] وعرض كونها ملكة تصير عزراء متهتكة، تهرب إلى كيثم (قيص) ولا تجدراحة... ماذا يعني هذا؟
أ. مدّ الرب يده داعياً للتوبة، لكن صور لم تستجب للنداء، فصلت اليد ممدودة للعقاب. لقد بسط أيضاً رب المجد يديه على الصليب بالحب، فمن آمن وجد في الصليب قوة الله للخلاص، ومن جرده صار تحت الدينونة.
ب. كان أمام صور أن تهرب إلى كيثم... لكنها لم تجدراحة، فإن سلام الإنسان لا يتوقف على الموقع الذي يوجد فيه وإنما على أعماق النفس الداخلية. راحة الإنسان لا في تغيير مكانه أو عمله أو ظروفه الاجتماعية وإنما في رجوعه إلى الله مخلصه الذي يُنادي: "تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (مت 11: 28). وكما يقول القديس يوحنا سابا: [طوبى لذاك الذي يطلبك في داخله كل ساعة، منه تجري له الحياة ليبتعم].

إذ عرف الله أن صور لن تسمع لهذا الصوت طلب منها أن تتعظ مما حدث للكلدانيين بواسطة ملك آشور، فقد حوّل قصرها إلى ردم.

2. تجديد صور:

الله في حبه للبشر لا يتوك الإنسان في فساده لكنه يُقدم له كل امكانية للخلاص. لهذا بعدما صور النبي مدى الخراب الذي حلّ بصور عاد لكي يتحدث عن تجديدها بالرب المخلص.
تُرك مستعبدة لبابل 70 عاماً وهي تُقابل السبعين عاماً التي تنبأ عنها لميا النبي بخصوص سبي إسرائيل البابلية (إر 29: 10)، وكان الأمم تشترك مع إسرائيل في هذه المذلة لأنه قد أغلق على الكل معاً في العصيان (رو 11: 32) لكي ينعم الكل بالمخلص ورحم الجميع. لقد أتهمت أورشليم بأنها زانية (إش 1: 21) وها هي صور تحمل ذات الإتهام [16].
الفزة من السنة الأولى لملك نبوخذنصر حتى كورش هي 70 سنة تماماً، خلالها خدمت الأمم بابل.

يصف النبي صور بأورة زانية تُغني في الأماكن العامة لتجذب الرجال إليها؛ هكذا فعلت صور بتجرتها التي رتببت بالفساد، لكنها بعدما طافت العالم كما لو كان مدينة واحدة تطوف فيها إزانية سقطت تحت سيطرة بابل 70 عاماً في مذلة لا تملس فيها تجرتها ولا تبعث بالفساد في الدول الأخرى حتى صلت منسية. نساها العالم لكن الله لن ينساها بل يحوّل ذلها إلى مجد، فبعدها كانت تجرتها مرتبطة بالفساد تعود فتوتبط بالحياة المقدسة في الرب، يصير تجرتها شهوداً لإنجيل الخلاص، إذ تدخل مع الأمم في الإيمان لتملس الحياة الإنجيلية وتكرز بها. بعدما كانت في هوع وعوي ليس خلال السبي البابلية وإنما خلال عبودية الخطية صلت في حضرة الرب تأكل من خبز الحياة فلا تروع، وتنعم بلباس المعمودية فلا تتوى، كقول الرسول: "لأنكم كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح" (غلا 3: 27). هذا ما عناه النبي بالقول: "وتكون تجرتها وأجرتها قدساً للرب؛ لا تُخزن ولا تُكنز بل تكون تجرتها للمقيمين أمام الرب لأكل إلى الشبع واللباس فاخر" [18].

تدنيس الأرض

في الأصاحاحات السابقة أبرز النبي فاعلية الخطية في حياة الأمم والشعوب مقدّمًا نوات عن سبع أمم لتأكيد فساد كل الشعوب حتى شعبه الخاص يهوذا وأقوايم. الآن يتحدث في الأصاحاحات (24-27) عن نوات عامة تخص الأرض كلها، ليظهر شمولية الفساد. وفي حديثه يشوق بعبارات تبعث الرجاء وتفتح طويق الخلاص.

تبدأ النوات بإعلان أن الأرض ذاتها التي خلقها الله بصلاحه من أجل سعادة الإنسان قد فسدت، واحتاجت أن يؤغها الله ليُجدها. هذا ما حدث بالجسد (لأن الأرض تُشير إلى الجسد الزابي)، فالخطية حطمت قوائمه وامكانيته بل وطبيعة الأمور التي خلقها الله صالحة لتعمل لبنيان الإنسان والجماعة، لقد صرنا محتاجين إلى تجديد خلقتنا، أي الولادة الجديدة فيتقدس الجسد مع النفس بكل الطاقات والقوات الداخلية.

1. ضربات عامة [13-1].

2. فوح المؤمنين بالرب [16-14].

3. تسبيح مع رعب [23-17].

1. ضربات عامة:

يشبه النبي الأرض كلها بإناء كل ما بداخله قد فسد لذا يقوم صاحبه بتفويغه تمامًا بأن يقلبه رأسًا على عقب، فيقول: " هوذا الرب يخلي الأرض ويؤغها ويقلب وجهها ويبدد سكانها. وكما يكون الشعب هكذا الكاهن؛ كما العبد هكذا سيده؛ كما الأمة هكذا سيدتها؛ كما الشلبي هكذا البائع؛ كما المقرض هكذا المقرض؛ وكما الدائن هكذا المديون" [2-1].

هكذا أغلق على الجميع في العصيان، واستحق الكل الموت، واحتاج الجميع إلى مخلص قادر على تجديد طبيعتهم، يشترك في هذا الكاهن مع الشعب، العظيم مع المحتقر، الغني مع الفقير. هذا الأمر يحتاج كما إلى ترويج الأرض لتعود إلى ما قبل خلقه العالم - خالية وخلوية - فيعيد الرب نفسه خلقتها .

هذا هو الأساس اللاهوتي للخلاص، أن الخليقة قد فسدت تمامًا واحتاجت إلى صانعها لتجديد خلقتها، وكما يقول البابا أثناسيوس الرسولي: [هذا يشبه صورة لإنسان رسمت على لوحة، ثم حدث أن تشوهت بأصباغ خرجية، فصار لزامًا أن يحضر صاحب الصورة مرة أخرى لتجديد صورة الوجه على ذات الخشب (اللوحة) ^[263]].

ماذا فعلت الخطية أو العصيان بالبشرية؟ لقد اقتربت البشرية إلى نوان الغضب الإلهي فاحترقت، أما سرّ الاحترق فهو رادة الإنسان العاصية التي تسحبه نحو الهلاك.

يقدم إشعياء النبي تشبيهًا يكشف عن حال البؤس التي وصلت إليه البشرية، فقد اعتاد الناس في فترة حصاد الكروم أن يقيموا حفلات مبهجة، يشربون الخمر ويغنون بؤح ويقدمون تقدمات للفقراء. جاء وقت الجني فاذ بالكروم تعلن حدادها إذ لا تحمل عنبًا، أصحاب الدفوف يتوقفون عن الضوب بها، ليس من يُغني ولا من يوح فقد هرب كل سرور من على وجه الأرض وحلّ الدمار بنار غضب الله فصار كل ما في العالم رمادًا [7-12]. هكذا يشبه العالم بمدينة محترقة تحولت رمادًا وحقول حزينة جافة لا تحمل ثمرًا. يشبهه بشجرة زيتون نفضت أوراقها وصلرت علية بلا ثمر ولا أوراق

[13]، وككرمة بعد انزاع كل عناقيدها منها.

يليق بالكاهن أن يبرك حاجته للخلاص مثله مثل الشعب [2] وكما يقول القديس غريغوريوس النزيوي: [بالحقيقة لا يوجد تمييز بين الشعب

[264]

2 . فوح المؤمنين بالرب:

وسط هذا الدمار الذي أفقد البشرية سلامها الداخلي وفوحها توجد بقية مقدسة تعلن بهجتها وفوحها بالرب بواسطة التسبيح والترنم.

" هم يرفعون أصواتهم ويترنمون، لأجل عظمة الرب يصوتون من البحر.

لذلك في المشارق مجوا الرب. في جزائر البحر مجوا اسم الرب إله إسرائيل.

من أطراف الأرض سمعنا تونيمة: مجدًا للبار " [14-16].

يتحدث هنا عن البقية القليلة في العالم التي قبلت الإيمان ورجعت إلى الله، هؤلاء يعيشون في المشرق أي يتمتعون بشمس البر المشرق عليهم

(ملا 4: 3). ولتلا يظن بالمشرق هنا مجرد مكان قال: " في جزائر البحر مجوا اسم الرب " ليؤكد أن الساكنين في الغرب (جزائر البحر الأبيض غوب

أورشليم) يتمتعون بالخلاص مع الشوقيين.

موضوع التسبيح هو "مجدًا للمسيح البار!".

3 . تسبيح مع عدة:

الخلاص الذي يقدمه الله للبشرية يلهب قلب المؤمنين فوحًا وتهليلًا، ويبعث رعبًا بالنسبة لغير المؤمنين الجاحدين وأيضًا للشياطين.

لقد أترك عدو الخير أن نهبًا قد تم بالنسبة له، فقد اجتذب الصليب الكثير من النفوس التي استعبدتها العدو، وحطمت القيامة كل قوات الظلمة

وفتحت أبواب الفردوس.

وي النبي عدو الخير أشبه بوحش وي سقط في الشباك في حوة، وفتح فاه يندب حاله في يأس مع خوف ورعدة [16-18]. لرتعب عندما

رأى نفسه ينحدر نحو الهاوية كما في حوة عميقة للغاية، بينما وقفت السماء والأرض تشهدان للصليب: " ميازيب من العلاء انفتحت، وأسس الأرض

تزلزلت؛ انسحقت الأرض انسحاقًا، تشققت الأرض تشققًا، وعوت الأرض وعوا " [18-19]، " في ذلك اليوم يخجل القمر وتقرى الشمس لأن رب

الجنود قد ملك على جبل صهيون في أورشليم " [23].

هكذا تشهد الطبيعة عن ثقل الخطية التي حملها السيد المسيح عنا، كأنها كتلة ثقيلة للغاية دُفعت نحو الأرض فشققتها وزعقتها واثرت فيها

زلزال حتى خجل القمر وخزيت الشمس مما فعلته الخطية. هذا ومن جانب آخر وقفت الطبيعة كما في حوي وخجل أمام ما فعله الإنسان بمخلصه

وفاديه.

بالصليب دخلنا في الملك الروحي (رؤ 20) حيث يملك رب الجنود على جبل صهيون في أورشليم [23]؛ يملك بالصليب على قلوب المؤمنين،

مقيدًا إبليس ولك جنوده الروحيين كأسوى حتى يأتي وقت الارتداد [22]، إذ شهر بهم جهلًا (كو 2: 15)، واهبًا إيانا سلطانًا أن ننوس على الحيات

والعقرب وكل قوة العدو.

منظر الصليب حطم العدو، معلنًا المجد الإلهي أمام الشوخ [23]، فقد عاين الرسل قوة الخلاص وأرکوها في حياتهم كما في كزلتهم.

تسبحة شكر من أجل الملكوت

بنهاية الأصاح السابق ينتهي الجزء الخاص بتهديدات إشعياء النبي بالخراب الذي يحل بالأمم بسبب البعد عن الله وعصيانه ومقاومته، أما الأصاحات 25-27 فتقدم تسابيح الخلاص وتعلن مقاصد الله من جهة التأديب، كما تكشف عن مدى اشتياق الله نحو كرمه المشتهاه ودعوته لشعبه للتمتع بالوليمة العظيمة وتحطيم قوى إبليس.

الأصاح 25 يمثل تسبحة من أجل عمل الله مع شعبه الذي يردهم من السبي ويهلك أعداءهم (من بينهم موآب)، كرمز لعمله الخلاصي في العهد الجديد حيث يُقيم ملكوته، واهبًا الحرية لشعبه والغلبة على قوات الظلمة.

يدخل بنا هذا الأصاح والأصاح التالي إلى ملكوت العهد الجديد حيث يظهر الرب قادمًا لِيُقيم مملكته السماوية في حياة البشر. هذا ما أعلنه القديس يوحنا المعمدان في بدء خدمته قائلاً: "توبوا فإنه قد اقترب منكم ملكوت السموات"، أما الملك نفسه فقال: "ملكوت الله داخلكم" (لو 7: 21). لقد رفض الجاحدون الملك المسيا، ومع هذا فلا يكف الملك عن أن يدعو كل البشرية إلى ملكوته قائلاً: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (مت 11: 28). إنها دعوة مفتوحة للجميع عبر كل الأجيال.

1. تسبحة حمد لله [5-1].

2. وليمة العهد الجديد [9-6].

3. هلاك موآب [12-10].

1. تسبحة حمد لله:

انفتحت عينا إشعياء النبي على ملكوت المسيح ففاض قلبه تهليلاً وانطلق لسانه يُسبح الله من أجل عمله الخلاصي؛ بعدما تنبأ عن التأديبات الوؤة صار موتلاً يُقدم زمامير حمد لله. أما سرّ تسبيحه وحمده لله فهو:

أ. تحقيق كلمات الله ومواعيده الأمانة الصادقة: " يرب أنت إلهي أعظمك، أحمد إسمك لأنك صنعت عجباً، مقاصدك منذ القديم أمانة وصدق" [1]. لقد اترك النبي أن سرّ الخلاص يكمن في مواعيد الله الأمانة وعمل يديه العجيبة. لهذا يعلق القديس إيونائوس على هذه التسبحة قائلاً: [زوى هنا أننا لا نخلص بأنفسنا بل بعون الله ^[265]].

نسبح الله ونحمده من أجل مقاصده الإلهية الألفية العجيبة، فمنذ القديم مهتم بخلاصنا، قبل أن نوجد، لأننا كنا في فكه، موضع حبه.

ب. إبادة الشر (بابل): " لأنك جعلت مدينة رجمة، قرية حصينة ردمًا، قصر أعاجم أن لا تكون مدينة، لا يبني إلى الأبد" [2].

خلاصنا بالفواع الإلهي يتحقق بالقضاء على الشر، أي على مدينة بابل المتعجرفة والممؤة لتباكًا، المحتضنة بصد المسيح. وكأن سرّ تسبيحن هو قيام مملكة المسيح الذي يُلارمه انهيار مملكة إبليس المقوم للحق وتحطيم لمدينته وهدم لقصوه.

لعل المدينة هنا تُشير إلى سيطرة عدو الخير على الجماعة، والقوية تُشير إلى سيطرته على جماعة أقل مثل الأسرة، والقصر يُشير إلى تملكه على القلب، فان عدو الخير يعمل على كل المستويات ليملك خلال الجماعة أو الأسرة أو الفرد... ومسيحننا أيضًا يُقاومه على كل المستويات ليهدم كل أثر لمملكته.

أما دعوة النفس التي يُسيطر عليها العدو "قصر الأعاجم" أو "قصر الغرباء" فلأن عدو الخير بملانكته يحتلون النفس كغرباء وأعاجم، يملكون ما ليس لهم؛ إنها خليفة الله الصالحة التي تسلوا إليها.

لعل أيضًا هدم المدينة أو القوية أو القصر يُشير إلى هدم إنساننا القديم بكل أعماله لأجل التجديد المستمر لإنساننا الداخلي على صورة خالقه (2 كو 4: 16).

ج. الكرة: مما يوح القلب ويملاه تسيبًا أن قيام مملكة المسيح الداخلية مع هدم مملكة عدو الخير فينا يصحبه شهادة أو كرة لعمل الله وإنجيل خلاصه، فتُجذب نفوس كثيرة لتقوم كنيسة قوية لا من جهة العدد وإنما من حيث مسيحها القدير الحال فيها. يقول النبي: "لذلك يكرمك شعب قوي، وتخاف منك قرية أمم عتاة" [3].

تتهلل نفوسنا بشعب الله القوي الذي يحمل فيه قوة قيامته الغالبة للموت، فيعيشون كنفوس عتاة (جباوة بأس) يملسون المخافة الإلهية. وكما قيل عنهم: "قدخل فيهم الروح فحوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جدًا جدًا" (حز 37: 10)، "وهبة كجيش بألوية" (نش 6: 10).

حينما تتهاجر فينا مدينة بابل وتتحطم قرية إبليس الحصينة ويخرب قصوه، يملك الرب ليقيم منا شعبًا قويًا موهبًا للعدو... ما هو هذا الشعب الموهب إلا تقديس النفس والجسد والفكر والكلمات والعواطف حتى ظل الإنسان؟! ألم تهرب الأرواح من ظل بطرس الرسول (أع 5: 15)؟! ألم تخرج الشياطين والأرواح الشووة لمجرد رؤية عصائب الرسول بولس؟!!

د. إنصاف المظلومين: "لأنك كنت حصنًا للمسكين، حصنًا للبائس في ضيقه، ملجأ من السيل، ظلًا من الحر، إذ كانت نفخة العتاة كسيل على حائط كحر في بيس (جفاف) تخفض ضجيج الأعاجم..." [4-5].

تئن البشرية من قانون الظلم الذي سادها منذ دخلت إليها الخطية لهذا يتقدم الله نفسه كسرّ تغوية عملية، يسند كل نفس جريحة، مقدمًا نفسه قوة وحصنًا للمسكين والبائس وقت الضيق، ملجأ من السيول (العواصف)، وظلًا من الحر بينما تكون نفخة الإنسان الجبار مثل عاصفة ضد حائط. وكأن الله في حبه الفائق ورعايته الأبوية يُقدم نفسه لمؤمنيه حسب احتياجاتهم، يصير لهم كل شيء من أجل سلامهم وبنيانهم وشعبهم، فهو القوة والحصن والملجأ والسحابة المظلمة والخبز النزل من السماء الخ...

2. وليمة العهد الجديد:

يتقدم كلمة الله المخلص إلى كل نفس ليكون هو المشبع لاحتياجاتها وواهبها السلام والقوة ضد العدو الشرير، فتنمتع النفس بالحياة الجديدة في المسيح كوليمة مفرحة دائمة. هذه الوليمة في حقيقتها هي الحياة الإنجيلية المشبعة والمقدمة لكل الشعوب، يصفها هنا هكذا:

أ. وليمة عامة: "ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب وليمة..." [6]. لقد انفتح الباب على مصراعيه لجميع الشعوب لتتنمتع بكلمة الله وعهوده ومواعيده وشوائعه وأعماله الخلاصية، خاصة الشركة في الأفخرستيا (جسد الرب ودمه)، ولم تعد عطايا الله حكوًا على شعب معين أو جنس خاص. يعلن السيد المسيح عمومية الدعوة بقوله: "أذهبوا إلى مفرق الطرق وكل من وجدتموه فادعوه إلى العرس" (مت 22: 9).

ب. وليمة دسمة، دعاها "وليمة سمائن" [6]. ما هذه الوليمة الدسمة أو العيد الدسم إلا سرّ الإفخرستيا، حيث يشترك المؤمنون من كل الشعوب مع السمائيين في التسبيح، وتنتفتح أبواب السماء أمامهم، أو قل تصير الكنيسة سماء لیتمتع المؤمنون بجسد الرب المبنول ودمه الكريم خلاصًا وشبعا لهم؟!!

❖ ["الوبراعيّ فلا يعوزني شيء..."] (مز 23)

اسمعوا عن ما هية الأسرار التي نلتوها. اسمعوا داود ماذا يقول لكم؟... كيف استهل مزمره بأنه لم يعد في عوز إلى شيء؟ لماذا؟ لأن من يتناول جسد المسيح لا يعود يعوز بعد.

[12661](#)
القديس أمبروسوس

❖ الذين حرموا من البركات الأرضية بسبب صغر سنهم تُعطى لهم المواهب السماوية بغنى للملء، فيحق لهم الترنم بوح، قائلين: "الوبراعيّ فلا يعوزني شيء" (مز 23: 1).

❖ هذه المائدة هي عضد نفوسنا، رباط ذهننا، أساس رجائنا، خلاصنا ونورنا وحياتنا.

❖ عندما ترى المائدة معدة قدامك قل لنفسك:

من أجل جسده لا أعود أكون وَابًا ورمادًا، ولا أكون سجينًا بل حرًا!

من أجل هذا (الجسد) أترجى السماء، واتقبل الخوات السماوية، والحياة الخالدة، ونصيب الملائكة، والمناجاة مع المسيح.

سُمّر هذا الجسد بالمسامير وجُلد، ولا يعود يقدر عليه الموت!

إنه الجسد الذي لُطخ بالدماء وطعن، ومنه خرج الينوعان المخلصان العالم: ينوع الدم وينوع الماء.

ج. وليمة مفرحة روحياً: "وليمة خمر على رديّ، سمانن مُمَحَّة رديّ مُصْفَى" [6]. يشير الخمر إلى الفرح الروحي، أما كونه مصفى أو نقياً

فيعني أنه لا يُفقد وعي الإنسان ويُسكوه إنما يهبه بهجة روحية.

❖ تسكونا كأس الوب بطويقة ما كما شرب فوح كأس خمر مسكر في سفر التكوين، ولكن سكر كأس الوب ودمه ليس كسكر خمر العالم... فان كأس

الوب يجعل شربيه عقلاء ويود افكلهم إلى الحكمة الروحية؛ تنقل الإنسان من تنوق العالم إلى فهم الله... أنها تُحرر النفس وتوّر عنها الغم... أنها

تهبراحة للنفس إذ تقدم لها فوح الصلاح الإلهي عوض كآبة القلب القاتم بسبب ثقل أعمال الخطية.

د. وليمة سماوية: خلالها يُكشف الغطاء ويُزع حجاب الحرف ليدخل المشتركون إلى السماء عينها ويتعرفون على أسورها التي كانت محتجة

عن كل بني البشر. "ويغنى في هذا الجيل وجه النقاب، النقاب الذي على كل الشعوب، والغطاء المُغطي به على كل الأمم" [7].

❖ الشعب الذي تظهر وامتلاً بالموهب العجيبة يبدأ بالسير نحو المذبح قائلين: "إلى بيت الله نذهب، الله يُوح شبابنا...". إنهم يسوعون تجاه الوليمة

السماوية.

❖ في كل مرة نخدم ليتورجيا هذه الذبيحة، يليق بنا أن نحسب أنفسنا كمن هم في السماء.

ه. وليمة واهبة الحياة: "يُبلع الموت إلى الأبد" [8].

❖ بواسطة (هذه الذبيحة) ننتظر نحن المائتون بالطبع عدم الموت، ونحن الفاسدون عدم الفساد، وعض الأرض وشروها ننال بركات السماء

ومباهجها.

❖ لئلا ننتفخ ظانين أن الحياة هي من عندياتنا، ونتعجرف على الله... فإنه يؤمنا أن نعرف بالخوة أننا ننال الحياة الأبدية لا من طبعنا بل بقوة هذا

الكائن الأسمى "الأفخلسنيا".

و. وليمة مجيدة: " ويمسح السيد الوب الدموع عن كل الوجوه، ويتوّر عار شعبه عن كل الأرض لأن الوب قد تكلم" [8]. إذ يهب مؤمنيه راحة

فيه خلال الحياة المقدسة أو خلال تمتعهم ببر المسيح. أن كانت الدوع قد تسللت إلى البشرية كلها خلال عصيانها فان اتحادنا مع الله في ابنه بالروح القدس يهبنا ثباتاً في المسيح المطيع للآب، فينبوع عنا ثقل عصياننا ويحفف دموعنا الداخلية، واهباً النفس أمجاداً في الداخل نختوها في حياتنا الزمنية كعربون للمجد الأبدي السماوية.

حياتنا جهاد وصواع ضد قوات الظلمة، معركة دائمة لرضها القلب الداخلي، لكن مسيحننا يهبنا الغلبة والنصرة، يضمّد كل حوج ويمسح كل دمة.

❖ المائدة السواتية هي جسد الرب الذي يعضدنا قبالة شهواتنا وضد الشيطان.

حقاً يرتعد الشيطان من الذين يشتركون في هذه الأسوار بوقار.

[\[274\]](#) القديس كيرلس الأسكنوي

3. هلاك موآب:

إذ يتهلل المؤمنون الغالبون للحزن والحرارة والدوع بل وللموت خلال وليمة الخلاص المجانية يقولون: " هوذا هذا إلهنا انتظرونا فخلصنا" [9]. يكمن فرحنا في خلاصنا من أعدائنا، أي من إبليس وكل جنوده وكل أعماله الشريرة. فإن مجد أولاد الله وافقه حزي لقوات الظلمة التي رمز إليها هنا بموآب. " ويُداس موآب في مكانه كما يُداس التبن في ماء المزبلة، فيبسط يديه فيه كما يبسط السابح ليسبح، فيضع كبرياءه مع مكاييد يديه، وصوّح ارتفاع أسورك يخفضه، يضعه، يُلصقه بالأرض إلى التّواب" [10-11].

إن كانت قوات الظلمة قد تشامخت على أولاد الله وحسبت أنها قاهرة على اذلالهم، فان الله بالصليب هدم حصونها وتول بها إلى الهلوية، واهباً ايانا سلطانا ان نوس على الحيات والعقرب وكل قوات الظلمة، نوسها كما يُداس التبن لاستخدامه في مواد البناء (في عمل الطوب اللبن). وكان تلك القوات التي كانت سبب هلاكنا تتحول خلال عمل الله الخلاصي إلى اداة محتوة وذليلة تحت الأقدام تُستخدم لبنيان نفوسنا؛ إذ بدون إبليس ما كنا نُكلل. أما سرّ هلاك العدو فهو كبريؤه، إذ حسب نفسه محصناً بأسوار منيعة، لكن الله يهدم هذه الأسوار حتى الأرض ليُفضح ضعف العدو ويُكشف حقيقة عجزه أمام إلهنا.

<<

الأصاح السادس والعشرون

تسبحة القيامة

التسبحة السابقة هي تقدمة شكر يرفعها المفيديون لله من أجل بركات الخلاص التي وهبها الله لشعبه، أما هذه التسبحة فهي "مزمور القيامة" [19]، خلاله يعلن الشعب ثقته في الله .

يتطلع إشعياء النبي إلى خروج الشعب من السبي حاملين روح الغلبة والنصرة بينما تسقط بابل وكل أسوارها الفريدة حتى الأرض [12] كصورة حية للقيامة من الأموات، لهذا ينطلق لسانه بالتسبيح مؤكداً الثقة في الله واهباً الحياة والقيامة.

وي بعض الدارسين أن ما ورد هنا عن القيامة من الأموات [19] هو أول نص صريح في العهد القديم عن القيامة. [\[275\]](#)

1. مزمور للحث على الثقة بالله [4-1].
2. انهيار العدو [6-5].
3. مساندة الرب لصديقيه [16-7].
4. دخول شعبه في الضيق [19-17].
5. الله مخلص شعبه [21-20].

1. مزمور للحث على الثقة بالله:

يبدأ المزمور بالمقدمة: " في ذلك اليوم يُعنى بهذه الأغنية في أرض يهوذا" [1]. إنها أغنية العهد الجديد؛ لم يكن ممكناً لرجال العهد القديم أن يتغفروا بها، لذا يقول "في ذلك اليوم". ما تمتع به الشعب القديم من بركات كالعودة من السبي لا يبعث فوحاً دائماً إلا من حيث كونه رمزاً للخلاص المبهج الذي تحقق بوردنا من سبي الخطية خلال عمل الصليب.

هذا المزمور هو تسبحة لأورشليم مدينة الله بسبب ما تمتعت به من قوة وحصانة مع أبواب مفتوحة وبرّ لسكانها وأمانة وسلام...

"لنا مدينة قوية" [1] ، يقصد بها أورشليم رمز أورشليم السماوية، وأيضاً كنيسة العهد الجديد بكونها مدينة الله التي يسكنها الرب نفسه مع شعبه. " يجعل الخلاص أسواً ومتوساً" [1] ؛ أعمال الله الخلاصية هي أسوار المدينة وأواتها الحربية، فلا يقدر عدو الخير أن يقتحمها. له أن يحلها ويحاول اغواها لكنه لن يستطيع أن يغلبها مادامت أمينة للرب. كثراً ما تحدّث آباء الكنيسة - خاصة القديس أغسطينوس - عن حياتنا الداخلية ككنيسة المسيح، مدينة الرب السماوية. هذه المدينة في جوهها هي سكنى الله - الحب - مع الناس؛ الحب هو مؤسسها، وهو كوّها، وهو لغتها وثويتها... مدينة الرب هي مدينة الحب!

❖ إذ يصير لك كمال المعرفة وإذ تصبح عرش الله بالحب تصير سماءً!

السماء التي زاها بأعيننا حين ننظر إلى فوق ليست ثمينة جداً عند الله؛ النفوس القديسة هي سماء الله...

كل نفس هي صهيون...

واضح أن صهيون هي مدينة الله؛ وما هي مدينة الله إلا الكنيسة المقدسة؟! إذ يحب البشر بعضهم بعضاً ويحبون الله الساكن فيهم يصيرون مدينة الله... فقد كُتِبَ بصراحة: "الله محبة" (1 يو 4: 8). من يمتلىء حباً يمتلىء من الله ^[276].

❖ لقد تعلمنا أنه توجد مدينة الله، مؤسسها وحي لنا بالحب الذي يجعلنا نشتهي المواطنة فيها. ^[277]

القديس أغسطينوس

بالحب أقام الله كل نفس لتصير مدينته الحصينة وسمواته المقدسة، أقامها عروسه السماوية المتحدة معه لها ذات امكانيات عيسها المخلص الذي صعد إلى السموات وانفتحت أمامه الأبواب الذهبية ليدخل ملك المجد (مز 24: 7-10). هي أيضاً عروسه الحاملة ره وامانته، تتفتح أمامها أبواب السماء لتجلس عن يمين عيسها الملك وفي احضانه، لا تقدر قوة ما أن تحرمها من العبور في السمويات حتى تبلغ عوشه. إنها كأستير الملكة التي اجتزت كل أبواب القصر لتبلغ إلى الملك الذي يمد قضيب ملكه الذهبي لها كي تدخل إليه فيلاطفها ويستمتع إلى طلبتها.

هذه المشاعر النبوية تمتع بها إشعياء ربما حين رأى بالروح الراجعين من السبي يدخلون أبواب أورشليم المفتوحة أمامهم، وهم داخلين كما في

موكب نصوة أو موكب عيد موح في الرب. لقد قال: " افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البيرة الحافظة الأمانة" [2].

❖ "لرفعوا أيها الرؤساء أبوابكم" (مز 24: 7)؛ لنذهب باستقامة إلى السماء.

ليت بوق النبي يظوب عالياً: "لرفعوا أنتم يارؤساء الهواء الأبواب التي اقمتموها في أذهان البشر..."

یعلق القديس أمبروسيوس على العبارة "لترفعي أيتها الأبواب الدهوية ليدخل ملك المجد" (مز 24: 7)، قائلاً:

لقد وجنوا أنه يؤرم أن يُعد أمام وجه هذا "المنتصر" الجديد طويلاً جديداً، لأنه هو دائماً كما كان أعظم من غيره، ولكن لأن أبواب البر التي هي أبواب العهدين القديم والجديد، التي فيها تنفتح السموات، هي أبواب دهوية، لذلك فهي بالحق لا تتغير، لكنها ارتفعت لأن الداخل فيها ليس إنساناً بل العالم كله في شخص مخلص الكل...

إذ أدرك (الملائكة) اقواب رب الكل، أول قاهر للموت، والمنتصر الوحيد، أمرو الجنود (السمايين) أن يرفعوا الأبواب قائلين في هيام وتعب... "لترفعي أيتها الأبواب الدهوية فيدخل ملك المجد" [279].

هكذا إذ تنفتح السماء أمام المؤمنين المتحددين بربنا يوسع فورتفوا معه إلى سمواته، يعيشون هنا في سلام حقيقي وثقة بالمخلص. لذا يقول

النبی:

" نوي الوأي الممكن تحفظه سالماً سالماً لأنه عليه متوكل" [3]. تعبیر رائع عن الطمأنينة الأكيدة التي يهبها الله لمؤمنيه المخلصين له، فيعطيه سلاماً يتبعه سلام حتى يبلغوا إلى النصرة النهائية من أجل انكالمهم عليه.

يقصد بنوي الوأي الممكن أصحاب الهدف الثابت أو أصحاب الفكر المتون غير المتزوج الذين لا تفقدهم عواصف الأحداث تقتهم في الله مخلصهم، يهوه صخر الدهور (إش 26: 4؛ مز 18: 31): " توكلوا على الرب إلى الأبد لأن في ياه (يهوه) الرب صخر الدهور" [4].

❖ بئس الشعب الذي يتحول عن الله... أما السلام الخاص بنا فننعم به الآن مع الله بالإيمان، ونتمتع به أبدياً معه بالعيان.

❖ ينبغي على كل أحد أن يصلح ذاته، ولذاته يسالم، ولا يكون انقسام في ضموه. لأنه إذا اصطح إنسان مع جميع العالم وهو منقسم على ذاته فصلحه بلا منفعة. أما الذي يُصلح نفسه ويسالم ذاته فهو كمن سالم العالم جميعاً، ويكون مشرفاً في عيني سيد الكل.

❖ اشفق يرب على النفس التي اشتعلت بحبك، لأنها هي مسكن السلام، فلا تترك أوثاً للخطية في الضمير مكان سكتك، بل احرقه بنار حبك.

2. انهيار العدو:

"لأنه يخفض سكان العلاء" [5-6].

إن كانت بابل قد تشامت وظنت أنها في العلاء فسيقول الرب بها حتى التواب ليجعلها مدوسة بأقدام المساكين الذين سبق فوطأهم بقدميها. هذه هي نهاية كل متكبر مقاوم للحق، إذ يشوب من ذات الكأس التي قدمها للغير.

عمل الله الدائم هو تمجيد أورشليم الذليلة المتضعة وإقامتها مدينة خاصة به؛ والنزول ببابل المتشامخة. وكما قالت القديسة مريم: "أقول الأغواء عن الكراسي، ورفع المتضعين، أشبع الجياع خوات وصوف الأغنياء فلغين" (لو 1: 53).

❖ عرفتني طرق الاتضاع، خلالها يعود البشر إلى الحياة، إذ سقطوا بسبب الكبرياء.

❖ بالكبرياء نستند على الرياح، وبه زج بأنفسنا إلى اللجة، فلا تقبل مرض الكبرياء لئلا يسوقك العدو...

❖ في الإنسان المتواضع تسريح روح الحكمة.

3 . مساندة الرب لصديقيه:

يقدم لنا النبي في هذا المزمور تحليلاً رائعاً لحياة الإنسان الصديق الذي يجد لذته وحمانيته ومجده في الرب؛ وفي نفس الوقت يدعونا للصلاة السرية في المخدع مع الاهتمام باحكام الله ووصاياه والطاعة له للتمتع بخلاصه المجاني.

أ. أحكام الله أو وصاياه ليست ثقلاً على نفس الصديق إنما هي علة استقامته، لذا يطلبها ويشتهيها بوح وبهجة قلب، قائلاً: "في طريق احكامك انتظرنك" [8]. كأن الوصية أو كلمة الله هي موضوع رجاء ولذة وروح للنفس. وكما يقول الموتل: "بطريق شهادتك فوحت كما على كل غنى... بوائضك ألتذذ... شهادتك هي لذتي" (مز 119: 14، 16، 24).

لعل سر فوح الصديق وبهجته بالوصية أنه يكتشف أعماقها فيجدها تلاقٍ مع المسيح كلمة الله وتمتع به كسر خلاص وحياة وكما يقول القديس أغسطينوس: [نفهم أنه ليس طويق أسوع ولا أمن ولا أقصر ولا أعلى من المسيح بخصوص شهادات الله، هذا "المنخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم" (كو 2: 3). لذلك يقول (الموتل) أنه يجد فيه بهجة عظيمة كما في كل غنى. هذه هي الشهادات التي بها أكد لنا إلى أي مدى يحبنا (المسيح) [283]...].

ب. سر فوح الصديق، اتحاده بالله مخلصه وتمسكه باسمه القوس وتذكره: " إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس، بنفسي اشتهيتك في الليل. أيضاً بروحي في داخلي إليك أبكر" [8-9]. تترك النفس أنها في ليل هذا العالم تعتاز إلى نور المخلص ليثوق عليها بل وفيها. أنها تطلبه في الليل لأنها ذاقت الأمرين طوال تعب النهار وآلامه غير المنقطعة، فتريد أن تلتقي به داخلها لتجد فيه راحتها وسلامها وشبعها بكونه شهوة نفسها. تطلب منه أن تتمتع بكل قبلات (نش 1: 2)، وتناجيه قائلة: "حلقة حلوة وكله مشتهيات؛ هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات أورشليم" (نش 5: 16).

تشتهيه النفس لتلتصق به كل ليل هذا العالم حتى تشوق عليها الأبدية فتبقى معه في احضانه أبدياً. إنها تطلبه داخلها، تبحث عنه لتجده يطلبها، تُبكر إليه لتجده يُبكر إليها. تناجيه: "إليك أبكر، عطشت إليك نفسي يشتاقي إليك جسدي في رُض ناشفة ويابسة بلا ماء، لكي أبصر قوتك ومجدك كما قدر أيتك في قدسك" (مز 63: 1-2). أما هو فيجيب: "أنا أحب الذين يُحبونني، والذين يبكون إليّ يجنونني؛ عندي الغنى والكرامة؛ قنية فاخرة وحظ" (أم 8: 17-18).

ج. أما نهاية الصديق فهي تمتعه بالمجد الإلهي، الأمر الذي يُحرم منه الأشرار، إذ يقول النبي: "في رُض الاستقامة يصنع شراً ولا وي جلال الرب" [10]. يتمتع الصديق بمجد الرب وجلاله وينعكس بهاء الرب عليه ليصير أيقونة له، بينما يُحرم الشرير من التمتع بهذه العطية الأبدية.

❖ مطوّب ومثلث الطوبى بل ومتعدد الطوبى أولئك الذين يُحسبون أهلاً أن يروا ذلك المجد! عن هذا يقول النبي: "ليزع الشرير فلا وي جلال الرب" [10]LXX.

الله لا يسمح أن يُزع أحد منا أو يُستبعد عن رؤيته. فإننا إن كنا لا نتمتع بذلك فسيأتي وقت فيه نقول لانفسنا: "كان خير لنا لو لم نولد". لأنه لماذا نحن نعيش؟ ولما نتنفس؟ ماذا نكون إن فشلنا في التمتع بمشاهدة ذلك ولم تُمنح معاينة الرب؟! إن كان الذين لا يرون نور الشمس يحسبون الحياة أمرّ من الموت فماذا يكون حال المحرومين من مثل هذا النور؟!

[284] القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يليق بنا أن نفهم أنه من أجل هذا الكمال "تكون مثله لأننا سواه كما هو" (1 يو 3: 2). تُمنح هذه العطية عندما يُقال: "تعالوا يا مبركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم" (مت 25: 34). عندئذ يُنزع الأشرار كي لا يروا جلال الرب، فيذهب الذين على اليسار إلى العذاب الأبدية، بينما يدخل الذين على اليمين إلى الحياة الأبدية. [285]

❖ يقول يوحنا: "أيها الأحباء، نحن الآن أبناء الله، ولم يظهر بعد ما سنكون، إنما نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سواه كما هو" (1 يو 3: 2).

يبتدىء هذا الشبه يتشكل فينا من الآن، بينما يتجدد الإنسان الداخلي يوماً فيوماً حسب صورة خالقه.

القديس أغسطينوس

هكذا يصير الله سرّ مجد صديقيه ليس فقط في العالم الآتي وإنما يبدأ مجدهم الآن في داخلهم بمعاينتهم مجد الله وجلاله كعربون للقاء معه أبدياً وجهًا لوجه، ويصير الله نفسه علة حرمان للأشوار؛ يكون ملك السلام لمؤمنيه ونزلاً آكلة لجاحديه. يقول الرسول: "لهؤلاء رائحة موت لموت ولأولئك رائحة حياة لحياة" (2 كو 2: 16). لهذا يكمل إشعياء النبي قائلاً:

" يرب رتفعت يدك ولا يرون،

يرون ويخزون من الغوة على الشعب وتأكلهم نار اعدائك.

يرب تجعل لنا سلاماً لأن كل أعمالنا صنعتها (ردتها) لنا" [11-12].

يرفع الرب يده لتأديب أولاده فيهبهم سلاماً ونمواً، إذ يقبلونها تأديباً عن خطاياهم ^[287]، أما بالنسبة للأشوار فتكون العقوبة نزلاً آكلة لهم، تهلكهم وتبيد ذكهم [14].

4. دخول شعبه تحت الضيق:

يرك النبي ما للضيق من بركات بالنسبة لشعب الله، قائلاً: " زدت الأمة يرب زدت الأمة، تمجدت، وسعت كل أطراف الأرض. يرب في الضيق طلبوك، سكوا مخافته عند تأديبك إياهم" [15-16]. وكان التأديب يسبب ضيقاً وتعباً في الخرج لكنه يؤدي إلى النمو المستمر والاتساع في المجد. سرّ القوة لا في الضيق وإنما في يد الله الخفية القادرة أن تُقيم من الأموات. فقد رأى النبي شعبه أشبه بسيدة تتوى من آلام المخاض، وبالجهد تلد فإذا بها تلد ریحاً، أي تنتهي آلام الولادة إلى لا شيء، أما إذا تدخل الله فإنه حتى وإن بلغ الإنسان في آلامه إلى الموت فإنه قادر أن يهبه القيامة، يهبه حياة جديدة مقامة مملوءة فرحاً وتسبيحاً.

الأشوار يتألمون كما في حالة الولادة، لكنهم ينجبون من عندياتهم (الأنا) ریحاً أو كبرياءً فرحاً، أما أولاد الله فيتألمون وينجبون بعمل الروح تشبيهاً لله. كأن الألم خرج السيد المسيح يلد ریحاً أما في المسيح فينجب قيامة!

يقول النبي: " كما أن الحبل التي تُقرب الولادة تتلوى وتصوخ في مخاضها هكذا كنا قدامك يرب، حبلنا تلويْنَا كأننا ولدنا ریحاً. لم تصنع

خلاصاً في الأرض... تحيا أمواتك تقوم الجثث. استيقظوا ترنموا يا سكان التواب... [17-19].

يقول المرتل: "لأنه هوذا الملوك اجتمعوا... لمارواً بهواً رتاعوا فوا، أخذتهم الوعدة هناك والمخاض كالوالدة" (مز 48: 4-6). وى القديس أغسطينوس ^[288] أن الملوك هم جماعة المؤمنين الذين يحبلون من مخافة الله ويدخلون في حالة طلق لينجوا خلاصاً خلال الإيمان. عندما نسعم آلامهم نتوقع ميلاداً جديداً، حيث يموت الإنسان القديم بكل أعماله ويولد الإنسان الجديد الذي على صورة خالقه.

يُنَاجِي القديس أغسطينوس النفس المتولدة بالمشيح عويسها، قائلاً: [حسن لك أيتها النفس البتول... فبتوليتك تحفظني في قلبك ما قد ولدت ثانية (الإنسان الجديد)، وتحفظني في جسدك ما انجبتني، إذ حبلتني بمخافة الرب وولدتني روح الخلاص ^[289].]

5. الله مخلص شعبه:

إن كان الله يغضب لا لينتقم لنفسه إنما ليؤدب معلناً حبه لخلاصنا، لذا دعى قوة غضبه "الحيطرة"، تعبر سريعاً، منتظراً أن يُكافيء مؤمنيه، بينما يشوب الأشوار من كأس شوهم ما قد ملأوه بانفسهم.

حياتنا بكل آلامها هي "الحيطرة" تعبر بنا سريعاً، لا نُقلن أمام أبدية مجيدة بلا نهاية. لهذا يقول القديس أغسطينوس: [توجدراحة في الموت، يتحدث عنها النبي قائلاً: "هلم يا شعبي أدخل مخادعك واغلق أبوابك خلفك، اختبئي نحو لحيطرة حتى يعبر الغضب" ^[290].]

ما أجمل أن تختتم تسبحة القيامة التي بين أيدينا بالعبارة الرائعة: " لأنه هوذا الرب يخرج من مكانه ليعاقب" [26]. أنه أب سموي يشناق ألا يعاقب، أن أدب إنما يكون كمن خرج من مكانه أي من الرحمة المملوءة ترفقاً وحناناً. إثمنا وعصياننا يجعلانه كمن يخرج من مكانه ليعاقب... حتى في خروجه يطلب أن يضمنا إليه لوجع بنا إلى عرش رحمته.

«

الأصحاح السابع والعشرون

تحطيم لويثان

إن كان الله يخرج من مكانه ليعاقب، ففي خروجه لا يطلب هلاك الخطاة وإنما الخطية، لا يُريد الدخول في معركة مع البشوية إنما مع إبليس الحية القديمة المخادعة والتنين البحري... إنه يدخل إلى معركة فريدة خلال الصليب - سيف الحق - القاتل للشر والواهب الحياة لشعبه.

1. قتل لويثان [1].
2. حماية الكرمة المشتهاة [9-2].
3. ضرب العدو [11-10].
4. الله يجمع شعبه [13-12].

1. قتل لويثان:

" في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم لويثان الحية الهلربة، لويثان الحية المتحوّية، ويقتل التنين الذي في البحر" [1].
إن كان البعض يرى في تعبير "في ذلك اليوم" إشارة إلى اليوم الأخير الذي فيه يضرب الله الشيطان ضوبته القاضية النهائية بتمتع الكنيسة بالحياة الأبدية وهلاك عدو الخير، ويحاول اتباع الملك الألفي أن يحسوه يوم الملك الألفي حيث يتحطم سلطان إبليس، ألا إننا زاه يوم الصليب، أو يوم الفداء الذي فيه ملك الرب على خشبة الصليب، وفيه "محا الصك الذي علينا... إذ جرد الوياسات والسلطين أشوهم جهلاً ظافراً بهم فيه" (كو 2: 14-51)، إذ بدأ الملك الألفي (الروحي) بصلب الرب.

كما سبق فقلت أن اتجاه بعض المفسرين إلى تطبيق نوات إشعياء الخاصة بالعصر المسياني على الملك الألفي هو ثروة طبيعية لعدم تنوع المسيحيين في العصر الحالي لقوة الصليب في حياتهم واختبرهم للسلطان الإلهي ضد إبليس وأعماله وعدم تلامسهم مع الحياة الغالبة الداخلية المملوءة فحاً وسلاماً فانقاً للعقل.

ما هو هذا السيف القاسي الذي به يعاقب الرب لويثان إلا كلمة الله السيف الماضي نو الحدين الخراج من فمه (رؤ 1: 16؛ عب 4: 12).
خلال الكلمة نلتقي بالمسيح نفسه "كلمة الله المتجسد المصلوب" المختفي وراء الحروف والكلمات، يعمل يوماً لخلصنا. وكما يقول البابا أثناسيوس الرسولي: [ابن الله حيّ وفَعَال يعمل يوماً فيوماً لخلص الكل] [291].

معاوية الحية بالسيف وقتل التنين البحري إنما يعني أن كلمة الله المتجسد، مسيحننا المصلوب والسكن في داخلنا يتسلم قيادة المعركة ليُدين كل

شر فينا حتى يُحطم كل ظلمة مقيمًا فينا مملكة النور.

❖ لقد غلب العالم كله كما زى أيها الأعباء... لقد قهر لا بقوة عسكرية بل بجهالة الصليب... لقد رُفِع جسده على الصليب فحُضعت له الأرواح.

[292]

القديس أغسطينوس

❖ سلب (الرب) الرؤساء والسلطين وظفر بهم بصليبه. وهذا كان سبب مجيء ربنا لكي يطرحهم خرجًا ويستود الإنسان الذي هو بيته وهيكله.

[293]

القديس مقاريوس الكبير

في راستنا عن "الروح القدس بين ميلاد الجديد والتجديد المستمر" رأينا أن طقس المعمودية الذي في حقيقته تمتع بالموت مع السيد المسيح والدفن معه والتمتع بقوة قيامته، يقوم على خطين رئيسيين هما: المتع بالإنسان الجديد الذي على صورة خالقه وتحطيم أعمال الإنسان القديم؛ أي التمتع بالسيد المسيح وجد إبليس وكل طاقاته وأعماله. في مياه المعمودية نتحد بمسيحنا الملك المصلوب محطم لويثان الحية المخادعة والتتبن القاطن في المياه.

❖ بعد أن تحوارككم يُطلب منكم أن تتطخوا بهذه الكلمات: "أجحدك أيها الشيطان"... ماذا حدث؟ ما هذا التغير المفاجيء الغريب؟ أنتم الذين كنتم

توتعشون بخوف هل تثورون ضد سيدكم؟ هل تتطلعون إلى مشورته بزؤاء؟ ما الذي جاء بكم إلى هذا الجنون؟ متى حلت بكم هذه الجسرة؟

تقولون: لدينا سيف؛ سيف قوي.

أي سيف هو هذا؟ أي حليف لكم؟ أخبروني.

تجيبون: إننا ندخل في خدمتك أيها المسيح، لهذا فإننا متجاسرون وثائرون، لأن لنا ملجأ قوي. هذا جعلنا فوق الشيطان. نحن الذين كنا قبلاً

نرتعب منه ونخافه، لسنا فقط نجده وحده بل ومعه كل مواكبه.

❖ يطلب منكم الكهنة أن تقولوا: أجحدك أيها الشيطان وكل مواكبك وكل خدمتك وكل أعمالك.

كلمات قليلة لكنها عظيمة القوة!

الملائكة تقف بجواركم، والقوات غير المنظورة توح بتغويكم، ويتقبلون الكلمات من ألسنتكم ويحملونها إلى سيد كل الخليقة، لتنتقش هناك في

كتب السماء.

[294]

القديس يوحنا الذهبي الفم

2. حماية الكرمة المشتهاة:

إذ يتسلم الرب نفسه قيادة المعركة يصير هو شخصياً طرفاً فيها لتتمتع كرمة المشتهاة بصوته وحواسته لها ورعايته واهتمامه بها، لذلك يقول

النبي على لسان الرب: " في ذلك اليوم غنوا للكرمة المشتهاة، أنا الرب حارسها، اسقيها كل لحظة لنلا بوقع بها، اهرسها ليلاً ونهلاً..." [3-5].

الله نفسه هو مالك الكرمة، يحبها ويشتهيها، وهو الكرام والحرس لها، يتعهد لها كل لحظة بروبيها بروكاته الإلهية، عينه عليها ليلاً ونهلاً، لا

يتوكها ولا يتخلى عنها، يزع عنها الشوك والحسك ليحرقه، ويصالحها مع الأب خلال صليبه (رو 5: 1).

إن كان الصليب قد حطم إبليس وجرده من سلطانه على المؤمنين، فإنه قدم أيضاً التوكات التالية:

أ. " غنوا للكرمة المشتهاة" [3]. تُرى لمن قيل هذا إلا للسمايين الذين أركوا ثمار الصليب في حياة الكنيسة فتهللت حياتهم وصلوا يسبحون

الله مخلص البشر على عمله العجيب فيهم، إذ جعل الأرضيين سمائيين، ورفع الكنيسة إلى حيث العرش تُشرك السماء تسابيحها وليتورجياتها. صلت

الكرمة المشتهاة من الله مخلصها موضوع شهوة الملائكة وكل الطغمت العلوية (رؤ 5: 11-14).

إن كان ذكر الله شهوة نفس الإنسان فإن ذلك هو رد فعل لحب الله لنا ولاشتهائه إلينا بكوننا كرمه المشتهاه وعروسه المحبوبة لديه وكنيسته التي يشتهي السكنى فيها. يقول الموتل: "لأن الرب قد اختار صهيون اشتهاها مسكنًا له. هذه هي راحتي إلى الأبد ههنا اسكن لأني اشتيتها" (مز 132: 13-41)؛ "الجبَل الذي اشتهاه الله لسكنه، بل الرب يسكن فيه إلى الأبد" (مز 68: 16).

ب. حراسة إلهية: " أنا الرب حلّسها... أحرصها ليلاً ونهلاً" [3]. أن كان الله يرسل ملائكته لحماية شعبه من المخاطر الزمنية؛ لكنه يقوم بنفسه بحراستها من ضربات الخطية القاتلة. لقد حُطم العدو بالصليب لا كحدث تاريخي مضى وإنما كعمل إلهي قائم وفعال، ثبّت صليبه في وسط كنيسته ليحتضنها من كل ضربات العدو مادامت تبقى في احضانه وتطلب حراسته. لذلك يقول **القديس مار إفرام السرياني**: [المجد لك يا من أقمت صليبك جسورًا فوق الموت، تعبر عليه النفوس من مسكن الموت إلى مسكن الحياة] ^[295].

ج. رعاية مستورة: "أسقيها كل لحظة" [3] ؛ إذ يُؤر عليها أمطار نعمته المجانية فتحول قوها إلى فردوس إلهي. لذا تُناجيه قائلة: "ليأت حبيبي إلى جنّته ويأكل ثمره النفيس" (نش 4: 16). ما أحمله من ثمار الروح هو عمله في، ثم رعايته غير المنقطعة.

بماذا يسقي الله كنيسته الكومة المشتهاة؟

أنه يهبنا روحه القدوس عاملاً فينا، يهبنا حياته فينا... يعطينا ذاته!

❖ سخي هو ذلك الذي يهبنا اعظم كل العطايا، حياته ذاتها!

^[296]
القديس إكليمنس الإسكندري

❖ بسبب نعمة الروح التي أعطيت لنا، صونا نحن فيه وهو فينا (1 يو 4: 13)...

خرج الروح نحن غرباء عن الله وبعيدون عنه، أما بشركة الروح فصونا قريبين للاهوت، فوجودنا في الآب ليس من عندينا إنما هو عمل الروح الذي فينا ساكنًا في داخلنا.

^[297]
البابا أثناسيوس الرسولي

د. عدم إدانتها: "ليس لي غيظ" [4] . إذ تقبل عطيته المجانية وتتجاوب عمليًا مع نعمته لا تسقط تحت الغضب الإلهي بل بثقة تقول: "إذا لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح، لأن ناموس روح الحياة في المسيح قد اعتقني من ناموس الخطية والموت" (رو 8: 1-2).

وي البعض أن كلمة "غيظ" يجب أن تقرأ هنا "hemah" وتعني "عنبًا" ^[298] ، فإنه إذ لم يجد عنبًا جيدًا بل شوكرًا وحسكًا، أو عنبًا رويًا قام بحرق الشوك والحسك لإعطاء الفوصة للإثمار الجيد.

هـ. حرق الشوك والحسك: " ليت عليّ الشوك والحسك في القتال فأهجم عليها وارقها معًا" [4] . لقد أخذ على عاتقه مقاومة الشوك والحسك الخانق للكومة المشتهاة، قائلاً: "ليت عليّ الشوك...". بالفعل حمل الشوك على رأسه حين صُلب، نزعًا العار أو اللعنة عنا ليحملها من أجلنا. وكما يقول **القديس مار يعقوب السروجي**: [حمل لعنة الأرض بالإكليل الذي وضعه على رأسه، وحمل ثقل العالم كله كالجبار!... صار لعنة حتى يتبذك به الورثون الراجعون! بإكليله خلع زرع الحية الملعون... بإكليل الشوك هدم تاج الشيطان الذي أراد أن يكون إلهًا على الخليقة! بإكليل شوكة صفر إكليلًا لإبنة الأمم، العروس التي خطبها من بين الأصنام، وكتبها لإسمه] ^[299].

و. مصالحتنا مع الله: " أو يتمسك بحصني فيصنع صلحًا معي، صلحًا يصنع معي" [5] . هذه هي نهاية عمل الصليب: مصالحتنا مع الله، إذ ونحن بعد اعداء صولحنا مع الله بموت ابنه (رو 5: 10).

❖ ابن الله تألم ليجعلنا أبناء لله، وابن الإنسان (نحن البشر) يرفض أن يتألم لكي تستمر بنوته لله!!!

^[300]

ز. نمو الكنيسة الجامعة أو إسرائيل الجديدة: " في المستقبل يتأصل يعقوب، زهر ويفور إسرائيل ويملاون وجه المسكونة ثمرًا" [6]. لعل الله أراد منهم ألا ينظروا إلى عمله معهم في المستقبل القريب (خلاصهم من السبي البابلي) وإنما خلال المستقبل البعيد حيث يتأصل يعقوب الجديد، فتقوم كنيسة العهد الجديد بكونها إسرائيل الجديد، التي ضمت من اليهود التلاميذ والوسل وكثير من المؤمنين جاوا بثمار روحه فائقة ملأت وجه المسكونة. يقول القديس إيريناؤس : [ألقيت البذار في كل المسكونة... فمن (أورشليم) هذه إستطاع المسيح والوسل أن يأتوا بثمار ^[3011]].

ح. تأديبه لأولاده [7-9]: يُعاملهم كأبناء وليس كأعداء، فيسمح بتأديبهم لأجل خلاصهم وبنيانهم، إذ يقول: " هل ضربة كضربة ضلبيبه؟! " [7]، بمعنى هل ضرب الله يعقوب إسرائيل كما ضرب ضلبي يعقوب؟! حينما يضرب شعب إنما لأجل بنيانهم أما ضربة للاعداء ضلبي شعبه فليهدمهم لأنهم مصرون على الجحود ومقاومة الله. بذات المعنى يقول: "أو قُتل كقتل قتلاه؟!" [7].

" يزجر (بكيل) إذ طلقها خاصمتها، زألها بريحه العاصفة في يوم الشوقية" [8]. حتى في الخصومة إنما يُخاصمها كما بكيل، أي يسمح لها بالضيق قدر احتمالها، لأجل تأديبها على خطاياها، حتى وإن بدى أنه قد طلقها وسلمها للريح العاصف القادم من الشوق، أي لأشور أو بابل عام 722 ق.م. و587 ق.م.

3. ضرب العدو:

مقابل تأديبه لأولاده حتى وإن بدى قاسيًا مستخدمًا أشور وبابل، أو كمن قد طلقهم إذا به يسمح بهلاك العدو الشوير؛ فيحول بابل المدينة الحصينة إلى مسكن مهجور متروك كالقفر. وى البعض أن الحديث هنا عن السامرة أيضًا التي صلت خرابًا بسبب جهل شعبها الروحي وَاَعْوَالها عبادة الله والسقوط في الوثنية [19-11].

4. الله يجمع شعبه:

وى البعض في ذلك نوة عن جمع شعب إسرائيل في أواخر الدهور عندما يقبلون الإيمان بالسيد المسيح، غير أن البعض واهما صورة لعمل الله عبر العصور عندما أخرج شعبه من مصر ثم خلصه من السبي البابلي. ربما يُشير هنا إلى إسرائيل الجديدة، الكنيسة التي جُمعت من بين الشعوب والأمم لتتمتع بالحياة المقامة.

<<

الأصحاح الثامن والعشرون

إنهيار السامرة وتمجيد ليهوذا

يبدأ النبي بمجموعة نبوية جديدة (ص 28-33) تكشف عن سوء الحالة الاجتماعية وأيضًا السياسية. لقد ضمت ستة ويلات لأناس أشوار في آوايم ويهوذا والأمم المجاورة، إذ احتقروا الله وكلمته وانكثروا على فراع بشري غريب ورجعوا إلى الوافين يستشيرونهم. يكشف هذا القسم عن عدل الله فمع محبته لشعبه بل ولكل البشرية لكنه في غير محاباة لا يطبق الخطية ولا يقبل الرجاسات في حياة الإنسان. لهذا يقول بالويلات على إسرائيل أو آوايم لأنها انهزلت روحياً بينما يُمجد مملكة يهوذا التي بقيت مقدسة زماناً حتى تشبهت فيما بعد بأختها إسرائيل

وسقطت في رجاسات أبشع.

- 1 . ويل للسامرة [6-1].
- 2 . كشف وفضح للخطية [15-7].
- 3 . الحاجة إلى المخلص [22-16].
- 4 . معاملات الله مع شعبه [29-23].

1 . ويل للسامرة:

يقول الله بالويل على السامرة أو إفايم، سامحًا لآشور سنة 722 ق.م. أن يسطو على البلاد ويخرب المدن ويحمل أعدادًا ضخمة إلى السبي. كان ذلك تأديبًا لإسرائيل ودرسًا عمليًا ليهودا، فقد استطاع سكان أورشليم عاصمة يهوذا أن يصعدوا على الأسطح ليروا السماء وقد احمرت بغضب الله ضد إسرائيل، فقد ارتفعت ألسنة النوان في كثير من بيوت السامرة وما حولها. ومع هذا لم تتعظ مملكة يهوذا إذ سلكت فيما بعد في ذات خطايا السامرة بل وأكثر منها كما جاء في مثل أهولة وأهولبية الورد في حزقيال 33 يروي هذا الأمر في شيء من التفصيل.

الأعداد [6-1] [302] تصور سقوط السامرة هذه التي بُنيت على تل مرتفع وقد أحاطت بها الحدائق الشهية من كل الجوانب حتى حُسبت من أجمل وأحب مدن فلسطين . الوادي تحتها يبلغ إلى ساحل يزرعيل غني بكرومه وحقله المثورة. لقد وهبهم الله فيض خوات كثرة وغنى لكنهم تركوا واهب العطايا وانعروا إلى الآلهة الوثنية التي تتعبد لها الأمم المحيطة؛ ورتببت عبادتهم بالحياة المدللة المتوفرة مع رجاسات كثرة لذلك أراد الله أن يؤدبهم. أثار قلب ملك آشور ليتطلع إلى السامرة الجميلة الغنية والمدن المحيطة بها فبعث جيشًا عظيمًا لأحتلالها. أما إسرائيل فانكلت على نواحيها البشوي ونسيت إلهها، وحسبت أنها قاهرة على تحطيم العدو فتحطمت عاصمتها وكثير من مدنها وصلرت مثلًا حيًا لكل من ينكل على النواحي البشوي متجاهلاً عناية الله.

يقدم النبي صورة شعوية رائعة لهلاك السامرة ومجد البقية المخلصة:

أ. اعتاد أغنياء السامرة أن يقيموا ولاءهم دائمة يقدمون فيها الخمر والمسكر بلا حساب، فيسكرون ويلهون، وكانوا يضعون أكاليل زهور على رؤوسهم علامة المجد والؤينة.

رى النبي مدينة السامرة كراس مدن إسرائيل وقد احاطت بها الحدائق أشبه رأس أحد هؤلاء الأغنياء الذي يأكل ويشرب ويلهو ويسكر ويملر الرجاسات وعلى رأسه إكليل زهور. يقول الله بالويل على هذه الأكاليل فتصير للخرى والعار لا للمجد والبهاء؛ يذبل منظرها وتستحق أن تتحدّر مع الرأس التي تحملها إلى الزاب لتلقى في الموزلة وتُداس بالأقدام [2-3].

ب. إن السيد الرب يرسل جيش آشور كرجل واحد قدير (شديد) وقوي [2] ... وكان ما تم على أيدي جيش ملك آشور ليس مصادفة، ولا بتخطيط بشوي أو امكانيات إنسانية، إنما بسماع إلهي يهبهم القوة والقوة ويعطيهم الوحدة لتحقيق خطة إلهية هي تأديب السامرة!

ج. يُشبه جيش آشور الذي يُحاصر السامرة وينزلها كمن يقول وأسر رجل غني تحمل أكلييل زهور إلى الزاب، بعاصفة ثلجية وسيول مياه جلفة. فالورد لا يحتمل الثلج فيموت، ولا يحتمل سيول المياه فينعرف إلى الأرض بشدة دون استتوار حتى يصير جزءًا لا يتجزأ من الموزلة [2].

د. يُشبه السامرة بشجرة تين تحمل باكرة قليلة تُقتطف في لحظات ولا يبقى فيها ثمر [4].

هـ. إن كان الله يسمح بهذه المذلة نزعًا كل مجد وبهاء للتأديب، فإنه يتقدم بنفسه ليكون هو نفسه مجدًا وبهاءً لمؤمنيه: " في ذلك اليوم يكون رب الجنود إكليل جمال وتاج بهاء لبقيّة شعبه، وروح القضاء للجالس للقضاء، وبأسًا للذين يردون الحرب إلى الباب" [5-6]. يصير الله هو جمالنا، وتاج بهائنا، وأيضًا عدالتنا المدافع عن المساكين والمظلومين، وقائد معركتنا يهبنا النصوة الروحية ضد قوات الظلمة.

مقابل الانهيار الذي حلّ بالساعة التي تمثل جحود الإيمان يُقدم الله نفسه بهاء مجد وواو عدالة ونصوة لبقية شعبه المخلصين إليه [5]؛ ويلاحظ

هنا الآتي:

أولاً: يقول: " في ذلك اليوم " [5] ؛ هو يوم الفداء أو الصليب الذي فيه حمل الرب علنا على الصليب ليصير هو نفسه إكليلنا، قَبْل الموت عنا ليهبنا حياته وقيامته ووه، احتمل الضعف ليهبنا بضغفه قوة النصوة.

يتحدث القديس يوحنا الذهبي الفم عن الصليب كعلامة مجد وقوة... قائلاً:

[الصليب هو مجد. أنظر ماذا يقول الإنجيلي... "الروح القدس لم يكن قد أُعطى بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجد بعد" (يو 7: 39).

الصليب هو الذي زال العدو بين الله والناس مقدمًا المصالحة،

جاعلاً الأرض سماء،

جامعاً الملائكة مع البشر،

محطماً قلعة الموت،

مضعفاً سطوة الشيطان،

مطفئاً سلطان الخطية،

منقذاً العالم من الخطأ ومستوجعاً الحق،

طرذاً الشياطين،

مهذماً معابد الأوثان ومحولاً مذابحهم ومبطلًا ذبائحهم،

زرعاً الفضيلة ومؤسساً الكنيسة!

الصليب هو رادة الآب، مجد الابن، وفوح الروح القدس. إنه موضوع فخر بولس إذ يقول: "حاشا لي أن افتخر إلاً بصليب ربنا يسوع المسيح"

(غلا 6: 14).

الصليب أكثر لمعاناً من الشمس، وأبهى ضياءً من أشعتها، فعندما اظلمت الشمس أشرق الصليب. الشمس أظلمت لا لأنها انطفأت، بل لأن ضياء

الصليب غلبها...

الصليب يكسر قيودنا، ويبطل سجن الموت.

إنه علامة حب الله (يو 3: 16)...

الصليب هو حصن حصين، وترس منيع، حامى للأغنياء، وينوع للفقراء، مدافع عن الساقطين في الشباك، ووع للذين هم في هجوم، ووسيلة

لقهر الشهوات ونوال الفضائل، وآية عجيبة مذهشة! [303].

ثانياً: ما هي بقية شعبه المختلة التي تترين رب الجنود وتترير به وتغلب؟ رى البعض أن الحديث هنا عن مملكة يهوذا التي بقيت زماناً في

حالٍ أفضل من أوام، ووى آخرون أن هذه البقية هم الذين قبلوا الإيمان بالسيد المسيح المصلوب مثل الوسل والتلاميذ والميمات ويوسف الوامي

ونيقوديموس الخ... وآخرون يرون أنها البقية التي تخلص في أيام الدجال حيث يسود العالم روح الارتداد و لكن من أجل المختلزين يقصر الله الأيام

(مت 24: 22)...

على أي الأحوال، هذه البقية تضم كل نفس تحوي إلى المخلص رب الجنود لتختفي فيه وتستريح عند قدميه وتستظل بصليبه، أيا كان الوقت!

2. كشف وفضح للخطية:

بعدما تحدث عن تأديب آوايم يبدو أنه عاد ليتحدث عن خطايا يهوذا، إذ يقول: "ولكن هؤلاء أيضاً" [7] ؛ كشفها وفضحها، مصوراً مدى انحلال يهوذا الأخلاقي:

أ. السكر: " ضلوا بالخمير وتاهو بالسكر؛ الكاهن والنبي تونحا بالمسكر، ابتلعتهما الخمر، تاهما من المسكر" [7] . إن كانت القيادات في السامرة عاصمة إسرائيل قد فسدت بالمسكر فإن القيادات الدينية في أورشليم قد استسلمت لذات الخطأ.

يقصد بالنبي هنا "الأنبياء الكذبة" الذين تتبأوا من عندياتهم ليدهاوا الكهنة المنحليين والقيادات المدنية. هؤلاء - كما جاء في سفر لرميا- كانوا يتحدثون بالناعمات أي بالكلمات الرقيقة المخادعة قائلين بأن الشعب في خير وسلام وأنه لن تحلّ بأورشليم أو بالهيكل تأديبات... وهذا ثمر طبيعي لتوك كلمة الله والارتباك بالنفع المادي والأدبي.

إن كان هذا هو حال الكاهن والنبي فماذا يكون حال الشعب؟!

ب. الضلال والظلم: " ضلاً في الرؤيا، قلقاً في القضاء" [7] . إذ تونح الكاهن والنبي الكذاب بالمسكر فقدا وعيها الروحي فقدا رؤى مضللة، لأن بصيرتهما الداخلية قد اظلمتا. ولذات السبب فقدا قوتهما على القضاء العادل، فسببنا قلقاً ورتباكاً وسط الشعب.

بمعنى آخر كل خطية تسلم الإنسان إلى خطية أخرى؛ فانشغال الكاهن والنبي بالموائد وحياة الترف سحبها إلى الانهماك في شرب الخمر ليسقطا في السكر، وهذا يفسد بصيرتهما الداخلية فيقدا رؤى مضللة، وبالتالي يفقدان قوتها على العدالة ليقضيا بالظلم...

ج. نوات كاذبة: " فإن جميع الموائد امتلأت قيناً قنراً، ليس مكان" [8].

وى النبي الموائد قد ملأت المدينة وانهمك الكل في الأكل والشرب بشوابة بلا حدود حتى صاروا يتقبأون ليعوروا فيأكلون، وكانت هذه عادة الرومان. صار الموضع كله بل المدينة كلها مملوءة قيناً وقنرة حتى لم يوجد مكان يمكن للإنسان أن يستريح فيه.

هذه الصورة الخرجية تكشف عن الحالة الروحية ليهوذا فقد تقياً الأنبياء الكذبة نوات هي من عندياتهم وملأوا الموضع بما هو غير طاهر ولا مقدس.

هذه صورة الإنسان المستهتر الذي تُفسد الشهوات كل كيانه فتمتلىء نفسه كذلك قلبه وفكره واحاسيسه وكل طاقاته ومواهبه بالرجاسات، ليصير أشبه بمدينة مملوءة فساداً، فيقول المخلص القنوس: "وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه" (مت 8: 20).

لقد افسد الإنسان الحياة فلم يجد القنوس له موضعاً أو مكاناً يستريح بيننا، ومع هذا جاء ليسند رأسه على الصليب فنجد نحن لنا مكاناً في حضن الأب.

حين تمتلىء موائدنا الداخلية قنرة يُقال للرب "ليس مكان" [8] ، عوض القول: "ليأت حبيبي إلى جنته ويأكل ثرة النفيس" (نش 4: 16).

ومع هذا فان المخلص مشتاق أن يهيبىء لنا مكاناً فيه، قائلاً لنا: "هوذا عندي مكان فتقف على الصخرة، ويكون متى اجتاز مجدي إنني أضعك في نوة من الصخرة واستوك بيدي حتى اجتاز" (خر 33: 21-22).

د. الاستواء بالنبي: صار الكهنة والأنبياء الكذبة في سكرهم يستهزئون بإشعيا النبي قائلين: " لمن يُعلم معرفة؟! ولمن يفهم تعليماً؟! للمفطومين عن اللبن؟! للمفصولين عن الثدي" [9] . كأنه يقولون إنهم أصحاب معرفة وعلم فلماذا يُريد أن يعلمهم شيئاً؟! ليذهب إلى المفطومين من اللبن ويقدم لهم نواته ووصاياه التي لا تليق إلا بسذج الذين لا تفكير لهم والوضع غير الناضجين.

" إنه أمر على أمر، أمر على أمر، فرض على فرض، فرض على فرض؛ هنا قليل هناك قليل" [10]. كأن النبي يُحدث أطفالاً صغراً، يكرر لهم

الأوامر والنواص و يُقدم لهم الصغائر... إنه أشبه بمن يمسك طفلاً يعلمه المشي يسحبه ترة يميناً وأخرى يسلاً... صورة لإستهتار الكهنة والأنبياء السكوى بإشعيا النبي وتعاليمه!

ما هي عقوبة الساحرين به وبتعاليمه ونواته؟ يقول النبي: " إنه بشفة لكانء وبلسان آخر يُكلم هذا الشعب" [11]. هم سخروا بلغة النبي أو

نواته فحسوه كمن يعلم أطفالاً حديثي الفطامة، لذلك يوسل لهم الله عوًا غريب اللسان يصوخ في وجههم ولا يفهمون كلماته فيصبرون كأطفال بلا معرفة. رفضوا التعلم من إشعياء وسخروا به فُرسل لهم الرب سادة آشوريين يعلمونهم خلال لغة العنف والاستعباد مع المذلة.

" الذين قال لهم: هذه هي الراحة (احتى) اريحوا الروح، وهذا هو السكون؛ ولكن لم يشلوا أن يسموا" [12]. لم يشلوا الاستماع لصوت الله القائل بأن راحته هي في راحتنا للروحين المتقلين بالأتعاب. لقد اهتم الكهنة والأنبياء الكذبة بالشكليات الخرجية لا براحة الله نفسه الذي يستريح في شعبه.

❖ قيل بالنبي: "هذه هي راحتي: لريحوا الروح" [12]. حقق هذه الراحة للرب أيها الإنسان عندئذ لا تحتاج إلى القول: "إغفر لي". رُح المتعبين، افتقد المرضى، إعط قوتاً للقاء، فإن هذه بالحقيقة هي صلاة... كل الوقت الذي فيه تتمون راحة الرب إنما هو وقت صلاة...
إحذر أيها الحبيب لئلا تأتيك فرصة لتقدم راحة لإرادة الله فنقول: الآن وقت للصلاة، سأصلي وبعد ذلك أعمل!

[\[304\]](#) الأب أوامات

ليسموا لصوت الرب ويتحدثوا معه لا بلغة الشكليات بل بلغة الطاعة العملية المويحة لله في ولاده. ليتعلموا ذلك كأطفال، وليتبروا عليه متجاهلين أنهم كهنة وأنبياء أصحاب معرفة وعلم حتى لا يسقطوا إلى الراء وينحدروا في فخاخ العدو كصيد أو فريسة [13] مصورها الموت المحقق.

يجيب هؤلاء المستهزئين قائلين: " قد عقدنا عهدًا مع الموت، وصنعنا ميثاقًا مع الهاوية، السوط الجرف إذا عبر لا يأتينا لأننا جعلنا الكذب ملجأنا وبالغش أستوتنا" [15]. يعلنون أنهم لا يخافون الموت ولا وهبون الهاوية فقد دخلوا معهما في عهد، يعرفون كيف يلجأون إلى الكذب فلا يسقطون تحت تأديبات أو ضيقات لأن دستورهم هو الغش.

إنهم رمز لعدو المسيح وأتباعه بكونه الطاغية الذي يُقيم عهدًا مع الشكليات في العبادة (دا 9: 27) ليعلموا بلا خوف من موت أو هلوية، أما عمل السيد المسيح فهو تحطيم هذا العهد لإقامة عهد مع الأب ومصالحة أبدية مع مؤمنيه.

3. الحاجة إلى المخلص:

إن كان عدو الخير يعمل بكل طاقاته لود المؤمنين عن الحق، يعمل بصور مختلفة في كل العصور خاصة في أيام الارتداد (ضد المسيح)، فإن الرب يتقدم بنفسه لمساندة ولاده ومؤمنيه ضد هذا العمل الشيطاني.

" لذلك هكذا يقول السيد الرب: هأنذا أوسس في صهيون حجراً، حجر امتحان، حجر زاوية كريماً أساساً مؤسساً، من آمن لا يهوب" [16].
هكذا في وسط الصورة القائمة يتتبا إشعياء النبي عن المسيا بكونه حجر الزاوية وحجر الأساس الذي تقوم عليه الكنيسة:
أ. حجر الأساس في صهيون: يقول المثل: "الحجر الذي رفضه البنؤون قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا" (مز 118: 22-23) (راجع مت 21: 42؛ أع 4: 11؛ رو 9: 33؛ أف 2: 20؛ 1 بط 2: 6، 8)، هو حجر أساس تقوم عليه الكنيسة، حجر امتحان جُرب من الشيطان لكي بنصوته يهبنا النصوة؛ حجراً كريماً لا يقدر بثمن. هو حجر الزاوية الذي ربط اليهود مع الأمم كحائطين تلاحما معاً في الإيمان [\[305\]](#) به . من آمن به لا يهوب (يقوى)... هكذا يقدم لنا إشعياء نوبة مسيانية تكشف عن شخص السيد المسيح ومركوة بالنسبة للكنيسة وغناه ومجده والثقة فيه وعدم تغره ورفضه.

❖ المخلص هو الحجر المختار، رذله هؤلاء الذين كان يجب عليهم بناء مجمع اليهود، وقد صار رأس الزاوية. يُشبهه الكتاب المقدس بحجر زاوية لأنه يجمع الشعبين معاً: إسرائيل والأمم في إيمان واحد وحب واحد (أف 2: 15).

[\[306\]](#) القديس كيرلس الكبير

❖ من هو هذا الذي نتحدث عنه؟

"الحجر الذي رذله البنؤون قد صار رأس الزاوية" (مز 118: 23)؛ "لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً، ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله" (أف2: 15-16)؛ أي الختان والغولة.

[\[307\]](#)
القديس أغسطينوس

ب. يُقام عليه مبنى روعي [17]، خيط قياسه هو الحق ومطلوه العدل. لذا يُقام المبنى مستقيماً ليس فيه اعوجاج، يسكنه الحق والعدل، إذ يسكنه الله نفسه مع مؤمنيه.

إن كانت الكنيسة هي المبنى الحيّ المقام على شخص السيد المسيح كأساس لها، فإن إنجيله هو الحق وصلبيه هو العدل الملتحق بالرحمة. بالإنجيل والصليب تُبنى كنيسة المسيح في استقامة كموضع أمان. أما من يلجأ إلى الكذب كالأنبيا الكذبة فيصير لهم الورد ملجأ لهم وتعرف السيول أعماقهم المستورة، فيذهب كل رجائهم باطلاً، ويفتقون الأمان. يزول عهدهم مع الموت والهاوية، ويجرفهم السوط كسيل يتول بهم حتى الأرض فيصيرون للندس [18]. مع كل صباح ومع كل مساء تبلغهم أخباراً جديدة مزعجة بسبب هجوم الأعداء المستمر. إنهم لا يجدون موضعاً يفهم للتمدد أثناء النوم ولا غطاء يلتحفون به من الورد.

" لأنه كما في جبل فواصيم يقوم الرب، وكما في الوطاء عند جبعون يسخط ليفعل فعله فعله غريب، وليعمل عمله عمله الغريب" [21].

"فواصيم" إسم كنعاني معناه "الانفجرات" مكان في وادي الوفانيين (2 صم 5: 20؛ 1 أى 14: 11)، وهو جبل فواصيم قرب وادي جبعون وربما كان موضعه اليوم رأس السنادر. قول إشعيا هنا: " لأنه كما في جبل فواصيم يقوم الرب " يعني أن الله يقتحم أعداءه فجأة ويحطمهم تماماً [\[308\]](#) كما فعل مع داود النبي عند جبل فواصيم عندما قال: "اقتحم الرب أعدائي أمامي كاقترام المياه" (2 صم 5: 20)؛ وأيضاً قوله: "وكما في الوطاء عند جبعون " يعني أنه يعمل كما في أيام يشوع ضد الكنعانيين في وادي جبعون (يش 10: 10).

ما هو الفعل الغريب الذي يعمل الله إلا معاقبة الخطأ، فإن الله لا يُسر بالمعاقبة إنما يصنع ذلك عن ضرورة كأمر غريب عنه، إذ يقول رميا: "فإنه ولو أحزن رُحم حسب كؤة براحمه، لأنه لا يُذل من قلبه ولا يحزن بني الإنسان" (ورا 3: 32-33)، كما قيل: "لأنه هوذا الرب يخوج من مكانه ليُعاقب إثم سكان الأرض" (إش 26: 24).

هكذا لا يجد الأثوار خاصة الذين يسخرون بكلمة الرب والنوآت والذين يرفضون الإيمان بالمسيا موضوع النوآت ومركز الكتاب كله رحمة أو ملجأ بالرغم من عدم رغبة الله في المعاقبة. يقول: " فالآن لا تكونوا متهمكين لئلا تتشدد ربكم" [22] قاصداً لا الوبط التي يُقيد بها الشعب عند سبيه إلى آشور أو بابل وإنما قيود الظلمة الأبدية التي تربط جاحدي الإيمان ورافضي النوآت، عندما تُدان الأرض كلها [22].

4. معاملات الله مع شعبه:

يشبه الله زراع لا يقف عند الحوث وتشقيق الأرض وتمهيدها للزراعة إنما يبذر البذار أيضاً. فإن كان الله يسمح بالتأديب إنما يكون كالزراع الذي يحرث الأرض ويُشققها ويُقيها من الحجلة ويمهدا وهذا هو العمل السلبي، لكنه لا يقف عند ذلك بل يُقدم عملاً إيجابياً إذ يلقي ببذار كلمته في حقل هذا العالم. يُنقذ الرب نفسه كبنوة يلقيها بنفسه في قلوبنا كي يُقيم جنته فينا. يعرف أن يبذر الشونيز *Nigella Sativa* [نبات من الفصيلة الشقوية، ذو رها خيمية شبيهة بنبات الينسون، بذو يسمى حبة الوكة، وهو لا يبرس بل يُخبط بالعصا [\[309\]](#)، والكمون والحنطة والشعير والقطني كل في مكانه وبالطريقة التي تناسبه.

أننا فلاحه الله وحقله وكومه، يهتم بنا بكونه إلها الخاص بنا والمنتسب إلينا ونحن إليه، "فيرشده بالحق يعلمه إلهه" [26]...

كوزع يعرف كيف يتصرف بكل محصول؛ بعضها يحتاج إلى راسة بالنرج وبعضها تحتاج إلى الضوب العصا لاستخراج البذار من القش، وبعضها لا يحتاج إلى راسة ولا إلى ضوب [27]، وفي هذا كله لا يطلب إبادة محاصيله وسحقها إنما جمعها [28]... أنه الله الزحوم حتى في تأديباته،

الأصحاح التاسع والعشرون

وَيْلٌ لِإِرِيئِيلَ

يضم هذا الأصحاح الويلين الثاني والثالث من الولايات الستة التي نطق بها الله على لسان إشعياء النبي: ويل لإريئيل [1-14] وويل للذين يظنون في أنفسهم أنهم أحكم من الله [15-24].

الويل لإريئيل خاص بأورشليم التي سقطت تحت التأديب حين حاصوها سنحريب الآشوري بجيشه الذي حطمه ملاك الرب، كما ينطبق على خراب أورشليم على يد الكلدانيين وأخيراً على يد الرومان. هذا وينطبق الويل على كل نفس يُريدها الله مدينته المقدسة، أورشليمه التي تضم مقدساته فاذا بها تلهو في الرجاسات وتخلط بين الحياتين المقدسة والدنسة.

انشغل اليهود بشكليات العبادة مثل الاهتمام بمذبح المحرقة (ريئيل) دون الحياة الإيمانية الداخلية المقدسة، لهذا سقطوا تحت التأديب القاسي وإن كان الله لا ينسى البقية الأمانة المخلصة له، وفي نفس الوقت ينتظر رجوع حتى جاحدي الإيمان إلى الحق.

1. الويل الثاني لإريئيل [1-8].

2. انتشار الجهل بين شعبه [9-12].

3. شكليات العبادة [13-14].

4. الويل الثالث لمن يتكل على حكمته [15-16].

5. وعود ثمينة للمؤمنين [17-24].

1. الويل الثاني لإريئيل:

" الويل لإريئيل لإريئيل قرية نزل عليها داود" [1].

كلمة "ريئيل" معناها "موقد الله الناري" أو "أسد الله" أو "الأسد القوي". وهو اسم رمزي يقصد به أورشليم، بكونها المدينة التي تضم في الهيكل مذبح المحرقة المتقد نراً (حز 43: 15-16) وبكونها عاصمة شعب الله كالأسد ملك الوحوش.

وي *Ironside* أن أورشليم كانت قديماً كأسد الله لكنها تصير أشبه بموقد ضخم للذبائح يُقدم عليه شعبها على أيدي أعدائهم الألداء ^[310].

استخدام داود الملك والنبي ريئيل عاصمة له لمدة طويلة، وبنى قصوه على جبل صهيون حيث أعلن مجد الله بعد ذلك هناك بطريقة عجيبة.

وبنى ابنه سليمان الهيكل على جبل المويّاً داخل أورشليم، فصلرت المدينة مركز العبادة الجماعية، فيها تُقدّم ذبائح للرب، وتُحسب كأسد في قوتها

الروحية. لكنها إذ انحلت عن روح العبادة الحقّة وانشغلت بالشكليات بلا روح وانغمست في الرجاسات مع إصوار على عدم التوبة حلّ بها الويل.

لقد اعتاد الشعب أن يأتي إلى أورشليم للاحتفال بثلاثة اعياد سنوية [1]، لكن الله في تأديبه يحول هذه الأعياد إلى فوح وحرز [2].

ماذا يعني بقوله "وتكون لي كإريئيل" [2]؟ ربما أراد أن يعلن إنها في حزنها تصير كموقد نار سمح الله باشعاله لتأديب شعبه المنحرف، وربما

قصد أنه وإن سمح بهزيمتها ومضايقتها لكنه يجعلها كمذبح ناري له تحرق العدو مغتصبها كذبيحة للرب ^[311].

يعبر عن مقدار الحزن الذي يحل بأورشليم عند حصلها، قائلاً: "فتتضعين وتتكلمين من الأرض وينخفض قولك من التواب ويكون صوتك

كخيال من الأرض، ويشقشق قولك من التواب" [4]. بسبب حزنها الشديد يجلس سكان أورشليم في التواب كمن هم في "جنزة" حسب التقاليد الشرقية

القديمة، ويخج صوتها كما من الأرض؛ وإذ لا يجنوا أحدًا من الأحياء يستشيرونه يلجأون إلى الموتى يطلبون مشورتهم (إش 8: 19)، وتخج الأصوات خافتة كما في روحانية، وهذا نوع من خداع الشياطين.

ومع هذا فإن الله في محبته يتدخل فجأة بزاعه الرفيعة ليخلص مدينته وشعبه من جيش سنحريب (إش 37: 33-36) فيحل غضب الله على العدو الذي يبده كالغبار الناعم وكالعصافة في مهب الريح، مصورًا هذا الخلاص كرمز لخلاصنا بالصليب وخلص الكنيسة في أواخر الدهور من المسيح الدجال:

أ. انهيار العدو بالرغم من كثرة عدده وقوته: " **ويصير جمهور أعدائك كالغبار الدقيق وجمهور العتاة كالعصافة المرة**" [5]. هؤلاء يشيرون إلى إبليس وملائكته الذين بلا عدد، يلربون البشوية بلا هوادة، لكنهم أمام الصليب يصيرون كلا شيء.

❖ لا نخاف الشيطان حتى ولو كان روحًا بغير جسد، فليس شيء أضعف منه ذلك الذي جاء ليتعامل معنا وهو غير جسدي، وليس أحد أقوى من الشجاع ولو كان يحمل جسدًا قابلاً للموت!

[\[312\]](#)
القديس يوحنا الذهبي الفم

ب. تحقيق غلبة سريعة: "ويكون ذلك في لحظة بعتة" [5]، إشارة إلى إمكانية الصليب الفائقة للغلبة على الأعداء.

❖ مع الصلاة لشم نفسك بالصليب على جبهتك وحينئذ لا تقربك الشياطين لأنك تكون متسلحًا ضدهم.

[\[313\]](#)
القديس يوحنا الذهبي الفم

ج. خلاص الرب لهذه المدينة المنكوبة وافقه علامات خاصة بالطبيعة. " **من قبل رب الجنود تفتقد وعد وزلزلة وصوت عظيم بزوبعة وعاصف ولهيب نار آكلة**" [6]. هذه العلامات تشير إلى ما حدث أثناء صلب السيد المسيح من ثورة للطبيعة ككسوف الشمس وخسوف القمر وحدث زلزلة... وأيضًا يشير إلى ما سيحدث قبيل مجيء السيد المسيح الأخير للدينونة (إش 28: 21؛ 30: 30؛ زك 14: 1-6؛ 2 تس 1: 6-8). لعل غاية هذه العلامات توبيخ الإنسان الذي أقامه الله سيدًا للطبيعة بكونه صورة الله ومثاله، فإن الطبيعة الجامدة تشهد لأعمال الله الخلاصية وتستنكر جود الإنسان وتجاهله لخالفه ومخلصه.

د. تبديد تام للأعداء، إذ يختفون كما في حلم الليل متى استيقظ الإنسان يختفي كل مارآه، بل ويصعب عليه حتى أن يتذكروه [7].

العدو الذي حاول اغتصاب شعب الله يكون كالجائع الذي يحلم أن يأكل أو كالعطشان الذي يحلم أنه يشرب ليستيقظ فيجد نفسه كما هو جائعًا وظمآنًا [8].

2. انتشار الجهل بين شعبه:

بجانب ما اتسم به الشعب من تغطية الحياة الشورية بشكليات العبادة جهلهم بكلمة الله وعدم خوتهم لقوة الوصية في حياتهم.

إن كان الروح القدس يسكر النفس فيهبها فوحًا سماويًا ينسيها مرلة الضيق والألم، فإن الجهل الروحي يسكوها بشربها كأس غضب الله، أما ثمر هذا الجهل فهو:

أ. التواني [9]، فقد تراخى الشعب واهملوا خلاص أنفسهم، وصاروا كما في حالة سبات [10]، كنائمين فاقدين الأحاسيس الروحية والمشاعر المقدسة واليقظة والنشاط والصلاة الدائمة والالتقاء مع الله في حيوية.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم [\[314\]](#): [إن الرسول بولس إذ اتهم الشعب بالسقوط في حالة سبات وعدم يقظة (رو 11: 7-8)]، التجأ إلى داود النبي وإشعيا حتى لا يحسب هذا الاتهام من عندياته.

ب. الإصابة بوع من الانبهار دون التمتع بعمل الله. فالحق كالشمس مشوق أمامهم، لكن عيونهم الضعيفة افقدتهم التمتع بنورها، فصاروا

مبهرين بها دون معاينتها.

ج. التلذذ بالحياة المتوفّة [9].

د. رفض المشورة الصالحة، فقد وُجد بينهم انبياء [10] [كعيون روحية يمكن للشعب كما للقيادات أن يعاينوا الحق ويبركوا خطة الله وراذته. تمتع الأنبياء بالرؤى لذلك دُعا بالرائين أو الناظرين [10]، لكن هذه الرؤى بقيت سؤاً مختوماً، إما لأن ما جاء في السفر كان بالنسبة لهم غامضاً أو لعجز الشعب عن وقاعته.

3. شكلية العبادة:

لعل أخطر عدو يواجه المتدينين هو الرياء أو الإهتمام بالشكليات دون جوهر الحياة المقدسة. لقد بدأ حزقيا الملك اصلاحاته لكن البعض ترك عبادة الأوثان من الخرج لا من قلبه؛ وجاعوا يقتربون إلى الله بشفاهم دون قلوبهم، يهتمون بمديح الناس لا الله، لهم صورة التقوى وينكرون قوتها. " لأن هذا الشعب اقترب إليّ بغمه واكرمني بشفتيه وأما قلبه فأبعده عني وصرت مخافتهم مني وصية الناس معلّمة" [13].

يربط العلامة أوريغانوس بين اقتراب الشعب إلى الله بشفتيه دون القلب وبين انتشار الجهل، أي ادعاء المعرفة الروحية مع عدم إيمانهم بالسيد المسيح، فيقول: [عندما تصير الكلمات النبوية ككلمات سفر مختوم، ليس فقط بالنسبة لا يعرفون الحروف وإنما بالنسبة للذين يمتنون المعرفة عندئذ يقول الرب أن شعب اليهود يقترب إلى الرب بغمه فقط ويكرمه بشفتيه لان قلوبهم مبتعد عن الرب بسبب عدم إيمانهم بيسوع [315].

وي القديس إكليمنديس الأسكنوي أن الله كشف هذا العيب لا للانتقام منهم ولا لفضحهم وإنما لكي يبركوا ضعفاتهم فوجعوا إليه طالبين خلاصهم. [هنا محبته الرعية جعلته يظهر خطاياهم كما يظهر لهم الخلاص جنباً إلى جنب [316].

من تعليقات الآباء عن تكريم الله بالفم دون القلب:

❖ [317] كثيرون لهم فهم في شفاهم لا في قلوبهم.

❖ لقد اقتربوا بالجسد لكنهم وقوا بعيداً بقلوبهم. من كان بالجسد أقرب إليه من أولئك الذين رفعوه على الصليب؟! من كانوا أكثر بعداً عنه مثل الذين جدهوا عليه؟... ذات الأشخاص الذين كانوا قريبين منه كانوا أيضاً بعيدين عنه. كانوا قريبين بشفاهم بعيدين بقلوبهم. [318]

القديس أغسطينوس

❖ نلتصق بالذين يتعهدون السلام بتقواهم لا بالذين يمتنون الرغبة في التقوى بالرياء.

❖ قيل: "بركوا بأفواههم أما قلوبهم فتلعن" (مز 63: 4). وقيل أيضاً: "أحبوه بضمهم وكذبوا عليه بلسانهم، وأما قلوبهم فلم يكن مستقيماً معه ولا ثبوتاً في عهده"، "لتبكم شفاه الكذب" (مز 78: 36-37؛ 31: 8).

[319] القديس إكليمنديس الروماني

❖ ماذا يعني هذا؟ الاتجاه الحقيقي للنفس نحو الحق هو أثن من الكلمات اللطيفة في نظر الله السامع للتهديدات التي لا يُنطق بها.

يمكن للإنسان أن يستخدم العبارات بمعنى مصاد (لما تحمله في الظاهر)، فإن اللسان مستعد لتحقيق ذلك حسب قصد المتكلم ونيته، أما اتجاه النفس فراه الله العارف بالأسوار.

[320] القديس غريغوريوس النيسي

4. الويل الثالث لمن يتكل على حكمته الذاتية:

إحدى علامات الرياء أن بعض الأثواف وضعوا في قلوبهم أن يتموارأيهم الذاتي وهو الالتجاء سواً إلى مصر ضد آشور ليخفوا هذا الأمر

ليس فقط عن الشعب بل حتى عن الله نفسه، قائلين: " من يبصونا؟! ومن يعرفنا؟! " [15]. لقد ظنوا وهم الجبل، أنهم أكثر حكمة من جابلهم!

الله جابل الإنسان - في اتضاعه - يُريد أن يحلور الإنسان الجبل التي من الطين، بينما تظن الجبل في كبريائها أنها قاوة على العلم بحكمة وفهم من وراء جابلها بعيداً عن الحوار معه.

يقول الأب موتيروس السرياني : [يا لعظم نعمة آفات الله وتنزله التي لا تعرف حدوداً! الله يقول إلى مسوى الخطاة من رجال ونساء، يتحدث الله الصالح مع العبيد الثائرين، يدعو القديس النجسين لينالوا المغفرة. تتحدث البشوية المخلوقة من الطين مع خالقها بدالة، يُحرب التراب جابله. لذلك ليتنا نظهر مهابة عندما نقف نحن الخطاة في حضرة هذا العظيم ونحدث معه ^[321]].

5. وعود ثمينة للمؤمنين:

إن كانت الخطى الخفية المخادعة والمملوءة رياء تجلب غمًا وحرناً، فعلى العكس عمل الله الخلاصي العلني يجلب سلسلة أواح موقالية، وبركات متعددة بلا حصر، منها:

أ. حالة إثمار: " أليس في مدة يسيرة يتحول لبنان بستاناً والبستان يُحسب وعوا؟! " [17]. عمل الله العلني يحول لبنان إلى بستان أو جنة، يحول قلب الإنسان الجاف والوعر إلى ملكوت المسيح الحامل لثمار الروح؛ بينما حرمان الإنسان من النعمة يُحطم حتى ثمره الطبيعية (البستان) فيصير وعواً.

ب. عطية الاستماع لصوت الله ورؤية الأسرار الإلهية: " ويسمع في ذلك اليوم الصم أحوال السفر وتنتظر من القتام والظلمة عيون العمي " [18]. السمع الروحي والبصوة الداخلية هما عطيتان من قبل الله.

ج. التمتع بالفوح السموي الداخلي المراد: " ويؤداد البائسون فوحاً بالرب ويهتف مساكين الناس بقنوس إسرائيل " [19].

د. تحطيم عدو الخير إبليس وكل أعماله، هذا الطاغية الذي يسخر بالمؤمنين [20].

هـ. إبطال العثرات وكل فخاخ ومشورات شريرة ضد أولاد الله الأوار [21].

و. زع الخوف والخزي: " ليس الآن يخجل يعقوب وليس الآن يصفارُ وجهه " [22].

ز. تقديس اسم الله: " بل عند رؤية أولاده (أولاد إواهم) عمل يدي في وسطه يُقدسون اسمي ويقديسون قنوس يعقوب، ويهيون إله إسرائيل " [23]. وكأنه يتحقق فيهم القول "ليتقدس اسمك"، إذ يتقدس اسم الله في شعبه ومؤمنيه.

ح. تغيير الطبيعة البشوية فيحملون فهمًا وعلماً لا بطريقة عقلانية بحتة وإنما كحياة جديدة مطيعة للرب بعدما سلوا زماناً في ضلالة الجهادة وحياة التمرد والعصيان [24].

هذه جميعها وعود الله التي تتمتع بها كنيسة العهد الجديد المتهلهة بفوح الرب من حمل ثمار الروح القدس بكونها جنة المسيح، وتمتعها بالاستماع للصوت الإلهي ورؤية أسرار الإلهية عوض العمى، وتحطيم إبليس وكل قوى الظلمة، وتخطي العقبات والعثرات بلا خوف ولا خزي، وأخيراً تقديس اسم الله خلال الفهم الروحي والطاعة القائمة على معرفة روحية.

«

الاتكال على فوعون

في الأصحاح السابق طالبهم الرب أن يرجعوا إليه في هوء وطمأنينة، ويتقوا في خلاصه، عوض الاتكال على الفواع البشري والحكمة الإنسانية المجردة والإمكانيات الزمنية (إش 29: 15). الآن يحفونهم من الاتكال على فوعون متجاهلين عنصر "عمل الله"، معلناً لهم أن مشورتهم البشرية تؤول إلى خزيهم فينهروا، لكنه يبقى الله منتظراً الفرصة ليعلن رحمته ووعب آشور الذي رعبهم كأنه يكشف خيانة يهوذا مع أمانة الله وحبه نحوهم.

وي بعض المفسرين أن الحديث هنا موجه إلى آوايم حيث ورد في (2 مل 17: 4) عن معاهدة تمت بين هوشع بن إيلة ملك إسرائيل (آوايم) وسوا ملك مصر مع ثورته ضد آشور ورفضه دفع الجزية له، أكثر منه وجود معاهدة بين يهوذا ومصر... لكن بقية الحديث موجه إلى يهوذا وأورشليم أنه حديث إلهي موجه ضد كل إنسان يتجاهل الله متكلاً على فواع بشرية.

1. تحذير من الاتكال على فوعون [7-1].

2. تأديبات بسبب احتقار وصية الله [17-8].

3. مواحم الله نحو شعبه التائب [26-18].

4. غضب الله على آشور [33-27].

1. تحذير من الاتكال على فوعون:

" ويل للبنين المتمردين يقول الرب حتى أنهم يجرون رأياً وليس مني، ويسكبون سكيناً وليس بروحي، ليزيبوا خطيئة على خطيئة، الذين يذهبون ليزبولوا إلى مصر ولم يسألوا فمي ليلتجئوا إلى حصن فوعون ويحتموا بظل مصر" [2-1].

يلاحظ هنا في الويل الرابع الآتي:

أ. يدعوهم أبناء متمردين، لأنهم رفضوا مشورة الله أبيهم ولم يتقوا فيه إنما حسبوا فوعون أباهم الذي ينفذهم. بنوتنا لله ليست كلاماً ولا عواطف مجردة لكنها النقاء معه واتكال عليه ودخول معه في علاقات عميقة عملية؛ هذه البوة تديننا إن لم نسلك كما يليق بها.

ب. لقد رواراًياً [1] أي تشاوروا فيما بينهم ولم يطلوا مشورة الله ولا سألوا رجاله المخلصين.

ج. "يسكبون سكيناً" أو "يغطون غطاءً وليس بروحي" [1]، بمعنى أنهم راروا أن يغطوا على مشورتهم ويخفون عني ما يفعلونه (إش 29:

15-16)، فحرموا أنفسهم من قيادة روعي القنوس.

د. " ليزيبوا خطيئة على خطيئة" [1]، هكذا كانوا ينحدرون في سلسلة من الخطايا، بدأت بالتعود على أبيهم السملوي، إذ حسبه عاجراً عن

حمايتهم، ثم تشاوروا متجاهلين مشورته، ثم حاولوا إخفاء تصرفاتهم الخ...

هـ. " الذين يذهبون ليزبولوا إلى مصر ولم يسألوا فمي" [2] ؛ فقد بعثوا رسلاً إلى فوعون للتحالف معه... تولوا إلى مصر، ولم يقبلوا الله الذي

يرفعهم إليه، قبلوا النزول عوض الصعود، أو الانحدار عوض الارتفاع نحو السمويات.

و. أولاد الله يقبلون الانحدار والنزول كما إلى محبة العالم (مصر) إنما يملسون النمو الدائم ليصنعوا كل يوم نحو الحياة السملوية، قائلين: "هلم

نصعد إلى جبل الرب" (مى 4: 2).

و. يُعتبر الحصن الفوعوني لهم خجلاً وحماية مصر ظلاً مخزياً [3]. لقد بلغ رسلم إلى صوعن وحانيس يطلبون العون والمشورة فنالوا خجلاً

وخزياً.

صوعن عاصمة مصر العليا، على الضفة الشرقية من الدلتا وعلى فرع النيل الطافي، حصنها الملوك وجعلوها عاصمة تراقب الهجمات القادمة من الشوق على مصر. في هذه المدينة تمت المفاوضات بين موسى وفُوعون (مز 78: 12، 43)، احتلها الآشوريون فيما بعد، ودعاها اليونان "تانيس"، حاليًا تُدعى "صا الحجر".

حانيس، تبعد نحو 50 ميلاً جنوب ممفيس على الضفة الغربية للنيل، وهي لا تزال معروفة بأهناس، أي أهناسيا، وكانت معروفة في العصر اليوناني الروماني بهواكليوبوليس العظمى [322].

يشبه النبي الوسل القادمين من يهوذا إلى مصر ببهيموث *Behemoth* (بهائم الجنوب: [6])، يقصد نوعاً من التماسيح المصرية *hippopotamus*. جاوا يطلبون النجدة من بلد مملوءة شدائدًا وضيقات غير قاورة على إنقاذ نفسها، مملوءة بالأسود والأفاعي والثعابين السامة الطيلة، جاوا يحملون خواتهم على الحمير والجمال كهدايا لُوعون ورجاله العاجزين عن حمايتهم. جاوا للأمان في منطقة متاعب ومخاطر قاتلة. يدعو مصر باسم شعوي رمزي "رهب الجلوس" [7]؛ يُقصد وهب "الرحب" أو "المتسع" أو "العظيم" أو "المتكبر"، فقد تكوت مصر وتعرفت مقدمة وعودًا جميلة لكن غير واقعية، وعود أن تقوم لتعين مملكة يهوذا وتسندها "جلست" تراقب يهوذا وهي تُسبى إلى بابل. هكذا يُحذر إشعياء النبي مملكة يهوذا التي أُصيبت بالغباء والعمى حيث لجأت إلى مصر المتكورة تطلب حمايتها.

2. تأديبات بسبب احتقار وصية الرب:

طلب الله من إشعياء النبي أن يكتب تحذيرًا لشعب يهوذا على لوح كبير واه الكل في مكان عام، وأيضًا أن يُسجل ذلك في كتاب ليبقى أبدًا [8]. ربما كتب على اللوح "رهب الجلوس" ليحذوهم من الاتكال على فُوعون (مصر) الجالس متوجًا، أما في السفر فُكتب عن خطايا يهوذا والنوبات والروى التي وهبه الله إياها.

أما خطية يهوذا الرئيسية فهي أنهم شعب متمرد يرفض شريعة الرب ويتقبل كلمات الأنبياء الكاذبة. كانت الشريعة بالنسبة لهم مؤنة وقاسية، لأنها تفصح خطاياهم وتطالبهم بالطريق الإلهي الضيق لذلك قالوا للأنبياء الرائين ألا يروا ولا ينظروا المسيقيات إنما طلبوا كلمات الأنبياء الكذبة المخادعة التي دعاها هنا "الناعمات" "المخادعات" [10] التي تهب طمأنينة مؤقتة للنفس خلال تجاهل الخطية وتهتئة الضمائر. بهذا رفضوا اعراض الأنبياء طريقتهم، وطلبوا عزل قنوس إسرائيل من أمامهم [11].

أما ثمار العصيان ورفض الأنبياء الحقيقيين وقنوس إسرائيل فهي إنهم صاروا كحائط مرتفع يتصدع ويسقط ويتهشم في لحظة [13]، كما يشبهون إناءً خزفيًا يسقط لئسحق تمامًا بلا شفقة فلا يبقى فيه جزء يصلح لكي يستخدم لسحب نار من موقد أو غرف ماء من جب... هكذا لا يصلح في شيء قط سوى أن يُجمع لئلقى في مزبلة...

يصور النبي هلاك مملكة يهوذا بسبب رفضهم مشورة الرب القائل: " بالوجوع والسكون تخلصون، بالهوء والطمأنينة قوتكم" [15]؛ أي أن سر خلاصكم يكون في توبتكم ورجوعكم إلى الله مع السكون والهوء بثقة؛ هذه هي القوة الحقيقية. لكنهم رفضوا التوبة مع الإيمان بالله إذ قالوا: "لا بل على الخيل نهوب... لذلك يسوع طرؤكم" [16]، أي اتركوا على الإمكانات البشرية، خاصة على خيول مصر ومركباتها، وظنوا أنها قاورة على إنقاذهم سريعًا فإذا بالعدو يطردهم بسوعة أعظم ويلحق بهم. بل ما هو أمر أنهم يهوبون أمام لا شيء، فجندي واحد من الأعداء وعب ألقا من رجال بني يهوذا، وخمسة جنود وعب جيش يهوذا كله، يتكون أسلحتهم ويهوبون في مذلة ليصيروا أشبه بشجرة واحدة أو سلية على جبل أو كراية أو علامة على تل؛ يصيرون عوة لكل الأجيال.

عندما رجع حزقيا الملك إلى الله (2 مل 30) واتجه نحو الحائط وهو على سوير الموت رفع ذهنه إلى السموات وغلب الموت منتصواً.

3. مراحم الله نحو شعبه التائب:

" ولذا ينتظر الرب ليؤأف عليكم، ولذلك يقوم لرحمكم لأن الرب إله حق؛ طوبى لجميع منتظريه" [8].

يتوقع إشعيا النبي منهم أن يرجعوا إلى الله ويتركوا اتكالمهم على الزواج البشري منتظرين الرب كمخلص لهم، لكن العجيب أنه ليس إشعيا الذي ينتظر هذا وإنما الرب نفسه المبادر بالحب هو منتظر عودتهم، مشتاق إليهم كي يزأف عليهم ورحمهم بكونه إله حق محب لخليقته. في حبه ينتظر أن يسكب فيض نعمته على ابنه الضال الراجع إليه (لو 15).

انتظار الرب أيضاً يعني خطته المقبلة نحو خلاص الكثرين، والتي تركز في النقاط التالية:

أ. سكنى شعبه في أورشليم: " لأن الشعب في صهيون يسكن في أورشليم" [19]؛ أي يدخل بهم إلى كنيسة العهد الجديد حيث سلام الله الذي يفوق كل عقل ("أورشليم" معناها "موضع السلام").

أورشليم أيضاً تُشير إلى السماء، وأورشليم العليا أمنا (غل 4: 26)، وكأن خلاصنا يكمن في سحب الله شعبه إلى الحياة السماوية.

ب. انزاع الحزن والبكاء: "لا تبيكي بكاءً" [19] ، يكون الكنيسة صورة للسماء التي ليس فيها حزن ولا ألم... (رؤ 21: 4). هنا لا يقصد البكاء الخارجي إنما فقدان الوح الداخلي... فالكنيسة تشرك عريسها آلامه التي لا تنفصل عن بهجة قيامته. بمعنى آخر الكنيسة هي ملكوت المسيح الذي يحمل سمة الصليب غير المنفصل عن القيامة.

يليق بنا أن نميز هنا بين الحزن حسب مشيئة الله وبين القنوط أو فقدان التغذية

والسلام. الحزن حسب مشيئة الله فضيلة روحية وأفقها تغريات الله وسلامه الفائق للعقل أما القنوط فوذيلة تكشف عن حالة يأس وعدم رجاء، تحطم حياة الإنسان ورأدته. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [إنها لا تُهاجم الجسد فحسب وإنما أيضاً النفس ذاتها... إنها قاتلة على النوام تستترف قوة النفس].^[323] لقد شجع الشماسة أوليمبياس أن تتغلب على القنوط بكونه طاغية مهبط للهم.^[324]

ج. استجابة سريعة للصوات: " يزأف عليك عند صوت صراخك، حينما يسمع يستجيب لك" [19] ؛ هو يسمح بالضيق والشدة لكنه يسمع الصوات فيعطي خزاً وماءً ولا يترك الإنسان في عز [20].

د. إن كان الرب نفسه يصير معلماً (يو 2: 23) (وروحه القدس قائداً ومغزياً للكنيسة فإن إحدى بركات الرب أنه يهب روح التعليم الصادق والإرشاد ومغزياً للكنيسة فإن إحدى بركات الرب أنه يهب روح التعليم الصادق والإرشاد الروحي المستقيم بلا انحراف؛ "لا يختبئ معلمك بعد بل تكون عينك تريان معلمك، وأذنك تسمعان كلمة خلفك قائلة: هذه هي الطريق اسلكوا فيها حينما تميلون إلى اليمين وحينما تميلون إلى اليسار" [21]. التعليم والمعرفة هما عطية من الله نفسه، الذي يُقدس الأذن لتسمع كلماته وتستجيب لها، ويُقدس الفكر والقلب والاحاسيس ليصير الإنسان بكليته متجاوباً مع رادة الله المعلنة خلال كلمته.

بهذا الروح عاشت الكنيسة الأولى تؤمن أن الله وحده قادر أن يرسل الفعلة لحصاده واهباً إياهم نعمته للنطق بكلمة الحق باستقامة وواهباً السامعين نعمة للتجاوب معها وإواكها.

هذا أيضاً ما دفع آباء الكنيسة على المناورة في الصوات وخلال الحياة المقدسة من أجل التمتع بعطية المعرفة الإلهية.

❖ لنحث الله كي يهبنا، كما أن الكلمة تنمو فينا، هكذا نقبل غنى اتساع الفكر في المسيح يسوع وهكذا نصير قاندين على سماع الكلمات القدسية المقدسة.^[325]

❖ كثيرون طلبوا أن يفسروا الكتب الإلهية... لكن لم ينجح الكل في ذلك. فأنة ناوراً ما يوجد ذلك الذي له هذه النعمة من قبل الله.^[326]

العلامة أوريجانوس

ربما يقصد بالمعلمين المختفين في الكنيسة جماعة الأنبياء، فبمجيء السيد المسيح المعلم الفريد يُبهر النوات وتتكشف أسرار العهد القديم الذي

يُشير إلى الخلاص، ويعلن عن شخص المسيا وأعماله الخلاصية ودوره الإلهي في حياة الكنيسة.

هـ. رفض العبادات الوثنية بكل ترفها: " وتنجسون صفائح تماثيل فضتكم المنحوتة وغشاء تمثال ذهبكم المسبوك تطرحها مثل فرصة حائض؛

تقول لها أخرجي" [22].

إذ كانت أغلب التماثيل من الخشب أو الخزف المغشى بالفضة أو الذهب فإن عمل الخلاص هو فضح الداخل، إذ ينال الإنسان بروح الله قوة ليقول لها "أخرجي"؛ فتخرج من الغلاف الخرجي الذي يخفي حقيقتها أنها تمثل فرصة الحائض النجسة، كما تخرج من قلب المؤمن الذي يستقبل رب المجد يسوع بكونه مقدسًا له.

مسيحنا يحمل من الخرج آلامًا فيبدو "لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه" (إش 53: 2) لكنه يهبنا أمجاده الداخلية غير المركبة. أما محبة العالم فتعطي إغواءات خلجية وداخلها نتانة وفساد.

و. نعمة المطر: " ثم يُعطي مطر زرعك الذي تزرع الأرض به وخبز غلة الأرض فيكون دسماً وسميماً وتوعى ماشيتك في ذلك اليوم في موعى واسع" [23].

كان عصر المسيا في ذهن الأنبياء هو "عصر المطر" أو "عصر المياه العذبة". نذكر على سبيل المثال أن هذا العصر وُصف بأن الله يقدم فيه المطر في حينه (حز 34: 26)، وأن المطر بيوي الأرض فتأتي بوفرة الغلال والزراعة ليأكل الإنسان وتجد البهائم موعى دسماً [23] الخ...، فلا يوجد هوع أو عطش (إش 31: 9، إش 49: 10). تفيض مياه حية من الهيكل وتأتي بثمار عجيبة وتنمو اشجار كثوة جداً (حز 47: 1-12)؛ يخرج ينوع مفوح لبيت داود يقطع أصنام الأرض ويزيل الروح النجس (ك 13: 1-2). تفيض ينابيع يهوذا ماءً ويخرج من بيت الرب ينوع يهب حياة (يو 3: 18؛ زك 14: 8)، يوح مدينة الله مقدس مساكن العلى (مز 46: 4).

في اختصار ترتبط العصر الميسانى بالمياه المقدسة، التي تعطي رتواءً، وتحول القفر أرضاً خصبة، تروي المؤمنين كأشجار فردوس الله، توع النجاسات وتظهر الأرض من عبادة الأصنام، وتقدم حياة وتقديساً... هذه المياه المقدسة هي المعمودية وعطية الروح القدس.

❖ لقد انجبت المياه الأولى حياة، لا يتعجب أحد إن كانت المياه في المعمودية أيضاً تقدر أن تهب حياة.

[\[327\]](#)
العلامة ترتليان

❖ إنكم خلج الفردوس أيها الموعوظون؛ إنكم تشركون آدم آباكم الأول في نفيه، والآن يفتح الباب (المعمودية كحياة فردوسية) وتعودون من حيث خرجتم.

[\[328\]](#)
القديس غريغوريوس النزيوي

هكذا تروى النفوس في العصر الميسانى كما تشبع الأجساد لا خلال الملذات الزمنية وإنما خلال تقديسها بالرب فيكون لها كل شيء صالحاً ومبركاً وطيهاً. " والأبقار والحمير (إشارة إلى الجسد) التي تعمل للأرض تأكل علفاً مملحاً مؤري بالمنسف والمؤاة" [24].

كانت العادة أن يتوك للحيوانات التي تعمل للأرض علفاً هو خليط من التبن مع بواقي قليلة من الحبوب، لكنه في العصر الميسانى إذ تفيض الخوات يُقدم للجسد طعاماً مملحاً ومؤوي، أي يُنوع عنه التبن والأتربة الخ... علامة إهتمامنا بالجسد كعنصر صالح مقدس لحساب ملكوت الله.

بمجيء كلمة الله متجسداً تقدست نظرتنا للجسد، لذلك حرم الرسول يوحنا منكوي أن يسوع جاء في الجسد (1 يو 4: 2؛ 2 يو 7)؛ وقاومت الكنيسة الأولى الفكر الغنوسي القائل بأن الجسد عنصر ظلمة يجب تحطمه.

❖ ليس الجسد هو مصدر الشر إنما حرية الاختيار (الإرادة الحرة) [\[329\]](#).

❖ [\[330\]](#) الجسد هو مسكن النفس.

❖ [\[331\]](#) الجسد هو أداة الروح... العامل في صحة النفس.

❖ [\[332\]](#) صار الكلمة جسداً لكي يُغير جسدنا إلى روح... ولكي يُقدس الجسد كله معه، إذ فيه تقدستي البكور.

القديس غريغوريوس النيصي

" ويكون على كل جبل عالٍ وعلى كل أكمة مرتفعة سواقٍ ومجلي مياه في يوم المقتلة العظيمة حينما تسقط الأواج" [25]. كأنه حتى الجبال العالية والتلال تجد مياهها كافية، ربما يُشير ذلك إلى نعمة الله الغنية التي تفيض ليس فقط على البسطاء والعامّة وإنما تجتذب ملوك ورؤساء وقادة وأثراف للإيمان، في اليوم الذي فيه يُقتل جاحدو الإيمان روحياً هؤلاء الذين سقطوا كأواج. كان يليق بالقيادات اليهودية أن تكون أواجاً للعالم ترى مملكة المسيح وتكفر بها لكنها صلت مقاومة للحق فانهلت، الأمر الذي أحرز الرسول بولس.

ز. استنارة عظيمة: " ويكون نور القمر كنور الشمس، ونور الشمس يكون سبعة أضعاف كنور سبعة أيام في يوم يُجبر الرب كسر شعبه ويشفي رضى ضربه" [26].

إذ يشفي الرب جراحات النفس والجسد مقدساً الإنسان بكلّيته، بجميع طاقاته من غوايز وأحاسيس وعواطف وفكر الخ... يحمل صورة خالقه "النور الحقيقي" فيصير نوراً للعالم، نوراً كاملاً في الرب (سبعة أضعاف علامة الكمال) فيسمع صوت العريس السموي: "كُلّك جميل يا حبيبتي وليس فيك عيبة" (نش 4: 7).

4. غضب الله على آشور:

وى أغلب الدارسين أن ما ورد هنا هو وصف للخراب الذي حلّ بجيش سنحريب، وإن كانت آشور بجيشها وقائدها تمثل قوى الظلمة الحاملة العدوة ضد الله بقيادة إبليس نفسه الذي يطلب أن يقتحم كنيسة الرب، أورشليمنا الداخلية، ليترعب في هيكل قلوبنا المقدس.

أ. " هوذا اسم الرب يأتي من بعيد غضبه مشتعل والحريق عظيم، شفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كمنار آكلة، ونفخته كمنهر غامر يبلغ إلى الرقبة" [27]. "يأتي من بعيد" لأنه أطال أناته على آشور لعله يتراجع عن كوياء قلبه، وانتظر طويلاً إذ لا يطلب المعاقبة بل رجوع الكل إليه، ولا زال يأتي اسمه من بعيد مطيلاً أناته على الأثوار لعلهم يتوبوا. وكما يقول الرسول بولس: "أم تستهين بغنى لطفه وإماله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة" (رو 5: 4).

"اسم الله" حال في حياة الكنيسة، مُعلن في قلب المؤمن، قريب إليه أقرب من نفسه، أما بالنسبة للأشوار فيبدو له بعيداً جداً، بل وأحياناً يظنه غير موجود. هذا الإسم هو روج حصين للمؤمنين (مز 18: 50) وغضب مشتعل وحريق عظيم للمقومين.

شفتا الرب تقطران دسماً لأولاده ومملوءتان سخطاً لجاحديه!

لسانه يدعو الكل لخواته السماوية ويكون كمنار آكلة للعصاة.

نفخته تهب غواء وسلاماً فائقاً للكنيسة، إذ نفخ الرب في وجه تلاميذه ووهبهم روحه القدس يعمل فيهم لغوان الخطايا (يو 20: 22)؛ أما لرافضي الإيمان فتكون نفخته كمنهر غامر يبلغ بهم إلى الرقبة.

يُشبه الأمم بالحصاد الفلغ الذي كله قش بلا حنطة أو بخيول جامحة لا تضبطها اللجم، إذ يقول: " لغربلة الأمم بغربال سوء *the sieve of nothingness*" [28] ، فأنهم يغربلون ولا يأتي الغربال بشيء. " وعلى فكوك الشعوب رسن (لجام) مضل" [28] . توضع اللجم في أفواههم لكنهم لا يسبرون في طريق الحق.

ب. " تكون لكم أغنية كليلة تقديس عيد وفوح قلب كالسائر بالناي ليأتي إلى جبل الرب إلى صخر إسرائيل. ويُسمع الرب جلال صوته ويؤى

نزول نواحه يهيجان غضب ولهب نار آكلة نوء وسيل وحجلة برّد" [29-30].

تحول خراب العدو إلى فوح للشعب كما في ليلة فصحية... لعل ما يشغل المؤمنين ليس هلاك العدو - حتى إبليس نفسه وملائكته - إنما انزاع العوائق فيأتون إلى جبل الرب، إلى السماء عينها متهللين. غابتنا لا الشماتة في عدو الخير وإنما تمتعنا بجلال الرب وسماعنا صوته.

ج. روى إشعياء في عودة الشعب من السبي إلى أورشليم أشبه بموكب عسكري يدخل بلده بموسيقى عسكرية تعلن عن النصرة؛ "ويكون كل مرور عصا القضاء التي يتولها الرب عليه بالدخول والعيان وبحروب ثائرة يحربه" [32].

د. يُقدم صورة نهائية عن مدى خراب آشور؛ إذ يصور مكان النار "تفته *Tophet*"، الموضع الذي كانت البقايا تُحرق فيه خراج أورشليم، قد أعد ليسع الملك "الإله مؤخ" فيحترق بغضب الرب [33].

<<

الأصحاح الحادي والثلاثون

الاعتكال على الفراع البشري

لما كان الاعتكال على الفراع البشري أمرًا خطوًا يُحطم الإيمان في حياة البشوية عبر الأجيال فلا نعجب. إن عاجله إشعياء النبي مرًا من زوايا مختلفة. هنا يوضح النبي خطورة النزول إلى مصر لطلب حماية فوعون عوض لرتفاع القلب إلى الله القدوس كحصن حقيقي ومعين لشعبه.

- 1 . الالتجاء إلى فوعون [3-1].
- 2 . الله حامي أولاده [5-4].
- 3 . دعوة للرجوع إلى الله [9-6].

1 . الالتجاء إلى فوعون:

يقدم لنا إشعياء النبي فوًا روحياً رائعاً، فإن موضوع الالتجاء إلى فوعون ليس مجرد خطة سياسية عسكرية لكنها موضوع لاهوتي يمس حياة الإنسان ومصوه الأبدى. من يتكى على البشر مهما كثر عددهم أو إمكانياتهم أو قوتهم [1] إنما يلتصق بأناس جسدانيين مائتين فيصير مثلهم مائتاً، أما من يلتصق بالمخلص قدوس إسرائيل غير المتغير الأبدى فيحمل معه الخلود. اتكالنا على البشر يوحدنا معهم فنهلك، واتكالنا على الله يربطنا به فنشركه أمجاده الأبدية. هذا ما عناه عندما حفرهم قائلًا: " وأما المصريون فهم أناس لا آلهة، وخيلهم جسد لا روح، والرب يمد يده فيعثر المغين ويسقط المعان ويفنيان كلاهما معًا" [3].

لنتكى إذن على الخالق الأبدى لا الخليقة الضعيفة العائرة حتى على إعانة نفسها.

❖ "لا تتكفوا على الرؤساء" (مز 146: 4)...

الآن خلال فوع من ضعف النفس البشرية عندما يقع الإنسان في ضيقة يبأس من جهة الله، مختلًا أن يتكى على إنسان.

ليقل لإنسان ساقط في ضيقة: "يوجد إنسان عظيم يُحرك"، للحال بيتسم وبيتهج وتوقع معنوياته، أما إن قيل له "الله يُحرك" فيسقط في حالة

إحباط وبيأس!

أنك تروح عندما تتال عونًا من مائت، فكيف تحزن عندما تتال العون من الخالق!؟

المسيح واهب السلام

يعتبر هذا الأصحاح ختامًا جميلًا للحديث عن الصواع الذي قام بين أورشليم وآشور، فبعدما كرر التحذير من الالتجاء إلى فوعن والاتكال على الفواع البشري، يُقدم لنا السيد المسيح كملك روعي يهب السلام والعدل.

1 . بركات مملكة المسيح [8-1].

2 . اضطراب خراج المسيح [9-14].

3 . الروح القدس والسلام [15-20].

1 . بركات مملكة المسيح:

الحديث هنا خاص بمملكة مزدهرة، وى بعض الدرسين أنها مملكة حزقيا التي بدأت بالاصلاح الروحي والاجتماعي وإن كان كثيرون لم يصلحوا إلا الشكل الخرجي؛ ويرون آخرون أن الحديث هنا عن السيد المسيح لأن البركات المذكورة هنا لم تتحقق في أيام حزقيا؛ غير أن فويقًا ثالث وى أنه حديث عن الملك حزقيا أو غوه من الملوك كظل للسيد المسيح. ماذا يُقدم لنا المسيح الملك؟

أ. دستور العدل والحق: " **هوذا العدل يملك ملك، ورؤساء بالحق يؤأسون** " [1] . إن كان الرب قد ملك على خشبة أي خلال الصليب، وقد دفع ثمن خطايانا تحقيقًا للعدالة، فإنه يقيم تلاميذه ومؤمنيه كرؤساء نمرس سلطاننا الروحي لا على الآخرين وإنما على نفوسنا وأحاسيسنا ومشاعرنا وطاقاتنا لا بكتبها أو تحطيمها وإنما "بالحق"، أي بتقديسها بالمسيح الحق.

ب. عوض المتاعب والضيقات يصير هذا الملك "كمخبأ من الريح"، يحمي المؤمنين من رياح التجرب والضعطات المؤة؛ " **وسترة من السيل** " أي كمظلة أو غطاء تحميهم من المياه الجرفة، " **وكسواقي (أنهار) ماء في مكان يابس** "، أي يروى النفوس العطشى في البرية القاحلة، " **كظل صخرة عظيمة في أرض معيبة** " يختفون في المسيح الصخرة فلا يصيبهم ضررًا.

هكذا يُقدم أربعة تشبيهات لعمل السيد المسيح في حياة مؤمنيه: مخبأ، غطاء، أنهار مياه، صخرة عظيمة.

خلال هذه التشبيهات وانا النبي أشبه بإنسان مسافر يجد في السيد المسيح كل احتياجاته، متى هبت عليه العواصف العنيفة وجد فيه الملجأ الأمين، وإن لحقته سيول جرفة يجده غطاءً واقبًا، وإن عانى من الظمأ يصير له الرب أنهار مياه حية، وإن هاج العالم كله يستظل فيه كصخرة صلدة قاورة أن تخفيه وتحميه حتى من الموت.

بمعنى الله المخلص يُقدم ذاته كل شيء لمؤمنيه حتى لا يعوزهم شيئًا. لقد قدم ذاته خلال أسماء كثرة لكي نترك أنه سر شعبنا الحقيقي، وكما

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم:

لماذا دُعي الطويق؟ لكي نفهم أننا بواسطته نلتقي بالآب

لماذا دُعي الصخرة؟ لكي نفهم أنه حافظ الإيمان ومثبتته.

لماذا دُعي الينوع؟ لكي نفهم أنه مصدر كل شيء.

لماذا دُعي الأصل؟ لكي نفهم أن فيه قوة النمو.

لماذا دُعي الراعي؟ لأنه وعانا.

لماذا دُعي الحمل؟ لأنه قُدم فدية عنا و صار تقدمة.
لماذا دُعي الحياة؟ لأنه أقامنا ونحن أموات.
لماذا دُعي النور؟ لأنه أنقذنا من الظلمة.
لماذا دُعي الفراع؟ لأنه مع الآب جوهر واحد.
لماذا دُعي الكلمة؟ لأنه مولود من الآب، فكما أن كلمتي هي مولودة مني، هكذا أيضاً الابن مولود من الآب.
لماذا دُعي ثوبنا؟ لأنني التحفت به عندما اعتمدت.
لماذا دُعي المائدة؟ لأنني اغتذي عليه عندما اشترك في الأسوار.
لماذا دُعي الموقل؟ لأنني أقطن فيه.
لماذا دُعي العريس؟ لأنه قبلني كعروس له.
لماذا دُعي بلا دنس؟ لأنه أخذني كعواء.
لماذا دُعي السيد؟ لأنني عبد له.
إن سمعت هذه الأمور رُجو إلاً تفهمها بمعنى مادي، بل حلق بفكوك عاليًا،
لأنها لا تؤخذ بمعنى جسدي [335].

❖ طوبى للذي نسى حديث العالم بحديثه معك، لأن منك تكتمل كل حاجاته. أنت هو أكله وشربه! أنت هو بيته ومسكن راحته، إليك يدخل في كل وقت ليستتر! أنت هو شمس ونهله، بنورك رى الخفيات. أنت هو الآب والده! أنت أعطيته روح ابنك في قلبه!

[\[336\]](#) الشيخ الروحاني

ج. يُقدم السيد المسيح لمؤمنيه البصوة الروحية لئلا الأمور غير المنظورة ولا تظلم عيناه الداخليتين: "لا تحسر (تعتم) عيون الناظرين" [3].
كما يهبنا القوة على الاستماع لوصيته والإنصات إلى كلماته بؤح: "وآذان السامعين تصغي" [3]. يُقدم حكمة مع فهم وعلم: "وقلوب المتسوعين تفهم علمًا" [4]. يهب اللسان الكلام اللائق الفعال: "وألسنة العيين (المتلعثمين) تُبادر إلى التكلم فصيحًا". وأخوًا يعطينا نعمة التمييز فلا نحسب اللئيم كريماً ولا الماكر نبيلًا [5].

في اختصار يهب: البصوة الداخلية، الاستماع مع الطاعة، الحكمة مع فهم وعلم، القوة على الكلام البناء، نعمة التمييز. هذا كله يتحقق بالمخلص الذي ينزع الخطية المسيبة للعمى والعصيان والغلو والعجز عن النطق بالحق وعدم التمييز.
❖ إلهي... أنت نوري! افتح عيني فتُعابنا بهاءك الإلهي، لأستطيع أن أسير في طريقي بغير تعثر في فخاخ العدو...
أنت هو النور لأولاد النور! نهلك لا يعرف الغروب! نهلك يُضيئ لأولئك حتى لا يتعثروا!
أما الذين هم خلج عنك، فإنهم يسلكون في الظلام ويعيشون فيه!...

نعم خلج ضياتك تهوب الحقيقة مني، ويقترّب الخطأ إليّ، يملأني إلهو، وتهوب الحقيقة مني! أصير في لرتباك بدلاً من التمييز، يصير لي الجهل عوض المعرفة، العمى عوض التبصر، لا يعود لي طريق موصل إلى الحياة...

[\[337\]](#) القديس أغسطينوس

د. يميز الله بين اللئيم والكريم، إذ هو فاحص القلوب، ومترك للخفيات [6-8].

2 . اضطراب خلج المسيح:

1. ويل للمغرب:

" ويل لك أيها المَغربِ وأنت لم تُغرب، وأيها الناهب ولم ينهبوك، حين تنتهي من التخريب تغرب وحين تنتهي من النهب ينهبوك" [1].
 الويل هنا موجه ضد آشور وأيضًا ضد بابل كما ضد كل عدو متشامخ على الله وعلى شعبه ^[342]. إن كانت خطته للتخريب والنهب تتحقق بلا عائق، دون أن يمسه أذى، لكن هذا العمل يسقط تحت الويل.
 يستخدم الله هذا المغرب كعصا تأديب لشعبه إلى حين ليعود فيدينه؛ يؤكد أنه يُحقق ما في قلبه من رغبة في التدمير، لكن كما فعل يُفعل به، فيحل به الخراب ويُنهب في الوقت المناسب.

هنا يليق بنا أن نترك أن كل يد تمتد للتخريب إنما يحل عملها على رأسها، وتشوب من ذات الكأس الذي تملأه للغير. أما شوها فيتحول للخير بالنسبة لأولاد الله، حتى الشيطان نفسه لا يقدر أن يُحطمهم، إنما تصير مقاومته لهم علة نصرتهم وإكليلهم. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [يتوكى الصالحون بالأكثر عندما يكونون في وسط أولئك الذين يريدون أن يصدوهم عن حياة البر، ويجذبونهم نحو الشر، وبالرغم من هذا يتمسكون بالفضيلة. يقول (الرسول) "لأنه لا بد أن يكون بينكم بدع أيضًا، ليكون المزكون ظاهرين بينكم" (1 كو 11: 19)]. لهذا ترك الله الأثوار في العالم حتى يزداد بهاء الصالحين. هل رأيتم عظم الربح؟ لكن هذا الربح مصوره شجاعة الصالحين لا الأثوار... لنطبق هذا الوهان أيضًا على الشيطان، فإن الله تركه هنا لكي نعود إلى حال أقوى، لكي يجعل المصلوع واضحا والزاع عظيمًا. فعندما يسألك أحد: لماذا ترك الله الشيطان هنا؟ أجبه بهذه الكلمات: أنه ليس فقط لا يؤذى الشيطان إنسانًا يقظًا وحوارًا، بل ويفيد أيضًا، لا بقصد الشيطان (الثوير) وإنما بسبب شجاعة ذلك الذي يستغل شر الشيطان حسنًا... لنكن نيتك حسنة، فلن يؤذيك أحد قط بل تتال ربحًا عظيمًا، لا من الصالحين فقط بل ومن الأثوار أيضًا ^[343].

هذا وقد أترك المسيحيون إن الشيطان قد انهار تمامًا بعد الصليب فناله الخرب بعدما كان مخربًا للنفس.

2. الالتجاء إلى الله:

إذ وى النبي الخراب الذي يحلّ بشعب الله المستحق التأديب، ونهب الأعداء لهم يرفع صلاة من أجل البقية المقدسة معلنا باسمهم انتظرهم الرب، جاء فيها:

أ. طلب مراحم الله وخلصه: " يلب وءاف علينا، إياك انتظرنا كن عضدهم في الغوات، خلاصنا أيضًا في وقت الشدة" [2].

باسم الشعب النقي رفع النبي صلاة من أجل القيادات العسكرية التي صلت في شدة وضيق بسبب سنحليب وجيشه. " كن عضدهم في الغوات "؛ التوجمة الحرفية "كن فراعهم كل صباح"، وهو تعبير رائع يكشف عن نور الله الخلاصي في حياة الناس. إنه لا يتجاهل أروعهم، وإن كانت كلا شيء وعاجزة تمامًا عن العمل؛ لكنه يعمل بها كأنها فراعهم هو، يأخذها كما لنفسه ويقدها بروحه القنوس ويعضدها بقوة سماوية ليخلص. هو العامل في حياة مؤمنيه لكن دون تجاهلهم أو تحطيم طاقتهم بل خلال تقديسهم.

❖ ^[344] الله يريد أن يظهر العبد وكأنه قد ساهم في شيء حتى لا يسقط في الخجل.

❖ النعمة دائمًا مستعدة! إنها تطلب الذين يقبلونها بكل ترحيب. هكذا إذ وى سيدنا نفسًا ساهرة وملتهبة حبًا، يسكب عليها غناه بفيض وجزارة تفوق كل طلبته. ^[345]

❖ ^[346] يطلب الله منا علة صغوة لكي يقوم هو بكل عمل.

القديس يوحنا الذهبي الفم

هذا العُضد الإلهي هو عمل يومي مستمر في حياة الكنيسة كما في حياة كل عضو، "لأن موحمة لا تزول، هي جديدة في كل صباح" (روا 3: 22-23).

ب. طلب التدخل الإلهي، فإنه يكفي أن يتكلم الله فلا يحتمل الآشوريون أو غوهم الصوت الإلهي فيهبوا. " صوت ضجيج (زئير) هربت الشعوب، من ارتفاعك تبددت الأمم" [3]. مجرد النطق بكلمة إلهية يوتعب الأشرار ويهبون؛ مجرد ظهور الله في المعركة بدد الأمم المعادية.

ما أخرجنا أن تُعلن كلمة الله في القلب فيهرب الشر وتتبدد قوات الظلمة، وأن يتجلى المصلوب داخلنا فتتهرب الخطايا وكل الأرواح الشريرة، ليملك الرب وحده في أعماقنا.

أمام ظهور الرب في الساحة ونطقه بكلمة صار العواة أشبه باليسوع (برقات الواشة) والحواد، يهبون في خزي وعار ويقوم شعب الله بجمعهم [4]. ربما عنى باليسوع الموتى والجرحي من الجيش الآشوري يجمعهم الشعب حتى لا يسبوا وباءً، وبالحواد الهلبيين فيركضون وراءهم لاصطيادهم بلا حاجة إلى أسلحة. إنه خزي وعار للعدو الذي خرب ونهب في قسوة وتجبر!

ج. تقديس المدينة لتصير مدينة الله البرة أو مدينة البر، يسكنها الله نفسه بكونه "حقاً وعدلاً" [5]. تمتلئ سلاماً وأماناً وخلصاً مع الحكمة ومعرفه. كزها الحقيقي هو "مخافة الرب" [6]. هذا الخوف النابع عن الحب، خوف جرح مشاعر الأب وليس خوف العبد من سيده ولا الأجير من صاحب البيت أو العمل [347].

الآن بعدما طلب النبي باسم الشعب من الله أن يتدخل لتحطيم العدو وخلص الشعب، يستعرض - أمام الله - ما حلَّ بالمدينة، ربما لكي يستدر عطفه الإلهي [7-9].

أ. لم يكن أمام أبطال الحرب أن يتحركوا، إنما توقفوا عند الصواخ في عجز وخوف [7].
ب. بكى رسل السلام بعورة [7] إذ نكت سنحريب العهد. فقد دفع خزيال مبلغاً كبيراً ليقرك الأرض ومع ذلك أرسل جيشه لاقتحامها (2 مل 18: 4، 17).

ج. خلت السكك [8] إذ خشى الكل أن يلتقي بهم العدو في الطريق، فقد جاءت تقرير الرسل تعلن خطورة الموقف، وأحاط العدو بكل المدن.
د. دخلوا في مذلة فصلرت المدن موزولة [8].
هـ. حدوث جذب حتى في أكثر المناطق خصوبة وبهجة لتصير مثل الصواء... عدم الاثمار والعقم يعنونان علواً، علامة على غضب الله. من هذه المناطق شارون وباشان والكومل.

إذ التجأ النبي باسم الأتقياء إلى الله رافعاً الصلاة من أجل تدخله الإلهي، معترفاً بما حلَّ بالبلد من خراب ودمار تدخل الله لادانة العدو آشور. وكأن الله مشتاق أن يسندنا ضد العدو إبليس وقادر على خلاصنا لكنه ينتظر منا أن نلجأ إليه ونطلب عمله معنا، فإنه لا يُؤمننا حتى بخلاصنا. أنه يقدر حرية رادتنا مشتاقاً أن نطلب باختيلنا. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [لا يغضبنا الله ولا تُؤرم نعمة الروح رادتنا، لكن الله يُنادينا وينتظر أن نتقدم إليه بكامل حريتنا، فإذا اقتربنا يهبنا كل عونه [348].

3. إدانة آشور:

إن كان الله يتمهل على الأشرار، لكنه إذ يمتلئ الكيل يدينهم:
أ. الله نفسه يقود المعركة: " الآن أقوم يقول الرب، الآن أصعد، الآن ارتفع" [10]. ما يعجز الإنسان عن فعله يقوم به الرب نفسه من أجل غوته على الضعفاء والمظلومين، حاسباً أعداءهم أعداء له، إذ قيل "يقوم الله، يتبدد أعدؤه، ويهرب مبغضوه من أمام وجهه، كما يفرى الدخان تزيهم... والصديقون يفرحون ببتهجون أما الله ويطفون فرحاً" (مز 68: 1-3).

ب. ما يحل بهم من إدانة هو ثمر طبيعي لأعمالهم، إذ يحبون قشًا لا يلون حنطة بل قشيشًا [11] يُقدم للنار الأكلة. وإذ يتسمون عنفًا كالنار يحرقون أنفسهم [11].

أعمالهم قش وشوك لا تصلح لشيء وتهديداتكم نار متقدة، لذا يحملون في داخلهم القش والشوك مع النار ليصيروا أتونًا متقدًا لا للآخرين بل لأنفسهم!

إن كانت شرورهم - خاصة النفاق - نيرًا أكلة [1] فهم بهذا يملسون برادتهم عربون الوقائد (النوان) الأبدية [1].
كما أن البر يحمل مكافأته في داخله فيدخل بالنفس البشرية إلى عربون المجد الأبدية، هكذا الشر يحمل مكافأته فيه فيدخل بها إلى عربون نار جهنم الأبدية.

وي كثير من آباء الكنيسة أن الفضيلة لا تحتاج إلى مكافأة لأنها تحمل مكافأته في داخلها، وكما يقول الشهيد يوستين: [أما تقود الفضيلة إلى كمال السعادة؟] ^[3491] ويقول القديس غريغوريوس النزيوي: [لكي تكون الفضيلة فضيلة لا تكون لها مكافأة] ^[3501]. لعل سر هذا إن الآباء تطلّوا إلى الفضيلة بكونها تمتع بالوحدة مع المسيح، وكما يقول العلامة أوريجانوس: [إن الفضيلة هي أن تكون واحدًا مع المسيح، أنه هو الفضائل التي تملأه] ^[3511]، هو العدل والحكمة والحق، فمن يملس الفضيلة إنما يشترك في الطبيعة الإلهية ^[3521]، وهذا هو كمال المكافأة.
الوذيلة هي تشبيهه بعدو الخير واشتراك معه في سماته مع حرمان من التمتع بالمخلص والتشبه به... وهذا فيه ثمر الخطية وخرؤها.

4. الملك ومملكته:

إن كان الله في عدله نيرًا آكلة تلتهم الشر الحامل الفساد في داخله وتمجد المؤمنين الحاملين برّ المسيح فيهم، فإنه يُدين الأثوار المصوين على شوهم ويحمي أولاه من أيديهم.

يُقدم لنا النبي سمات الإنسان البار وهي:

أ. يسلك بالحق والبر، أي يسلك في المسيح يسوع الطريق والحق، وهو بونا.

ب. يتحدث بالاستقامة [15]، كلماته تعلن عن إنجيله المخفي في قلبه.

ج. يحتقر مكسب المظالم.

د. باستخفاف ينفذ يديه عن قبول الرشوة.

هـ. يسد أذنيه عن الاستماع للخطط الدافعة إلى سفك الدماء.

و. يغمض عينيه عن التطلع إلى الشر.

ز. يرتفع بقلبه إلى الأعالي ليسكن مع مخلصه في السمويات [16].

ح. يلجأ دومًا إلى مسيحه كحصون صخور تحميه من الشر.

ط. سخي في العطاء حتى من أعوراه: الخبز والماء.

مثل هذا الإنسان الذي يتقدس بالسيد المسيح ليعيش بكل أحاسيسه طاهرًا، ويرتفع بأعماقه إلى الأعالي، ويملر حياة الشراكة مع الله والعطاء

المستمر، يستحق التمتع بروية السيد المسيح في أمجاده، إذ قيل: "الملك بيهائه تنظر عيناك" [17]. هذه هي أعظم هبة للبار أن يُعابن المسيا في بهائه!

يظن البعض أن الحديث هنا عن الملك حزقيا الذي تمتع بيهاء خاص عندما تهلل في قلبه عند رؤيته هلاك جيش سنحريب، لكن النص واضح

هنا أنه يتحدث بالأكثر عن السيد المسيح الذي تمجد على الصليب جاذبًا إليه الأمم، واهبًا إياهم طبيعة جديدة، عوض العدو حملوا حبًا وصدافة، وعوض

الثؤاسة صاروا ودعاء، وعوض لغة الشر الغريبة صاروا ينطقون بلهجة سماوية، إذ قيل: صاروا ودعاء، وعوض لغة الشر الغريبة صاروا ينطقون

" أين الكاتب؟ أين الجابي؟ أين الذي عدّ الأواج؟" [18] . أين الكاتب الذي يعدّ الجيش ويسجل أسماء الجنود؟ وأين الجابي الذي يُحدد الجزية التي تُدفع للعدو؟ أين الذي يُعدّ الأواج لكي يُقيم حراساً عليها ورقباء يلاحظون العدو وينبهون إلى المعركة؟ لقد تحولت كل هذه الطاقات من العمل للحرب والمقاومة إلى طاقات هادئة مسالمة للعمل لحساب ملكوت الله، خلال قبولهم الإيمان بالسيد المسيح.

" الشعب الشوس لا توى" [19] ، إذ زُعت أعمال الإنسان القديم العنيف لنحمل سمات خالقنا بتمتعنا بالإنسان الجديد الذي يتجدد كل يوم.

" الشعب الغامض اللغة عن الإواك، الغبي بلسان لا يفهم" [19] ؛ نالوا لساناً جديداً هو لغة الروح، لسان الحب والوحدة مع الفهم والحكمة.

والآن ما هو عمل الملك المسيا في حياة الأمم القادمة إليه بالإيمان به؟

أ. "انظر صهيون مدينة أعيادنا" [20] . عوض الوعب القديم من الكاتب مسجل الجيش والجابي تصير صهيون مدينة أعياد موفحة، يجتمع فيها الشعب ببهجة دائمة للعبادة الجماعية والالتقاء مع الله نفسه عيدنا غير المنقطع.

ب. "خيمة لا تنتقل لا تُقلع أوتادها إلى الأبد وشيء من أظنابها لا ينقطع" [20] ، أي ثابتة وراسخة لا يحطمها حتى الموت إذ تبقى أبدية.

ج. محاطة بالأنهار والزرع من كل اتجاه [21] مما يجعلها مثمرة بالروح.

د. لا يمكن الاقتراب إليها أو محاربتها؛ إذ لا تسير في المياه المحيطة بها سفن صغيرة للتجسس عليها ولا سفن عظيمة حربية [21].

هـ. المسيح الرب نفسه هو القاضي والمشوع والملك والمخلص [22] ، قدم دستور الإنجيل وملك على الصليب وخلصنا ولا زال يشفع فينا كفلياً بدمه الثمين.

و. يصير عوها كسفينة منكسرة وسط المياه لا يقدر أن يرفع العدو سربتها ولا ينشر قلعها [23].

ز. يهزمون العدو بقوة حتى أن الوجود يستطيعون نهبه نهباً [23].

ح. ليس فيها مريض [24].

ط. ينال سكانها غوان الخطايا [24].

هذه هي صورة النفس التي ترتبط بالسيد المسيح: تصير صهيون مدينة الله الموفحة، مملوءة بهجة وسلاماً، ثابتة في الرب، يحوط بها روح الله القنوس ليحولها إلى فردوس مثمر، لا يقدر الشيطان أن يهزمها ولا عدو الخير أن يحطمها، يعلن السيد المسيح مملكته فيها بكونه ملكها والقاضي والمشوع ومخلصها، تغلب عدو الخير وتُحطمه، لا يمكن لعرض روحي أن يصيبها وأخوفاً فإنها تتمتع بغوان الخطايا خلال التوبة الدائمة.

<<

الأصاح الرابع والثلاثون

إدانة الأعداء مقاومي الحق

الأصاحان 34، 35 يمثلان نوبة واحدة، الأول يمثل الجانب السلبي حيث يدعو الله الأمم مجتمعة معاً ليبروا دينونة جماعية لمقاومي الحق

ولمضطهدي شعب الله الممثلين في أنوم بصفة خاصة. لقد شمت الأثوميون لما حلّ بالشعب بواسطة آشور، بل وقاموا بالسلب والنهب، وكانوا يساعدون الأعداء ضدهم، وإن فلت أحد أسكروه وباعوه للعدو، وأخيراً جاؤا بأغنمامهم لزعى في مدن يهوذا وحقلها بعدما صلت خراباً، لذلك استحقوا حلول غضب الله عليهم. أما الأصحاح التالي فيحمل الجانب الإيجابي الخاص بإقامة الشعب وتمتعه برواحم الله .

الأصحاح الأول (34) يكشف عما يحل بعدو الكنيسة الحقّة من غضب إلهي، وبالتالي عما يحل بالكنيسة نفسها من بركات.

1. دعوة جماعية [4-1].

2. دمار أنوم [15-5].

3. تأكيد عن تحقيق ذلك [17-16].

1. دعوة جماعية:

يقدم النبي دعوة عامة إلى جميع الأمم لكي ينصت العالم ووي ويصمت لأن الرب تكلم، إنه يعلن دينونة الله للأمم المتمسكة بالبشر لعلها تعود فتُراعي أحكامه بعدما أطل الله أناته عليها زماناً.

إنها أشبه بدعوة موجهة ضد العالم كله يدخل فيها الرب نفسه طرفاً في المعركة، معلناً سخطه وحمو غضبه على كل جيوشهم [2]، فقد تعرضت بسبب الشر إلى القتل وطوح الجثث حتى تتنن؛ تحري الدماء على الجبال كمياه.

يعود النبي فيؤكد أن الله لا يعني بني البشر، إنما المعركة قائمة بين الله وملائكته وإبليس وملائكته. لذلك يقول: "ويفني كل جند السموات" (جنود الشر في السموات أف 6: 12، رؤ 12: 7-9؛ 20: 1-8).

ماذا يعني بقوله: " ويفني كل جند السموات وتلتف السموات كرج وكل جندها ينتثر كانتثار الورق من الكرمة والسقاط من التينة" [3].

أ. يحاول بعض المفسرين الألفيين أن يروا في ذلك إشارة إلى زوال السماء القديمة لكي يتحقق في الحكم الألفي قيام أرض جديدة وسماء

[\[353\]](#)
جديدة .

ب. وي القديس أغسطينوس أن السموات التي تلتف هنا كرج (كتاب) هي الكتاب المقدس، إذ يقول: [أسفار العهدين تُدعى "السموات"... إنني أرك وأفهم الكتب المقدسة التي كتبها خدامك بعمل الروح القدس [\[354\]](#)]. وكان أحد تأديبات الله للأشوار المصوّين على شوهم هو فقدانهم إمكانية

التمتع بجند السموات أي بقوة الكتاب المقدس، فيصير بالنسبة لهم كتاباً مغلقاً لا يركون أسوره في حياتهم، أو يكون بالنسبة لهم كأوراق كرمة قد سقطت وانتثرت وكسقاط من تينة. أما بالنسبة لأولاد الله فيفتح الروح القدس عقولهم وقلوبهم وكل طاقاتهم ليتركوا قوة الكلمة عاملة في أعماقهم كما في سلوكهم.

يقول العلامة أوريجانوس : [كُتبت الكتب المقدسة بواسطة روح الله؛ وهي لها معانٍ ليس كما تظهر لأول وهلة بل معانٍ أخرى لا يركها كثيرون. فإن هذه (الكلمات) المكتوبة هي أشكال لأسوار معينة وصور للاهوتيات. لذلك يوجد رأي واحد في كل الكنيسة أن القضية بأكملها روحية حقاً وأن المعنى الروحي الذي يحويه الناموس لا يعرفه الكل وإنما يعرفه الذين وهبت لهم نعمة الروح القدس في كلمة الحكمة والمعرفة وحدهم [\[355\]](#)].

ج. يمكننا القول بأن الأرض والسماء يوزان إلى جسد الإنسان ونفسه. فالأشوار يخسرون قدسية وسلامة أجسادهم كما نفوسهم. تصير أجسادهم كجبال جبلة لكن الدماء تسيل منها [3]، لهم منظر القوة الجسدية وربما الجمال الجسدي والبهاء الخلجي لكنها كأجساد ملطخة بالدماء تحمل رائحة موت وبنانة. وتصير نفوسهم كسموات فقدت كل طاقاتها (جندها) مغلقة ككتاب مختوم... لهم مظهر الشجاعة وربما الشهامة وقوة الشخصية لكنك إذ تحتك بهم عن قرب تجدهم نفوساً ضيقة حطمها اليأس وأفسدها الغم الداخلي مع الاحساس بالغولة والحمران.

هذه هي صورة الشوير، له مظهر قوي من الخلاج لكنه يحمل كل ضعف في أعماقه. وكما يقول المرنل: "لا تغر من الأشوار ولا تحسد عمال

الإثم، فأنهم مثل الحشيش سريعاً يُقطعون ومثل العشب الأخضر يذبلون" (مز 37: 1-2).

2. دمار آوم:

كانت العادة أن تُدهن السيوف قبل المعركة بالشحوم حتى لا تحتاج إلى تنظيف بعد قتل كل شخص من الأعداء، إذ يمنع الدهن الدماء من الالتصاق بها أما سيف الرب الوجودي فيُدهن كما بالغضب السملوي: " لأنه قد روى في السموات سيفي" [5].

حل سيف الرب على آوم أشبه بسكين كاهنٍ تذبح القطيع العاجز عن المقاومة؛ عمل في العاصمة "بصوة" [6] كما في بقية آوم، ليقدم ذبائح لا للمصالحة إنما ذبائح محرقة للدينونة [5]، حالة عليها اللعنة الإلهية.

هذا السيف اجتاز الكل: البقر الوحشي والعجول مع الثوان... أي رجال الحرب العنفاء (البقر الوحشي) كما العامة؛ الكبير مع الصغير، إذ هي دينونة عامة، لأن الجميع اشتركوا معاً في الإثم.

" تُروى أرضهم من الدم، وتوابهم من الشحم يُسمَن" [7] ؛ إن كان اسم "آوم" معناه "تواب" (آدم) وأيضاً "دم"، هكذا يختلط دمهم المسفوك بتوابهم. لقد عاشوا كآواب محبين للأرضيات والزمينيات فهلكوا بدمهم.

يصنع الله هذا كله من أجل صهيونه، شعبه المحبوب، الذي يكوهه آوم.

أخوًا يؤكد أن دمار آوم تام [9-15].

" وتتحول أنهلها زفتًا، وتوابها كبريتًا، وتصير أرضها زفتًا مشتعلًا، ليلاً ونهلاً لا تنطفئ، إلى الأبد يصعد دخانها، من دور إلى دور

تغرب... [9-10] بمعنى تتحول إلى أتون نار، لا تحتاج إلى وقود من الخرج، إذ تتحول أنهلها إلى قار، وتوابها إلى كويت، فتصير أرضها نراً

متقدة لا تنطفئ نهلاً ولا ليلاً، دخانها يصعد رائحة دنسة كدخان قاتم، يبقى خوابها مستوراً عبر الأجيال.

تتحول من مسكن للبشر إلى مسكن للحيوانات والطيور الجلحة [10، 11، 13، 14].

عوض البناء يمد خيط الخراب ومطمار الخلاء [11].

تُفقد القيادات، ليس فيها أشراف ولا رؤساء.

عوض الثمار تنبت شوكة حتى في قصورها، وقويصاً وعوسجاً في حصونها [13] علامة هجر القصور وعدم استخدام الحصون زماناً طويلاً.

" هناك تُحجر النكّرة وتبييض وتؤرخ وتربى تحت ظلها" [15]. النكّرة حية من أخبث أنواع الحيات، صغرة الحجم لكنها سامة، تعيش في

مناطق بأفريقيا والعربية. غير أن ما ورد هنا يُناسب طائرًا لا حية، لهذا رى بعض الدارسين أن ما ورد هنا هو وصف شعوي يشير إلى سكنى الأرواح

الشويرة القاتلة في النفوس المقاومة لله.

" هناك تجتمع الشواهين بعضها ببعض" [15] ، وهي طيور جلحة تُثير عبا...

آوم إذن تُشير إلى النفس الجاحدة للإيمان والمقاومة للحق، تسقط تحت الغضب الإلهي فتصير هي نفسها أتونًا لذاتها، ليس من يطفئ لهيبها

الداخلي ولا من يهبها راحة أو تغوية، تتحول إلى خراب فتفقد تفكرها المترن. تصير مؤى للأفكار الدنسة والعواطف المنحرفة، تلهو بها الخطايا،

وتلعب بها الشياطين. تصير حياتها جافة كالشوك وعقيمة بلا ثمر، تفقد جمالها وحصانتها، كما تتحول إلى ظلمة ليل دائم بلا نهار أو نور [13].

3. تأكيد عن تحقيق ذلك:

" فتشوا في سفر الرب واقولوا؛ واحدة من هذه لا تُفقد" [16].

لا يقصد هنا سفر الحياة أو سفر الدينونة (حز 32: 32؛ مز 56: 8؛ 69: 28؛ دا 7: 10؛ ملا 3: 16؛ رؤ 3: 5؛ 20: 12؛ 21: 27)، إنما

يقصد النوات التي أعلنها عن آوم بخصوص خوابها [356].

يلاحظ البعض أنه ناورًا ما يصدر النبي أموًا، لكنه هنا يأمر " فتشوا..واقولوا " ، لأن الأمر كان في أيامه يبدو مستحيلًا وغير معقول. وقد

تحققت هذه النوبة جزئياً بعد خواب أورشليم بواسطة نيوخذنص... ولا زال تتحقق في كل يوم بالنسبة لمقاومي الحق، حتى تتم بالكمال في مجيء الرب الأخير حيث يهلك إبليس وكل جنوده.

<<

الأصاحح الخامس والثلاثون

بركات مملكة المسيح

يعتبر هذا الأصاح تنمه للأصاحح السابق، فإن كان الله يُدين الأمم المقلومة له في حياة مؤمنيه، إنما يفعل ذلك لأجل بنيان شعبه ونموهم وتمجيدهم، الأمر الذي يتحقق بمجيء المسيا مخلص العالم، الذي بالصليب حطّم قوات الظلمة وفتح باب بركاته الإلهية أمام الراجعين إليه مهما بلغ ضعفهم.

- 1 . تحويل البرية إلى فردوس [4-1].
- 2 . إشباع احتياجات المؤمنين [9-5].
- 3 . مملكة فوح وبهجة [10].

1 . تحويل البرية إلى فردوس:

وى بعض الدارسين أن ما ورد هنا إنما يخص حال بنى إسواثيل بعد عودتهم من السبي البابلي، غير أن الكثيرين يرون في ذلك وصفاً لحال كنيسة العهد الجديد المتمتعة بالسيد المسيح رأساً لها، يسكب مجده وبهاءه فيها. هذا هو رأي أغلب الدارسين من الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت وإن كان اتباع الملك الأفلي يحسبون هذا الأصاح نوبة عنه لم تتحقق بعد [\[357\]](#).

يستطيع المؤمن الحقيقي الذي يختبر الحياة الجديدة في المسيح يسوع أن يختبر مجد الكنيسة مُعلنًا في حياته الداخلية وهو:

أ. تحويل البرية والأرض اليابسة إلى جنة مثورة؛ فبدخول الرب إلى القلب وحلول الروح القدس فيه يُنزع العمق الداخلي وتغرس جنة الرب المثورة التي توح قلب الله [2-1].

❖ واضح أنه لا يتحدث هنا عن أماكن خراج النفس والحواس، بل يعلن عن أخبار سلة موحاة خاصة بالنفس الضمّانة. غير المزينة خلال رمز البرية. وكما يقول داود: "صارت نفسي نوحك كرض يابسة" (مز 143: 6 الترجمة السبعينية). نفسي عطشانة إلى القدير إذ هو الله الحيّ (مز 42: 2).

[\[358\]](#)
القديس غريغوريوس النيسي

ب. لعل أهم سمات كنيسة العهد الجديد هو "فوح الرب"، إذ تحيا متهللة مبتهجة داخليًا من أجل عمل الله فيها. هذا الخط واضح في كل سفر إشعياء النبي أن العصر المسماني عصر موح بينما لا سلام ولا فوح للأشوار رافضي عمل الله الخلاصي.

" تفوح البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر ويؤهر كالنرجس، يزهّر زهاراً ويبتهج ابتهاجاً ويرنم" [2-1] . فوح وبهجة وتونم!

❖ من نظر في ذاته إلى ربنا، وامتوجت نفسه بنوره، فليغل قلبه بالفوح.

[\[359\]](#)

الشيخ الروحاني

- ❖ كما أن الأشجار إن لم تشوب من الماء لا يمكنها أن تنمو، هكذا النفس إن لم تقبل الوح السمووي لا يمكنها أن تنمو وتصل إلى العلاء. أما النفس التي قبلت الروح والوح السمائي فهي التي تستطيع الارتفاع إلى العلاء... فقد انكشفت لها أسرار ملكوت السموات وهي بعد في الجسد، ووجدت دالة قدام الله في كل شيء، وكملت لها جميع طلباتها.
- ❖ النفس دائماً تتوبى بهذا الوح وتسعد به، وبه تصعد إلى السماء، فهي كالجسد لها غذؤها الروحي.

[3601]

القديس أنطونيوس الكبير

- ب. يتجلى مجد الرب وبهؤه في القلب كعربون للمجد الأبدي السمووي. "يدفع إليه مجد لبنان... هم يرون مجد الرب بهاء إلهنا" [2]. يتحدث القديس مقاريوس الكبير عن هذا المجد الخفي الذي يملاً حياة المؤمن ليعلن في يوم الرب العظيم، قائلاً: [إبتجديد العقل (رو 12: 3) وسلام الأفكار (في 4: 7) ومحبة الرب السماوية (أف 3: 19) تتميز خلقة المسيحيين الجديدة (2 كو 5: 17) عن باقي البشر... كل أحد بقدر ما يُحسب أهلاً لشوكة الروح القدس بالإيمان والاجتهاد بقدر ذلك يتمجد جسده في ذلك اليوم، لأن كل ما خزنته النفس في داخلها في هذه الحياة الحاضرة سوف يعلن يومئذ، ويُكشف ظاهراً في الجسد... كل ما للنفس الآن سوف يظهر في الجسد في ذلك اليوم [3611]. يقول الرسول: "ونحن جميعاً نأظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (2 كو 3: 18-7).

- ج. بصير الإنسان سنداً لإخوته الضعفاء؛ " شدوا الأيادي المسترخية والركب المرتعشة ثبوتها، قولوا لخائفي القلوب تشدوا لا تخافوا، هوذا إلهكم، الانتقام يأتي، جزاء الله، هو يأتي ويخلصكم" [3-4].

- إن كانت الحياة مع الله تمثل علاقة شخصية خفية بين الله والمؤمن لكنها ليس في فودية منعولة، إنما هي خلال حياة الشوكة بين الله وكنيسته الواحدة؛ كل عضو يسند أخاه في الرب لكي يتشدد الكل معاً كعروس واحدة. كل مساندة من جانبك لأخيك إنما هي مساندة لك أنت شخصياً لأنه يمثل يدك وركبك.

- ❖ ليس شيء يجعل البشر منهزمين سريعاً في التجرب ومنهلين مثل الغزلة. اخبرني؛ بعثر فرقة في حرب، فإن العدو لا يقلق في سببهم وأسوهم كوادى.

[3621]

القديس يوحنا ذهبي الفم

2. إشباع احتياجات المؤمنين:

- أ. إذ يقول: " هو يأتي ويخلصكم، حينئذ..." [4-5] ؛ أي عندما يأتي الرب المسيح المخلص تتحقق أمور فائقة، معجزات وآيات باهرة: "حينئذ تفتح عيون العمي، وآذان الصم تفتح؛ حينئذ يقفز الأعرج، كالآيل، ويترنم لسان الأخرس، لأنه قد انفجرت في البرية مياه وأنهار في القفر" [5-6]. يحاول المنادون بالملك الألفي أن ينسوا ذلك للملك الألفي، مع أن السيد المسيح نفسه استخدم هذا النص عندما أجاب تلميذي يوحنا المعمدان مؤكداً أنه هو المسيا المنتظر (مت 11: 4-6). يعلق القديس أغسطينوس على ذلك قائلاً: [كأنه يقول لهما: لقد رأيتماني فلتعرفاني! لقد رأيتما أعمالي، إذن فلتعرفا صانعها.. وطوبى لمن لا يعثر في] [3631].

- الله الذي خلق كل شيء حسناً جاء بنفسه إلى العالم ليجدد خليقته مصلحاً ما قد فسد، ولكي يود للإنسان سلامه وصحته وبهجته. يفتح بصيرته الداخلية لمعاينة الأسوار الإلهية، والآذان لكي تستعذب الصوت الإلهي وتستجيب لوصاياه، ويهب الأعوج قوة للسير في الطريق السمووي، وينطق الأخرس بتسابيح داخلية... هذا كله بفعل الروح القدس (المياه والأنهار) الذي أرسله السيد المسيح من عند الآب...

❖ تتحقق نوبة إشعاع ليس فقط في الأمور الجسدية بل وفي الروحيات... فالذين كانوا قبلاً عوج صاروا يقفرون بقوة يسوع كالآيل. قورنوا بالآيل ليس بدون قصد، فإنه حيوان طاهر معادٍ للحيات التي لن تؤذيه بسمها. وهكذا أيضًا بالنسبة للخرس فانهم يتكلمون...

[\[364\]](#) العلامة أوريغانوس

ب. " ويصير السواب أجماً، والمعطشة ينابيع ماء. في مسكن الذئاب في مريضها دار للقصب والودي" [7]. يعني بهذا أنه عوض الجفاف يصير فيض ماء؛ إذ تصير الأرض الجافة (السواب) بركة ماء والأرض الظمآنة ينابيع مياه متفجرة؛ في مسكن الذئاب حيث الفقر يوجد ماء فتنتبت الحشائش ويظهر الودي الذي لا يوجد إلا في الأماكن التي بها وفرة ماء.
كثوًا ما يُحدثنا الأنبياء عن العصر المسياني كعصر مياه (إش 41: 17-20؛ 43: 18-20؛ 44: 3-4؛ حز 47: 1-12). يقول الموتل:
"نهر سواقيه توح مدينة الله مقدس مساكن العلي، الله في وسطها فلن تتوَّع" (مز 46: 4-5).

❖ ما هي نهر سواقيه هذه؟ أنه فيض الروح القدس الذي قال عنه الرب: "إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب، من آمن بيّ كما قال الكتاب تعري من بطنه أنهار ماء حيّ" (يو 7: 37-38). هذه الأنهار فاضت من حضن بولس وبطرس ويوحنا وبقيّة الرسل، ومن الإنجيليين المؤمنين. وحيث أن هذه الأنهار فاضت عن نهر واحد لذلك فإن "نهر سواقيه توح مدينة الله"...
واضح أن مجري النهر تُفهم بمعنى الروح القدس الذي به نتقدس كل نفس تقيّة تؤمن بالمسيح لتصير مواطنة في مدينة الله.

[\[365\]](#) القدّيس أغسطينوس

ج. " وتكون هناك سكة وطريق يُقال لها الطريق المقدسة، لا يعبر فيها نجس، بل هي لهم، من سلك في الطريق حتى الجهال لا يضل، لا يكون هناك أسد... بل يسلك المفيدون فيها" [8-9]. ما هو هذا "الطريق" إلا السيد المسيح نفسه الذي قدم نفسه لمؤمنيه طريقًا آمنًا لا يعبر فيه نجس، بل يكون الكل فيه قديسين، حتى الجهال ينالون فهمًا وحكمة فلا يضلون، ولا يستطيع عدو الخير (الأسد المفترس) أن يقترب إلى السالكين فيه.
يحدثنا القدّيس كيرلس الأورشليمي عن إيماننا بالسيد المسيح كوع ضد عدو الخير إبليس، قائلاً:
[هل يوجد أكثر رعياً من الشيطان؟ ومع ذلك لا نجد نوعاً ضده سوى الإيمان، إذ هو تّوس غير منظور ضد عدو غير منظور، يصوب أسهماً مختلفة في وسط الليل نحو الذين هم بلا حذر.
لكن إذ هو عدو غير منظور فلنا الإيمان عدّة قوية كقول الرسول: "حاملين فوق الكل تّوس الإيمان الذي به تقرّون أن تطفؤوا جميع سهام الشوير الملتهبة" (أف 6: 16).
فإذ يُلقى الشيطان شرارة ملتهبة من الشهوة المنحطة، يُظهر الإيمان صورة الدينونة فيطفئ الذهن الشريرة

[366].

3. مملكة فوح وبهجة:

تُسمح كل شعوب الأمم القادمة إليه بدهن الفوح، فتصير أمة مقدسة متوّجة بأكاليل البهجة النابعة عن النصوة. لا يستطيع الحزن والتنهّد أن يجدا لهما موضعاً في قلوبهم بل من الخرج فقط.
هذه هي مسحة كنيسة العهد الجديد بكونها أيقونة السماء المتهللة بالرب. لذا قيل: " ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بتروم وفوح أبدي على رؤوسهم، ابتهاج وفوح يركانهم. ويهرب الحزن والتنهّد" [10].

❖ توجد بالحقيقة راحة حيث لا يوجد ألم أو حزن أو تنهّد، حيث لا توجد لتباكات أو متاعب أو صواعات أو خوف من ذهول النفس واضطرابها، وإنما توجد مخافة الله المملوءة بهجة.

[\[367\]](#) القدّيس يوحنا ذهبي الفم

❖ لنحزن هنا متأملين في الأمر حتى لا نحزن هناك في العقاب بل نتمتع بالبركات الأبدية... لننعم بالأمر الفائقة للعقل في المسيح يسوع ربنا (فلا نضطرب من الحزن).

[\[368\]](#)
القديس يوحنا ذهبي الفم

<<

الباب الثاني

القدس واهب الغلبة

[ص 36 - ص 39]

القدس واهب الغلبة

في الأصحاحات السابقة كشف النبي عما وصل إليه كل بشر، وما بلغت إليه كل الأمم، الآن يعلن أن الإنسان الساقط الذي تحطمه الخطية ويهدده الموت يمكن أن يعيش غالبًا ومنتصراً بالله القدس، يغلب الأعداء، كما يهزم الموت، إن نال نصوة داخلية في أعماقه. يقدم لنا النبي معاملات الله مع الملك حزقيا كنموذج حي للتمتع بالله القدس واهب الغلبة، كما يقدمه نموذجاً واقعياً لمن يفقد غلبته ونصوته على الأعداء إن تجاهل شركته بالقدس.

لقد جاءت الأحداث الوردية هنا [ص 36-39] في (2 مل 18: 13-20؛ 19؛ 2 أى 32)، وقد حاول بعض الدارسين البحث في أيهما اعتمد على الآخر: إشعياء النبي (أو كاتبه) أم كاتب سفر ملوك الثاني وأخبار الأيام الثاني؟ لكن كما يقول بعض المفسرين إننا نؤمن بوحى الروح القدس الذي يستطيع أن يهب ذات الأمر لأشخاص متعددين نون أن يعتمد الواحد على كتابات الآخر.

>>

إثارة سنحاريب للشعب

رُسل سنحاريب ملك آشور ربشاقى ليُثير الشعب ضد حزقيا ملك يهوذا، مطالبًا إياهم ألا يتكلموا على فوعون ولا يندعوا بكلمات ملكهم المتكل على إلهه بل يعقوا معه صلحًا حتى لا يُحرب بلادهم، وأن يقبلوا الذهاب إلى أرض السبي برضا. لكي نفهم هذه الحادثة التاريخية يؤمنا بواسطة (2 أى 32، 2 مل 18: 13-20؛ 19).

1 . سنحاريب يستولي على مدن يهوذا [1].

2 . إرساله ربشاقى إلى أورشليم [2-10].

3 . ربشاقى يُثير الشعب [11-21].

4 . عودة المسئولين إلى حزقيا [22].

1 . سنحاريب يستولي على مدن يهوذا:

" وكان في السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا أن سنحاريب ملك آشور صعد على كل مدن يهوذا الحصينة وأخذها" [1].

ورد غزو سنحاريب على يهوذا هنا في (ص 36) وأيضًا في (2 مل 18: 13-20)، وبمقرنة النصين يُلاحظ الآتي:

أ. جاء في (2 مل 18) (أن حزقيا أرسل إلى ملك آشور يعتذر له ويقول: "قد أخطأت، رجعت عني ومهما جعلت علي حملته"، وبالفعل فرض عليه جزية ثلاث مئة وزنة من الفضة وثلاثين من الذهب دفعها حزقيا من بيت الرب ومن خزائن بيت الملك... لكن سنحاريب خان العهد وعاد يرسل جيشًا ليقتمح أورشليم. وقد جاء تليخ آشور يؤكد ذلك فقد حُسب حزقيا كعصفور في قفص لم يكن قادرًا على الخروج من أورشليم، وأنه دفع الجزية كما أن 200.000 شخصًا من شعبه سقطوا أسرى.

لم يذكر إشعياء النبي أمر الجزية، لأنه لم يهدف إلى تليخ حياة حزقيا، إنما أراد إواز معاملات الله معه لتأكيد إمكانية الله للخلاص عندما يبدو الأمر مستحيلًا.

ب. وى بعض الدارسين أن سنحاريب قام بحملتين للغزو على يهوذا، الأولى سنة 701 ق.م. والأخرى سنة 688 ق.م. أيام زهاقه ملك مصر وكوش (إش 37: 9).

ج. جاء في (2 مل 18: 17) (أن سنحاريب أرسل مع ربشاقى قائدين هما توتان وربسلبس؛ كانت الإرسالية تضم ثلاثة قواد وكان ربشاقى هو المتكلم الوحيد بينهم.

وى البعض أن ربشاقى ليس إسمًا لشخص إنما هو لقب يعادل رئيس سقاء" يتنوق الخمر قبل أن يشرب منه الملك حتى لا يتعرض الملك للتسمم، كما كان يقوم بأوار أخرى رئيسية في القصر الملكي.

لقد سمح الله بهذا الضيق في أيام حزقيا الذي قام بإصلاحات كثرة وسط الشعب وإن كان كثيرون - خاصة من القادة الدينيين والمدنيين - اهتموا بالإصلاح الخرجي نون الداخلي، فاهتموا بالشكليات نون الحياة القدسية، وقد أراد الله أن يزكي حزقيا ويحول الضيق إلى تمجيده. هذا ومن جانب آخر أراد أن يكشف ضعف حزقيا أمام نفسه فقد خانته شجاعته ولم يكن اتكاله على الله كاملاً... بالتجربة اعترف بضعفه وزاد إيمانه بالله وثقته فيه.

2 . إرساله ربشاقى إلى أورشليم:

أرسل سنحريب ربشاقى من لاختيش (لخيش)، وهي مدينة محصنة تقع في سهول يهوذا (يش 15: 33، 39)، كانت تُعرف سابقاً بتل الحصى التي تبعد 16 ميلاً شمال شوقي عرة وأحد عشر ميلاً جنوب غربي مدينة جوبين، وُجِّح الآن أنها تقع في تل اللوير على بعد خمسة أميال جنوب غربي بيت جوبين؛ حاصوها سنحريب ومن المعسكر الذي أمامها أرسل ربشاقى إلى أورشليم لكي يسلمها الملك ورجاله.

وقف ربشاقى ومعه جيش عظيم عند قناة البركة العليا في طويق حقل القصار [2]، أي حقل مبيض الثياب، خرج أورشليم وقرىب منها جداً حيث كان الذين على سور المدينة يسمعون من يتكلم في حقل القصار. وى البعض أنه في وادي قدرون، وأن القناة المشار إليها هي النفق الموصل بينوع العواء بركة سلوم، وإن كان البعض وى أنه كان شمال المدينة، حيث كان الشمال هو الجانب الطبيعي الذي يقع الهجوم منه.

خرج إليه الياقيم خلف شبنا المتولى على بيت الملك (يش 22: 15-20) أشبه برئيس الوزرة، وشبنا الكاتب الذي يُسجل للملك أهم الأحداث للتذكرة ويقوم بنور المؤرخ لحياة الملك، وأيضاً يواخ المسجل.

سخر ربشاقى بحرقيا الملك أمام عظمائه إذ دعى سنحريب "الملك العظيم ملك آشور" بينما لم يعط لقباً لحرقيا [4]. هراً به لأنه اتكل على فوعن مصر قائلاً: " أنك قد اتكلت على عكاز هذه القصبه المروضه، على مصر، التي إذا أتكا أحد عليها دخلت في كفه وثقبتة" [6]. وقد صدق في هذا أن من يتكل على فواع بشر إنما يتكى على قصبه مروضه لا تقدر أن تسنده بل وتثقب يده. كما سخر به لأنه اتكل على الله إلهه، قائلاً: "أفليس هو الذي زال حرقيا مرتفعاته ومذابحه، وقال ليهوذا وأورشليم: أمام هذا المذبح تسجدون؟!... لا يجعلكم حرقيا تتكلون على الرب قائلاً: انقاداً ينقدنا الرب، لا تدفع هذه المدينة إلى يد ملك آشور... هل أنقذ آلهة الأمم كل واحد أرضه من يد ملك آشور؟!... من من كل آلهة هذه الأواصي أنقذ أرضهم من يدي حتى ينقذ الرب أورشليم من يدي؟! [7، 15، 20].

في ذات الموقع الذي فيه سخر آحاز بالوبرافصاً التعامل مع الله متكللاً على الفواع البشوي (يش 7)، صار ربشاقى يسخر بالله، وكان بني يهوذا صلوا يشربون من الكأس التي قدمها لهم آحاز ملكهم من قبل! في ذات الموقع الذي جاء فيه إشعياء إلى آحاز يسأله أن يطلب آية من الرب لتأكيد إمكانية الله للخلاص فيرفض، جاء ربشاقى يسخر بيهوذا وملكهم وإلههم!

لقد اتكل حرقيا أيضاً على معاهدات بشوية مع فوعن، وبخه الله عليها على لسان رجل وثني، إذ دعاها كلام شفتين، مشورة كلامية [5] لا قوة لها ولا فاعلية. الآن واهنه أنه يُقدم له ألفين فوس إن جاء بألفين فرس من شعبه قانونين على استخدامها. وكأنه يقول له: لماذا تتكل على فوس مصر وفوسانها، ها نحن نقدم لك الخيل قدم لنا رجاك!؟.

3 . ربشاقى يُثير الشعب:

إذ استخدم ربشاقى حرب الأعصاب لإثارة الشعب ضد الملك ورجاله، ودفعهم إلى اليأس وتحطيم إيمانهم بالله المخلص، طلب رجال حرقيا من ربشاقى أن يتحدث بالآرامية - السريانية - التي كان ينطق بها سكان شمال وشرق فلسطين، ويفهمها الآشوريون إذ تنتمي إلى ذات عائلة لغاتهم، وهي لغة لا يفهمها عامة الشعب اليهودي، لكن ربشاقى أصّر على الحديث بالعربية، لإثارة الشعب وإحداث فوع من الانشقاق، لعله يستطيع أن يشعل حرباً أهلية وسط الشعب والقيادات.

هذا هو عمل عدو الخير، يستخدم اللغة التي تثير ضعفنا، والتي تسبب انشقاقاً وانقسامات.

رأد ربشاقى أن يُثير الشعب فذكّرهم بما سيحل بهم من دمار عوض تمتعهم بالخوات في آشور لإظهار أن حرقيا يخدعهم وأن إلههم لن ينقذهم. أنه يستخدم ذات الأسلوب الذي استخدمه عدو الخير عبر كل الأجيال، إذ نوى حالياً اتباع "كنيسة الشيطان" في أمريكا ينادون بأنهم يعبدونه لأنه يستجيب لهم ويهبهم طلباتهم التي لا يُقدمها لهم الله.

عمل عدو الخير الرئيسي هو إثارة الوب في حياة الإنسان وتشكيكه في قوة الإيمان. فمن جانب يُحطم نفسيته بالإهابة والوعب، ومن الجانب الآخر يُريد أن يغرلهم عن الله ملكهم ومخلصهم ليستفود بهم. لذلك يصوخ داود النبي قائلاً: "كثيرون يقولون لنفسي ليس له خلاص بإلهه" (مز 3: 2)، "كل الذين يرونني يستهزئون بي، يغفرون الشفاء وينغضون الرأس قائلين: اتكل على الرب فليُنجه، لينقذه لأنه سرّ به!" (مز 22: 7-8)؛ "لأن أعدائي تقولوا عليّ، والذين يوصدون نفسي تأمروا معاً، قائلين أن الله قد تركه، ألحقه وامسكوه لأنه لا منقذ له" (مز 71: 10-11). هذه هي صورة حرب عدو الخير الذي يسخر بالمؤمنين وبهينهم محطماً نفوسهم حتى يفقدوا رجاءهم في الرب إلههم فيلحق بهم وينحدر بهم معه حتى الهلوية. وقد أراد العدو أن يملس ذات الحرب مع ممثل البشرية ومخلصهم، إذ قيل له: "خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها، إن كان هو ملك إسرائيل فليقول الآن عن الصليب فنؤمن به" (مت 27: 42).

" فسكثوا ولم يجيبوا بكلمة لأن أمر الملك كان قائلاً لا تجيبوه" [21] (2 مل 18: 36). كان من المتوقع أن يعلنوا عن ثورتهم وعصيانهم على الملك، لكنهم صمّوا علامة الطاعة والثقة منتظرين أمر الملك وتعليماته. أطاعوا الملك الذي سألهم ألا يجيبوه، أي لا يدخلوا في حوار معه لئلا يسقطوا في الضعف كما سقطت حواء بحورها مع الحية القديمة. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [كان يجب عليها أن تصمت؛ كان يؤمها ألا تُبادلها الحديث، ولكن في غباء كشفت قول السيد، وبذلك قدمت للشيطان فرصة عظيمة... انظروا أي شر هذا أن نسلم أنفسنا في أيدي أعدائنا والمتآمرين علينا ^[369]]. كما يقول: [إذ لم يكن الشيطان قانواً على تقديم شيء عملياً قدم بالأكثر وعوداً في كلمات. هكذا هي شخصية المخادعين ^[370]]. ويقول القديس أغسطينوس: [الله هو قائدنا والشيطان هو مهلكنا، القائد يُقدم وصيته وأما المهلك فيقترح خدعة، فهل نصغي إلى الوصية أم إلى الخداع؟! ^[371]].

4 . عودة المسئولين إلى حرقيا:

جاء الرجال إلى حرقيا وثيابهم مزقة فأخبروه بكلام ريشاقي [22]. [... جاؤا في حزن وورلة إلى الملك. ليتنا نحن أيضاً إذ نشعر بالورلة لا نشق ثيابنا بل نزق قلوبنا بالتوبة ملتجئين إلى المسيح الملك القادر وحده أن يهبنا المشورة الصالحة والعمل فينا بروحه القدس.



الأصحاح السابع والثلاثون

إلتجاء حرقيا إلى الرب

إذ سمع حرقيا الملك تعيبات سنحريب وجد في الرب وحده ملجأ له؛ مزق ثيابه ولبس المسوح ودخل بيت الرب وبعث رسلاً إلى إشعياء النبي يطلب الصلاة من أجله ومن أجل تمجيد اسم الرب. تدخل الله في المعركة بزواعه الوفيعة، فضرب ملاك الرب جيش آشور ومات 185 ألفاً، كما مات سنحريب وابنه شواصر ليملك ابنه أسوحدون.

- 1 . التّجاء حرقيا إلى الله وإلى نبيه [1-4].
- 2 . إشعياء يطمئن حرقيا [5-7].
- 3 . ملك آشور يُعير الرب [8-13].
- 4 . صلاة حرقيا [14-20].
- 5 . إشعياء يعود فيطمئن حرقيا [21-35].
- 6 . ضرب جيش آشور [36].

1 . التجاء حزقيا إلى الله وإلى نبيه:

اختلفت الآراء حول تقدير سلوك حزقيا، فالبعض رأى فيه الإنسان التقي والمواضع لذا اغتصب مراحم الله وإن كان فيما بعد سقط في الكبرياء فهلك، ووى البعض أن ما فعله حزقيا ليس عن تقوى ولا عن إيمان لأنه بعد قليل قدم خرائن الهيكل لسنحاريب (2 مل 18: 14-16) وقال له: "أخطأت". هذا وقد لحق الملك رعباً وخوفاً، وعند حديثه كرر العبارة "الرب إلهك" [4]، وليس "الرب إلهنا" أو "إلهي".

نعود إلى الملك لؤاه عند سماعه كلمات ريشاقي "مزق ثيابه وتغطي بمسح ودخل بيت الرب" [1]. كان ذلك علامة حزنه مع اتضاعه أمام الله

لرسل حزقيا الياقيم وشبنا وشوخ الكهنة متغطين بمسوح إلى إشعياء النبي [2]. لقد تغير الحال، فبعد أن كانت القيادات المدنية والدينية تسخر بإشعياء حين كان يسير حافياً وعباناً منزواً إياهم أن فوعون ورجاله لن يستطيعوا إنقاذهم (إش 21)، الآن ها هم يأتون إليه لابسين المسوح في مورة يعلنون حاجتهم إلى صلواته ومشورته. اركوا أنه "يوم شدة وتأديب وإهانة" [3]، فليكن يوم توبة وصلاة. شعروا " أن الأجنة دنت إلى المولد ولا قوة على الولادة" [3]، من يستطيع أن يعين إلاً الله خلال الصلاة؟! لا يقدر فوعون بكل إمكانياته أن يهب المرأة الحامل قوة على الولادة حتى متى حان وقت الطلق... الصلاة هي "المولدة" للرحمة التي تحقق الولادة.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [ليس شيء يُعادل الصلاة! إنها تجعل المستحيل ممكناً، والصعب سهلاً. لا يمكن للإنسان الذي يُصلي أن يسقط في خطية] [372]. ويقول الأب ثيوفان الناسك: [الصلاة هي كل شيء؛ هي موجز كل شيء: الإيمان، الحياة حسب الإيمان، الخلاص الخ] [373]. كما يقول أن الصلاة هي [نسمة الروح] [374]، هي [مقياس الحياة الروحية] [375]، الكنيسة كلها [تنتسم خلال الصلاة] [376].

لقد تشامخ ريشاقي وعبر الإله الحي، لذا يحتاج الأمر إلى تدخل هذا الإله لإعلان مجده وقدرته، ولأجل خلاص البقية الأمانة له. يقول الموتل: "حتى متى يا الله يُعير المقوم؟! (مز 74: 10).

2 . إشعياء يطمئن حزقيا:

سخر إشعياء بملك آشور ورجاله، إذ حسب رجال حربيه وقواده غلماناً، ليس لهم فهم ولا قوة؛ فلا يليق بحزقيا أن يخافهم [6]. ما فعله سنحاريب خلال رجاله يُفعل به؛ فقد حاول رجاله أن يملأوا آذان الشعب بكلمات تجديف كما هدوا بالقتل، لهذا امتلأت آذان ملك آشور بخبر زعجه [7] ويسقط بالسيف في أرضه. نطق بكلمات قاسية وهدد بالقتل، فزنتت الكلمات عليه وقُتل. أما قوله: "هانذا اجعل فيه روحاً" [7]، فيعني أن الله يتركه لروح الشر الذي قبله بمحض اختياره، يسلمه له، فيملس شوه الذي ورد عليه.

3 . ملك آشور يُعير الرب:

رجع ريشاقي إلى سنحاريب ليجده قد ترك لخيش وذهب إلى لبنة ليُحلبها. "لبنة" اسم معناه "بياض"، وهي مدينة بين لخيش ومقيدة (إش 10: 39؛ 12: 15)، في نصيب يهوذا خصصت لبني هرون (إش 21: 13). وُجِّح أنها في المكان المسمى تل بورناط على مسافة ميلين شمال غربي من بيت جبرين، يُظن أنها تل الصافي أو الصافية.

سمع الملك أن تهاقة ملك مصر وكوش [9] قد خرج ليحلبه فرُسل إلى حزقيا مرة أخرى يُهدده طالباً خضوع أورشليم واستسلامها له، مجدداً على الله الذي يتكل حزقيا عليه.

يتساءل البعض لماذا كرر سنحاريب تهديده؟ ربما لأنه كان محاطاً بأمم معادية وقد خشى من تهاقة ملك مصر وكوش القوي، لهذا أراد الاستيلاء على أورشليم دون سفك دماء لتكون سندا له.

مع ما حملته الرسالة من تجديد على الله لكنها مختصة عن الأولى وأخف بكثير في لهجتها ربما لأنه أراد أن يكسب حزقيا ويستميله دون إثراء. لقد أظهر له أن لا يوجد عداً شخصي ضده، إنما هي معركة بين إله سنحريب الغالب لكل آلهة الأمم الأخرى وإله حزقيا...
معاونتنا الروحية في حقيقتها معركة بين الله وإبليس؛ نحن لسنا طرفاً فيها، ولا نقدر أن نكون طرفاً. إن اختفينا في الله لننا النصوة به وفيه، مهما حاول العدو أن يُعونا! هذا ما أكرهه داود النبي حينما رأى جليات الجبار يقاوم شعبه إذ قال: "لأنه من هو هذا الفلسطيني الأغلف حتى يُعير صفوف الله الحي؟! (1 صم 17: 26)، "أنت تأتي إليّ بسيف وبومح وبترس، وأنا أتّي إليك باسم رب الجنود..." (1 صم 17: 45).

4 . صلاة حزقيا:

أخذ حزقيا رسالة سنحريب المكتوبة من يد الوسل وقواها ثم صعد إلى بيت الرب وتثوها أمام الرب ثم صلى [14-15].
إن كان سنحريب حسب أنه لا يحمل عدوة شخصية مع حزقيا إنما هي معركة بين الآلهة، فقد أنطلق حزقيا إلى إلهه يعرض عليه الأمر في بيته المقدس. ولعل من أجمل سمات حزقيا أنه رجل صلاة، ففي خمس مناسبات نسمع عنه أنه يتمتع بقوة خلال الصلاة.
يلاحظ في صلاته الآتي:

أ. انفتاح قلبه في الصلاة مع خشوعه وانضاعه... لم يبرر نفسه في شيء بل اختفي تماماً عرضاً في صراحة كاملة الأمر بين يديّ الله .
ب. يدعو الله رب الجنود، بكونه قائد المعركة القدير، جنوده علويون قادرين على النصوة والغلبة ضد العدو.
بيروي لنا القديس جبروم عن راهب مصوي يُدعى أبا آبان [إن أحد العاملين في الحقول التي يحوار النهر سأله أن يطرد عنهم "بهيموت" (أحد أنواع التماسيح المصرية) كان يؤذيهم بعنقه، فإذا به بصوت رقيق يأمر الحيوان: "أناشدك باسم يسوع المسيح أن ترحل"، فأخذ الحيوان ينسحب كما بواسطة ملاك، ولم يعد يظهر بعد في هذه المنطقة ^[377]].

بالمسيح يسوع ربنا ننعم بالنصوة الأكيدة. لقد سأل العلامة أوريجانوس : [إن كان بالحق قد تحطم الشيطان وقواته معه، فكيف نعتقد أنه لا زال هكذا صاحب سلطان ضد خدام الله؟ ويجب قائلًا: إن نشاط الشيطان العنيف له أثره على الأشوار وحدهم، لكنه لم يعد ذا سلطان على من هم في المسيح ^[378]].

ج. دعوة الله بالجالس على الكروبيم، إذ هو غير محتاج إلى عرش زماني، بل عرشه سموي... لذا ففي عمله لا يطلب ما لذاته إنما ما لبنيان شعبه ومؤمنيه.

د. دعوة الله "إله كل ممالك الأرض" وليس إله إسوايل؛ في يده كل الأمم، يُحرك العالم كله بإرادته المقدسة.
هـ. حقا لقد غلب سنحريب الأمم المجاورة وألقى بآلهتها في النار لتحرق وتبيد... لكنه ماذا يقدر أن يفعل بالخالق؟!
و. قدم ختاماً رائعاً للصلاة: " والآن أيها الرب إلهنا خلصنا من يده فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك" [20]. كأن ما تقدمه لنا من نصوة إنما هو شهادة في العالم على صدق إيماننا بك وأنت أنت الإله وحدك ولا آخر غيرك.

5 . إشعياء يعود فيطمئن حزقيا:

صلى حزقيا إلى الله فجاءت الإجابة سريعة عن طريق إشعياء النبي، مضمونها الآتي:
أ. إن كان سنحريب قد جدد على الله وسخر به، فقد وجه الرب حديثه إلى سنحريب يسخر به قائلًا: " احتقوتك، استهزأت بك ابنة صهيون، نوحك انغضت ابنة أورشليم رأسها... [22] الخ.... وكأنه يقول له: إن كنت قد هجت عليّ كحيوان مفقوس فإنني أعرف أن اضبطك وأسخر بك خلال العفراء ابنة صهيون ابنة أورشليم... أو كأنه يقول له: أنت تأتييني بجيشك الضخم وأنا أحطمك بفتاة عفراء تحتقوك. أنت تتفخر بكثرة مركباتك، إذ صعدت إلى الجبال العالية وقطعت أرز لبنان وسروه وتعمقت إلى وعر الكومل ولم تترك قفرتي، فإنني إذ أحفر في الجبال بيدي أبعث ماءً للشرب وإذ

أطأ الأنهار بقدمي أجفها، في يدي مفاتيح الطبيعة... أذكر ما فعلته بوعون أيام موسى النبي [24-26]. أذكر ما فعلته بالأمم حين وهبت أرض الموعد لشعبي! تعلم من التزيخ خلال وقائع عملية حتى لا تتحطم!

يعلن الله لسنحريب أنه ضابط الكل والعرف بالسوانر، ليس محتاجاً أن يبعث إليه رسائل للتجديف عليه، فإنه يعرف جلوسه وخروجه ودخوله وهيجانه عليه... ويستطيع أن يشكمه كالحوانات فيضع حرامة في أنفه وشكيمة (لجاماً) في شفثيه، ويدوه كحيوان مُقاد ليعود من حيث جاء. بمعنى آخر سخر الله به من جوانب عدة: يستطيع أن يهيئه خلال فتاة عذراء تحتوه؛ يُثير الطبيعة ضده، يضبط تحركاته ويقوده إلى حيث لا يشاء! بمعنى آخر الله يذل عدو الخير خلال كنيسته العذراء البتول، مسخراً الطبيعة لحساب ملكته، ومحطماً كل إمكانيات وخطط عدو الخير.

جاء في سورة القديسة ميلانية أن عدو الخير قد أترك أن كل صواعته ضدها قد باءت بالفشل، شعر بالهزيمة واستسلم ولم يعد قاوياً على مقاومتها. ووى العلامة أوريجانوس أنه يليق بنا أن نلوم أنفسنا عندما نخطئ ولا نحسب أن الشيطان هو علة خطأنا كما يظن العامة البسطاء ^[379]. لقد أعطينا بالمسيح يسوع قوة على تحطيم العدو إن أردنا.

ب. أعطى الله لحرقيا علامة مجيدة ليؤزع عنه الوعب من المصاعب التي تحل عليه بسبب غزو سنحريب [30-32]. إن كان العدو قد استولى على الحصاد حتى لم تبق بذار للزرع الأمر الذي يقود إلى حنوث مجاعة أو على الأقل إلى عجز في الطعام، فإن الزرع يخرج في تلك السنة دون حاجة إلى بذار (بما من الواقي التي سقطت عفاً)؛ وهكذا في السنة التالية، وأما في السنة الثالثة حيث يستود الشعب طاقته فتعود الحياة الطبيعية. كأن الله يعمل معهم عجباً ماداموا عاجزين وإمكانياتهم معدمة، حتى متى صاروا في وضعهم الطبيعي يعمل بهم خلال الحياة الطبيعية وخلال قوانين الطبيعة. كانت هذه العلامة رمزاً للبقية الناجية من يهوذا فإن نجاتهم هي عطية من الله بالوغم من مقاومة الأعداء وعنفهم، إذ يقول: "يتأصلون إلى أسفل ويصنعون ثوراً إلى ما فوق" [31]، كأن العدو قد استأصلهم تماماً، فصاروا كمن هم بلا جنور، كلن الله يُقيمهم ويهبهم ثوراً كما فعل بالزرع في السنتين الأولى والثانية من غزو سنحريب... " غوة رب الجنود تصنع هذا" [32]. أي أن هذا الخلاص لا يتحقق عن استحقاق بشوي إنما عن حب الله لشعبه وغيوته عليه بكونه العيس السملوي الغيور على عروسه لتصير مقدسة له لا يغتصبها آخر.

"هكذا قال رب الجنود: غرت إلى أورشليم وعلى صهيون غوة عظيمة" (زك 1: 14).

"لأن الرب اسمه غيور، إله غيور هو" (خر 34: 14).

خلال هذه العلامة يعلن الله بركات نحو شعبه، وهي:

وُلأ: خلاص الشعب من الدينونة فلا يحل بهم القحط بل يتمتعون بثمر وفير [30].

ثانياً: تُزرع البقية من جديد في أورشليم [32] إشارة إلى تجديد الطبيعة البشرية ورعاية الله لكنيسته.

ثالثاً: يصنعون ثوراً إلى فوق [31]، أي يحملون طبيعة سماوية علوية.

رابعاً: انتشار الكورة من أورشليم [32].

خامساً: سر هذا العمل الخلاصي هو نار محبة الله وغيوته المتقدة [32].

ج. تأكيد الله أن سنحريب لن يدخل أورشليم [33-35]؛ لن يصوب نحوها سهماً واحداً ولا يتقدم عليها بتوس، ولا يقيم عليها مؤسة... إنما يعود في حزي من حيث جاء. هكذا يستخدم الله - في محبته لأولاده - كل وسيلة ليؤزع عنهم القلق، مؤكداً لهم حمايته ورعايته ومحبته العملية نهرهم.

د. سر حمايته لشعبه ليس وهم الذاتي وإنما غيوته على مجده وعهوده مع أولاده المحبوبين مثل داود. فإنه ليس من أجل يهوذا ولا من أجل

صلوات حرقيا المثوة يتدخل الله وإنما كما قال: "وأحامي عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسي ومن أجل داود عبدي" [35].

لقد مات داود لكن حياته مستورة خلال صلواته المرفوعة التي من أجلها يحامي الله عن مدينة أورشليم.

6 . ضرب جيش آشور:

" ففوج ملاك الرب وضوب من جيش آشور مئة وخمسة وثمانين ألفاً، فلما بكروا صباحاً إذ هم جميعاً جثث ميتة" [36].

غالبًا ما يقصد بملاك الرب كلمة الله قبل التجسد، وقد تحقق ذلك في ذات الليلة التي تلت حديث النبي إشعياء مع حزقيا (2 مل 19: 35). لقد هُزم سنحريب في المرة مع أنه سبق أن حاصر حزقيا وأذله، فقد جاء في إحدى الحفريات التي وجدت في خرائب نيفوى ^[380] كلمات على لسان سنحريب أنه هاجم حزقيا وأخذ 46 حصانًا ومدنًا صغيرة كما سبي 150 و 200 شخصًا من كبار والصغار، من الذكور والإناث، وعدد كبير من الحيوانات؛ كما أغلق على حزقيا في أورشليم كعصفور في قفص ووضع سدودًا أمام مدينته وفرض عليه جزية مضاعفة الخ...

7 . موت سنحريب وابنه شراصر:

قُتل سنحريب وابنه وهو ساجد في بيت نسروخ إلهه، الذي كان يظن أنه قادر على حمايته وأنه سرّ غلبته على كل الأمم وآلهتهم...

<<

الأصاح الثامن والثلاثون

مرض حزقيا وشفوّه

يقدم لنا إشعياء النبي قصة مرض حزقيا حتى الموت وشفائه بعدما عوض قصة خلاص أورشليم من حصار سنحريب، ربما لأنه أراد تأكيد أن الله يهتم بكل عضو في الجماعة (حزقيا) كما يهتم بالجماعة ككل (خلاص أورشليم). وعى كنيسته المقدسة بكونها جسده الواحد ولا يتجاهل عضوًا واحدًا في الجماعة.

الله لا يتخلى عن مؤمنيه، فقد دافع عن حزقيا الملك عندما التجأ إليه في بيته المقدس وخلال نبيه إشعياء ولم يلجأ إلى النزاع البشري والخطط الزمنية. والآن إذ مرض حزقيا للموت لم يكن ممكنًا أن يذهب إلى بيت الرب فوجه وجهه إلى الحائط وصلى وبكى بكاءً مرًا حاسبًا أن موضه هزيمة لشعب الله وتقاعدًا عن رعايته لهم، مشتاقًا أن يكمل رسالته، فوهبه الله 15 عامًا.

1. أوصي بيتك لأنك تموت [1-8].

2. مؤمور شكر [9-20].

3. علاجه بقوص تين [21-22].

1 . أوصي بيتك لأنك تموت:

" في تلك الأيام مرض حزقيا للموت" [1] . واضح من هذه العبارة ومن عدد [6] أن مرض حزقيا كان في أيام غزو سنحريب. وى بعض الدارسين أنه بسبب وباء حلّ في المدينة بسبب الحصار، ووى آخرون أنه انهيار نفسي وجسدي بسبب ما حلّ ببلده.

جاء إليه إشعياء بنوّع عنه كل رجاء في البقاء في هذا العالم، قائلاً له: " أوصي بيتك لأنك تموت ولا تعيش" [1].

كان خبر موته صدمة له ربما لأحد الأسباب التالية:

أ. كان كعملنا بولس الرسول مشتاقًا إلى الرحيل لكنه شعر بالوأم نحو خدمة الآخرين.

ب. لعله كغوره من رجال العهد القديم الذين كانوا يخافون الموت، إذ لتبظ في ذهنهم بالخطية وغضب الله على الإنسان.

ج. ربما كان يتوقع أن يرى في أيامه مسيح الرب، آدم الثاني، ممثل كل البشرية كما جاء في مزموه [11].

د. لعل السبب الرئيسي أنه لم يكن بعد قد وُلد منسي (2 مل 21: 1)، فلم يوجد من يخلفه على العرش، الأمر الذي لربك، إذ كيف يتحقق الوعد لببيت داود أنه يبقى إلى الأبد. في هذا يضعف حزقيا جداً على خلاف إواهم الذي قدم ابنه ذبيحة نون خوف واثقاً أن وعد الله يتحقق حتماً، مؤمناً بالله القادر أن يُقيمه من الأموات. لقد أنجب حزقيا بعد ذلك "منسي" محب عبادة الأوثان الذي أثار غضب الله على يهوذا (2 مل 23: 26).
على أي الأحوال كان حزقيا رجل صلاة، لم يُفقد الخبر رجاءه في الرب، عرف كيف يُصلي ويُصَلِّح. لقد وجه وجهه إلى الحائط، ربما متجهاً نحو الهيكل كعادة اليهود، لِيُصلي إلى الرب قائلاً: " آه يارب أذكر كيف سرت أمامك بالأمانة وبقلب سليم (كامل) وفعلت الحسن في عينيك" [3]. تطلع حزقيا إلى حياته بكونها رحلة خلالها سار مع الله (تك 5: 24؛ 1 مل 9: 4) بإخلاص لا في كمال مطلق وإنما هادفاً نحو الكمال (مت 5: 45)، بفكر واحد غير متودد ولا منحرف.

لقد بكى حزقيا بكاءً عظيماً [3].

صدر الأمر الإلهي إلى إشعياء أن يذهب إلى الملك ليخوه: " هكذا يقول الرب إله داود أبيك، قد سمعتُ صلواتك، قدرأيت دموعك. هأنذا أُضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة" [5]. جاءت الإجابة سريعة جداً (2 مل 20: 4)؛ ربما تحدث الله مع إشعياء فمّا لقم قبل خروجه من القصر الملكي بينما كان يُعطي نصائح روحية لرجال القصر لتهيئة الجو بعد موت الملك.

سمع الله لصلاة حزقيا، وتطلع إلى دموعه، وتذكر وعده مع داود أبيه، إذ يذكر الله عهده مع الأب لدى أبنائه (خر 20: 5، مز 89: 28-29). أعطاه سؤال قلبه، ما نطق به بلسانه وما تحدث به بقلبه: وهبه طول العمر، وخلصاً من ملك آشور، وحماية عن مدينته أو عاصمة ملكه أورشليم.

أعطاه الرب علامة كطلبه [22]، فقد اختلف حزقيا عن أبيه الشوير الذي رفض أن يطلب علامة من الله (إش 7: 10).

جاءت العلامة الإلهية لتأكيد تحقيق الوعد الإلهي هكذا: رجوع الشمس عشر درجات [8]. وى البعض أنها مجرد تراجع للظل على الدرجات التي تقود إلى "بلكونة" في القصر أو تقود إلى العلية. وى البعض أنها كسوف للشمس حدث في 11 يناير 689 ق.م. [\[381\]](#) الشمس هي المقياس الصادق للؤمن، وهي في يد الله محرك التاريخ والأحداث والؤمن نفسه، استخدمها علامة في أيام يشوع (يش 10: 12)، وأيضاً في أيام حزقيا، وعند صُلب رب المجد، وقبل مجيئه الأخير حيث تظلم الشمس...

الله أب كل الأنوار يُحرك الشمس ويوجهها لأجل بنياننا.

ربما يتساءل البعض: هل غير الله رأيه بإطالة عمر حزقيا؟

وى القديس أغسطينوس [\[382\]](#) أن حزقيا كان يجب أن يموت خلال المسببات الطبيعية مثل الموض، لكنه أضاف 15 عاماً إلى حياته، هذه الإضافة يعرفها الله قبل تأسيس العالم، محتفظاً بها في رادته. ما فعله من إضافة حقق ما في خطة الله إذ يعلم ما كان سيفعله حزقيا وما كان يهبه الله إياه. ما يشغل ذهننا ليس البحث في هل الله كان قد سبق فحدد عمر حزقيا ثم تراجع عنه بإضافة 15 عاماً إليه، وإنما إواك قوة الصلاة في حياتنا، فقد وهبته حياة بعدما كان يجب أن يموت حسب قوانين الطبيعة. الصلاة بكونها التصاق بالله واهب الحياة قاورة على كل شيء، وغالبة للموت، موت الخطية. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم [\[383\]](#): [إننا بالصلاة من أجل غوان الخطايا، ننتم رادة الله وبالتالي نتأكد أنها مستجابة].

❖ خلال الصلاة قُبلت التقدّمات؛ الصلاة هي التي حوّلت الطوفان عن ووح؛ الصلاة شفت العقم، وطرحت جيوشاً؛ الصلاة أعلنت أسولاً؛ الصلاة شقت البحر وأوجدت طريقاً في الأردن؛ الصلاة رجعت الشمس وأوقفت القمر، حطمت الدنسيين، وأتولت نزلًا.

الصلاة أغلقت السماء، وأخرجت (أناساً) من الجب، وأقنذت من النار، وخلصت من البحر. قوة الصلاة كقوة الصوم الطاهر عظيمة للغاية...



صلى حزقيا، فغلبت صلاته 185.000 شخصًا، بواسطة ملاك عمل كقائد للجيش (1 مل 19: 15، 35)...

❖ دانيال صلى، فسدت صلاته أفواه الأسود...

❖ حمل كل واحد من آباننا الأوار سلاح الصلاة عندما قابلتهم الأخران فخلصوا منها.

[\[384\]](#)
الأب أواهات

❖ طوبى للإنسان الذي يقبل أن يكون صديقًا حميمًا للإيمان والصلاة، فإنه يعيش في فكر واحد...

❖ الصلاة التي ترتفع في قلب إنسان تفتح لنا باب السماء...

❖ تُقيم الصلاة سلامًا مع غضب الله...

[\[385\]](#)
القديس مار أوام السرياني

❖ تستطيع الصلاة أن تضغط على الشيطان الذي يضغط على الجنس البشري. إنها تقدر أن تخلص من يده، وتحرر من كل تجرب في العالم. لهذا

السبب حسنًا أمرنا ربنا أن نسهر ونصلي لئلا ندخل في تجربة (مت 26: 41).

[\[386\]](#)
الأب مرتيوس

2. زمور شكر:

أ. كثوًا ما نذكر الله في وقت الضيق والشدة لكننا ننسأه في وقت الفوج والبهجة، أما حزقيا فقد أظهر أنه رجل صلاة ودوع وسط الآلام ورجل تسبيح عند الفوج يعرف كيف يشكر الله على إحساناته.

في هذا الزمور أظهر أنه رجل صلاة، رجل تسبيح، شاعر وموتم، غريب في العالم، مملوء رجاءً في الرب المخلص من الموت وواهب

الحياة الموحدة.

ب. حسن أن يُقدم حزقيا هذا الزمور كذبيحة شكر لله وواهب الحياة، وكان أفضل أن يُقدم حياته ذاتها ذبيحة شكر له؛ لكن للأسف قدم تسبحة شكر دون حياة شكر، إذ قيل: "لكن لم يُردَّ حزقيا حسبما أُنعِم عليه لأن قلبه ارتفع فكان غضب عليه وعلى يهوذا وأورشليم" (2 أي 32: 25).

يليق بنا أن نُسبح الله ليس فقط بألسنتنا فننطق بزمير حمدٍ له، وإنما أيضًا بكل أعضاء جسدنا ومشاعرنا وأحاسيسنا كما بسلوكنا العملي

فتتحول كل حياتنا إلى قيثرة

ذات أوتار متباينة تعزف سيمفونية حب لله خالقنا ومخلصنا.

ج. يظهر من زمور حزقيا كيف عانى في البداية من روح اليأس، إذ قال: " أنا قلت في عز أيامي أذهب إلى أبواب الهلوية. قد أُعدمت بقية

سنيّ [10]. كان حزقيا قد بلغ حوالي تسعة وثلاثين عامًا من عمره؛ شعر أنه في عز شبابه قد قُطعت أيامه السعيدة وحرم من خدمة الله وشعبه التي كان

قد وضع في قلبه أن يكملها عبر سنوات حياته. كأنه يردد كلمات داود الملك: "وأنا قلت في حيرتي إنّي قد انقطعت من قدام عينيك" (مز 31: 22).

د. ربما كان يتوقع حزقيا أن وى المسيح الرب في أيامه، أو كان يتوجى مجيئه متجسدًا من نسله وها هو يموت بلا نسل، لذلك يصوخ في

يأس: " قلت لا أرى الرب؛ الرب في أرض الأحياء، لا أنظر إنسانًا بعد مع سكان الفانية" [11]. هكذا كان يتوقب أن وى المسيح الرب هنا أو ينعم بمجد

الرب في الحياة الأخرى، لكن اليأس حطمه.

" قلت لا أرى الرب "... أي رجاء لنا في هذا العالم أو في العالم الآتي ما لم ننعم برؤية الرب، هنا خلال عيني القلب بالإيمان، وهناك وجهًا

لوجه!

❖ طوبى، مثلث الطوبى، بل ومتعدد التطويبات للذين يُحسبون أهلاً لمعاينة ذلك المجد. عن هذا يقول النبي: "لينتزع الشوير فلاوى مجد الرب" (إش 36: 10 الترجمة السبعينية). ليت الله يهبنا ألا ينتزع أحد منا ولا يُستبعد عن معاينة (الرب)... فإنه لماذا نحن نعيش؟ ولماذا نتنفس؟ ماذا يكون حالنا إن فشلنا في معاينة ربنا ولم تُمنح هذا؟! إن كان الذين لا يعاينون نور الشمس يحسبون الحياة أفسى من الموت، فماذا يكون حال من يرمون من ذلك النور؟!

[387] **القديس يوحنا الذهبي الفم**

❖ قبل أن أريك إلهنا رُنّي إنسانك؛ واعطني الوهان على أن عيني نفسك تستطيع أن ترى وأن أدني قلبك تستطيع أن تسمع. على العكس من كانت أعينهم مصابة بسحابة الخطية لا يقدرّون على معاينة الله...
عندما تُتزع من طبيعتك الفاسدة وتلبس عدم الفساد سوى الله إذ تتأهل لذلك. فإن الله سيُحيي جسدك ويجعله مع نفسك غير المائت، حينئذ سوى العديم الموت وحده، إن كنت تؤمن به الآن.

[388] **القديس ثيوفيلس الأنطاكي**

هـ. يُقدم عدة تشبيهات يُعبر بها عن حياته الزمنية:
التشبيه الأول: خيمة الراعي السريعة التنقل [12]، هذا يخلق الإحساس بالغربة، ليس لنا موضع في العالم نستقر فيه، فنكون كأبينا إواهم الذي لا يتوقف عن السير في رحلة حياته... نبقى في هذه الخيمة المتنقلة حتى نعبّر إلى مسكن أبدي ليس من صنع يد بشوية. وقد استخدم هذا التشبيه معلماً بولس الرسول (2 كو 5: 1) وأيضاً القديس بطرس (2 بط 1: 14).
التشبيه الثاني: النسيج، " لفقت كالحائك حياتي، من النول يقطعني، النهار والليل تفنيني" [12]. هكذا يحيك الله حياتنا كقثوب مقطوع من النول يُحاك حسب حجم جسد كل واحد منا، لا يدم كثوًّا بل إلى حين، كمن يلبسه يوماً واحداً وليلة واحدة ثم يُخلع. وكما يقول اليفاز التيماني: "يُسحقون مثل العث، بين الصباح والمساء يُحطمون" (أي 4: 19-20).
التشبيه الثالث: الفريسة التي يُحطمها الأسد جميع عظامها بين نهار وليلة واحدة [13].
التشبيه الرابع: كسونة مزقوقة يصيح في ضعف، إذ خَفَت صوته بسبب المرض أو بالحري بسبب يأسه من الشفاء، صار صوته كهدير حمامة [14]، وصلت عيناه عاجزتين عن التطلع إلى العلاء [14].

و. نجد تويلاً سويماً من الشعور بورة النفس اليائسة [15] إلى خوة الحياة الجديدة، إذ يقول بلا مقدمات: " أيها السيد بهذه يحيون وبها كل حياة روي فتشفيني وتحيني" [16] ... ينتقل من الموت إلى الحياة ومن العورة إلى السلامة [17]؛ سرّ ذلك تدخل السيد المسيح، واكتشاف عمله الإلهي الخلاصي، إذ يقول: " فإنك طرحت وراء ظهورك كل خطاياي... الرب لخلاصي، فنعرف بأوترنا كل أيام حياتنا في بيت الرب" [17، 20].
ماذا وجد في مخلصه؟

أولاً : تحولت حياته من رحلة موعبة للغاية وموءة النفس إلى حياة هادئة مملوءة سلاماً، خلالها لا يخاف المؤمن حتى من الهلوية [17].
ثانياً : تتهلل نفسه لا من أجل شفائه من المرض وطول عمره وإنما من أجل غوان خطاياها كلها [17].
ثالثاً : صار مشتاقاً أن يُسلم الأجيال القادمة هذه الحياة الجديدة، أو حق الله [19].
رابعاً : تحولت كل بقية حياته إلى مومور فوح لا ينقطع [20]، يتوّم به كما في بيت الرب، لذلك يحدثنا القديس أثناسيوس الرسولي عن العيد (أو الفوح) بكونه هو "المسيح" كسرّ بهجتنا الدائمة. كما قال: [الذين يعيشون في المسيح هم وحدهم يستطيعون أن يمجوا الله ويبلّكوه، بهذا يصعدون إلى العيد [389].

[389] **العيد**

على أي الأحوال المؤمن الذي يعيش في المسيح ينعم بحياة فوح دائم وأيضاً شكر دائم، في وسط آلامه وأراحه.

❖ ليس وقت أنسب للإنسان أن يحمل فيه مشاعر شكر نحو الله مثلما عندما يكون في تجرب ومتاعب. وليس وقت أفضل لتقديم التشكرات مثلما عندما يأتي إلى الراحة بعد صواعات وتجرب.

[\[3901\]](#)
القديس أنثاسيوس الرسولي

❖ الصلاة فوح تعبر عن نفسها في الشكر.

[\[3911\]](#)
الأب أوغريس

❖ بالصلاة الروحية ومنطوقات الشكر نرتفع عن الأرض إلى الأعالي.

[\[3921\]](#)
الأب موتيروس

3. علاجه بقوص التين:

طلب إشعياء النبي من حزقيا أن يضع قوص تين [كعكة من التين المضغوط] على الجزء الملتهب من جسمه فيوماً... لماذا؟ لكي يعلن الله أنه وإن كان هو الطبيب الشافي لكنه يستخدم الأدوية والوسائط المادية التي خلقها لإشباع احتياجاتنا، وقد كانوا في ذلك الحين يضعون قوصاً من التين المضغوط على الأماكن الملتهبة في الجسم كعلاج. ومن جانب آخر فإن الشفاء هو عطية إلهية مجانية يقدمه الله من عندياته.

قوص التين كعقود العنب كلاهما يُشوان للحياة الكنسية الحية، فالتينة تحمل عددًا لا حصر له من البذار الرفيعة جداً، لا قيمة للبوة الواحدة ولا طعم ما لم تجتمع ببقية البذار تحت غلاف واحد يجمعهم معاً كما بعنوبة الحب والوحدة. هذا هو سرّ عنوبة الكنيسة. وهذا هو علة شفائنا، مع ما لكل واحد منا من علاقته الشخصية الخفية مع الله نجتمع معاً كتينة حلوة في فم الله. لذلك قال حزقيا عن علامة شفائه "إني أصدق إلى بيت الرب" [22] ليجتمع مع شعب الله خلال الرب نفسه.

<<

الأصاح التاسع والثلاثون

حزقيا يكشف ذخاؤه

أختتم الجزء الأول من سفر إشعياء بهذا الأمر الصعب: سقوط حزقيا الملك في الكوياء وكشف كل ذخاؤه وذخائر آباءه لسوء ملك بابل من باب الاستواض لغناه ومجده، لذا صدر الأمر بسحبها جميعاً إلى بابل.

لقد ارتفع نجم أورشليم بعد هزيمة ملك آشور الذي رعب جميع الأمم وابتدأ الغور يتسلل إلى قلب حزقيا ليدفع به إلى الهلوية.

ظن أنهم جاؤا من أرض بعيدة من بابل [3] فلا خطر عليه منهم، لذلك صدر الحكم الإلهي بالعقاب خلال بابل.

جاءت العقوبة قاسية لأن الكرياء داء خطير للغاية، يعني شوكة في طبيعة الشيطان. لم يفقد حزقيا القرائن التي كشفها فحسب وإنما يفقد حرية

ولاده إذ يصيرون خصيائناً في بيت ملك بابل [7].

وى العلامة أوريجانوس أن الكرياء هي خطية الشيطان الرئيسية ^[395]. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [ما كان للشيطان أن ينحدر ويصير

شيطاناً لو لم يُصب بهذا المرض. لقد طرحه خراج الثقة (بالله)، وأتى به إلى هوة النار، وهو علة كل الويلات. أنه كفيل بتحطيم كل صلاح للنفس، سواء

وجد عطاء (تقديم صدقة) أو صلاة أو صوماً أو أي شيء آخر... ليس أغبى من الإنسان المتكبر، حتى وإن أحاط به الغنى أو نال الكثير من حكمة هذا

العالم، أو وُجد في قصر ملوكي ^[396]...].

3 . اعتراف حزقيا بالخطأ:

" فقال حزقيا لإشعيا: جيد هو قول الرب الذي تكلمت به؛ وقال: فإنه يكون سلام وأمان في أيامي" [8].

في الظاهر نطق الملك بكلمات تحمل تسليماً، لكننا لا نعرف ما هي اتجاهاته وواقعه، ربما يكون استسلاماً دون توبة وثقة في الله القادر على

غوان الخطايا.

لقد اعترف أنه أخطأ لكنه لم يقدم توبة، دليل ذلك أنه عوض الصواخ إلى الله بدوع من أجل الرجوع إليه شعر بطمأنينة أن التأديب سيحل بعد

موته في أيام ولاده. لقد حمل نوعاً من الأناية، فقد أهتم أن يقضي أيامه في طمأنينة دون المبالاة بما سيحل بالشعب وبنسله فيما بعد.

<<

الباب الثالث

القدس المؤي بالخلص

[ص 40 - ص 66]

- 1 . عزوا عزوا شعبي [44 - 40].
- 2 . هجوم كورش على بابل وخرابها [47 - 45].
- 3 . أحاديث خلاصية [59 - 48].
- 4 . مدينة الرب الجديدة [66 - 60].

القنوس المخلص

في القسم الأول أوضح النبي ما وصلت إليه البشرية من فساد بسبب الخطية أو حرمانها من الشوكة مع الله القنوس؛ وفي القسم الثاني أعلن عن الحاجة إلى هذه الشوكة لنوال النصوة في الداخل كما على الأعداء الروحيين بل وعلى موت نفسه. والآن يعلن ما هو أعظم: تدخل القنوس كمخلص يهب الإنسان شوكة الأمجاد السملوية.

في هذا القسم نجد الخطوط العريضة التالية:

- 1 . المسيح المخلص الحامل الآلام، أو العبد المتألم الذي يهب العبيد حرية مجد ولاد الله.
- 2 . العصر المسياني كعصر سلام داخلي ومجد خفي ينعم به المؤمنون خلال الشوكة مع المخلص.
- 3 . إواز عطية المسيح العظمى: الروح القنوس، الذي يحول رية قلوبنا إلى فودوس، وظلمتنا الداخلية إلى نور الحق.

⏪

الأصاح الأربعون

عزوا عزوا شعبي

أفتتح السفر بالكشف عن مبرة ما وصل إليه شعب الله من فساد، بل ما وصلت إليه البشرية كلها؛ الآن في هذا الأصاح يرفعنا روح الله القنوس لنكتشف خطة الله الخلاصية وتدبوه نحو شعبه لينعموا بعمله الإلهي وتغرياته الفائقة. غاية هذا الأصاح وما بعده زرع اليأس من المسيبين وبت روح الوجود فيهم.

- 1 . عزوا عزوا شعبي [2-1].
- 2 . تهيئة الطريق للرب [8-3].

3 . خطة الله فائقة الإواك [9-26].

4 . موقف غير المؤمنين [27-31].

1 . عزوا عزوا شعبي:

اعتاد الله أن ينسب الشعب إليه عند رضاه عنه فيدفعه "شعبي"، أما في حالة عصيانه فتلذذ ينسبه إلى موسى (خر 32: 7) أو يدعو "الشعب" (خر 32: 9)، وفي أكثر صراحة يقول: "ليس شعبي" (هو 1: 9)، وذلك لكي يثروهم فوجعوا إليه ويعود فينسبهم إليه (هو 2: 23). أما هنا إذ يفتح أمامهم بل أمام البشرية المؤمنة باب الخلاص فيدعوهم "شعبي".

اعتاد النبي تكرر بعض الكلمات مرتين كما جاء هنا "عزوا عزوا" (51: 9، 17؛ 5: 1)، لأنه يتحدث عن كنيسة العهد الجديد القادمة من فريقيين: اليهود والأمم؛ لأنها كنيسة الحب الذي يوحد ويوحد، فإن رقم 2 يُشير إلى الحب. المحبة تجعل الاثنين واحداً. إنها كنيسة الحب الذي يربط الله بها كعريس بعروسه، والذي يربط الأعضاء القادمين من كل الأمم كجسد واحد للرأس الواحد. خلال هذا الحب يُخاطبها قائلاً: "طوبوا قلب أورشليم" [2]، والتوجمة الحرفية "تحدثوا إلى قلب أورشليم"، تعبير تكرر 8 مرات في العهد القديم (تك 34: 3؛ 50: 21؛ قض 19: 3؛ 2: 13؛ 2 صم 19: 7؛ 2 أى 20: 22؛ هو 2: 14) يوجه إلى محبوب أو محبوبة؛ فالكنيسة هنا عروس المسيح المحبوبة إليه، يحدثها بلغة الحب التي لا يفهمها إلا القلب. اللغة التي تحدث بها في أكثر صراحة وعمق خلال الصليب ليقنتي البشرية عروساً له (رو 19: 7؛ 21: 2، 9).

إنها دعوة يُقدمها العريس لعروسه المتألّمة لكي تتطلع وسط آلامها إلى النهاية الموحدة، فتحمل الألم في رجاء وبسرور كعيسها الذي تألم من أجل السرور الموضوع أمامه (عب 12: 2)، إذ رأى خلاصنا وتمجيدنا في حمله الصليب. وكما يقول الرسول: "كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح تكثر تغريتنا أيضاً" (2 كو 5: 1).

ما هو سرّ تغريتنا؟ يقول الله: "أنا أنا هو مغزيكم" (إش 51: 14). هذا هو سرّ تغريتنا: الأب يتقدم إلينا ليضمنا إليه كالأولاد له، خلال اتحادنا بالمسيح الابن الوحيد الجنس، الذي يُقدم حياته كفؤة عن خطايانا كسرّ تغريتنا: بالمسيح تكثر تغريتنا" (2 كو 1: 5). مسيحنا الذي ضمنا إليه بدمه يُقدم لنا روحه القديس "المغزي" الذي يملأ قلوبنا به مقيماً ملكوت الفرح في قلوبنا. لهذا يقدم حديثاً موجهاً إلى القلب، قائلاً: "طوبوا قلب أورشليم وناووها بأن جهادها قد كمل، أن إثمها قد عُفي عنه، أنها قد قُبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها" [2].

من الجانب الحرفي يتطلع النبي إلى السبي الذي يحل بالشعب لا ككلثة سياسية حدثت مصادفة أو ثوة ضعف عسكري، وإنما هو سماح إلهي لأجل التأديب. لقد قبلت التأديب ضعفين، ذلك لأنها من جانب ارتكبت خطايا غير لاثقة بها، ومن جانب آخر لم تُملس برّ الله أو تصنع الخير. الوصية الإلهية تُطالبنا بالكف عن الشر وصنع الخير.

أما من الجانب النووي فإنها إذ تتطلع إلى عريسها المصلوب تجده قد دفع الدين عنها في أكمل صورة لا ليعفيها من الدين فحسب وإنما لكي يبررها بدمه ويقدمها فتعم بشوكة أمجاده. وكأنه قد تحققت توصلات البشرية التي عبر عنها داود النبي، قائلاً: "انظر إلى ذلي وتعبي وأغفر جميع خطاياي" (مز 25: 18).

الآن يتطلع النبي إلى موكب الشعب الراجع إلى أورشليم كرمز لموكب المفديين بدم رب المجد يسوع، وقد جاء القديس يوحنا المعمدان يُهيبُ الطريق لهذا الموكب المسماني السموي.

2 . تهيئة الطريق للرب:

لعل إشعياء النبي قد سمع صوتاً سمائياً يدعو السمايين لتهيئة موكب العودة من السبي إلى أورشليم، فقد سبق وأى حزقيال النبي مجد الرب

يفرق المدينة (جز 11: 22-25)، والآن ها هو يعود الموكب مع عودة المسبيين، وكأنه موكب ملوكي إذ يتقدمه الله نفسه محرر ولاده!

أما الموكب الأعظم فهو تهيئة الطريق لدخول المسيا المخلص إلى حياة البشوية، الذي تحقق بواسطة القديس يوحنا المعمدان - ملك الرب - بالحديث عن التوبة وإعلان الحاجة إلى المخلص (مر 1: 3؛ مت 3: 3؛ لو 3: 4-6؛ يو 1: 22).

كان القديس يوحنا هو الصوت الذي يبوي في البرية لتهيئ الطريق للكلمة الإلهي، معلناً أن كل نفس متعجرفة ومتعالية تتحدر إلى أسفل [4] وكل قلب موج يصير مستقيماً، وكل العقبات تزول لأن مجد الرب يعلن خلال المسيا المخلص، وواه كل بشر معاً: من اليهود والأمم. لذا يقول النبي: "صوتُ صلخ في البرية: أعتوا طريق الرب، قوّموا في القفر سبيلاً لإلهنا. كل وطاءٍ يوتفع، وكل جبلٍ وأكمةٍ ينخفض، ويصير الموجُ مستقيماً والواقيب سهلاً؛ فيعلن مجد الرب وواه كلُّ بشرٍ معاً، لأن فم الرب تكلم" [3-5].

دُعي يوحنا "صوتاً" بينما دعي المسيح "الكلمة"، وشتان ما بين الصوت والكلمة، إذ يقول الآباء أن الصوت هو الذي يُسمع بالأذن أما الكلمة فهي التي يدركها العقل، هكذا جاء يوحنا شاهداً للمسيح الكلمة الإلهي:

❖ ربما يفسر هذا كيف فقد زكريا صوته عند ميلاد "الصوت" الذي يُشير نحو كلمة الله، ولم يُشفَ من هذا إلاّ بعد ولادة "الصوت" السابق للكلمة. يجب أن يُدرك الصوت بالأذن فيقبل الذهن الكلمة الذي يُشير نحوه "الصوت". يوحنا يُشير نحو المسيح، لأن الحديث (الكلمة) يُعلن بواسطة الصوت.

[\[397\]](#)
العلامة أوريغانوس

❖ من حديثنا تعرفون أن "الصوت" يكون أولاً عندما تُسمع "الكلمة"، لهذا يعلن يوحنا عن نفسه أنه "صوت" إذ هو يسبق "الكلمة". فبمجيئه أمام الرب دُعي "صوتاً"، وبخدمته سمع الناس "كلمة الرب". إنه يصوح معلناً: "اصنعوا سبله مستقيمة"... إن طريق الرب للقلب يكون مستقيماً متى استقبل بإتضاع كلماته للحق؛ يكون مستقيماً إن مررنا حياتنا في توافق مع وصاياه. لذلك قيل: "إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتى وعنده نصنع مؤلاً" (يو 14: 23).

الأب غريغوريوس الكبير

❖ كان إشعيا على علم بعمل يوحنا التبشوي، فبينما يُسمى إشعيا المسيح إلهاً ورباً (إش 9: 6) يُشير إلى يوحنا بأنه رسول خادم ومصباح يضيئ قبل ظهور النور الحقيقي. هو كوكب الصبح الذي يعلن عن بزوغ الشمس من وراء الأفق، فتبدد أشعتها الساطعة سجد الظلام الحالكة. كان يوحنا صوتاً لا كلمة، يتقدم المسيح، كما يتقدم الصوت الكلمة.

[\[398\]](#)
القديس كيرلس الكبير

بماذا يُنادي هذا الصوت؟ بإنجيل العهد الجديد الذي هو طريق الرب، الذي يرفع النفوس المتضعة إلى الحياة السماوية، ويحطم كوياء المشامخين، يُجدد الخليقة التي اعوجت لتسلك باستقامة، ويزيل العقبات من أمامها، فيتمجد الرب في البشرية المؤمنة [3-5].

❖ لينتج تسير في الطريق الملوكي، لا تتحرف عنه يميناً ولا يسراً، إنما يقودك الروح خلال الباب الضيق، عندئذ تتجح كل أمورك عند استجوابك هناك في المسيح يسوع ربنا.

[\[399\]](#)
القديس غريغوريوس النزيوي

" صوت صلخ في البرية" [3] ، يبوي في البرية هذه الحياة القاحلة، إذ لا تحمل في داخلها شجرة الحياة كما في الفوس الأول؛ جاء يعلن عن السيد المسيح شجرة الحياة التي تُغرس في بركة طبيعتنا ليقوم منها فوساً مثواً بحلوله فينا. بهذا المعنى يقول القديس أمبروسيوس: إقبل أن يُقيم ابن الله أعضاء الكنيسة بدأ عمله في خادمه يوحنا، لهذا وأخطر القديس لوقا (لو 3: 2) كلمة الله حالاً على يوحنا بن زكريا في البرية... تحقق هذا في البرية الموحشة، لأن بني المستوحشة أكثر من التي لها أولاد (إش 54: 1) ، وقد قيل لها: "افحي أيتها العاقر التي لم تلد" (إش 54: 1)... إذ لم تكن بعد قد

زُرعت وسط الشعوب الغريبة... ولم يكن بعد قد جاء ذلك الذي قال: "أما أنا فريتونة مخصبة في بيت الله" (مز 52: 8)، ولم يكن قد وهب الكوام السملوي للأغصان ثورًا (يو 15: 1). إذن فقد رن الصوت لكي تنتج الوبية ثمرًا [400].

❖ يُعد طريق الرب في قلبنا، فإن قلب الإنسان عظيم ومتسع، كما لو كان هو العالم. أنظر إلى عظمته لا في كمّ جسدي، بل في قوة الذهن التي تعطيه إمكانية احتضان معرفة عظيمة جدًا للحق.

إذن فليعد طريق الرب في قلبكم خلال حياة لائقة وبأعمال صالحة وكاملة، فيحفظ هذا الطريق حياتكم باستقامة، وتدخل كلمات الرب إليكم بلا عائق.

[\[401\]](#) العلامة أوريجانوس

لاحظ القديس أغسطينوس أن النبي استخدم كلمة "جسد" في العبارة " فيعلن مجد الرب وواه كل البشر (جسد) جميعًا" [5]، وأنه لا يعني بذلك الجسد دون النفس إنما قصد الإنسان بكامله، فكثيرًا ما يستخدم الكتاب المقدس كلمة "جسد" أو "نفس" لتعني الإنسان. فإن من يُعابن مجد الرب هو الإنسان بكليته [لأن الجسد وحده بدون النفس لا وى شيئًا] [402].

عندما قال الإنجيلي "الكلمة صار جسدًا" (يو 1: 14)، لم يقصد أن كلمة الله أخذ جسدًا دون نفس بشرية كما ادعى أبو للينليوس، الأمر الذي دعى البابا أثناسيوس الرسولي أن يكتب ضد صديقه أبو للينليوس كتابًا يفند فيه آراءه.

سمع النبي إشعياء صوتًا سماويًا آخر يؤكد أن كل جسد (إنسان) هو كعشب الأرض (مز 90: 5؛ 103: 15)، "أما كلمة إلهنا فتثبتت إلى الأبد" [8]. من يلتصق بواب الأرض أو بمحبة الأمنيات يصير عشبانًا، ومن يلتصق بالسيد المسيح "كلمة الله" يقوم معه ليحيا في مجده أبدًا. هذا هو الطريق الذي هياه الكتاب المقدس لقبول المخلص: التّامنا بالشركة مع ذلك الذي يحولنا من عشب الأرض الرائل إلى الشركة معه والثبوت فيه أبدًا في أمجاده. وكما يقول القديس أغسطينوس : [إن اشتاق إنسان ما إلى الراحة الحقيقية والسعادة الحقّة يؤمّه أن يرفع رجاؤه فوق الأمور المائتة الزائلة ويثبتها في كلمة الرب حتى إذ يلتصق بها تبقى إلى الأبد ويبقى هو معها أبدًا].

يلق العلامة أوريجانوس على القول بأن "كل جسد عشب" قائلاً: [بإن السيد المسيح أمر الجوع أن تجلس على العشب (مت 14: 21) لكي يشبعهم، بمعنى أنه إذا ما أخضع الإنسان جسده (الجلوس على العشب) ووضع كل الأمور الزمنية تحت قيادة النفس ليكون بكليته سالكًا بالروح القدس عندئذ يتمتع بركات السيد المسيح وينعم بالشعب الحقيقي. أننا لا نستطيع أن نلتقي بمسيحنا ولا أن نتقبل عطايه الإلهية خلال التلاميذ أي الكنيسة مادّنا نعيش حسب الجسد. إذن فلنخضع الجسد لنفوسنا بالروح القدس ولننتكئ على العشب ليكون الجسد خادمًا مطيعًا يعمل في انسجام مع النفس دون مقاومة لها، عندئذ ننعّم بالروحيات.

فيما يلي بعض تعليقات الآباء على عبارة " كل جسد عشب وكل جماله زهر الحقل، يبس العشب ذبل الزهر، لأن نفخة الرب هبت عليه" [6]- [7].

أنظر فإن ما تلتصق به نفسك إنما تلتصق به أبدًا. إن التصقت بالعشب وزهر العشب إنما تربط نفسك بالعشب الذي يذبل والزهر الذي يسقط، وسيبيد الله هذه في النهاية [403].

❖ إذ يعرف الله تكويننا بكونه أبًا، إننا لسنا إلا زباب لا يمكن أن تدهر إلا إلى حين، لذلك أرسل إلينا كلمته، كلمته هذا يبقى إلى الأبد. جعله أختا للعشب الذي لا يدوم.

لا تعجب فقد صوت شريكًا له في أبديته، فقد شريكك وُلأ في العشب [404].

❖ هكذا فعل موسى رأس العجل (خر 32: 20 - أحرقه بالنار)، فإن رأس العجل يمثل سوءًا عظيمًا، بكونه يمثل جسد الأشرار، لأنه يأكل عشبًا ويطلب

[405]

الزمنيات، فان كل جسد عشب...

القديس أغسطينوس

❖ لماذا تخافين من الأمور الزمنية التي تعبر كمجى من نهر؟! فإن هذه هي طبيعة الأمور الحاضرة، سواء كانت مفوحة أو مؤلمة. يوجد نبي آخر يقلن الازدهار البشري بالعشب.

[\[406\]](#) القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ نسمع هذا وما يشبهه كل يوم ومع هذا لا زال مسعورين في الأرض.

[\[407\]](#) القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إنني أعرف أن البعض يحاول إظهار أن هذه الكلمات (كل جسد هو عشب) تشير إلى حالة الناس الهمجيين من أمم مختلفة ولهم عادات مختلفة، جاؤا إلى الإيمان (بكلمة الرب) فصلروا في انسجام الأوار.

[\[408\]](#) القديس إيريناؤس

3 . خطة الله فائقة الإبراك:

الآن بعدما أبرز أن من يرتبط بالزمنيات الفانيات يصير كعشب الأرض الذي يذبل ومن يلتصق بكلمة الله الأبدي يبقى معه أبدياً، يعلن عن معنى الارتباط بكلمة الرب.

أ. قبول البشارة الإنجيلية المفوحة: " على جبل عال اصعدي يا مبشوة صهيون، رفعي صوتك بقوة يا مبشوة أورشليم. رفعي لا تخافي. قولي لمدن يهوذا: هوذا إلهك. هوذا السيد الرب بقوة يأتي وفراعه تحكم له" [9-10].

من هذه التي ترفع صوتها إلا كنيسة العهد الجديد التي تصعد بالبشرية كما على جبل كلمة الله خلال كرة التلاميذ والرسول بل وشهادة كل الشعب، تصعد بالنفوس إلى الحياة السماوية أو الحياة الجديدة التي صلت لنا في المسيح يسوع لتنتقي بالله مخلصنا كمصدر فوح وتهليل. واه قادماً إليها ليحكم في أعماقها ويقيم ملكوته بفراعه الوفيعة.

ب. أوراك حقيقة الله؛ فإننا إذ نرتفع إلى الحياة الجديدة نلتقي مع الرب على مستوى شخصي، فلا نجده قوة خفية مجهولة وإنما كأننا يتعامل معنا: "يأتي ويحكم ويجلي وواعي الخ... وكما يقول القديس غريغوريوس النيسي في رده على أونوميوس: [هل الله إذن طاقة وليس شخصاً] [\[409\]](#).

يقول القديس يوحنا كاسيان [\[410\]](#): [إنه يلبق بنا عندما نسمع كلمة "فراعه" أو ما أشبهها لا نفهمها بمعنى جسماني مادي.

ج. اكتشاف رعاية الله لنا بكونه الواعي المهتم بقطيعه [11]، وهو فريد في شخصه كما في رعايته:

* أنه الخالق القدير في رعايته: " من كال بكفه المياه؟! وقاس السموات بالشبر؟! وكال بالكيل تواب الأرض؟! ووزن الجبال بالقبان والآكام بالموزان؟! إنه خالق المياه

والسموات كما التواب والجبال الصلدة. الذي خلق يقدر أن يُجدد الخليقة.

تشير المياه إلى الشعوب، والسموات إلى النفس، والأرض إلى الجسد، والجبال والتلال إلى قنرات الإنسان ومواهبه، وكأن الله في رعايته قدير، يُجدد الكنيسة ككل بضم الشعوب إليها، كما يُجدد كل نفس مع الجسد بطاقاته وأحاسيسه ومشاعره وإمكانياته.

إنه يقيس ويزن كل شيء، إذ هو كلي القوة.

لعله أراد أن يؤكد أن الله يهتم بخليقته الجامدة من مياه وجلد السماء حتى التواب والجبال والتلال، فكيف لا يهتم بنا نحن الذين على صورته

ومثاله، وقد خلق العالم كله من أجلنا.

❖ إن كنت تشك في عناية الله سل الأرض والسماء والشمس والقمر. سل الكائنات غير العاقلة والزرع... سل الصخور والجبال والكثبان الرملية والتلال. سل الليل والنهار؛ فإن عناية الله أوضح من الشمس وأشعتها، في كل مكان: في الوري والمدن والمسكونة، على الأرض وفي البحار... أينما ذهبت تسمع شهادة ناطقة بهذه العناية الصلحة.

[\[411\]](#) القديس يوحنا الذهبي الفم

* كلي الحكمة: " من قاس روح الرب ومن مشوهه يُعلمه؟! من استشره فأفهمه وعلمه في طريق الحق وعلمه معرفة وعرفه سبيل الفهم؟! ". [14-13].

مع كونه الخالق القدير الذي وجد الطبيعة من أجلنا وعابها ويهتم بها، هو أيضاً كلي الحكمة يعوف ما هو لخلصنا وبنياننا، خطته غير خطتنا، وتدابيره تعلق عن تدابيرنا (رو 11: 34).

❖ لم يقل (الرسول بولس-رو 11) إن أحكامه بعيدة عن الفحص فحسب، وإنما بعيدة أيضاً عن الاستقصاء. ليس فقط لا يقدر الإنسان أن يفهمها بل ولا حتى أن يبدأ في استقصائها. يستحيل عليه أن يترك غايتها أو حتى يكتشف كيف بدأ تخطيطها.

❖ [\[412\]](#) يُريد أن يقول إنه ينوع كل الخوات ومصوها، ليس في حاجة إلى شريك أو مشير.

القديس يوحنا الذهبي الفم

* ضابط الكل لا يفلت شيء من يده: " هوذا الأمم كنقطة من دلو وكغبار الميزان تُحسب، هوذا الخرائر يرفعها كدفة... [15].

إنه ضابط الكل... فإن كانت الأمم تُريد أن تحكم العالم وتسوده خلال العنف والقوة فهي ضعيفة للغاية، وهاها الله نقطة ماء في دلو وغبار ميزان... أما الله ففي ضعف الصليب وجهالته يحكم ويملك بقوة وسلطان على الأعماق.

الأرض بكل شعوبها صغوة للغاية بالنسبة للمخلص، يحملها كغبار في مقياس صغير، أما سكان الخرائر المفتخون بسفنهم التجلية والحربية فجميعهم معاً أشبه بدفة يمسكها الرب بيده!

❖ يبرك (الله) في ذاته كل الخليقة العاقلة لكي تبقى كل الأشياء موجودة مضبوطة بقوته التي تضم الكل.

[\[413\]](#) القديس غريغوريوس النيسي

* اهتمامه بالأمم: " ولبنان ليس كافياً للإيقاد وحيوانه ليس كافياً لمحرقه. كل الأمم كلا شيء قدامه، من العدم والباطل تُحسب عنده" [16]-

[71]. تصوير شعوي عن قبول الأمم الإيمان بالله حتى أن كل شجر لبنان (الأرز) لا يكفي للإيقاد لمذبح الرب وجميع حيواناته لا تكفي لتقديم محرقات...

لقد صلت الحاجة إلى خشبة الصليب التي تسمو فوق كل أرز لبنان، وذبيحة المسيح التي لا تقرن بالذبائح الحيوانية جميعها. خلال هذا المذبح (الصليب) وهذه الذبيحة يتمتع الأمم بالخلاص.

❖ بلغ الخروف الحيّ الإلهي إلى الصعيدة، وقام الصالبيون كالأخبار يقدمونه ضحية!...

❖ صُلب ربنا وحمل ذنوب المسكونة، وسمر الخطية بالمسامير حتى لا تملك. لما صلوه صلبها معه على الجلجثة لئلا تقتل أجيالاً أخرى.

ملرياقوب السروجي

* عظمة السيد المسيح المخلص والذبيح:

" فبمن تشبهون الله وأي شيء تعادلون به؟! " [18] ؛ تكاليف الأوثان باهظة تحتاج إلى ذهب وفضة أو خشب لا يسوس مع تكلفة للصانع الماهر الذي يقوم بعملها [20] ، يُقابل ذلك شوق اللصوص لسوقتها، أما مسيحا فيقدم خلاصاً مجانياً، يعلن ملكوته في القلب حيث لا يقدر أحد أن يسرقه من أعماقنا.

* " الجالس على كرة الأرض " [22]. كان الاعتقاد السائد أن الأرض مسطحة وليست كرة، لكن إشعياء رأى الرب جالساً على كرة الأرض كملك يجلس على عرشه، يُقيم مملكته في قلوب البشر.

* " سكانها كالجندب، الذي ينشر السموات كسرادق ويبسطها كخيمة للسكن " [22]. إنه لا يملك عن احتياج خدمة الأرضيين أو السمائيين، إنما عن حب ورعاية أبوية. فالأرضيون بالنسبة له كالجندب (الحراد)، والسماء أشبه بقطعة قماش أو خيمة. العظماء عنده كلا شيء والقضاة كالباطل ينحلون.

الأرض والسماء كلا شيء بالنسبة لقرنته؛ لكنه في حبه يملك ويقود الأرضيين والسمايين كملك ومخلص...
انشغل المنجمون بحسابات الفلك وأنظمتها أما الله فيعلم كل دقائقها كخالق لها، يدعوها بأسماء [26]، فكيف لا يعرف كل إنسان ويهتم بخلاصه؟!

4. موقف غير المؤمنين:

كثيراً ما يظن الجاحدون للإيمان أن الله في مجاله بعيد عن دائرة البشر، هو في سمواته بينما يعيش الإنسان في عالمه... هذا هو جوهر الفكر الإلحادي المعاصر، وهو فكر قديم يضرب به العدو الإنسان ليفقده تلاقيه مع خالقه واتحاده معه وعشوته، وكما جاء هنا في هذا السفر: "لماذا تقول يا يعقوب وتتكلم يا إسرائيل: قد اختفت طريقي عن الرب وفات حق إلهي" [27].

هذا هو ما يُرده الإنسان وسط تعب الروحي... يُحسب نفسه وحيداً معزولاً حتى عن الله الذي لا يُبالي بطريق الإنسان وحياته. لعل هذا هو ما قاله المسييون إذ ظنوا أن الله قد نسيهم تماماً، فقد عبرت الشهور والسنوات وكأنه قد نكث عهده مع آبائهم ولم يعد يفكر فيهم أو يهتم بعودتهم. إنه لا يُبالي بقضيتهم ولا يهتم بطريقهم؛ تركهم في بابل وبقي في سمواته لا يتحرك لزع عرهم ورفع الذل والعبودية عنهم.
ورد النبي على ذلك بالآتي:

أ. استورية عمل الله: الله في حبه قد يتأني لكنه مستمر في رعايته للإنسان " لا يكل ولا يعيا " [28]. هو "إله الدهر" السومدي حبه لا يزول وعهده أبدي لا يتغير.

ب. أحكامه لا تُفحص [28]... يُخلص بطريقة غير متوقعة.

ج. بسبب خطايانا نضعف في إيماننا، لكنه هو " يعطي المعية قوة ولعديم القوة يكثر شدة " [29]، لذا نحتاج إلى تسليم الأمر بين يديه فيسندنا حتى في إيماننا.

د. يهبنا روحه القوس الذي يُجدد طبيعتنا ويرفعنا بأجنحة الروح كما إلى السماء عينها، ترتفع بلا قلق... " وأما منتظرو الرب فيجددون قوة؛ يرفعون أجنحة كالنسور، يركضون ولا يتعبون، يمشون ولا يعيون " [31].

❖ بالروح القدس نتحرر من العبودية ونُدعى إلى الحرية!

به صرنا أولاد الله بتبنيه إيانا!

وفوق هذا كله - إن أمكنني القول - إننا قد تجددنا، خالعين عنا ثقل الخطايا الكريه!...

به ننال غوان الخطايا،

وبه نتطهر من كل وصمة،

وخلال عطيته نتغير من بشر إلى ملائكة، هؤلاء الذين يشتركون معنا في التمتع بنعمته، لكننا لا نصير هكذا في الحال، بل ما هو مدهش، إننا ونحن بعد في طبيعة البشر نظهر سلوكًا في الحياة يليق بالملائكة!
هكذا إذن هي قوة الروح...

[\[414\]](#)
القدّيس يوحنا الذهبي الفم

«

الأصاحاح الحادي والأربعون

خلاص من المشرق

قدم لنا الأصاحاح السابق تصوّرًا رائعًا لعمل الله الخلاصي، كعمل راعي يصدر عن الله الكلي القوّة والكلي العلم والحكمة والكلي الحب... الآن يدعو الله الأرض كلها حتى الجوّات التي كانت في ذلك الوقت تمثّل الغرب الأقصى لكي تقف في محاكمة مع الله، خلالها يظهر الحق من الباطل. إنه لا يطلب نزول نار من السماء كما فعل إبليلا لإظهار الله والحق والكشف عن بطلان البعل، إنما يسألهم أن يطلّوا من الأوثان أن تخبر عن المستقبل إن كانت تقدر! أما الله فيكشف لإشعياء عن المستقبل، عن مجيء كورش الذي من المشوق لخلص شعبه، مؤكّدًا أنه رب التريخ وإله كل الأمم يستخدم كل الطاقات حتى الوثنية لتحقيق رعايته لأولاده المقدسين في حقه. هذا الخلاص إنما هو صورة رمزية وتهيئة لخلص أعظم يحقّقه المسيا المخلص... الذي هو مركز السفر كله، بل ومركز الكتاب المقدس كله.

- 1 . نصرة من المشرق [7-1].
- 2 . عبدي الذي أختوته [12-8].
- 3 . النودة تصير نورجًا [16-13].
- 4 . البرية تصير بستانًا [20-17].
- 5 . الله رب المستقبل [29-21].

1 . نصرة من المشرق:

يقدم إشعياء النبي تصوّرًا شاعرًا رائعًا للنصرة التي ينالها إسرائيل خلال كورش الذي يسمح لهم بالعودة من السبي.

يؤكد النبي أن ما سيحدث بواسطة كورش ليس من عندياته إنما هو بتدبير إلهي.

" أنصتي إليّ أيتها الجوّات، ولتتجدد القبائل قوّة، ليتقبّروا (ليصمتوا) ثم يتكلّموا، لنتقدّم معا إلى المحاكمة" [1]. يطلب من الجوّات البعيدة التي تُحيط بها المياه من كل جانب. إشلة إلى إسرائيل المسي في بابل بعيدًا عن بلده وقد أحاطت به مياه التجرب لتغرقه... يطلب منه أن ينصت وُلاً ثم يصمت وعندئذ يتكلّم ويحور الله كما في محاكمة بين ندين أو طرفين.

الإنصات والصمت لا يعينان السلبية، إنما يعينان رفع القلب إلى الله والتأمل في أعماله العجيبة، منتظرين خلاصه المستمر لشعبه وكنيستته.

الصلاة الصامتة تحرك السماء ذاتها، يسمعها الله ويستجيب لها، كما حدث مع موسى الصلّخ في قلبه (خر 14: 15) ومع حنة في الهيكل (1 صم 1:

(13).

❖ لأنّ الآن إلى صلاة حنة أم صموئيل الصامته، كيف كانت موضعٍ سرورٍ أمام الله، فتحت الرحم العاقر، ووزعت عرها، حيث أنجبت نذوًا وكاهنًا.

[\[415\]](#)
الأب افواها

❖ صلى يونان صلاة بلا صوت (يو 2)؛ صمت الواعي في بطن السمكة، من جوف الخليقة العجماء زحفت صلاته فسمعها الله في الأعالي، إذ كان صمته صراخًا.

[\[416\]](#)
ملا فوام السرياني

❖ إن كان فمك ساكنًا بهوء فقلبك يشتعل دومًا بحورة الروح!

❖ إن كنت تتكلم بلسانك وقلبك لا يتحرك بالصلاة، فكلامك هو خسلة!

❖ سكّت لسانك لينتكلم قلبك... وسكت قلبك لينتكلم الله!

الشيخ الروحاني

❖ السكون يجعلك تنير كالشمس وينقيك من عدم المعرفة.

❖ إن أردت أن تعرف رجل الله، استدل عليه من نوام سكونه.

مار إسحق السرياني

❖ أولئك الذين يقفون في حضرة المسيح، الذين يصبون كل اهتمامهم في الإلهيات، ويتحررون من كل رتباكات العالم، يحفظون على النوام صلاة القلب الخفية وأفكار العقل الروحية، رافضين كل فكر زمني يظلم النفس وطرديين إياه فلا يشغلهم عن التفكير في الله...

❖ ليتنا أيها الأحياء نزع عنا ثقل الاهتمام الزمني لنقضي كل أوقاتنا في أفكار الله، بهذا

تنتقى نفسنا وتخلق في السمويات نحو الله. فان الكلمات الإلهية تزع الصدأ عن العقل وتزيل عنه ثقل الزمانيات، وترفعه إلى رؤية اللاهوت...

❖ لنصلّ بطريقة خفية مع إتضاع القلب دون أيه رغبة في الانتفاخ في كوياء بخصوص مظاهر الصلاة التي تفقدنا المكافأة.

[\[417\]](#)
الأب موتيروس

❖ يلزم أن وافق الصمت حوار الحب الداخلي بين الله والنفس، ففي بداية هذا السفر يُطالبنا الله أن ندخل معه في حوار لكي نغضب مغوة خطايانا (إش 1: 18)، أما هنا فيؤيدنا أن نقرب إليه ونتحدث معه عن قرب خلال لغة السكون، نسمعه باذاننا الداخلية ونحوره بلساننا القلبي وتنتفح بصورتنا الروحية لنترك عن قرب أسوار الله الخلاصية... هذا ما عناه بقوله: " ليقترّبوا ثم يتكلّوا" [1].

❖ يقول الأب موتيروس : [لنتمثل بعريم أخت لعازر التي جلست عند قدمي ربنا تنصت لكلماته (لو 10: 39، يو 11: 1)، فحبها ارتفعت نفسها

إلى السماء عند كلماته. لهذا السبب قدم ربنا شهادة حسنة عنها: "مريم اختلرت النصيب الصالح الذي لن يزوع عنها" (لو 10: 42). لنتمثل بهذه المرأة

الطوبولية في نصيبها الصالح الذي اختلرت، فان ربنا إلى الآن قريب منا [418]...].

❖ ماذا رأى إشعياء النبي وماذا سمع خلال الاقواب بسكون نحو الله؟

" من أنهض (البار) من المشرق الذي يلاقيه النصير عند رجليه؟! دفع أمامه أمما وعلى ملوك سلطه، جعلهم كالأب بسيفه وكالقش المنثري

بقوسه" [2]. من الجانب الحوفي يقصد كورش الذي انهضه الوب من المشوق، وأهبا إياه نصوة عند رجليه، بمعنى أنه يهبه سوعة الحركة؛ أينما حلّ

بجيشه تحققت له النصوة. هذا ووى أغلب الدالسين أن كورش محطم بابل عوف بالعدالة، وإن كان جيشه ورجاله عوفوا بالعنف والشواسة. صار رمؤا

للسيد المسيح في خلاصه لا من سبي بابل أو غوها وإنما من سبي إبليس والخطية.

دُعي في بعض التّجمات كالسبعينية "بلا"، وقد رأى بعض حاخامات اليهود أن الحديث هنا عن إواهم أب الآباء الذي قدم من المشوق ليملك خلال نسله أرض كنعان. أما آباء الكنيسة عبر العصور مثل **القديس جيروم والقديس كيرلس ويوسابيوس القيصوي وثيودورت وبروكوبيوس** فيروا أن الحديث هنا خاص بالمسيا ^[419].

جاءت الكلمة العبرية للنصر هنا "Sedek"، وتعني "البر أو الحكم الإلهي أو النصر الخ...". ^[420] فقد جاء السيد المسيح الذي بلا خطية البار وحده يلتقي بالبر الذي من عندياته ليهبنا إياه. نصرته ليست خلال حروب ومقاومة حسية وإنما تثببتنا في وه. سيف المسيح وقده هما كلمته الإنجيلية التي تحوّل الشر إلى تواب وقش أما النفوس فتنقى من كل شائبة، بهذا ملك على الأمم محطماً كل شر فيهم.

" **طردهم مَرّ سالماً في طريق لم يسلكه برجله** " [3] ، كأن كورش قد جاء مسوعاً جداً حتى بدى كمن لا يلمس الأرض وجليه. أشار هذا أيضاً إلى سوعة انتشار الكورة بإنجيل الخلاص، أو عمل المسيح الخلاصي.

هذا الخلاص يتحقق خلال الله نفسه الذي هو "الأول" عمل ويبقى عاملاً في حياة شعبه من البداية حتى النهاية [4].
قدم الوب تسؤلاً في محاكمة الشعوب، وإذ لم يجب أحد أجاب هو: " **من فعل وصنع داعياً الأجيال من البدء؟ أنا الوب الأول ومع الآخرين أنا هو** " [4] ... هو الذي دعا الأجيال منذ البدء للاقتراب إليه والتمتع بخلاصه، ويبقى حتى مع الآخرين (ظهور آلهة وثنية) هو لا يتغير في حبه عبر الأجيال.

لقد دعا البشرية منذ البداية لتعيش معه لكنها رفضت الخالق وصنعت لنفسها آلهة عاخرة حتى عن حماية نفسها، هي من صنع النجار والصانع والصاقل بالمطوقة واللحام... كل يشدد الآخر ليخوج التمثال متقناً تشدده المسامير " **حتى لا يتقلقل** " [7].
ليس هناك وجه مقارنة بين أوثان تحتاج إلى من يصنعها ومن يحرسها ومن يؤمها حتى لا تخرب وبين مسيح خالق يتحرك بالحب العملي ليُجدد طبيعتنا المتقلقلة الفاسدة.

يكشفه عن بطلان الأوثان يعلن عن ضعف الأمم ليدعوها إلى عظمة المسيح القاوة وحده أن يخلص!

2. عبدي الذي اخترته:

يكشف عن ضعف الأمم واضطرابها، ويعلن عنها إنها تواب وقش [2] ، يدعوها للدخول إلى إسرائيل الجديد للتمتع - خلال عمل المسيح الخلاصي - بالصدقة الإلهية التي اختوها إواهم أب المؤمنين، إذ يقول:
" **وأما أنت يا إسرائيل عبدي، يا يعقوب الذي اخترته، نسل إواهم خليلي (صديقي)** " [8] . لقد اختار الله إواهم خليلاً له، دعاه من أمة وثنية لا تعرف الله، ليصير بلاً، ينهضه من المشوق ويلاقيه النصر عند رجليه [2] . الله لم يتغير فلا زال يطلب أن يبزر ويصادق أبناء له، يدعوهم من وسط أناس غير مؤمنين ليقبلوا الإيمان به ويصيروا أحبائه.

❖ إواهم الملقب بالخليل، وُجد مؤمناً، لأنه أطاع كلمات الله.

^[421] **القديس اكليمندس الروماني**

من هو العبد المختار إلا السيد المسيح الذي احتل مركز العبد، ليمثل البشرية الضعيفة، فيقيم عهداً باسمها لدى الآب، يختمه بالدم الثمين. وكما يقول **القديس غريغوريوس النزيوي**: [دُعي عبداً ليعلم الكثيرين بالحق... جاء عبداً في الجسد وحسب الميلاد لأجل حياتنا كي يحررنا مخلصاً إيانا من عبودية الخطية ^[422]].

صار كلمة الله المنجسد عبدًا لكي إذ تثبت نحن العبيد فيه نسمع الصوت الإلهي يُنادينا:

" يا إسواييل عبدي : لقد صوتم أنتم الغرباء والبعيدون إسواييل الجديد، كنيسة مقدسة وشعبًا مبررًا، عبيدًا صالحين متحدين بالابن الوحيد الذي صار عبدًا.

" يا يعقوب الذي اخترته "، وكما قال السيد المسيح لتلاميذه: "لستم أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم".

" نسل إواهيم خليلي " : صوتم أبناء إواهيم روحياً، أبناء في الإيمان فحسبتم أعباء لي كما كان أبوكم خليلاً لي.

" الذي أمسكته من أطراف الأرض ومن أقطرها دعوته" [9]، جئت بكم من أقاصي المسكونة ودعوتكم من بين الأمم...

" لا تخف لأني معك " : هذا هو موضوع دعوتي، وسر اختياري لكم، وغايتي من الخلاص أن أكون معكم...

" وقد أيدتكَ وأعتك وعضدتك بيمين وي" [10] ، أكون لك عونًا وعضدًا لأني بررتك بدمي، فصوت بلًا بيّ تستحق كل عون وتعزيب ضد

مقاوميك الذين يبيدون، وضد منزل عيك الذين تبحث عنهم فلا تجدهم، إذ صاروا كلا شيء [11، 2].

في القديم كنت تبحث عن مسامير لكي تمسك صفائح الذهب والفضة في التماثيل الخشبية حتى لا تسقط [7] وكي تكسبها جمالاً خرجياً وتعطيها

قيمة ثمينة، أما الآن فأنا أمسك بيمينك فلا تفرح، أسكب مجدي فيك واهبك وي فنتمجد: " لأني أنا الرب إلهك الممسك بيمينك القائل لك: لا تخف أنا

أعينك" [3].

كثيرًا ما يكرر في هذا السفر عبلة: " لا تخف " ... إذ يعرف الله حقيقة مرض الطبيعة البشرية أو ميكروبها الخطير ألا وهو الخوف المحطم

لسلامنا وفرحنا ومجدنا الداخلي. سر هذا الخوف شعورنا بالعزلة والوحدة، ليس من رفيق ولا من معين ولا من يدرك حقيقة مشاعرنا ولا من يُشركنا

أعماق أحاسيسنا الداخلية. لذا يتقدم المخلص بنفسه لؤافقتنا لا من الخرج بل بسكناه في أعماقنا، فيملاً الفراغ الداخلي، ويكون هو الرفيق والمعين

والمشعب لكل احتياجاتنا الداخلية، الذي يُشركنا مشاعرنا الخفية.

في اختصار ماذا يقدم الله مخلصنا؟ يقدم نفسه لنا فيهبنا: المعية معه، العون، القوة، برفعنا إليه! بمعنى آخر يقول إلينا لكي نقبله في حياتنا،

فيسندنا بنعمته ويكون لنا المعين الخفي، ويحملنا إليه فنشركه أمجاده الأبدية السماوية.

3 . البودة الضعيفة تصير نورجًا جديدًا:

تتكرر الكلمتان "لا تخف" ثلاث مرات في الأعداد [10-14] ؛ وكان ذلك ضروريًا لنفوس مسكينة يُحطمها اليأس أثناء السبي والشعور بالمذلة

والعبودية. لكن الله يُطمئن بكل وسيلة مؤمنيه المخلصين الذين يقبلون الدخول معه في عهد حتى لا يخافوا ولا يرتعوا. أما سر رجائهم وقوتهم فهو

تمتعهم به كملك لهم، يقدم ذاته لهم لينعموا به، قائلًا: " لأني أنا الرب إلهك الممسك بيمينك القائل لك: لا تخف أنا أعينك" [13].

هكذا ينسب الله نفسه إليهم: "أنا الرب إلهك" يلتجئوا إليه لا كغريب عنهم وإنما بكونه "إلههم" الخاص بهم المشتاق أن يضمهم إليه ويحفظهم فيه.

يليق بهم ألا يتباطأوا في طلب معونته فإنه ممسك بيمينهم مشتاق إلى خلاصهم أكثر من اشتياقهم هم إلى خلاص أنفسهم، لذا لا يكف عن القول: " لا تخف

أنا أعينك".

يلاحظ أن الله يدعو نفسه " أنا الرب إلهك "، فإن كان قد دعى نفسه "يهوه" (خر 3: 14؛ 15؛ 6: 2) عندما دعى موسى لخلاص الشعب من

عبودية فوعون، فقد أوضح له سر اسمه وهو: "أهيه الذي أهيه" (3: 14) مؤكدًا أنه كائن على اللوام، يحل وسط شعبه دون أن تتغير محبته أورايتيه.

هكذا يُقدم الله اسمه بألقاب كثيرة ليطمئن مؤمنيه، من ذلك ^[423]:

"يهوه وأه" (تك 22: 14) ، وتعني "الرب وُي"، فقدرأى إواهيم بعيني الإيمان ذبيحة المسيح الفريدة الواهبة قوة القيامة.

"يهوه شلوم" (قض 6: 24) ، وتعني "الله السلام"، فإن المسيح كلمة الله هو سلامنا (أف 2: 14) ، به نتمتع بالمصالحة مع الله كسر سلامنا

الداخلي وسلامنا مع الغير .

"الوب شافيك" *Jehovah ropheka* (خر 15: 26)، يشناق أن يشفي نفوسنا وأجسادنا كطبيب حقيقي للبشرية.

"الوب بونا" *Jehovah-Zidkenu* (إر 23: 6)؛ في المسيح صونا أولًا (1 كو 1: 30)، إذ نحمل شركة طبيعته ونتمتع بوه فينا.

"يهوه نسي" *Jehovah- nissi* (خر 17: 15) (الوبرايتي)؛ فقد صار اللهرايتي يتقدم خطواتي في المعركة الروحية، هو سرّ نصوتي

وعلامة غلبتي على عدو الخير .

"ياه يهوه" *Jehovah-yah* (إش 12: 2)، تعني "أهيه الذي أهيه" "أنا كائن الذي هو أنا كائن"، بكونه حاضرًا وسط مؤمنيه لا تتغير محبته

نحروهم .

"يهوه شمه" *Jehovah- Shammah* (حز 48: 35)، أي "الوب هناك" تشير إلى الإعلان عن حضوة الوب في كنيسة العهد الجديد، وسط

إسوائيل الجديد، إذ صلت أيقونة السماء التي هي "مسكن الله مع الناس" (رؤ 21: 3).

يعلن الله حبه لشعبه الذي دعاه "ودة إسوائيل" ليقم منها نورجًا محددًا جديدًا قانًا أن يبرس الجبال ويسحقها وينيرها لتبدها العواصف، إذ

يقول: " لا تخف يا وودة يعقوب، يا شرذمة إسرائيل، أنا أعينك يقول الرب وفاديك قنوس إسرائيل. هأنذا قد جعلتك نورجًا محددًا جديدًا ذا أسنان،

تدرس الجبال وتسحقها، وتجعل الآكام كالعاصفة، تنيرها فالريح تحملها والعاصف تبدها وأنت تبتهج بالرب، بقنوس إسرائيل تفتخر" [14-16].

هذا هو عمل الله المخلص في حياتنا، إذ يحولنا من وودة محتوة تعيش في طمي هذا العالم نُداس كما بالأقدام ليقم منا نورجًا ذا أسنان حادة

يقدر أن يبرس الجبال ويسحقها أو كمنزاة تفصل الحنطة عن التبن... هكذا يُريد الله مصادقة الودة المحتوة ليجعلها أداة للتمييز وعزل الحنطة النافعة

عن التبن الذي بلا ثمن.

دعى الله شعبه "ودة يعقوب" ، فإنها تعيش في الطين محتوة بلا قوة ولا جمال ولا مجد، تطأ عليها الأقدام نون اهتمام أو مبالاة. لقد وطأ

فوعن على الشعب كما على وودة، لكن فوعن مات وأما الشعب فتمتع بمواعيد الله وخلصه. وطأ سنحليب ونوخذنصرَ أيضًا على هذه الودة

وانتهت نولة آشور باكملها وأيضًا انهزلت بابل بملوكها الجبابة وبقيت الودة حية ومجيدة. وهكذا قام جباوة عبر الأجيال مثل نيرون ودقديانوس وأيضًا

هراطقة مثل ريبوس ونسطور... ومات الكل وبقيت الودة حية تنمو وتتمجد. أما سرّ حياتها فهي أن كلمة الله الذي صار جسدًا هو أيضًا من أجلنا صار

ودة كقول الموتل "أما أنا فودة لا إنسان" (مز 22: 6)، أي يتنزل ليصير إنسانًا محتوًا حتى حُسب كودة، فرفعنا نحن باتضاعه إلى مجده.

❖ "أما أنا فودة لا إنسان" (مز 22: 6).

لكنني أتحدث الآن لا في شخص آدم، وإنما أتحدث بالأصالة عن نفسي- أنا يسوع المسيح - وُلدت بنون زرع بشر حسب الجسد، حتى أصير

أنا كإنسان وراء كل بشر، لكيما يتمثل الكورباء البشوي باتضاعه. "عار عند البشر ومحتقر الشعب" (مز 22: 6). بالاتضاع صوت علًا عند البشر،

حتى يُقال بطريقة تهكمية: "أنت تلميذ ذاك" (يو 9: 28)، ويحتوني الشعب.

[\[4241\]](#)
القديس أغسطينوس

بالتصاقنا بالوب يحولنا من وودة ضعيفة عاجزة عن العمل إلى نورج قادر على سحق الجبال التي تمثل أعمال الإنسان القديم ليتمتع بركات

الحياة الجديدة.

إن كان إنساننا القديم قد صار كالجبال بأعماله الشريرة والآكام ليس من يقدر أن يحركها فإن الله وحده الذي يلمس الجبال فتدخن (مز

104: 32) . يجعلنا بالمسيح يسوع ربنا نورجًا جديدًا محددًا، ندرس الجبال ونسحقها وننوي الآكام كالعصافه، نون أن يصيبنا القدم ولا نفقد قوتنا أو

[\[4251\]](#)

تضعف إمكاناتنا مع الزمن. هذا ما يبهج نفوسنا بالوب مجدد حياتنا فنفتخر بقنوس إسوائيل الجديد .

4. البرية تصير بستاناً:

إذ يتطلع إشعياء النبي إلى العصر المسياني كعصر مياه الروح القدس، وى البرية تتحول إلى واحة تفيض ماءً فتتحول من قفر إلى بستان إلهي مثمر.

تكرر هذا التشبيه عدة مرات (إش 35: 1-10؛ 43: 18-21؛ 49: 9-11؛ 48: 21؛ 55: 13).

في القديم أخرج الله من الصخرة ماءً لشعبه الظمان (خر 17: 1-7؛ عد 20: 1-13؛ إش 48: 21). وفي الخروج الثاني يفعل ما هو أعظم، يُفجر أنهاراً على المرتفعات العالية القاحلة وينابيع في الوديان؛ إذ يقدم السيد المسيح ماءً جديداً يغير وجه الأرض، موهلاً قفر قلوبنا إلى فردوسه الروحي، وبريتنا الداخلية إلى واحة إلهية فتمتو فيها أشجار روحية تأتي بثمار روحية شهية: " اجعل في البرية الأرز والسنطوالآس وشجر الزيتون..."

[19].

ما أجمل العبارة: " لكي ينظروا ويعرفوا ويتنبهوا ويتأملوا معاً أن يد الرب فعلت هذا وقنوس إسرائيل أبدعه" [20] ... ننظر عمل الرب فينا، ونتعرف على أسوره، ونتأمل الأمور الفائقة ونفهم ما لا يبرك لأن هذا كله من يد المخلص القنوس ومن ابداعه.

يتحدث القديس يوحنا الذهبي الفم على لسان المخلص قائلاً:

إمن يستطيع أن يُعادني في الجود؟ إني أب وأخ وعريس وبيت وطعام ولباس وأصل كل ما تشتهي، لا اتركك محتاجاً إلى شيء. سأكون أيضاً خادماً لك، فقد جئت لا لكي أخدم بل أخدم.

أنا أيضاً صديق وعضو ورأس وأخ وأخت وأم؛ أنا كل شيء، فقط كن صديقاً لي!

من أجلك افتقت، ومن أجلك كنت أشخذ.

من أجلك صليت، ومن أجلك دُفنت.

في السماء أسأل عنك الآب.

أنت كل شيء بالنسبة لي: الأخ والشريك في الموات والصديق والعضو.

ماذا تُريد أكثر من هذا؟

لماذا تتصرف عن من يحبك، وتتعب من أجل العالم؟ [1426].

5. الله رب المستقبل:

لكي يعطي الرب طمأنينة لشعبه ويهبهم ثقة فيه، يؤكد لهم أن المستقبل كله في يديه دون سائر آلهة الأمم، طلب منهم أن يسألوا الأوثان إن كانت تقدر أن تخبر بالأمور المستقبلية، وبقصد التنبؤ بخصوص قيام كورش، إذ كان ذلك غير متوقع.

يعلن الله عن نفسه أنه أول من يُبشر شعبه بقيام كورش [27].

كورش - من جهة والده - فهو مادي، ومن جهة أمه فهو فرسي، وقد ضم جيشه رجالاً من مادي جاوعاً من الشمال [25]؛ ورجالاً من فرس

جاوعاً من الشوق [25]. السيد المسيح أيضاً جاء من الناصوة في الشمال وهو شمس البر المشوق من الشوق.

لقد عرف كورش الله (عز 1) واحترّم كل الأديان بما فيها عبادة الله الحي، لذلك قيل: "من مشرق الشمس يدعو باسمي" [25]؛ ربما أيضاً

دعى باسم السيد المسيح بكونه ربواً له، يُحقق خلاصاً للعالم كله. شُبه كورش بالخوف الذي يدوس الطين، اشلة إلى السيد المسيح كديان تخضع له كل

الأمم كالطين بين يدي الخواف... (كورش أتى على ولاة بابل كما على الملاط [25]).

<<

العبد المختار

يعوي هذا الأصاح إحدى التسابيح الممتعة الخاصة بالسيد المسيح، أو تسابيح عبد يهوه (إش 42: 1-4؛ 49: 1-6؛ 50: 4-9؛ 52: 13؛ 53: 12).

حاول البعض تطبيق التسبحة التي بين أيدينا على إسرائيل أو على إشعياء وبالأكثر على كورش، لكن من الواضح أنها تخص السيد المسيح نفسه، كما أكد الإنجيليون ذلك (مت 12: 17-21).

1. عبد الرب المختار [4-1].
2. دعوة عبد الرب [9-5].
3. التسبحة الجديدة [13-10].
4. تفرغ للقديم [17-14].
5. دعوة للشعب الأصم الأعمى [25-18].

1. عبد الرب المختار:

تقدم لنا التسبحة هنا شخص العبد المختار الذي هو السيد المسيح بعينه، إذ جاء فيها:

ولاً: " هوذا عبدي الذي أعضده، مختلي سرت به نفسي" [1]. ليس عجباً أن يُدعى المسيا "عبد يهوه" أو "عبد الرب" مع أنه كلمته المولود زلياً وواحد معه في ذات الجوهر الإلهي، إنما بحبه الإلهي اشتاق أن يتول إلى عبوديتنا ليحملنا إلى أمجاده، وكنائب عنا أطاع الآب حتى الموت موت الصليب، حتى يُحقق خلاصنا ويُثبتنا فيه فنُحسب مطيعين ونصير موضع سرور الآب (أف 1: 3-5).

إن كان الآب قد اختار ابنه الوحيد ليتم الخلاص، معلناً كمال الحب الإلهي، فإننا إذ ندخل فيه وننعم بالعضوية في جسده نصير نحن أيضاً مختلين من الابن موضع حبه وسروره!

كلمة "مختلي" لا تعني اختيار واحد من بين كثيرين إنما تُشير إلى عظمة الآب نحو المسيا. وكما يقول السيد المسيح نفسه: "كما أحبني الآب أحببتكم أنا، اثبوا في محبتي" (يو 15: 9)؛ "ليكون فيهم الحب الذي أحببته به وأكون أنا فيهم" (يو 17: 26). هذا الحب تصوره الكلمات: "الذي سرت به نفسي" [1]. فإن كل سرور الآب فيه زلياً، أعلن عند عماد السيد وتجليه وخلال مراحل أعماله الخلاصية.

اقتبس الإنجيلي متى ما ورد هنا في [3-1] كنوة صريحة عن السيد المسيح (مت 12: 17-21)، مؤكداً النقاط التالية [427]:

أ. المختار لتنظيم الخلاص.

ب. فيه سرّ الآب بنا.

ج. مشتهى الأمم ورجؤهم.

د. بالوداعة يهب النعوة.

هـ. يتوقف بكل ضعيف.

على هذا النص بالقول: "عبدي" يُشير إلى هيئة العبد حيث أخلى العلي نفسه... أعطى له الروح القدس وقد يعلق القديس أغسطينوس

أعلن ذلك في شكل حمامة كما شهد الإنجيلي (يو 1: 32). اخراج الحكم (الحق) للأمم، إذ أعلن لهم ما كان مخفياً عنهم. في اتضاعه لا يصيح دون أن يتوقف عن إعلان الحق. صوته لم يُسمع، لا يسمعه الذين هم في الخرج، إذ لم يطعه الخرجون عن جسده. لم يقصف اليهود أنفسهم الذين اضطهوه مع كونهم قصة موضوعة فقدت تولدتها، ولا اطفالهم مع كونهم فتيلة مدخنة، إذ سامحهم. لقد جاء ليُحكم عليه لا ليُدين [428].

جاء مسيحنا الذي قيل عنه: " مختلي الذي سوت به نفسي " لنترك إننا فيه مختلون من الآب موضع سروره وحبه، وكما يقول الرسول بولس: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي بلرنا بكل بركة روحية في السمويات في المسيح، كما اختلنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة، إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسودة مشيئة" (أف 1: 3-5).

ثانياً: " وضعت روحي عليه" [1] . المسيّا كلمة الآب، الواحد معه والمسلي له في ذات الجوهر، لذا فالروح القدس الذي هو روح الآب هو روح الإبن أيضاً. الروح القدس ليس غريباً عن الابن، يتمتع به بغير مكبال وبغير انفصال. الروح القدس هو الذي قدّس أحشاء البتول مريم ليُحقق التجسد الإلهي، لم يفرق الابن قط؛ أصدع السيد المسيح إلى الجبل ليدخل في المعركة الحاسمة مع إبليس على جبل التجربة... إنه الروح الذي وهبه لتلاميذه لممارسة العمل الرعوي في المسيح يسوع، وهو الروح الذي وهبه للكنيسة كلها في يوم العنصرة كي يسندها في الشهادة له والعبادة والحياة اليومية. بهذا حقق ما وعد به في أحاديثه الوداعية (يو 14: 16-18، 26؛ 15: 26؛ 16: 7، 8، 13، 14). وكما يقول **القديس أكليمندس الإسكندري**: [العربي يخلق الإنسان من تَاب، ويجدده بالماء وينميهِ بالروح [429].

يُحدثنا القديس باسيليوس عن عمل الروح القدس فينا، قائلاً: [بالروح القدس استعدنا سكنانا في الفردوس، صعودنا إلى ملكوت السموات، عودتنا إلى النوة الإلهية، دالتنا لتسمية الله "أبانا"، اشتراكنا في نعمة المسيح، تسميتنا أبناء النور، حقنا في المجد الأبدي، وبكلمة واحدة حصولنا على ملء البركة في هذا الدهر وفي الدهر الآتي [430].

ثالثاً: " فيخرج الحق للأمم" [1] . إن كان الوب قد أدب الأمم لكنه جاء إليهم بكونه "الحق" كي يقبلوه في حياتهم سرّ خلاص أبدي، إذ يقول: "أنا هو الطويق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" (يو 14: 6).

❖ يسكن المسيح في الإنسان الداخلي كما يقول الرسول (أف 3: 16-17)، فإنه إليه ينسب رؤية الحق، حيث قال: "أنا هو الحق" (يو 14: 6) [431].

❖ هو نفسه الحياة، وهو نفسه الحق. ليأت ويخلصنا... ليغزل الحنطة عن الزوان! [432]

القديس أغسطينوس

❖ أصوح بصوت هادئ وساكن قائلاً: أيها المخفي فيّ والمستتر، أظهر فيّ سوك المخفي، اكشف لي حسنك الذي هو داخلي. يا من بناني هيكلًا لسكناه، ظللني بغمامة مجدك داخل هيكلك.

[433] **الشيخ الروحاني**

رابعاً: " لا يصيح ولا يرفع ولا يُسمع في الشرع صوته" [2]. فقد جاء يعلن صوت الحب العملي الهادئ خلال البذل حتى الصليب؛ منوه الصليب، وكلماته هي حواحات جسده الناطقة بالحب. جاء إلينا كلمة الله ليُعلمانا حياة العمل الحق النابع عن الحب مع سكون النفس وهدونها فيه عوض الانشغال بالكلمات الكثيرة الواقة والمظاهر الخلجية المخادعة. علمنا الكلمة الإلهي كيف نتكلم بالحب والحياة العملية فيتجلى هو فينا!

❖ إن كنت صامتاً يكون لك سلام أينما عشت.

[434] **الأب بيامون**

❖ كثراً ما تكلمت وندمت، وأما عن السكوت فلم أندم قط.

خامساً: " قصبة موضوعة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفى، إلى الأمان يوج الحق " [3].

جاء مسيحنا إلى النفوس المحطمة لكي يبعث فيها الرجاء، لا يوح مشاعر الخطاة ولا يداهنهم. ينطق بالحق مع الحب حتى يضم كل جرح ملتهب، ويسند كل نفس متعبة.

- ❖ تحزن يسوع علينا حتى لا يخيفنا منه بل يدعونا إليه؛ جاء في وداعة وفي اتضاع... وبهذا قال: "تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (مت 11: 28) . بهذا أنعشنا الرب ولم يغلق علينا أو يطردنا...
- ❖ يجب أن نعرف أن الله إله رحمة، يميل إلى العفو لا إلى القسوة، لذلك قيل: "أيدرحمة لا ذبيحة" (هو 6: 6) ...
- ❖ عندما ترفض قبول التوبة، إنما بذلك تقول: "لن يدخل في فندقنا حريح، ولا يُشفى أحد في كنيستنا. إننا لا نهتم بالمرضى، فنحن كلنا أصحاء، ولسنا في حاجة إلى طبيب، لأنه هو نفسه قال: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى".
- ❖ لقرسل يرب إلى شوارع المدينة، ولتجمع الصالح والطالح، ولتدخل إلى كنيستك الضعفاء والعمي والوج (لو 14: 21) . مَرَّ يرب أن يمتلئ بيتك، محضراً إياهم (الخطاة) إلى وليمتك، لأنك أنت تخلق من يتبعك عندما تدعوه...
- ❖ ليته لا يخف أحد من الهلاك، مهما كانت حالته، ومهما كان سقوطه، فسيمر على الساموي الصالح الذي للإنجيل، ونجده نولاً من أورشليم إلى ريجا... هذا الساموي الصالح هو رمز السيد المسيح حرس الأرواح، لن يتورك إنما يتحنن عليك ويشفيك. الساموي (= حرس) الصالح لم يتورك من كان ملقى بين حي وميت، لأنه رأى فيه نسمات حياة، فوجى شفاءه.

[435]

القديس كيريانوس

سادساً: " لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته " [4].

أتم مسيحنا بالحب العملي والوداعة، في محبته يفتح أبواب الرجاء أمام الخطاة مهما بلغت شرورهم. على خلاف الإنسان الذي يقسو على أخيه ويحسب نفسه أبر منه، ويغلق الباب أمام كثيرين. هذا الحب الإلهي الوديع وافقه عمل إلهي بلا توقف حتى الموت موت الصليب، وفي هذا لم ينكسر بل تمجد بالقيامة، وأعلن الحق بتحقيق الخلاص.

[436]

يُحاول بعض الدارسين أن يفسروا كلمة "الجزائر" هنا بأنها أوربا أو الولايات المتحدة الأمريكية أو أسوأها .

2 . دعوة عبد الرب :

الله في حبه خلق السموات والأرض من أجل الإنسان [5] ، وها هو يدعو الإبن الذي صار إنساناً ليقمه عهداً للشعب ونوراً للأمم [6] ، يفتح البصوة الداخلية لمعاينة ملكوت الله، ويحرر المأسورين في سجن الظلمة الأبدي ليعيشوا في حربة مجد ولاد الله [7].

ماذا تعني دعوة عبد الرب "عهداً" ؟ بكونه ابن الله الذي صار ابناً للإنسان أمكنه مصالحة الآب مع البشرية في جسم بشريته، فيه رأى الآب البشرية قد تقدست وتأهلت للنوثة له فأعلن أبوته الأبدي نوحها في ابنه وحيد الجنس، وفيه رأته البشرية حب الآب الذي بذل ابنه الوحيد من أجل خلاصها لتجد لها نصيباً في الحزن الأوي. هذا هو العهد الذي أقيم في المسيح يسوع، والذي ختمه بدمه الثمين على خشبة الصليب. لهذا دُعي "ملاك العهد" (ملا 1: 3).

حاول تريفو اليهودي أن يفسر ما ورد هنا عن العهد ونور الأمم انهما يخصا الشريعة الموسوية، وقدرّد عليه الشهيد يوستين قائلاً: [بأنه لو كانت الشريعة قاهرة أن تهب استنارة للأمم وللذين يستلمونها فما الحاجة للحديث عن عهد جديد؟ لكن حيث سبق أن أعلن الله مقدماً أنه يُقدم عهداً جديداً

وشريعة أبدية ووصية أبدية فلا يفهم هذا عن الشريعة القديمة بل عن المسيح والذين يؤمنون به أي عنا نحن الذين كنا من الأمم وتمتعنا بالاستترة. يقول الرب: "في وقت القبول استجبنا وفي يوم الخلاص أعنتك، فأحفظك وأجعلك عهداً للشعب لاقامة الأرض لتمليك أملاك الوري" (إش 49: 8). ما هو موات (تمليك) المسيح؟ أليسوا الأمم؟ ما هو عهد الله إلا السيد المسيح؟ كما جاء في موضع آخر "أنت ابني وأنا اليوم ولدتك، أسألني فأعطيك الأمم مواتاً لك وسلطانك (ممتلكاتك) إلى أقصى الأرض" (مز 2: 7) [437].

مرة أخرى يعلق الشهيد يوستين على القول الإلهي: "أنا الرب هذا إسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات" [8] هكذا [إبني أقول (لليهود): ألا تتركوا يا أصدقائي أن الله يُعطي الذي أقامه نوراً للأمم مجداً ولا يعطيه لآخر [438].] فما يناله الابن المخلص من أمجاد إنما يناله الثالث القنوس بكونهم الله الواحد في الجوهر واللاهوت.

"وأجعلك عهداً للشعب" [6].

سبق أن درسنا دور "العهد" في القبائل البدائية وفي العهد القديم وأخيراً في العهد الجديد حيث قدم السيد المسيح دمه السوي في الكأس عهداً جديداً لكي يتناوله مؤمنوه. هذا الدم وهو ذبيحة المسيح القارة على اقامة ميثاق بين الآب والإنسان، لتهبنا قِابة روحية سماوية فنحسب بالحق أبناء ثابتين في الابن الوحيد الجنس؛ خلالها نتمتع بالوليمة السماوية الواهبة الحياة [439].

يقول الأب ثيودورت : [في تناولنا لعناصر العريس وشربنا دمه ندخل معه في اتحاد زوجي [440].]

"وأجعلك... نوراً للأمم" [6] ؛ فالمسيح هو النور الإلهي الذي يفتح بصورتنا الداخلية لنعين النور. لهذا يقول الموتل: "بنورك يلب نعين النور"، ويقول الإنجيلي:

"النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آت في العالم" (يو 1: 9).

❖ "أرسل نورك وحقك، هما يهديانني ويأتيان بي إلى جبل قدسك وإلى مساكنك" (مز 43: 3).

"النور" و"الحق" هما بالحقيقة اسمان يعوان عن واحد (الله). لأنه ما هو النور الإلهي إلا الحق الإلهي؟ والحق الإلهي إلا النور الإلهي؟ واقنوم المسيح هو كلاهما.

"أنا هو نور العالم، من يتبعني فلا يمشي في الظلمة" (يو 8: 12) ؛ "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو 14: 6). هو بنفسه النور، وهو أيضاً الحق. فليأت إذن ويخلصنا... [441].

❖ إلهي... أنت نوري؛ افتح عن عيني فتعابنا بهاءك الإلهي، لأستطيع أن أسير في طريقي بغير تعثر في فخاخ العدو.

حقاً، كيف يمكنني أن أتجنب فخاخه ما لم أراها؟!

وكيف أقدر أن أراها إن لم استتر بنورك؟!...

أنت هو النور لأولاد النور! نهلك لا يعرف الغروب! نهلك بضئ لأولئك حتى لا يتعثروا!

أما الذين هم خرج عنك فانهم يسلكون في الظلام ويعيشون فيه! [442]...

القديس أغسطينوس

❖ مصباحاً واحداً أنظر، وبنوره استضيء، والآن أنا في ذهول، ابتهج روحياً، إذ في داخلي ينوع الحياة، ذلك الذي هو غاية العالم غير المحسوس!

[443] الشيخ الروحاني

3. التسبحة الجديدة:

" غنوا للرب أغنية جديدة، تسبحة من أقصى الأرض" [10]. ما هي هذه التسبحة التي تتسم بالجدة والتي ينطق بها البشر من أقصى الأرض إلا

تسبحة المفديين القادمين من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة، الواقفين أمام العرش وأمام الحمل... " وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين: الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف" (رؤ 7: 10). تونيمة جديدة لأنها تهبُ تجديدًا لا ينقطع خلال "الحياة الجديدة التي في المسيح". يلاحظ في هذه التسبحة الآتي:

أ. تسبحة جديدة لا تشيخ ولا تقدم قط، لأنها تعبّر عن تمتع ب حياة الفوح السموي الذي لا يقدم. هكذا تتحول تنهدات الخليقة إلى شركة في تسبيح السمائيين.

ب. تسبحة جامعة تضم أعضاء من أقصى الأرض، تكشف عن فوح ساكني الأرض، والبحار، وسكان الخوائر [10]. تتبع عن أعماق القلب الداخلي لا عن الظروف الخرجية، لذا يملسها المؤمن أينما وُجد، في البر أو البحر، في الولاية أو في مدينة أو في قرية أو في كهف على رأس جبل [10-11].

ج. سرّ البهجة تقدم المسيح الرب الصفوف كقائد المعركة الروحية، " يهتف ويصوح ويقوى على أعدائه" [13]. هي تسبحة الغلبة والنصوة في المسيح الهاتف بالغلبة على إبليس وكل قواته الشريرة.

4. تفرغ للقديم:

سرّ تسبيحنا هو تفرغ أعمال الإنسان العتيق من أعماقنا خلال تقبلنا لأعمال الإنسان الجديد في المسيح يسوع... الأمر المذهل للغاية حتى قيل قد صمت منذ الدهر، سكت، تجلّدت" [14].

يشبه ترك الإنسان القديم والتمتع بالإنسان الجديد بالوأة التي تلد، فإنها تصبح من الأكم لكنها تتجب إنسانًا جديدًا، هكذا نحن نتمتع خلال السيد المسيح كما بإنجاب عالم جديد في داخلنا: " كالوالدة أصيخ، أنفخ، وأنخر معاً" [14].

كما يشبه الأمم العظيمة والصغيرة بالجبال والتلال التي يجفف كل عشبها [15]، يجفف محبتها للأرضيات التي هي أشبه بالعشب الفاني. كما يُشبهها بالأنهار التي يجعلها تيبس [15]... هكذا ينزع مياهها القديمة ليهبها الماء الحي.

مرة أخرى يشبهها بالعمي السالكين في الظلمة يحتاجون إلى رالة العمى والظلام ليتمتعوا بالنور ويسيروا في الطويق الروحي الجديد الحق عوض سلوكهم في المعوجات، إذ يقول: " وأسير العمى في طريق لم يعرفونها، في مسالك لم يدروها أمشيهم، أ جعل الظلمة أمامهم نوراً والمعوجات مستقيمة" [16].

5. دعوة للشعب الأصم الأعمى:

وى كثير من الآباء أن الشعب الأصم الأعمى هم اليهود الذين لم يصغوا لصوت الأنبياء بخصوص السيد المسيح، وقد انطمست عيونهم عن إواكه فمجوه... لقد اختلهم الرب كعبد له لكن قلة قليلة قبلت الإيمان بالمخلص بينما جده الآخرون لهذا يُعاتبهم قائلاً:

" أيها الصم اسمعوا؛ أيها العمى أنظروا لتبصروا.

من هو أعمى إلاّ عبدي وأصم كرسولي الذي أرسله؟!

من هو أعمى كالكامل وأعمى كعبد الرب؟! [18-19].

يدعوه عبده لأنه اختلهم شعبه المتعبد له؛ وأيضاً رسوله لأنه اختلهم ليقبوا الإيمان ويكرزوا به كرسل يُعلنون الخلاص ويشهدون للحياة الإنجيلية، دعاهم "الكامل" لأنه كان ينتظر فيهم التقديس إذ قدم لهم كل إمكانية للحياة الكاملة وبل وللكرلة بالسيد المسيح واهب الكمال. يوبخهم قائلاً:

" ناظر كثوًا ولا تلاحظ" [20] ، فقد جاء السيد المسيح في وسطهم وصنع عجائب ورأوا ما لم يره شعوب أخرى، ومع هذا لم يلاحظوا أنه مخلص العالم بل صلوه عن حسد! رؤوه في الجسد ولم يروا حقيقة.

" مفقوح الأذنين ولا يسمع" [20] ، سمعوا النوات كما سمعوا صوت السيد المسيح، ومع هذا لم يستجيبوا لا لصوت الأنبياء المشير نحو المسيح ولا لصوت الرب نفسه عند مجيئه.

العيب فيهم لا في الشريعة الموسوية فإن الله يعظم الشريعة ويكرّمها [21] ، لكن الشعب نهب منه عدو الخير أعماق الشريعة وسلبه المفهوم النوي الروحي فسقط في حوة الجحود وانحبس في إنكار الإيمان، نهبهم عدو الخير من التمتع بمن أشرت إليه الشريعة وسلبهم ما وهبت كتب العهد القديم، وليس من يرد لهم ما فقوه [21-22]، لأنهم سقطوا تحت الغضب الإلهي.

وى اليهود أن ما ورد في هذا الجزء [18-25] لا ينطبق عليهم وإنما على الوثنيين أو على بعض الأواد.

<<

الأصاح الثالث والأربعون

ليس غوي مُخلص

قدم الأصاح السابق صورة قاتمة لما بلغ إليه الشعب في فزة السبي البابلي فصلروا كعمي وصمّ، لهم أعين وأذان لكنهم لم يلاحظوا عمل الله ولم يسمعوا صوته. هذه صورة خفيفة لعمل الخطية في حياة البشرية لذا صلت الحاجة إلى تدخل إلهي؛ هو وحده يقدر أن يفدي ويخلص، يُحطم كل عقبة تقف في حياة أولاده نون انتظار لمكافأة أو لمقابل من جانبهم.

1. لا تخف فإني معك [17-1].
2. أنتم شهودي [13-8].
3. سقوط بابل [15-14].
4. خروج جديد [21-16].
5. الخلاص عطية مجانية [28-22].

1. لا تخف فإني معك:

يبدأ حديثه هكذا: "والآن هكذا" [1] ؛ كأن الله يريد أن يغير الصورة السابقة، صورة سبي الخطية المرّ، الذي أفقدنا البصوة الداخلية وآذان النفس، وذلك بتقديمه غنى مواعيده الخلاصية وفيض نعمته الفائقة.

الله يُؤيدنا أن نحول أنظرنا عن حالنا البائس أو عن التفكير فيما فعلته فينا الخطية متطلعين إلى الفادي والمخلص، حتى لا يُحطمنا اليأس بل نمثلي رجاء.

الآن ما هو نور الفادي المحرر من سبي الخطية؟

أ. الله الخالق وحده يقدر أن يُجدد الخليقة: " والآن هكذا يقول الرب خالقك يا يعقوب وجابلك يا إسرائيل، لا تخف لأني فديتك" [1].

حين أنكر آريوس لاهوت السيد المسيح ركز القديس أناسيوس الرسولي في رده عليه بأن لاهوت السيد ليس عقيدة نظرية فلسفية إنما أمر

يمس خلاصنا ذاته. لقد فسدت طبيعتنا البشوية تماماً واحتاجت إلى الخالق ليخلص طبيعتنا الساقطة ويردها إلى أصلها، واهباً إياها صورته، ومصلاً إياها من الفساد إلى عدم الفساد؛ فيه تغلب البشوية الموت وتُعاد خلقتها ^[444]. كانت الحاجة ماسة إلى ابن الله الواحد مع الآب والمسوي له في الجوهر أن يُقدم نفسه ذبيحة قاهرة على الإيذاء بدين خطايانا وتحقيق العدالة والرحمة الإلهية في ذات الوقت. أنه الله الغالب للشيطان لا لأجل نفسه وإنما باسم البشوية ولحسابها. أخيراً بكونه الله الحق أعاد لنا كرامتنا، واهباً إيانا النوة للآب فيه بالروح القدس. يقول البابا أثناسيوس: [صار إنساناً لنصير نحن آلهة ^[445]، وإن كان يوجد ابن واحد بالطبيعة، ابن حقيقي وحيد الجنس، صونا نحن أبناء ليس بالطبيعة والحق بل بنعمته التي تدعونا، وأن كنا بشراً على الأرض لكننا دُعينا آلهة ^[446]].

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [يسبب الحب أخذ جسدنا وتواضع علينا، ليس هناك سبب آخر لتجسده ^[447]، الله لم يُجلنا عن تعديتنا الكثيرة التي اقترفناها ضده رغم احساناته علينا، بل أعطانا ابنه. جعله من أجلنا خطية... تركه يُدان ويموت كملعون. الذي لم يعرف خطية جعله كخاطئ وخطية... إنه يشبه ملكاً وى لصاً على وشك الاعدام، فوسل ابنه الحبيب الوحيد، ينقل عليه الموت ذاته بل وخطا المجرم! هذا كله من أجل خلاص المذنب، ليرفعه إلى كرامة عظيمة ^[448]، [دفع السيد المسيح أكثر مما نستحق بمقدار ما يتعدى المحيط قطرة ماء ^[449]].

بهذا نفهم الكلمات النبوية: "هكذا يقول الرب خالك... لا تخف لأني فديتك" [1].

ب. اهتمام شخصي من جانب المخلص نحو الإنسان؛ الله لم يخلق الإنسان كطائن وسط بلايين الكائنات التي أوجدها، إنما أعطاه اهتماماً خاصاً كخليقة محبوبة لديه، يعرف الإنسان باسمه فيدعوه ويفديه ليكون له، أي لينعم الإنسان بالاتحاد معه.

ما أجمل صوت الفادي حين يُناجي كل إنسان، قائلاً:

"لا تخف لأني فديتك.

دعوتك باسمك

أنت لي" [1].

سرّ الفداء يكمن في حب الله الفائق، يُبديني له، وهو لي... يعرفني باسمي ويدعوني للدخول معه في علاقة حب فريدة. لا يطلب مني شيئاً بل يطلب كياني وقلبي وحيي، وأنا لا أطلب عطاياه بل شخصه وروحه القنوس وحيه! كأن الله هنا يتقدم كخالق ومخلص وعريس شخصي لي.

❖ إلهي... إنني إذ أتأمل في ضموري، أراك ناظراً نوري دائماً، ومتتبها إليّ نهلاً ولبلاً بجهد عظيم، حتى كأنه لا يوجد في السماء ولا على الأرض خليفة سواي.

❖ عينك منجذبتان نحو خطوات البشر...

إذ أنت مهتم بكل خليقتك، لا تحرم أحداً من جيلة يدبك عن فيض حبك!

أنت بنفسك تهتم بخطواتي وطريقي ليلاً ونهلاً، تسهر على رعايتي، تلاحظ كل سبلي، لا تكف عن الاهتمام بيّ، حتى ليتمكنني أن أقول: انك تتسى السماء والأرض وما فيهما، موكراً اهتمامك بيّ، فتبدو كمن لا يهتم بخليقة سواي!

❖ تسهر عليّ، وكأنك قد نسيت الخليقة كلها! تهبني عطايك، وكأنني وحدي موضوع حبك!

❖ أنه لا يوجد قط شيء لا تعرفه... أفكري ومقاصدي وأواحي وأعمالي... ليس شيء من هذا غير مطروح أمام اهتمامك الأبدي!

^[450] القديس أغسطينوس

ج. الله المخلص هو سرّ نصوتنا، مادام معنا لا تغمرنا مياه هذا العالم ولا تحرقنا نوان الشهوات: "إذا اجترت في المياه فأنا معك، في الأتهار

فلا تغمرك. إذا مشيت في النار فلا تلدغك، واللهيب لا يحرقك" [2].

صورة رائعة لعمل المخلص، يهبنا ذاته فلا يقدر الموت بكل وسائله وطرقه أن يبتلعنا... نحمل مسيحنا "القيامة" (يو 11: 25) فينا فنملس الحياة المقامة الغالبة للموت.

إن كنا نواجه مياه محبة العالم التي تغرق النفس وتقتلها، ولهيب نار الشهوة الذي يُحطمها فقد وهبنا المخلص روحه القديس خلال مياه المعمودية حيث فيها نجحد الشيطان وكل جنوده وكل أعماله ونخدش رأسه تحت أقدامنا، وهبنا روحه القديس الناري كما في يوم العنصرة الذي يحرق الخطية ويبيد لهيبها القاتل.

لعل إشعياء النبي يُذكر شعبه هنا بعمل الله مع آباؤهم عند خروجهم من مصر. لقد وهبهم بالصليب الغلبة على مياه بحر سوف (بواسطة العصا)، وأيضًا الغلبة على الحيات المحرقة (بالحية النحاسية). الله الذي عمل قديمًا يعمل في الخروج الثاني من السبي البابلي، وهذان الخروجان هما رمز للخروج الأعظم الذي يحققه المخلص بصلبيه في حياة مؤمنيه.

❖ هل تقدرون أن تقاوموا الشيطان يا أيها غير الأمانة ما لم يكن لكم روح الإيمان؟ إذ به تستطيعون أن تطفؤا سهامه!... ألعك تبرر ذاتك إذ تملك الخطية على جسدك؟ ومن أين لك أن تمجد والله بجسدك وهو الذي فداك بدمه الزكي؟!

[\[4511\]](#) **القديس أنبا شنودة رئيس المتوحدين**

د. المخلص يدفع الثمن، فقد تطلعت الكنيسة الأولى إلى الصليب كإيفاء للدين الذي علينا نحو الآب، وكاقتناء لنا من يد إبليس الذي اشتانا عبيدًا له فدفع الرب دمه ثمنًا لذلك من أجل تحريرنا. هذا هو عمل المخلص القديس الذي يُريد تقديسنا بدمه وتحريرنا من عبودية إبليس، لذلك يقول: "لأني أنا الرب إلهك قنوس إسرائيل مخلصك؛ جعلت مصر فديتك، كوش وسبا عوضك" [3].

مصر بوعونها التي كانت تمثل إحدى القوتين العظيمتين في ذلك الحين (مصر وأشور؛ ثم مصر وبابل...) لا تسند شعب الله ولا تحميه إنما تحتل مركز الضعف... أما كوش وسبا فعرفتا بغناهما. كأن الله هو الذي يفدي ويخلص بكونه القديس، وليس فوعن بسطوته ولا كوش وسبا بإمكانياتهما ومولدهما الغنية.

لقد اشتانا الرب لا بذهب أو فضة إنما بدمه الثمين ليقينا ملوكًا وكهنة:
"لأنك ذبحت واشتويتنا الله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمه، وجعلتنا لإلهنا ملوكًا وكهنة" (رؤ 5: 9-10).
"لأنكم قد اشتويتهم بئس، فمجبوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" (1 كو 6: 20).
"لقد اشتويتهم بئس فلا تصيروا عبيدًا للناس" (1 كو 7: 23).

"عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تقنى بفضة أو ذهب من سوتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح" (1 بط 1: 18-19).

❖ لقد اشتويتهم بئس، أي بالدم. قد رُعم عن إمواطورية الجسد لتمجوا الرب في أجسادكم.

[\[4521\]](#) **العلامة توتليان**

❖ لا يظن أحد أنه قد دُفع عنه ثمن مختلف بسبب غناه؛ فالغنى في الكنيسة هو الغنى في الإيمان؛ إذ المؤمن له كل عالم الغنى. أي عجب من هذا إن كان المؤمن يملك موات المسيح الذي هو أثن من العالم.

[\[4531\]](#) **القديس أمبروسيوس**

هـ. المخلص يرد لنا مجدنا ووحدتنا: غالبًا ما يبس الكثيرون أثناء السبي من إمكانية العودة إلى بلادهم بسبب طول مدة بقائهم فيه، لكن الله المخلص يطمئن أولاده قائلاً: " لا تخف فإني معك. من المشرق آتي بنسلك ومن المغرب أجمعك. أقول للشمال اعط وللجنوب لا تمنع. إيت ببني من بعيد

وبيناتي من أقصى الإرض. بكل من دُعي باسمي ومجمدي خلقتَه وجبلته وصنعتَه" [5-7].

يُلاحظ في هذا الأصحاح أن الله يتحدث عن نفسه "أنا" لا يقل عن 36 مرة ^[454] حتى دعي أصحاب "الذات الإلهية" أو "الأنا الإلهية" وقد تكرر نفس الأمر في الأصحاح الخامس والأربعين 31 مرة... ماذا يعني هذا؟ إن كان عمل الخطية هي تحوصل الإنسان في "الأنا"، فيجد في نفسه موكراً للعالم وللآخرين، يود أن يتمتع بالملذات الجسدية أو الكرامة لحسابه الخاص في كوياء وأنائية، فإن مسيحننا على العكس يُقدم ذاته التي هي "الحب" لكي نقتنيه. عندما يُنادينا ألا نخف، وعندما يدعونا بالاسم، ويؤكد عايته لنا أينما وجدنا ومهما حلت بنا من تجرب وعندما يقدم لنا مواعيده بأن يجمعنا من أقاصي المسكونة لكي يضمنا إليه... إنما في هذا كله لا يطلب ما لنفسه بل ما هو لنا. يهبنا معيته لكي نقتنيه. لهذا بين الحين والآخر يقول "إني معك"، وأنه لنا، نصيبنا الأبدي.

مجد اسم الله وكرامته يُعلنان في حبه العملي البازل، في عطاء نفسه لخليقته.

2. أنتم شهودي:

ماذا يقدم الله لنا؟

يقدم ذاته نوراً لنا فيفتح حواسنا لنبصر أمجاده فينا وملكوته السموي معلناً داخلنا، ويفتح آذاننا لنسمع صوته الإلهي ونترك غاية وصيته، فتصير لنا آذان الأبناء الذين يعرفون صوت أبيهم بل حتى حركة رجله... هذا ما عناه بقوله: " اخرج الشعب الأعمى وله عيون والأصم وله آذان" [8]. هذا هو نور الله مخلصنا في حياتنا الداخلية حيث يُجدد طبيعتنا في مياه المعمودية بروحه القدس ليهبنا الإنسان الجديد القادر على التمتع بالشركة الإلهية.

خلال هذه الخوة نشهد للغير، فتدعو الكنيسة لاجتماع عام للأمم [9-13] للتعرف على المخلص وتأكيد تحقيق ما سبق فُعد به خلال أنبيائه عبر الأجيال قبل مجيئه.

"اجتمعوا يا كل الأمم ولتلتئم القبائل. من منهم يخبر بهذا ويعلمنا بالأوليات، ليقدموا شهودهم ويتبرروا، أو ليسموا فيقولوا صدق. أنتم شهودي يقول الرب وعبدي الذي اخترته لكي تعرفوا وتؤمنوا بي وتفهموا إنّي أنا هو. قبلي لم يصور إله وبعدي لا يكون. أنا أنا الرب وليس غير مخلص... [9-11]."

يطالب الله من تمتع بالبصوة الجديدة والآذان الروحية الجديدة أن يدعو الأمم والقبائل للدخول معهم في حوار عملي خلال ما يعيشونه. في هذا الحوار يعلنون الآتي:

أ. ليسألوا الأمم إن كانت عندهم نوات سابقة واضحة وأكيدة فيما يخص المستقبل (إش 41: 22)؛ أما نحن فقد تقبلنا نوات لا عن انتصار كوش على بابل لإتقاد شعب الله القديم، وإنما عن المسيا، العبد المختار. تسللنا نوات عن شخصه وأعماله ورسالته؛ عرفناه أنه يولد من عنواء، كما عرفنا موعد ميلاده ومكانه، وعن أعماله مع شعبه وعن تقديم ذاته ذبيحة حب فريدة الخ... فما نطق به الأنبياء إنما هو بالرب الفريد السومدي الذي لم يصور قبله إله وبعده لا يكون... وكما يقول: "أنا هو الأول والآخر" (إش 44: 6).

وي القديس يوحنا الذهبي الفم أن الشيطان يستطيع أن يُقلد المعجزات [أما النوة فهي من عمل الله الخاص التي لا تستطيع الشياطين أن تُقلدها وإن كانت تُصارع بقوة من أجلها] ^[455].

الله في محبته للبشوية وهب الأنبياء هذه النوات، وتكلم على لسان رجاله القديسين وأوحى بالكلمة الإلهية، ولا زال يعمل فينا إذ يهبنا معرفة هذه الأسوار الإلهية. وكما يقول إيريناؤس: [يستحيل علينا أن نأتي - بدون الله - إلى معرفة الله الذي يعلم البشر خلال كلمته] ^[456].

ب. بجانب النوبة التي تركت في مجيء المخلص... يؤكد الكتاب المقدس أن الله وحده هو المخلص: " أنا أنا الرب وليس غوي مخلص" [11] . الله الخالق في غوته على محبوبه الإنسان، لا يأتى خلاصه على أحد بل وعى شعبه بنفسه ويبدل حياته عنه "الواعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف" (يو 10: 11) . هو خلق وهو الذي يُجدد الخلقة ويخلصها!

في تكوره " أنا أنا الرب " تأكيد أن الذي يُقدم الخلاص هو الرب نفسه، الأول والآخر، يعلن عن حبه الإلهي خلال علمه الخلاصي!

❖ ^[457] بكونه "الحياة" مات لكي يحينا؛ بكونه "كلمة" صار جسداً لكي يعلم الجسد في الكلمة.

❖ إنه كلمة الله وقوته وحكمته كما يشهد سليمان بخصوص الحكمة أنها "الواحد، تقدر أن تصنع كل الأشياء وتبقى في ذاتها، تجدد كل الأشياء، وتعبر على النفوس القديسة، وتكون أصدقاء الله والأنبياء" (حك 7: 27) ^[458] .

القديس أنثاسيوس الرسولي

3. سقوط بابل:

الله الذي سمح بتأديب شعبه بالسبي البابلي الآن من أجل محبته لشعبه يسمح بسقوط بابل. يتحدث بصيغة الماضي ليؤكد لسامعيه أن ما سيحدث هو حقيقة واقعة لا بد أن تتم.

جاء النص مختلفاً من ترجمة إلى أخرى مع بقاء المعنى ثابتاً:

" هكذا يقول الرب فاديكم قنوس إسرائيل: لأجلكم أرسلت إلى بابل وألقيت المغاليق عليها (أحدرت نبلاءها) والكلدانيون في سفن ترونهم (صواخهم في سفنهم) " [14].

هنا يظهر الله كقائد للجيش المعادية يُرسل مادي وفلس إلى بابل، وهناك يلقي بالعب في قلوب سكانها فيهيرون سويغاً.

تُرجمت الكلمة العبرية *barichim* "نبلاء *nobles* "، وفي العربية "مغاليق"، وقد استخدمت الإنجليزية "نبلاء *nobles* " لأنهم يحمون المدينة كمغاليق لها.

هرب كثير من الأغنياء إلى سفنهم التي كانت راسية في الفوات والتيجر. لم يكن لبابل سفن بحرية إنما خرج الأغنياء إلى سفنهم التي للزهوة، لذلك قيل "سفن ترونهم" لأنهم اعتادوا أن يستخدموها أثناء رحلاتهم المملوءة طرباً. وإذا لم يجنوا فيها إمكانية للخلاص تحولت أغانيهم إلى صواخ وهرة.

في [15] دُعي الله بثلاث ألقاب: يهوه، مخلصكم، قنوس إسرائيل، خلالها يكشف عن نور الله كقائد لشعبه أو لكنيسته فهو الله غير المتغير في حبه وقدرته يقدر أن يهب الغلبة على عدو الخير، وهو المخلص الذي بحبه يُقدم ذبيحة الخلاص الفريدة، وهو القنوس الذي يُجدد خلقة مؤمنيه ويقدمهم ليملكوا معه أبدياً.

لعله قصد بهذه الألقاب الثلاثة أن الخلاص والتقديس من صميم عمل الله كمحب لخليقته الضعيفة والمشتاق إلى تجديدها فيه.

4 . خروج جديد:

الله الذي يخلص شعبه سبق أن وهبهم خلاصاً على يدي موسى ليحررهم من عبودية فعون؛ وها هو يخرجهم من السبي البابلي كما في خروج جديد، ويبقى على النوام يخرج بهم من أسر الخطية إلى حرية مجد ولاد الله، ينطلق بهم كما من أعمال الإنسان العتيق إلى التمتع المستمر بأعمال الإنسان الداخلي الجديد.

" هكذا يقول الرب الجاعل في البحر طريقاً وفي المياه القوية مسلماً، المخرج المركبة والفرس الجيش والعز. يضطجعون معاً لا يقومون. قد

خمنوا كفتيلة انطفؤا" [16-17].

لقد خلصهم من سلطان وُعون بعبيرهم بحر سوف، قاطعاً كل إمكانية لقيام وُعون ضدهم من جديد. فقد شبه هلاك وُعون المفاجئ والسريع بفتيلة انطفأت لا تعود تلتهب من جديد؛ بذات القوة يخلصهم الله من يد بابل أيضاً.

هذا الخلاص الذي تحقق ضد وُعون وأيضاً ضد بابل يجب أن يتم ضد أعمال الإنسان العتيق (كو 3: 9)، لذا يكمل النبي حديثه، قائلاً: "لا تذكروا الأوليات، والقديمات لا تتأملوا فيها؛ هأنذا صانع أمراً جديداً، الآن ينبت، ألا تعرفونه؟! اجعل في البرية طريقاً، في القفر أنهلاً" [18-19].
بريدنا ليس فقط أن نخلع الإنسان القديم بأعماله وإنما أن ننسأه تماماً ولا نعود نذكره أو نتأمل فيه حتى لا نياس ونتحطم، إنما بالحوى ننشغل بالحياة الجديدة التي تنبت فينا. إنه يجعل في البرية طريقاً وفي القفر أنهلاً. ما هذا الطريق إلا السيد المسيح نفسه القائل: "أنا هو الطريق" (يو 14: 6)، قام في وسطنا نحن البرية الجذباء، يحلّ في قلوبنا لكي يدخل بنا إلى ملكوته؟! وما هذه الأنهار إلا ينباع الروح القدس المتفجرة داخلنا نحن القفر الذي بلا ساكن، فيتحول قلبنا الخرب إلى مسكن الله القدوس؟! وكأن سر تجديدها هو سكنى السيد المسيح فينا وحلول روحه القدوس في أعماقنا الداخلية ^[4591].

يؤكد الله انفتاح باب الإيمان أمام الأمم لاقتناء شعب جديد، يعوف الوح الداخلي والتسييح، قائلاً: "يُجدني حيوان الصواء الذئب وبنات النعام لأنّي جعلت في البرية ماءً أنهلاً في القفر لأسقي شعبي مختلياً، هذا الشعب جبلته لنفسه، يحدث بتسيحي" [20-21]. يُشبه الأمم بالحيوانات المفترسة التي تعيش في البرية، ذلك بسبب ما اتسموا به من عنف شديد، ولأنهم عاشوا كما في البرية ليس بينهم مواعيد ولا عهود ولا شريعة إلهية الخ... في حالة قفر شديد. شُبهوا أيضاً ببنات النعام رمز الغلوة وعدم الفهم بسبب عبادتهم للأصنام ومملستهم الوجاسات كعمل ديني توي. هؤلاء الذين عُرفوا بالقسوة والغلوة، الذين عاشوا في بوية قاحلة، صاروا يتمتعون بماء أنهار الروح القدس ليثيروا ويوتوا، ويقبلوا العضوية في شعب الله المختار. بهذا تتغير طبيعتهم خلال عمل الثالوث القدوس فيهم ويفتح قلبهم للوح ولسانهم للتسييح.

ما أجمل العبارة الإلهية: "هذا الشعب جبلته لنفسه!" [21] صرنا له، نصيب الرب، كما هو لنا نصيبنا!

5. الخلاص عطية مجانية:

الله يقدم أعماله الخلاصية مجاناً للبشرية، لكن هناك بعض العوائق التي عطلت مقاصد الله مع الشعب القديم الذي رفض الإيمان بالمخلص، هذه العوائق هي:

أ. عدم الصلاة: " وأنت لم تدعني يا يعقوب حتى تتعب من أجلي يا إسرائيل" [22]. فإن الصلاة هي سر تمتعنا بعمل الله وكما يقول الأب مريوس: [تفعل الصلاة ما

تحب كما يستطيع الله! إنها تُصدر الأوامر على الأرض ليكن لها فاعليتها في السماء ^[4601]].

ب. تجاهل الله حتى في الأمور الصغرة: " لم تحضر لي شاة محرقتك وبذبايحك لم تكرمني. لم استخدمك بتقدمة ولا اتعبتك بلُبان. لم تشتري لي بفضة قصباً وبشحم ذبائحك لم تروني" [23-24].

حينما أخرج الله شعبه من مصر لم يكن في عوز إلى تقدماتهم وذبائحهم الحيوانية، إنما كان يطلب قلوبهم، يشناق أن يقبهم إليه بكونهم شعبه الخاص، أما الذبائح فكانت رموزاً لذبيحة المسيح، وعلامة حب له... كان ينتظر أن يُقدموا قلوبهم مع محرقاتهم وذبائحهم وبخورهم الخ...

❖ عندما يُشير إلى أنه لم يقدمهم من مصر لكي يُقدموا له ذبيحة إنما لكي ينسوا عبادة الأوثان التي للمصريين حتى يسموا صوت الرب الذي كان بالنسبة لهم خلاصاً ومجداً (إر 7: 21).

^[4611]
القديس إيرينائوس

ج. الانشغال بالمذات الجسدية والشهوات العالمية: " لكن استخدمتني بخطاياك وأتعبتني بأثامك" [24]. عوض تكريم الرب بتقديم القلب ذبيحة محرقة مع ممارسة العبادة أنحرف الشعب إلى الأناثية والإرتباك بالأمور الزمنية، فاستغل محبة الله وعنايته وعطاياه لحساب "الأنا".

كثوًا ما نُسئ استخدام عطايا الله مثل العواطف والوفاة والمواهب، نستخدمها لا لحساب ملكوت الله وبنيان الجماعة وإنما لممارسة الشر. مع ما بلغناه من الشر يبقى الله منتظرًا توبتنا واعترافنا بخطايانا لكي يغفر لنا من أجل اسمه القديس ومحبتة الفائقة، مؤكدًا لنا: "أنا هو

المحي ذنوبك لأجل نفسي وخطاياك لا أذورها؛ ذكروني فنتحاكم معًا، حدِّث لكي تتبرر" [25-26].

❖ [\[462\]](#) أول طويق التوبة هو إدانتنا الخطايا.

❖ [\[463\]](#) يطلب منا هذا (الاعتراف بخطايانا) لكي نُكثف حبنا نوره.

❖ [\[464\]](#) من يملس التوبة بعدما يخطئ يستحق لا الحزن عليه بل تهنئته إذ يعبر إلى خورس الأوار.

❖ لا تترك شيئًا يربك بل ارتفع إلى أعلى السموات عينها. تهدد بعورة وقدّم ذبيحة اعتراف، فقد قيل "اعلن وُلاً معاصيك فنتبرر" [26] (الترجمة السبعينية)، قدم ذبيحة القلب المنسحق. فإن هذه الذبائح لا تتحول إلى رماد ولا تصير دخانًا ولا تتبدد في الهواء. إنها لا تحتاج إلى خشب و نار وإنما إلى قلب نادم من الداخل. هذا هو الخشب والنار التي تحرق دون أن تهلك، فإن من يُصلي بعورة يحترق ولا يُستهلك، إنما يصير كالذهب الممتحن بالنار ليؤدّد بهاءً [\[465\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

هكذا يليق بنا أن نذكر خطايانا ونعترف بها فتُغفر... عندئذ يجب علينا أن نذكر عمل الله معنا ونمجده عوض التفكير في الخطايا...

❖ كيف ننسى الشر القادم علينا؟ بتذكّر الصالحات، وبتذكّر الله. فإننا إن كنا نذكر الله على النوام لا نقدر أن نذكر هذه الأمور أيضًا.

[\[466\]](#) القديس يوحنا الذهبي الفم

يجب ألا نخجل من الاعتراف بالخطايا، فإن آباءنا الأولين سبقوا أن أخطأوا، في مقدمتهم آدم الأول: "أبوك الأول أخطأ ووسطاوك عصوا علي" [27]. وى غالبية آباء الكنيسة فأيضًا الحاخامات أنه يعني البشرية كلها متمثلة في آدم أبينا الأول، ويفسره البعض على ضوء ما جاء في (حز 16: 3) "أبوك عموري". ورأى البعض أنه الأب الرئيس أوريا بكونه رئيس الكهنة الذي قاد الشعب إلى عبادة الأوثان في أيام آحاز (2 مل 16: 10-16)، ورأى البعض أنه يعني الملوك ورؤساء الكهنة، أي القيادات المدنية والدينية مجتمعة معًا تقود الشعب إلى العصيان. أما ثروة الخطايا والعصيان فهي "اللعنة" وفقدان الكرامة، إذ قيل: ذُفعتُ يعقوب إلى اللعن وإسرائيل إلى الشتائم" [28].

<<

الأصاحح الوابع والأربعون

إنسكاب الروح والحياة الجديدة

يُعتبر هذا الأصحاح تكلمة للأصحاح السابق، فيه يعلن الله عن تحقيق خلاصنا بسكب روحه القديس على كنيسته لأجل تجديدها المستمر، يُقيم فيها شهودًا له بعمله الداخلي فيهم، يشبعهم ويُقدسهم، غافًا خطاياهم، وذلك على خلاف الفواغ الداخلي الذي عانى منه الناس خلال العبادة الوثنية. كأن الخلاص الذي يقدمه الله لشعبه يحمل اتجاهين: تأكيد أن الله فيه كفايتنا، البعد عنه سخافة وخداع للقلب.

- 1 . انسكاب الروح [5-1].
- 2 . أنتم شهودي [8-6].
- 3 . الوثنية والفواج [20-9].
- 4 . لي أنت [26-21].
- 5 . نوة عن كورش [28-27].

1 . انسكاب الروح:

يحقق الله دعوته واختيله لإسرائيل الجديد بانسكاب روحه القنوس على المؤمنين ليقيم كنيسة العهد الجديد، إذ يقول: "والآن اسمع يا يعقوب عدي وإسرائيل الذي اخترته، هكذا يقول الرب صانعك وجابلك من الرحم معينك. لا تخف يا عدي يعقوب ويا يشورون الذي اخترته، لأنني اسكب ماء على العطشان وسيولاً على اليابسة. أسكب روحي على نسلك وبركتي على نريتك، فينبئون بين العشب مثل الصفاصاف على مجلي المياه. هذا يقول: أنا للرب وهذا يكتني باسم يعقوب، وهذا يكتب بيده للرب وباسم إسرائيل يُلقب" [5-1].

يلاحظ في هذه العطية العظمى الآتي:

أ. يشناق الله أن يُعطي ليس فقط بركاته وعطاياه الخرجية إنما أن يهب ذاته للإنسان: "أسكب روحي على نسلك"، يهب واهب العطايا، ومانح البركة كهبة وعطية...

❖ الذي يغتسل للخلاص يتقبل الماء والروح القدس.

[\[467\]](#)
العلامة أوريجانوس

❖ (المعتمد) ينال الروح القدس فيه ويحمل فعلاً لقب هيكل الله.

[\[468\]](#)
القديس كيرلس الكبير

❖ أيها الوحيد الذي أعطانا روحه بالمعمودية، أعطني كلمة لأرتل لك بها بمحبة.

❖ قول الابن الوحيد وأقامك من المذبلة وأعطاك روحه بالمعمودية وجعلك أخاه.

❖ تجنسنا بلاهوته في داخل المياه، وصونا أبناء بالحقيقة، ومنذ ذلك الحين صار لنا أن ندعوه أبانا، ذاك الخفي الذي أعطانا روحه بالمعمودية.

[\[469\]](#)
مار يعقوب السروجي

يعتبر الله هذه العطية هي العظمى، فإنه هو الذي في حبه جبلنا، ومن الوحم أعاننا، وها هو يُطالبنا ألا نخاف لأنه اختلنا، ولتحقيق هذا الاختيار قدم لنا هذه العطية.

ب. يدعو كنيسته "يشورون"، وقد ظهر هذا الاسم أربع مرات في العهد القديم (تث 32: 15؛ 33: 5-6)، معناه "مستقيم"، مشتقة من ياشر. وكأنه يدعو كنيسته التي ضمت الخطاة "مستقيمين" وذلك بفعل روحه القنوس. كأنه يُشجع شعبه على التجاوب مع عطية روحه القنوس فيتركوا انخوفهم وعصيانهم ويترنموا ببهاء الرب وجماله الروحي.

ففي سفر نشيد الأنشاد بينما تعترف الكنيسة أن التجرب قد لوحتها (نش 1: 6)، إلا أن الله العريس المخلص لم يلمح قط عن عيب فيها، وإنما على العكس يبرز كل جمال فيها: "ها أنت جميلة يا حبيبتي ها أنت جميلة، عيناك حمامتان" (نش 1: 15)، "كلك جميل يا حبيبتي ليس فيك عيبة" (نش 4: 7).

وى السيد المسيح في كنيسته جمالاً فائقاً سوه العينان الحمامتان، فقد حلَّ عليها الروح القدس الذي يظهر على شكل حمامة يهبها استنارة روحية. يقول العلامة أوريجانوس: [تقرن عيناها بالحمامتين بالتأكيد لأنها قد صلت الآن تفهم الكتب المقدسة حسب الروح وليس حسب الحرف. صلت تترك الأسوار الروحية في الكتب المقدسة، لأن الحمامة رمز للروح القدس. متى فهما الناموس والأنبياء بطريقة روحية يصير لنا العينان الحمامتان. لهذا ففي سفر الزامير اشتاقت نفسها أن يكون لها جناحي حمامة (مز 67: 14)، لعلها تقدر أن تطير إلى فهم الأسوار الروحية وتستقر في ساحات الحكمة^[470]]. أما القديس غريغوريوس النيصي فوى أن سرَّ جمال الكنيسة هو عيناها الحمامتان إذ هما نقيتان تظهر فيهما صورة الروح القدس الذي تشخص إليه العروس على النوام فتتطبع صورته على حدقة العين.

وى القديس جيروم أن سرَّ جمال الكنيسة هو اتحادها بآبن الله الوحيد، فتحمل مجده في داخلها، إذ يقول: [أي شيء أجمل من النفس التي تُدعى ابنة الله (مز 45: 10)، التي لا تطلب الزينة الخرجية (1 بط 3: 3)؟! إنها تؤمن بالمسيح، وإذ يوهب لها روحه تأخذ طريقها نحو المسيح الذي هو عريسها وربها في نفس الوقت، وجاء عظيم^[471]].

ج. يُقدم لنا عطية روحه القنوس الذي يعمل فينا حسب احتياجنا، فمن كان ظمأنا يسكب له ماء ليرويّه، أما من كان كرّض يابسة فيفيض عليه سولاً لتحول اليبوسة والقفرة إلى بستان. أنه سخي في العطاء، يهبنا حسب احتياجنا، وقدر تجاوبنا معه. يقول: "أفغر فاك فأملاًه" (مز 81: 10).

❖ أية شعلة يلهبها الروح في داخلنا يمكننا إن أردنا أن نوهجها أكثر فأكثر، وإن لم نرد نفقدها للحال (بواخيها وعدم تجاوبنا معه).

^[472] القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الذين ينالونه (الروح القدس) يتمتعون به على قدر استيعابهم، لا على قدر ما يستطيع هو.

^[473] القديس باسيليوس الكبير

❖ إنك تتسلم عدة حربية ضد قوة العدو (الشیطان)... هوذا السلاح مُعدّ: سيف الروح (أف 6: 17). إنه مهيب، لذا يليق بك أن تبتسط يمينك بطريقة صالحة لكي تُحلب حرب الوب وتغلب القوات المقاومة وتصير (حصناً) منيعاً يصد كل محاولة للهواطة...

❖ لا تحتقر النعمة من أجل مجانيّتها بل اقبلها واكتوّمها بوع.

^[474] القديس كيرلس الأورشليمي

د. ماذا يعني: " يَنْبُتُونَ بَيْنَ الْعُشْبِ مِثْلَ الصَّفَافِ عَلَى مَجْزِي الْمِيَاهِ "؟ ربما عنى أن المتمتع بعطية الروح القدس ينبت كشجرة ضخمة بين عشب زائل.

ه. من يتمتع بالروح يكتب على يده: " للوب "؛ إذ كانت العادة القديمة أن يكتب الإنسان اسم الإله أو سيده على يده كوشم، وقد منع الله شعبه من ذلك حتى لا يكتبوا اسم الوثن على أيديهم عند انخافهم فيصعب بل وكان مستحيلاً لآلته.

" وباسم إسرائيل يُلقَّب "، إذ حملت كنيسة العهد الجديد المتمتعة بعطية الروح لقب "إسرائيل الجديد"؛ ورثت عن إسرائيل القديم الكتب المقدسة بما ضمته من شريعة إلهية ووصايا ونوات وعهود ومواعيد... لقد فهمت ذلك كله بالروح لا الحرف وأدركت أسولاً إلهية وتمتعت بأمر فائقة.

2. أنتم شهودي:

المتحدث هنا هو السيد المسيح، الصخرة التي أفاضت ماء على الشعب (1 كو 10: 4)، لذا يقول "أسكب ماء على العطشان" [3]؛ وها هو يدعو نفسه " ملك إسرائيل وفاديه" [6]، وقد اعترف أمام بيلاطس أنه ملك.

يدعو نفسه هنا " رب الجنود"، " أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غوي" [6]. وفي سفر الرؤيا يقول السيد المسيح: "أنا هو الألف والياء، البداية

والنهاية" (رؤ 1: 8)، "أنا هو الأول والآخر" (رؤ 1: 17؛ 22: 13). واضح أن الفادي رب الجنود الإله الوحيد الذي ليس إله غوه، هو المسيح المخلص... هذه هي شهادة المتمتعين بخلاصه: "فأنتم شهودي، هل يوجد إله غوي؟! [8]."

ما نتمتع به في العهد الجديد هو امتداد لعمل الله المستمر؛ الله الذي عمل مع الشعب القديم [7] سبق فأعلن لهم بالمستقبلات، أي ما قد خططه لأجل العهد الجديد [7].

ربما قدم نفسه هنا "الأول والآخر" ليعلن أنه هو بنفسه الذي عمل في القديم لا زال بنفسه الذي يعمل في العهد الجديد.

الله المخلص هو الأول والآخر، يتقدم كل الصفوف لكي يقود عيته ويتأخر وراءها حتى يسند كل خروف بطيء أو ضعيف... يحتضن الجميع ويفرق بالكل. هو أيضاً الأول بكونه رأس الكنيسة والآخر إذ صار خادم الجميع. نجده الأول والآخر في حياتنا، يُشبع كل احتياجاتنا ولا يعوزنا شيء!

3 . الوثنية والوفاغ:

بعدما تحدث عن عطية الروح العظمى التي قدمتنا شهوداً للحق، نعلن عن تمتعنا بالله مخلصنا كرب الجنود، قائد المعركة الروحية، ومشبع الكل بكونه الأول والآخر، سندرجال العهد القديم وأيضاً مؤمني العهد الجديد... الآن يُقرن بين شهادة المؤمنين وشهادة عبدة الأوثان:

أ. الشهادة للمخلص تهب شبعاً ورتواء وإثماً: "لأي أسكب ماء على العطشان وسيولاً على اليابسة... فينبتون بين العشب مثل الصفصاف" [3]، [4] ، أما الشهادة للأوثان فتقدم بطلائاً وواغاً ورجعاً مع عمى وجهل: "الذين يُصَوِّرون صنماً كلهم باطل، ومشتهياتهم لا تنفع، وشهودهم هي؛ لا تبصر ولا تعرف حتى تَقْوَى" [9].

مسيحنا مشبع للأعماق، فيه كل الكفاية؛ الذين اختبروه شعروا بالشبع ولم يعزهم شيئاً قط؛ أما خرجه فققدان لكل شبع داخلي وحرمان للتمتع بالشوكة مع الله مصدر الحياة والشبع.

ب. الشهادة للمخلص تهب سلاماً: "لا تخف" [2] ؛ "لا ترتعوا ولا ترتاعوا" [8] ، أما خرجه فخوف ورعدة "يجتمعون كلهم يقفون يرتعبون ويخزون معاً" [11] . لقد اجتمعت كل الطاقات معاً ضده من رؤساء كهنة وكتبة وفريسيين وصنوقيين وولادة رومان الخ... لكنهم حملوا عباً وخوفاً حتى في لحظات الصلب والسخرية بالمصلوب! رعبهم شوهم الداخلي وواغ قلبهم من النعمة الإلهية، وثرت الطبيعة عليهم فانكسفت الشمس وانخسف القمر وحدثت زلازل وتشقق الصخور وقام كثير من الأموات!

ج. يتمتع شهود الرب بالكرامة فيحسبون "إبرائيل الجديد" وينقشون اسم المخلص على أيديهم الداخلية، وكأنهم لا يعملون إلا باسمه [5]؛ أما شهود الخرجين عنه فيحملون علماً وخراباً [11].

يقدم لنا تصوراً رائعاً عن فساد العبادة الوثنية، مظهر أن الأوثان وصانعيها والمتعبدين لها جميعهم يحملون خراباً وبطلائاً. فصناع الأوثان جاثون لا يهتمون بالوع ولا العطش ولا التعب [12] من أجل صنع الفأس من الحديد وطرق صفائح لإقامة التماثيل. وهكذا أيضاً بالنسبة للنجارين الذين يبذلون كل الجهد لحفر تماثيل خشبية... الجميع يتعبون ولا يكون لإقامة تماثيل معدنية أو خشبية عاخرة عن تقديم الخلاص، بينما يتهلون ولاد الله في جهادهم الروحي بالرغم من تمتعهم بإمكانيات إلهية قاورة على تمتعهم بالخلاص الأبدي. وكان هؤلاء العاملين باطلاً يدينون ولاد الله المتهلونين، وكما قال رب المجد يسوع أن أبناء هذا الجيل أحكم من بني الملكوت (لو 16: 8).

من جانب آخر فإن صنع التماثيل المعدنية يستنفذ طاقة الصناع، بينما صنع التماثيل الخشبية وافقه لهو بما تبقى من الأخشاب، إذ تستخدم في الموقد للدفاء أو لطهي الطعام في الوقت الذي فيه يهدئون ضمورهم بالعبادة للخشب المنحوت تماثلاً.

أخوًا ماذا تُقدم عبادة الأوثان (= اعْوَال الله):

أ. عمى البصوة الداخلية وظلمة داخلية [18]، بينما المسيح هو شمس البر (ملا 4: 2).

الأصحاح الخامس والأربعون

كورش والخلص

تعتبر الأصحاحات السابقة (40-44) دعوة موجهة إلى الكنيسة لكي تتغوى بالله مخلصها، فيه وحده تجد شعبها بكونها له وهو لها. الآن يعلن الله خلال الأصحاحات (45-47) عن سرّ تغويتها ألا وهو تحطيم الشر المقاوم لها. فقد سبق فدعى كورش راعيه (إش 44: 28) معلناً عن اسمه قبل حوالي قرنين من هجومه على بابل بكونه آلة في يد الله لتحطيم من أذلّ شعبه واستخدامه لإرجاعهم إلى وطنهم.

1. حديث إلهي لكورش [8-1].
2. تدمير على اختيار كورش [9-13].
3. الله المخلص المُحتجب [14-19].
4. دعوة للخلاص في المسيح [20-25].

1. حديث إلهي لكورش:

يظهر من الكتابات البابلية أن كورش هذا كان ابناً لقمبيز وحفيداً لكورش آخر، وجميعهم مع أجدادهم ملوكا في شرق عيلام حيث كانت شوشان عاصمة ملكهم منذ سنة 550 ق.م. تقريباً ^[476].

يعتبر كورش مؤسس المملكة الفارسية، قيل إنه بدأ حياته كقائد فرقة خاملة في فارس، نجح في أن يصير قائداً لوقتتين من جنود الجبال، وكان طموحاً للغاية فبدأ غزواته للممالك الصغيرة المجاورة، غير أن بابل سخوت به واستهزت بإمكانياته حتى دخل بابل سنة 539 ق.م. في أيام بيلشاصر ملكها، وكان قد جمع في شخصه قوة مملكتي فارس ومادي؛ بهذا تحققت نوبة دانيال (دا 5: 28)، وكان دانيال في بلاط كورش أيضاً (دا 6: 28). مدح هيرودت وزينوفون (الشاب اليوناني) شخص كورش، تحدث عنه الأخير بعد موته بحوالي 100 عام كمثل أعلى في القوة مع البساطة والظهرة وضبط النفس.

الآن يوجه الله حديثاً لكورش قبل مجيئه بحوالي قرنين، فيه يعلن عن نظوته إليه، وعمله الإلهي في حياته، وغاية الله منه. ويلاحظ في هذا الحديث الآتي:

أ. تظهر كلمة "أنا" للرب 16 مرة في حديث الله مع كورش [1-7] و 31 مرة في الأصحاح كله. وكان الله يُريد تأكيد أن قيام كورش بسماع إلهي وأن غلبته هو وجيشه وتحطيم بابل كإناء خزفي لا يمكن إصلاحه هو من قبل الله نفسه.

ب. يدعو الرب كورش "مسيحه" [1]، مع أنه لا يعرف الرب [4-5]، ربما لأنه كان يتعبد لله الواحد المجهول مع احترامه للديانات ككل، أو لأنه حقق خطة الله نحو خلاص شعبه من السبي البابلي، ولأنه كان رمزاً للسيد المسيح مخلص العالم.

ج. من جهة عمل الله معه يقول "الذي أمسكت بيمينه لأبوس أمامه أمماً وأحقاء ملوكٍ أُخْلُ" [1]. يقوم الله بدور الأب الذي يمسك بكورش كطفل له لكي يسير، وكان الله هو الموجه له وسرّ قوته يسنده ليُحطم الشر. يعطيه النصرة في الحرب ضد الأمم فيدوسهم، إذ كانت العادة أن يدوس المنتصر على أعناق العظماء المأسورين، وأن يحل أحقاء ملوك أي يفقد قوتهم وعظمتهم، فقد اعتاد الملوك أن يلبسوا أحقاء ثمينية للغاية علامة عظمتهم وجبروتهم. وقد تحقق ذلك حرفياً عندما رأى بيلشاصر ر الملك أصابع يد إنسان تكتب على حائط القصر، "تغوت هيئة الملك وأوعته أفكله

وانحلت خَرَزَ حَقْوِيهِ وَاصْطَكَّتْ رِكْبَتَاهُ" (دا 5: 6).

على أي الأحوال كان كورش رَجُوعاً للسيد المسيح في هذا الأمر الذي قيل عنه "الرب عن يمينك يحطم في يوم رَجُوعه ملوكاً" (مز 110: 5). قيل عن كورش أن الرب أمسك بيمينه، وهنا يُقال عن الابن الكلمة "الرب عن يمينك"، والعجيب أنه قيل في نفس الزمور على لسان الآب "اجلس عن يميني" (مز 110: 1). كأن الابن عن يمين الآب (مز 110: 1) والآب عن يمين الابن (مز 110: 5)... لأنه لا يعني باليمين وضعاً مكانياً أو اتجاهًا معينًا إنما هو رمز للقوة الإلهية، وعلامة الاتحاد وعدم الانفصال، إذ هما واحد في اللاهوت وواحد في القوة.

وكما حطم كورش ملوكاً هكذا حطم السيد المسيح الملوك الجاحدين والمقاومين للحق، فقد قيل: "يحطم في يوم رَجُوعه ملوكاً" (مز 110: 5). يعلق **القديس أغسطينوس** على ذلك قائلاً: [جُوح هُلاء الملوك بمجده، وصوهم ضعفاء بثقل اسمه، فلم يعد لهم قوة لتحقيق ما رأوه... هم رأوا أن يمحو الاسم المسيحي من وجه الأرض فلم يستطيعوا، لأن من يسقط على هذا الحجر يتروض. لقد سقط الملوك على حجر الصدمة هذا فمروا عندما قالوا: من هو المسيح؟!].^[477]

لعله قصد بالملوك خاصة السيد المسيح التي لم تقبله (يو 1: 11)، إذ كان يليق بهم أن يتحنوا به كملك الملوك فيصيروا ملوكاً كلرزين وشاهدين له. الأمر الذي أدهش الأنبياء عندما تنبأوا عن ذلك، إذ يقول إشعياء في ذات الأصحاح: "حقاً أنت إله مُحتجب يا إله إسرائيل المخلص" [15]؛ وانددهش أيضاً لذلك الرسول بولس (رو 10: 20؛ 11: 7؛ 9: 30).^[478]

د. "لأفتح أمامه المصاعين، الأبواب لا تغلق" [1]. هكذا يتقدم الله أمام كورش مسيحه ليفتح أمامه الأبواب المغلقة وتنتهار قدامه الحصون التي من عمل البشر، حتى الطبيعة أيضاً تتحرك لمساندته: "أنا أسير قدامك والهضاب أمهد، أكسر مصراعي النحاس ومغاليق الحديد أقصف" [2].

حينما ترتبط بمسبحنا الغالب نسير في الطريق الملوكي وترفح نحو السماويات كما بغير عائق، لأن الرب يتقدمنا، فتفتح أمامه أبواب الأبدية لحسابنا. لقد اقتحم كورش أسوار بابل بأبوابها النحاسية الضخمة التي بلغت مئة باباً كقول هيرودت.

هـ. الله يهب كورش كنوز بابل الخفية، إذ كانت عادة الملوك أن يخفوا كنوزهم في أماكن لا يعلمها أحد حتى لا يستطيع العدو أن يغتصبها. "وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابئ لكي تعرف إنني أنا الرب الذي يدعوك باسمك إله إسرائيل" [3]. مادام الله هو "مصور النور" [7]، لهذا فهو يكشف لابنائه الأمور المخفية ويهبهم كنوز نعمته غير المرئية.

و. يكشف الله لكورش غايته منه: "لأجل عبيد يعقوب وإسرائيل مختلي دعوتك باسمك، لقبتك وأنت لست تعرفني" [5]. ما يقدمه له إنما لحساب مؤمنيه، ولأجل شعبه... هكذا يليق بنا - كمسحاء للرب - التصقنا بربنا يسوع المسيح الفريد. أن نتعرف على رسالتنا الأوهي ببيان الجماعة ونموها في الرب.

ز. إذ عُرفت الديانات الفارسية بالغنوصية التي ركزت على "ثنائية الله"، بمعنى وجود إله للخير وإله للشر، لهذا أراد الله أن ينزع هذا الفكر من كورش، قائلاً له: "أنا الرب وليس آخر؛ مصور النور وخالق الظلمة، صانع السلام وخالق الشر؛ أنا الرب صانع كل هذه" [7].

جاءت كلمة "الشر" *ra* "لا بمعنى الخطية وإنما ثمر الخطية أو عقوبتها من حزن وضيق. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [يوجد شر هو بالحقيقة شر: الزنا، الدعارة، الطمع، وأشياء أخرى مخفية بلا عدد تستحق التوبيخ الشديد والعقوبة. كما يوجد أيضاً شر هو في الحقيقة ليس شراً، إنما يدعى كذلك مثل المجاعة، الكثرة، الموت، العوز وما أشبه ذلك؛ فإن هذه ليست شراً وإنما تدعى هكذا. لماذا؟ لأنها لو كانت شراً لما كانت تصبح مصوراً لخبرنا، إذ تودب كبرياءنا وتكاسلنا، وتعودنا إلى الغورة، وتجعلنا أكثر يقظة"^[479]. بنفس المعنى يقول الأب ثيودور في مناظرات القديس يوحنا كاسيان: [اعتاد الكتاب المقدس أن يستخدم تعبوي "شور"، "أخزان" في معان غير مناسبة، فإنها ليست شراً في طبيعتها وإنما دُعيت كذلك لأنه يظن أنها شور بالنسبة لمن لم تسبب لهم خوفاً].^[480]

2. تدمير على اختيار كورش:

يبدو أن تدميرًا قد حدث بين اليهود كما أيضًا بين الأمم؛ تدمير اليهود على الله لأنه يحقق الخلاص وجل وثني، فإن اختيله يحطم كرياتهم وتعصبهم لبني جنسهم. هذا من جانب اليهود أما الأمم فقد تمومت نفس بعضهم أن يقوم أحدهم بهذا الدور فيحقق خلاصًا لليهود من السبي ويساعد على إقامة الشعائر بأورشليم.

أمام هذا الوضع رفع إشعيا قلبه نحو الله ليقدم صلاة ليتورجية فيها يعلن أن ما يحدث خلال كورش هو رمز لما يتحقق بواسطة السيد المسيح. وكأنه يطلب من اليهود كما من الأمم أن يتحوّلوا عن تدميرهم إلى خوة الخلاص المجاني المقدم للكل. هذا ما دفع إشعيا إلى التحول في الحديث من كورش إلى المسيح بؤنا وخلصنا، إذ يقول: " **أَقْطُوي أَيْتِها السَّمَوَاتِ من فَوْقِ، وَلِيُنزِلِ الجَوُّ وِاءَ. لِنَتَفْتِحِ الأَرْضَ فَيُثَمِرَ الخِلاصُ، وَلتُثَبِتَ بِيَّاءَ مَعًا، أَنَا الرَّبُّ قَدْ خَلَقْتُهُ** " [8]. وكأنه يردد ما جاء في سفر الزمير: "لأن خلاصه قريب من خائفه، ليسكن المجد أرضنا. الرحمة والحق النقياء. البر والسلام ثلاثًا. الحق من الأرض ينبت والبر من السماء يطلع الخ...". (مز 85: 9-13) ؛ "الأرض أعطت غلتها، بيلكنا الله إلهنا" (مز 67: 6)؛ "تحمل الجبال سلامًا للشعب والآكام بالبر" (مز 72: 3)...

كأن النبي يردد أن الخلاص يتم لا بسبب كورش وإنما خلال خلاص السيد المسيح ووه... فيه يتحقق سلامنا خلال تلاقي الرحمة مع الحق، أو الرحمة مع العدل الإلهي، إذ على الصليب دفع الثمن كاملاً خلال وه اللانهائي.

وي **القديس أغسطينوس** [481] أنه في المسيح تلاقي اليهود مع الأمم خلال تلاقي الحق مع الرحمة؛ فاليهود عرفوا الحق خلال الشريعة والنوآت، وقبل الأمم الرحمة بعد أن تكفوا عبادتهم الوثنية، وتلاقي هؤلاء مع أولئك كشعب واحد بار ومقدس للرب.

في السيد المسيح تلاقت السموات مع الأرض، إذ هو ابن الله السموي صار ابنًا للبشر، وُلد كبَشَوِي على أرضنا... لهذا يقول النبي: " **أَقْطُوي أَيْتِها السَّمَوَاتِ من فَوْقِ، وَلِيُنزِلِ الجَوُّ وِاءَ** " [8] ، وكأنه يقول: "طأطأ السموات وتول" (مز 18: 9) ، قول البار القنوس كما من سمواته ليحقق خلاصنا. أما قوله: " **لِنَتَفْتِحِ الأَرْضَ فَيُثَمِرَ الخِلاصُ وَلتُثَبِتَ وِاءَ مَعًا** " [8] فيعني: "الحق من الأرض ينبت" (مز 85). وكما يقول **القديس أغسطينوس**: "وُلد المسيح من امرأة؛ ابن الله صار جسدًا. ما هو الحق؟ ابن الله! ما هي الأرض؟ الجسد... لكن الحق الذي نبت من الأرض كان قبل الأرض، به خُلقت السموات والأرض؛ لكن لكي يتطلع البر من السماء، أي لكي يتبرر البشر بالنعمة الإلهية، وُلد الحق من العزواء مريم، ليستطيع أن يُقدم ذبيحة تبرهم، ذبيحة الألم، ذبيحة الصليب [482]."

بعدما حول النبي أنظرنا من كورش إلى المسيح المخلص خلال ذبيحته الفريدة القاورة أن تبرر، عاتب اليهود والأمم على تدميرهم ضد الرب، مقدمًا ويُلين:

أ. الويل الأول: دخول الخرف في مخاصمة مع الخراف، والطين مع جابله، فإنه ليس من حق قطعة الخرف أن تُطالب صانعها بشكل معين كأن تقول له: " **عملك ليس له يدان** " [9] ... أي صنعت الخرف بدون يدين.

ب. الويل الثاني: احتجاج الطفل على أبيه وأمه " **ماذا تلد؟** " أو " **ماذا تلدين** ؟ " ... كنت أود أن تلدانني ملاكًا لا إنسانًا يحمل ضعفًا بشويًا ويدخل تحت أثقال الحياة الأرضية ومتاعبها. يلبق بنا كخرف أو كبنين أن نشكر جابلنا وأبانا لا أن نتدمير عليه!

3. الله المخلص المُحتجب:

انشغل اليهود كما الأمم بقصة كورش في حرفيتها وفي أعماله الزمنية، مع أنه كان يلبق بالكل أن يخترقوا الحرف ويلتقوا بالله المحتجب العامل وراء التلرخ لخلص الجميع. ففي عتاب أوي يقول الرب: " **اسألوني عن الآتيات. من جهة بني ومن جهة عمل يدي أوصوني** " [11].

أود ألا تتشغلوا إلا بالآيات أي بالمستقبل الأبدي حيث يليق بكم أن تطلوا ملكوت الله ووه هذه كلها واد لكم. وأن تُصَلِّوا من أجل بنيه، أي ننشغل في صلواتنا بمؤمنيه وعمل يديه، إذ يليق بنا أن نترك موكونا ودالتنا العجيبة لديه. بمعنى آخر ملكوتنا الأبدي وشهادتنا للغير واشتياقنا إلى خلاص كل إنسان، هذه كلها أمور أهم من التذمر على قيام كورش بهذا النور في خلاصهم من السبي البابلي.

مرة أخرى يؤكد لهم أنه يجب أن ينشغلوا به لا بكورش فهو "إله محتجب... المخلص" [15]؛ هو العامل في الخفاء.

سمات هذا الخلاص الإلهي هي:

أ. خلاص مجاني: "أنا قد أنهضته بالنصر، وكل طرقه أسهل، وهو بيني وبينتي، ويُطلق سببي بلا ثمن ولا بهديّة يقول رب الجنود" [13].

فقد حقق كورش خطة الله نحو شعبه نون انتظار مكافأة من الشعب؛ لم يدفعوا ثمنًا لكورش من أجل تسهيل الطرق لهم وبناء المدينة وتحروهم من

السبي. كان ذلك رمزًا لخلاص السيد المسيح المجاني كقول الرسول بولس: "متبررين مجانًا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدمه الله كفلة

بالإيمان بدمه لإظهار وه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله" (رؤ 3: 24-25).

ب. خلاص جماعي: يحول المصوبين والكوشيين والسبائيين إلى الإيمان، فيدخلوا إسرائيل الجديد بروح الاتضاع والعبادة [14]. لقد بسطربنا

يسوع المسيح يديه على الصليب ليضم بالواحدة الشعب القديم وبالآخر جماعة الأمم، لقد ضم العالم كله في أحضانه لرفع البشوية إلى البتوة للآب بروحه

القدس.

ج. خلاص أبدي: "أما إسرائيل فيخلص بالرب خلاصًا أبديًا، لا تخزون ولا تخجلون إلى دهر دهور الأبد" [17].

د. خلاص علني: "لم أتكلم بالخفاء في مكان من الأرض مظلم" [19]. لقد صلب رب المجد علانية على جبل الجلجثة.

4. دعوة للخلاص في المسيح:

يتحدث السيد المسيح إلى الأمم ليدعوهم للتمتع به كمخلص قادر أن يبرهم. " واجتمعا وهلموا تقدموا معًا أيها الناجون من الأمم... التفتوا

إليّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض لأني أنا الله وليس آخر. بذاتي أقسمت خرج من فمي الصدق، كلمة لا ترجع، أنه ليّ تجثو كل ركبة، يحلف كل

لسان، قال ليّ إنما بالرب البر والقوة، إليه يأتي ويخرج جميع المغتاضين عليه، بالرب يتبرر ويفتخر كل نسل إسرائيل" [20-24].

يلاحظ في هذه الدعوة:

أ. دعوة جماعية فيها يطلب من الأمم أن تجتمع معًا ككنيسة مقدسة واحدة، تتقدم بروح الجماعة لقبول عمله الخلاصي.

ب. الله هو المخلص وليس آخر، وكما يقول الرسول بولس: "لأنه لا يق بذاك الذي من أجله الكل، وبه الكل، وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد أن

يجعل رئيس خلاصهم كاملاً بالآلام" (عب 2: 10). وكما يقول البابا أناسيوس الرسولي: [يقصد بهذه الكلمات أنه لم يكن اختصاص أحد آخر أن يود

البشر عن الذي قد بدأ سوى كلمة الله، الذي هو أيضًا صنعهم من البدء... لأنه بذبيحة جسده وضع نهاية للحكم الذي كان ضدنا، لأنه كما بإنسان ساد

الموت على البشر، كذلك أيضًا بكلمة الله - إذ صار إنسانًا - تهدم الموت وبدأت قيامة الحياة" [483].

ج. دعوة مملوءة رجاء، تحقق هدفها بأن تجثو له كل ركبة.

د. دعوة قوامها الإيمان: "التفتوا إليّ"، كما سبق أن آمن الشعب القديم وانتفت إلى الحية النحاسية فورًا.

ه. التمتع ببر المخلص وقوته.

ز. المخلص هو سرّ مجد مؤمنيه وخرى مقاوميه.

الله حَامِل أَثْقَالِنَا

الله الذي سمح لشعبه بالسبي البابلي يرفعه خلال كورش، معلناً عايته لأولاده حاملاً أثقالهم وأتعابهم. لا يوجد أثقل من حياتنا بخطاياها وذاتيتها، لكنه هو يحملها عنا خلال عمله الخلاصي بالصليب. في مقارنة تصويرية رائعة يكشف النبي عن الفرق بين الحياة في المسيح والحياة خرجها؛ في المسيح نصير محمولين به كما بأجنحة الروح، خرجة نكون كالوثنيين تحتاج آلهتهم من يحمل أثقالها ويحرسها!

1. الله حَامِل أَثْقَالِنَا [7-1].

2. دعوة كورش من المشرق [13-8].

1. الله حَامِل أَثْقَالِنَا:

يقول الله بين آلهة بابل وبينه، الأولى تحتاج إلى من يحملها، أما هو فحامل حياتنا بكل متاعبها، إذ يقول:

" قد جثا بيلُ انحنى نَبو، صلت تماثيلها على الحيوانات والبهائم؛ محمولاتكم محملة حملاً للمُعبي. قد انحنيت جثت معاً لم تقدر أن تُنجي الحمل وهي نفسها قد مضت في السبي" [2-1].

اهتز الإلهان الرئيسيان لبابل أمام كورش، سجدا له، فصار المعبودان عبيد، حُملا بكل تماثيلهما على الحيوانات بلا قوة، إذ الكل عاجز عن المشي بل وعن الحركة، سُلبت كل الجواهر التي تزين التماثيل بواسطة وجاء كورش وأخذ الكل إلى السبي... فهل يستطيع هذان المعبودان أن يُنجيا أحداً مادام عاجزين حتى عن خلاص نفسيهما؟!

"بيل" اسم أكادي يُقابل الاسم العوري "بعل" ويعني "السيد"؛ ربما هو بعينه الإله مروخ (إر 50: 2؛ لا 2؛ 51: 44)؛ هو إله الشمس وإله الربيع. له شكل رجل عظيم على رأسه تاج وله سبعة قرون ثور، يُقدّم له طعام وشواب بكميات كبيرة كل مساء، وكانوا يعتقدون أنه يأكلها ويشربها حتى كشف دانيال النبي للملك عن وجود باب سوي في الهيكل خلاله يدخل الكهنة بعائلاتهم ليلاً ليأكلوا الطعام ويشربون خفية، كما ورد في قصة بيل في تنمة دانيال.

"نَبو" اسم بابلي معناه "مذبح"، إله العلم والمعرفة؛ كانت بورسبيا، قرب بابل، مركز عبادته؛ وكان ملوك بابل يتبركون به، ويحملون اسمه مع أسمائهم الأصلية مثل نبوخذ ناصر ونبوخذراصر ونبوزرادان ونبو شوبان.

انكشف هذا الإلهان وانفضح عجزهما عن الحركة أو عن حماية زينتتهما أمام كورش، أما الله الحيّ فهو مخلص شعبه، يحمل أثقالنا ونحن بعد لم نتشكل في رحم أمهاتنا حتى نبلغ الشيخوخة، إذ يؤكد لنا "أنا هو... أنا أحمل" [4]. وكأنه يقول: لديّ ربوات الملائكة والخليقة السماوية وكثير من الأنبياء والكهنة والخدام... لكنني أضع نفسي بين يديّ شعبي لأحمل بنفسي أتعابهم، وأرفع عنهم خطاياهم، واسندهم في كل مسئولياتهم... أنا أحملهم بنفسي كما على كتفيّ.

هذا ما يؤكد الله عبر الأجيال قائلاً: "هأنذا أسأل عن غنمي وافتنقدها... أنا رُعى غنمي ورُبضها يقول السيد الرب، وأطلب الضال واسترد المطرود وأجبر الكسير وأعصب الجريح وأبيد السمين والقوي ورُعاها بعدل... أخلص غنمي فلا تكون من بعد غنيمة وأحكم بين شاة وشاة" (حز 34:

11-22). هكذا يؤكد: "أنا هو... أنا أحمل".

لا يكف الله مخلصنا عن دعوتنا إليه لكي يحمل أثقالنا، قائلاً: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (مت 11: 28). لذا قيل عنه: "لكن أواننا حملها" (إش 53: 4)؛ "حمل خطية كثيرون" (إش 53: 12)؛ "يحملنا إله خلاصنا" (مز 68: 19).
جاء ربنا يسوع كمخلص ليس فقط ليحمل أثقالنا وخطايانا مكثراً عنها، وإنما ليحملنا نحن فيه، يسببنا بحبه ليرفعنا معه إلى مجده. قول إيلينا ليحملنا فيه فنصعد فيه وبه إلى ملكوته.

نعود إلى حديثه في سفر إشعياء: " **قد فعلت وأنا أرفع وأنا أحمل وأنجي** " [4].

قد فعلت، أي سمحت بالسبي البابلي لفضح ضعفاتكم.

وأنا أرفع، أزع عنكم هذا العار وأدبر تحرركم من السبي.

وأنا أحمل، أقوم بحمل أتعايبكم بنفسي... أنا الإله المحتجب.

وأنا أنجي، أدخل بكم إلى الحرية وأردكم إلى أرض الموعد، وأخلصكم.

هذا هو عمل الله المخلص: يفعل، ويرفع، ويحمل، ويخلص. إنه يسمح أن يكشف خطايانا لنترك إننا مأسورون لا في سبي بابل وإنما تحت سبي إبليس وأعماله الشريرة، وهو يرفع إذ يزع هذا العار عنا بتدبوه الإلهي لخلاصنا؛ وهو يحمل إذ يرفع الدين بنفسه عنا ولم يأت من ملاكاً أو رئيس ملائكة أو نبياً على خلاصنا؛ وأخيراً يخلص حيث يحملنا إلى سمواته ويهبنا شركة أمجاده الإلهية.

يقول الرسول بولس: "قدم مرة لكي يحمل خطايا الكثيرون" (عب 9: 28). لقد أحنى السيد المسيح ظهوه ليحمل خطايا العالم كله، إذ مات عن

الجميع، لكنه يُحسب مخلصاً للمؤمنين وحدهم، هؤلاء الذين قبلوا أن يرفع عنهم ثقل خطاياهم، فيُحملوا أولاً فيه ويدخل بهم إلى حضن أبيه.

لقد مات من أجل الكل، هذا من جانبه، فإن هذا الموت كان المقابل ضد هلاك كل البشرية، لكنه لم يحمل خطايا كل الناس لأنهم لم يريدوا. [\[484\]](#)

❖ حمل موسى (الفصح) لم يحمل في الحال خطايا أحد ما، أما هذا الحمل فحمل خطايا العالم كله، فانه إذ كان العالم في خطر الهلاك أسوع فخلصه من غضب الله. [\[485\]](#)

❖ لقد سمعوا أنه يحمل خطايا العالم (يو 1: 36)، وللحال جروا إليه، قائلين: إن كان ممكناً أن يزع الاتهامات الموجهة ضدنا فلماذا نتأخر؟ هنا يوجد ذلك الذي يُخلص نون تعب من جانبنا. [\[486\]](#)

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بالصليب أعطى الخلاص للعالم.

ليس إنسان في التاريخ بلغ العظمة التي توهله أن يرفع خطية العالم كله، لا أخوخ ولا إراهيم ولا إسحق، وإن كان قد قدم نفسه للموت، لكنه حُفظ إذ لم يكن قانراً على رالة وسخ الخطية.

فمن هو هذا الرجل العظيم الذي بموته تموت الخطية؟! هذا لا يمكن أن يكون من البشر... لكن الله اختار الابن، ابن الله الذي فوق الكل، وهو الذي يمكن أن يُقدم عن خطايا الجميع!

لقد كان يلزم أن يموت، لأن بعلبته على الموت يقدر أن ينقذ الآخرين الذين هم كقتلى مضطجعين في القبور.

لقد كسر عبودية الشهوات، ولم تقدر قيود الموت أن تمسكه!

[\[487\]](#)
القديس أمبروسيو

❖ جل لآمي بالأمك؛ اشف جراحاتي بجراحاتك؛ طهر دمي بدمك، وانزع في جسدي رائحة الحياة التي لجسدك المقدس!

حمل الرب خطايانا بكل ثقلها في جسده لكي يهبنا وه فينا، فصرنا نحن أنفسنا محمولين فيه بروحه القدوس كي يرفعنا إلى سمواته. إنه ذلك الذي سبق فحمل شعبه القديم من أرض العبودية بكل ثقلها ومولتها ليدخل بهم إلى أرض الموعد، بل وليدخل بهم إليه. وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليّ" (خر 19: 4) ؛ "رأيت كيف حملك الرب إلهك كما يحمل الإنسان ابنه في كل الطريق التي سلكتوها حتى جئتم إلى هذا المكان" (تث 1: 31).

لقد أكد الله حبه الفائق لنا، يحملنا ونحن في الأحشاء ويبقى حاملاً إيانا حتى الشيخوخة [3-4]، يفوق حب الأم التي تقدر أن تحمل جنينها في الأحشاء أو الرضيع وإلى حد ما حين يصير طفلاً صغيراً في السنوات القليلة الأولى من حياته... تحمله جسدياً وتحمل بعض متاعبه لكنها تعجز عن إرواك كل أسوره الخفية لتشاركه متاعبه، أما الله فيحملنا حتى الشيخوخة، يحمل كل أتعابنا الظاهرة والخفية، وكما يقول المونثل: "أبي وأمي قد تركاني والرب يضمنني" (مز 27: 10).

ليس لله في حبه شبيه لا الوالدين ولا الآلهة الأخرى المحتاجة إلى من يصنعها ويرفعها على الكتف ويقيمها في موضع ويجوسها حتى لا تسوق، يصوخ إليها عابوها فلا تُجيبهم وقت الشدة [5-7].

2 . دعوة كورش من المشرق:

هذه هي مسوة الله [10] ، أنه صنع في القديم ولإل يعمل ويبقى عاملاً من أجل خلاص شعبه. حمل أُنقالهم في أيام موسى عند خروجهم من مصر ويحملها أثناء ردهم من السبي البابلي ولا زال يحملها خلال ذبيحة الصليب القائمة.

دُعي كورش - رمز السيد المسيح - بالطائر الكاسر [11] لأنه سويح الحركة، قوي ينقض على بابل ليخطفها كويسة، يخطف آلهتها وكنوزها... إنه رمز للسيد المسيح الذي انقضَّ على عدو الخير وحطم مملكته ليرد للإنسان كرامته وحرية وغناه الروحي.

" من أرض بعيدة رجل مشورتني" [11] ، رمز السيد المسيح القادم من السماء ليصير "ابن الإنسان" (رجل مشورتني) الذي يُحقق رادة الآب فيه بمسوة.

وي إشعياء النبي المخلص قادماً من بعيد فيدعو الأمم البعيدين للقب منه والتمتع بوه وخلصه: " اسمعوا لي يا أشداء القلوب، البعيدين عن البر، قد قربت وبي، لا يبعد وخلصي لا يتأخر" [12-13].

ربما يوجه حديثه هنا إلى البابليين قساة القلوب معلناً لهم أن مقاومتهم لبرّ الله ولخلصه لن تنوم، فقد اقترب وقت الخلاص. ولعله يتحدث مع الأمم قساة القلوب حتى يقبلوا برّ الرب وخلصه بلا مقاومة.

<<

الأصحاح السابع والأربعون

انهيار بابل

إذ وصف كورش كطائر كاسر ينقض على بابل (إش 46: 11) ، كظل لعمل السيد المسيح الخلاص ضد إبليس، الآن يكشف النبي عما سيحل

ببابل المتقفة المتعممة، سيدة الممالك المتشامخة. أنه يتحدث عن عمل الخطية وثمرها في حياة الإنسان.

1. انهيار بابل [5-1].

2. خطايا بابل [15-6].

1. انهيار بابل:

" أتولي واجلسي على التواب أيتها العنواء ابنة بابل، اجلسي على الأرض بلا كوسي يا ابنة الكلدانيين لأنك لا تعودين تُدعين ناعمة ومتوفهة"
[1].

دُعيت بابل "العنواء"؛ هذا التشبيه في الكتاب المقدس بخصوص المدن (إش 1: 8؛ 37: 22؛ إر 31: 21؛ 46: 11، روا 1: 15). هذه العنواء إما تُخطب لله كعروس مقدسة له مثل أورشليم أو تخطب لعدو الخير فتصير عروسه، متحدة به، تحمل مملكة الظلمة التي له. إذ تمثل بابل النفس الساقطة خلال الكرياء مع الترف والوح الزموني وطلب الشهوات الأرضية فان ما حلَّ بها يكشف عما يُصيب الإنسان بسبب الخطية.

ماذا حلَّ ببابل؟ أو ما هي ثمار الخطية؟

أ. بكونها عاصمة أكبر دولة في ذلك الحين مالت إلى الاهتمام بمظاهر البهجة مع مملسة الفساد، لها صورة الفوح الخلجي، فحلَّ بها الحزن الشديد لتقول إلى التواب [1] كأنها فقدت رجلها أو أحد أحبائها (يش 7: 6؛ 12: 2؛ 10: 9، مز 22: 15؛ روا 3: 29). عمل الخطية الأول هو فقدان الفوح الداخلي وسلام العقل الفائق، فتمتلئ النفس هولرة ويأساً مع شعور بالغولة والحومان.

❖ نعم يا إلهي... في غياب نورك ظهور للموت، أو بالحرى مجيء للعدم....

يا لشقائي... أصابتنى حواحات كثرة، ومع أنك أنت المغوي واهب السلام، غير أنني ابتعدت عنك.

يا لشقائي... لقد انتابتنى حماقات جمّة، ومع أنك أنت هو الحق، غير أنني لم

أطلب منك المشورة...

شروري سببت لي حواحات عميقة، إذ لم أسلك في الطويق الضيق؛ فمع كونك أنت الحياة، إلا أنني لم أكن معك.

[4891]

القديس أغسطينوس

ب. عوض العرش "الكوسي" والسلطان تجلس بابل على الأرض في مذلة بكونها أسوة [1]

لقد خلق الله الإنسان سيداً على الأرض، وهبه كرامة وسلطاناً، لكن الكرياء قول به إلى الهلوية. صار الإنسان في مذلة العبيد، ينحني للخطية وينقاد وراء شهوات الجسد كعبد بعدما كان ملكاً يعرف كيف يوجه مشاعوه وأحاسيسه وكل طاقاته لحساب ملكوت الله، لذلك قيل: "مالك روحه خير ممن يأخذ مدينة" (أم 16: 32).

يُحزننا الكتاب المقدس من الكرياء؛ "قبل الكسر الكرياء، وقبل السقوط تشامخ الروح؛ تواضع الروح مع الودعاء خير من قسم الغنيمة مع المتكبرين" (أم 16: 18-19).

❖ المجد الزموني يشبه صخرة مختفية في البحر، لا يعرفها البحار قبل أن تصطدم بها سفينة ويتمزق قاعها وتمتلئ ماء.

[4901]

مار إسحق السرياني

ج. بعد أن كانت بابل سيدة الممالك المتشامخة، صلت تملس أعمال العبيد الشاقة لحساب سادتها. هنا يصورها إشعياء النبي بامرأة تطحن بالرحى، وهو عمل يحتاج إلى سيدتين تعملان معاً؛ والرحى الكبيرة تدوها الحيوانات؛ ها هي تُؤمر بهذا العمل العنيف دون معونة من أحد [2]. تصير

ج. تمسكها بالطمأنينة المخادعة أو السلام الكاذب [8] الذي لا يقوم على لقاء النفس مع الله مصدر السلام وإنما على اعتقاد الإنسان أنه لن يحل به شيء من أجل عظمتها الباطلة أو موكوه أو غناه. حسبت أنها لن تصير رُملة ولا تُكلى، معتمدة على السحر والوقى فانخدعت وبغتها الترمل والتكل في يوم واحد [9]. صلت رُملة لأنها فقدت الملك، وصلت تكلى بقتل سكانها كؤُلاَد وبنات لها.

د. تجاهلها رؤية الله لها وموفته لأسورها: " وأنتِ اطمأنتِ في شوك. قلتِ ليس من واني" [10].

هـ. اتكأها على الحكمة البشرية المجردة [10]، مع الالتجاء إلى السحر والوقى، إذ حسبت أن راصدي النجوم يقترنون أن يخلصوها وقت الشدة بمشورتهم ومعرفتهم للغيب، فإذا بهم هم أنفسهم يحترقون كالفقش ولا ينجون من اللهب [11-15]. لم تكن هناك دولة في العالم تعرف بالسحرة والمنجمين مثلها (راجع سفر دانيال)، وها هو النبي يسخر بهم.

<<

الأصحاح الثامن والأربعون

الخروج الجديد

تضم الأصحاحات (48-49) أحاديث عن الخلاص مثل الأمر بالهجرة إلى الوطن، الصلاة كمصدر القوة في الخلاص، بهجة الخلاص. بعد تقديم كلمة عتاب لشعبه الذي اتسم بالرياء مع قسوة القلب والانحراف إلى الوثنية، كشف لهم الله عن مقاصده بتسليمهم للسبي البابلي، وأخيراً يعلن عن إصدار الأمر الموح بالخروج السريع المصحوب بالفداء.

1. الله يعاتب شعبه [8-1].

2. قصد الله من السبي [9-19].

3. الخلاص السريع المبهج [20-22].

1. الله يعاتب شعبه:

في الأصحاح السابق فضح الله بابل العنواء سيدة الممالك التي انجرفت إلى حياة اللهو مع التشامخ والعنف فانهلرت تماماً، الآن قبل أن يعلن عن خروج شعبه أو تحروه من السبي في عتاب أوي، صريح يكشف عن ضعفاتهم وخطاياهم وأيضاً عن مقاصده من السماح بسبيهم حتى لا يعودوا إلى خطاياهم مرة أخرى.

لعل أخطر خطية تواجه المؤمنين أصحاب المعرفة الروحية هو الوياء مع الشكلية في العبادة. الله لا يريد إذلالهم إنمارفهم إلى مركز سأم وأعطاهم إمكانيات روحية للحياة معه، أهمها:

أ. دعاهم " إسرائيل " [1]، بكونهم شعبه المختار.

ب. شعب ملوكي " خرجوا من بيت يهوذا " [1].

ج. دعى عليهم اسم الله: " الحالفين باسم الرب والذين يذكرون إله إسرائيل "، لكنهم يصنعون هذا " ليس بالصدق ولا بالحق " [1] مع إراكهم أنه هو الله الواحد الحقيقي الذي يتعبون له لكن في شكلية وبحرفية تون روح.

د. تمتعوا بمدينة القدس [2] كمدينة الله المقدسة التي تضم هيكله.

هـ. " يُسندون إلى إله إسرائيل " [2] ، يفتخرون بمواعيده ويعترفون بعهده ويتكئون عليه (مى 3: 11)...

و. تمتعوا بالنوات الإلهية، إذ كان الله يخوهم بالآيات، أي بالأمور المقبلة [3]. أما سرّ تقديم هذه النوات فهو تثبيتهم في الإيمان به وتصديق كلماته ومواعيده. لقد عرف أنهم قساة القلوب، عنقهم من حديد وجباههم من نحاس، يصعب عليهم تصديق الكلمات النبوية لذا قدم لهم نوات تتحقق في المستقبل القريب حتى يصدقوا النوات، وأيضاً للتمييز بين الله والأوثان [5].

مع كل ما قدمه الله لشعبه من هذه الإمكانيات عاشوا في شكلية العبادة بوح فويسية مملوءة رياء، كما خلطوا بين عبادة الله والأوثان، وتجاهلوا الكلمات النبوية واحتقروها ولم يفهموا أسرارها، لذا يوبخهم قائلاً: " لم تسمع ولم تعرف ومنذ زمان لم تنفتح أذنك، فإني علمت أنك تغدر غوراً ومن البطن سميت عاصياً" [8].

لقد انشغل إشعياء النبي بالحديث عن البصوة الروحية والأذن الداخلية المقدسة، فإن حديثه عن المخلص يبدو لكثيرين في عصره أو للغالبية أمراً يكاد يكون مستحيلًا.

لقد جاء المخلص ومع ذلك يرفضه كثيرون بالرغم من تحقيق النوات التي وردت في العهد القديم في شخصه وخلال أعماله الخلاصية، لذا فالعالم لال يحتاج إلى البصوة الحقة والأذن المقدسة. حتى الذين آمنوا به وقبلوه يحتاجون إلى ذلك للتمتع بأسوار أعمق وإبرك الأمد السماوية الداخلية الخفية.

نحتاج جميعاً أن وافقنا رب المجد ويتحدث معنا ليقدس أعماقنا فنقول مع تلميذي عمواس: "ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا إذ كان يكلمنا في الطوبى ويوضح لنا الكتب؟! (لو 24: 32).

- ❖ إلهي... أنت نوري، افتح عن عيني فُتُعاينا بهاءك الإلهي، لأستطيع أن أسير في طريقي بغير تعثر في فخاخ العدو.
- ❖ أنت النور، الذي أنار عقل يعقوب، فكشف لأولاده عن الأمور المختلفة.

[\[4931\]](#)
القديس أغسطينوس

2. قصد الله من السبي:

يقدم الله لشعبه أسباب السماح بسبيهم:

أ. " من أجل اسمي أبطى غضبي، ومن أجل فحوي أمسك عنك حتى لا أقطعك" [9] ... بمعنى آخر كان يؤرم أن يهلك هذا الشعب تماماً ويُقطع، لكن الله في غوته على اسمه ومجده قدمهم للتأديب لعلهم يرجعون إليه فلا يهلكون. وكان السبي هو "عطية" بكونه تأديب إلهي يقدم للمحبوبين بالرغم من عدم استحقاقهم لهذا الحب الأوي التأديبي.

هذه نظرة روحية رائعة نحو التأديب، خلالها يترك المؤمن أنه ليس أهلاً لهذا التأديب بكونه علامة حب أوي. يقول الرسول: "لأن الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله؛ إن كنتم تحتلمون التأديب يعاملكم الله كالبنين" (عب 12: 6-7).

❖ إن كان عدم التأديب علامة خاصة بالنغول (عب 12: 8)، إذن يليق بنا أن نوح بالتأديب كعلامة على شوعية بنوتنا!

[\[4941\]](#)
القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الأب لا يهذب ابنه لو لم يحبه، والمعلم لا يصلح من شأن تلميذه ما لم ير فيه علامات نوال الوعد. عندما يرفع الطبيب عنايته عن مريض، يكون هذا علامة بأسه من شفائه.

[\[4951\]](#)
القديس جيروم

❖ "افتقد بعضا معصيتهم، وبضربات إثمهم" (مز 89: 32).

إنها رحمة (الله) ليس فقط أن يدعوهم وإنما أيضًا أن يؤدبهم ويجلدتهم. لتكون يد أبك عليك، فإن كنت ابنًا صالحًا لا تتذمر على التأديب... ليؤدبه مادام لم يزور رحمته عنه؛ ليضوبه عندما يخطئ مادام لا يمنعه من أن يوث.

إن كنت تترك مواعيد أبك حسنًا لا تخف من جلداته بل خف لئلا لا توثه...

ليت الأبناء الأتقياء لا يقولون: "إن كنت تأتينا بعضا فلا تأت قط. فانه من الأفضل أن تتعلم بعضا الآب عن أن تهلك باهتمام اللص بك ^[496].

❖ الرب الحافظ الصغار (مز 116: 6) (يجلد هؤلاء الذين عندما يصيرون ناضجين، يطلب أن يكونوا ورثة (له) ...

لقد أعانني إذ كنت في ضيق، فان الألم الذي يسببه الطبيب بمشوطه ليس للعقوبة بل للتكريم ^[497].

القديس أغسطينوس

ب. للتقية: " هانذا نقيتك وليس بفضة، اخترتك في كور المشقة" [10] . نحن فضة الرب وذهبه، يهتم بتقيتنا في كور التعب والألم.

❖ LXX مغبوط هو الإنسان الذي يؤدب في هذه الحياة مرتين، فإن الرب لا يُعاقب عن شيء مرتين (نا 1: 9).

^[498]

القديس جيروم

ج. الله الذي يسمح بالتأديب لتقيتنا هو يرفعه عنا عندما يحقق هدفه. لقد دعا السموات والأرض، لتجتمع كل الخليقة وتزى خلاص الله العجيب.

لقد أحب كورش ليحقق هدفه ويكون نواحه على الكلدانيين [14].

ما يحققه كورش ليس من عندياته بل من قبل الله مخلص شعبه: " أنا أنا تكلمت ودعوته، أتيت به فينجح طريقه" [15] ... منذ وجوده أنا هناك،

والآن السيد الرب أرسلني وروحه" [6].

رُسل كورش بواسطة الرب وروح الله القنوس، كرمز للسيد المسيح الذي جاء بلادته وفي نفس الوقت مرسلاً من الآب والروح القدس...

كيف؟

هنا وحدة عمل الثالث القنوس؛ الثالث القنوس كأفانيم غير منفصلة جوهر إلهي واحد يعمل لخالص البشرية.

الآب يحب البشرية، وفي حبه أرسل كلمته غير المنفصل عنه، حاسبًا ذبيحة المسيح عطاء من جانب الآب، وكما قال السيد المسيح نفسه: "هكذا

أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو 3: 16). الآب محب البشر لرسل ابنه ذبيحة حب.

الابن من جانبه قدم نفسه للبدل في طاعة للآب، وأيضًا بكامل رادته، إذ يقول الرسول: "الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي" (غل 2: 20).

أما الروح القدس فلم يقف في دور سلبي بل كان له دوره الإيجابي في كل العمل الخلاصي؛ به تحقق التجسد الإلهي في أحشاء البتول (لو 1:

35)، وهو الذي أصدع يسوع ليُجرب، وهو الذي يشهد للسيد المسيح (يو 15: 26).

و. لممارسة الطاعة لله، فان السبي لم يحدث مصادفة ولا قضاءً وقراً إنما هو ثروة طبيعية للعصيان، بدونه ما سقطوا تحت السبي. لهذا وجب

عليهم عند عودتهم أن يملسوا الطاعة فيتمتعوا ببرّ الله وحواته. " ليتك أصغيت لوصاياي فكان كنهر سلامك وبرك كلجج البحر. وكان كالرمل نسلك

ونرية أحشائك كأحشائه، لا ينقطع ولا يُباد اسمه من أمامي" [18-19].

لو أنهم أطاعوا الله ليس فقط لم يسقطوا تحت السبي البابلي، وإنما لأفاض سلام الله كنهر متسع وعميق ودائم الجريان ومُروي للكثيرين.

3. الخلاص السريع المبهج:

يقدم الله دعوة للخروج: " اخرجوا من بابل، اهربوا من أرض الكلدانيين" [20].

إن كان الله قد أرسل كورش لخالصهم، لكنه لا يؤمهم بالخروج بغير رادتهم، إنما يدعوهم ويحثهم على ذلك... وبالفعل خرج 40.000

شخصًا على يدي زربابل (نح 9: 36، 39).

إنها دعوة مستنيرة لخروجنا تحت قيادة مخلصنا من كل موضع معثر، حتى نتحرر بروح الله من نوها، كما دُعي لوط وعائلته لتترك سدوم وعمورة.

الهروب من الشر ليس ضعفاً ولا سلبية وإنما هو عمل مقدام فيه يعلن الإنسان بروح الله عن نصرته على أعماقه التي تشتاق أو تستطيب للمواضع المعثرة.

هذه الدعوة يصحبها فح وتهليل بعمل الله الخلاصي: " بصوت الترنم أخبروا ناناوا بهذا" [20].

إذ يتطلع إشعياء النبي إلى التحرر من السبي كخروج ثانٍ يشبه خروج الشعب من عبودية فعون على يدي موسى حيث أخرج لهم ماءً من الصخرة في البرية كي لا يعطشوا، هكذا في هذا الخروج الجديد يتمتعون بذات العطية: " ولم يعطشوا في القفار التي سؤهم فيها، أجري لهم من الصخر ماءً، وشق الصخر ففاضت المياه" [21]. لقد تحقق هذا إذ رتب خلاص السيد المسيح بعطية الروح القدس في عيد العنصرة كينوع مياه حية فاضت في كنيسة المسيح.

أخوًا فإن هذا الخلاص اختياري، من لا يقبله يحرم من سلام الله الفائق، إذ قيل: " لا سلام قال الرب للأشوار" [22].

❖ قيل لنا: "بطل صوت الطرب وصوت الفوح من أفواههم" (إر 7: 34). نعم فانه أعياد الأشوار هي ويلات.

❖ إذ يعتزل الجاحدون الصلاة والشكر يحرمون أنفسهم من ثمر الفوح.

[\[499\]](#)
البابا أثناسيوس الرسولي

جاءت الترجمة السبعينية "لا فوح قال الرب للأشوار". وقد ميز القديس أغسطينوس [\[500\]](#) بين فوح الشير المؤقت والموتبط بالزمنيات يزول بزوالها، أما الأوار فيفوحون حتى في قيودهم، فقد فحت الشهيدة كريسيينا *Crispina* عندما قُيدت وعندما أقتيدت للمحاكمة، كما عندما سُجنت وعندما صدر الحكم ضدها... كان فوحها أمام الملائكة، كقول الموتل: "أمام الملائكة أسبح لك" (مز 138: 1).

❏

الأصاح التاسع والأربعون

رسالية المخلص

في الأصحاح السابق يعلن المخلص عن رساليته قائلاً: "والآن السيد الرب أرسلني وروحه" (إش 48: 16). الآن يتحدث عن هذه الإرسالية الفريدة التي فيها يُخلي الابن ذاته لكي يمجدا فيه، نرعا عار المذلة، فيقيمنا عروسًا سملوية وملكة تجلس مع المسيح الملك، مشبعًا كل احتياجاتنا.

1. اتضاع المخلص وتمجيده [7-1].
2. عمله الخلاصي [13-8].
3. إقامة المتروكة عروسًا [21-14].
4. إقامة الذليلة ملكة [23-22].
5. الله فادي كنيسته [26-24].

1. اتضاع المخلص وتمجيده:

في الأصحاح السابق كان الحديث موجهاً إلى بيت يعقوب المدعويين باسم إسرائيل (إش 48: 1)، أما الحديث هنا فموجه إلى الأمم، إذ يقول:

" اسمعي لي أيتها الخواثر، واصفوا أيها الأمم من بعيد" [1]. فقد دُعي الأمم "خواثر الأمم" (تك 10: 5)، إذ كانوا يتطلعون إلى خواثر البحر الأبيض المتوسط بكونها المناطق البعيدة الغريبة والغريبة عن إسرائيل؛ وقد دُعي الأمم "من بعيد" لأنها لم تدخل في شوكة مع إسرائيل.

يتحدث السيد المسيح المخلص إلى الأمم معلناً الآتي:

أ. مدعو من البطن: "الوب من البطن دعاني" [1]. يظن بعض الدارسين أن المتحدث هنا باسم إسرائيل بكون الله اختار شعبه قبل أن يوجد، وهو في صلب إواهم وفي أحشاء سلة؛ وظن البعض أنه كورش الذي أختاره الله لتحقيق رسالته قبل أن يوجد؛ لكن الواضح أن الحديث هنا باسم السيد المسيح، كلمة الله المتجسد؛ فقد كرر رئيس الملائكة جوائيل للعزواء بميلاده قبل أن تُحبل به ودُعي ييوع لأنه يُخلص شعبه من خطاياهم (مت 1: 21)، لذا قيل "من أحشاء أمي ذكر أسمى" [1].

ب. صاحب سلطان: "وجعل فمي كسيف حاد" [2]. وقد قيل عن السيد المسيح:

"وسيف ماضي ذو حدين يوج من فمه" (رؤ 1: 16)، كما قيل عنه أنه كان يتكلم كمن له سلطان وليس كالكتبة والفيسييين (مت 7: 29). لقد دخل المعركة ضد عدو الخير إبليس بكلمته التي هي كسيف ذي حدين (عب 4: 12).

ج. اختفاء سرّ المسيح وعمله الخلاصي الإنجيلي ودعوته الأمم للإيمان وراء ظلال الناموس الموسوي والنووات، إذ يقول "في ظل يده خبائي" [2]. لعله عني بهذا القول أيضاً ما حدث في طفولته حيث ثار هيرودس عليه ورأد قتله فرُسل الأب ملاكاً ليوسف يأموه بالهروب إلى مصر. لقد صار الكلمة جسداً، ابن الله صار ابناً للبشر، لهذا في اتضاعه سار في طريقنا كواحد منا وعاه الأب بحمايته كما في ظل يده، وهو قادر أن يأمر الطبيعة فتهلك هيرودس وكل مقاوميه.

" وجعلني سهماً مبرياً (لا يصدأ)، في كنانته أخفاني" [2]. بكونه كلمة الله فهو سهم لا يصدأ، اختفى وراء الظلال والرموز حتى جاء ملء الزمان فأعلن ذاته خلال الصليب كسهم صوب ضد إبليس وجنوده فجردهم من سلطانهم وأشوهم جهلاً ظافراً بهم (كو 2: 15). إنه السهم القاتل للشر، وواهب حواحات الحب الإلهي للنفوس المؤمنة التي تصوخ "إني مريضة حباً" (نش 2: 5؛ 5: 8).

❖ يعلمنا الكتاب المقدس أن الله محبة (1 يو 4: 8)، فقد صوب ابنه الوحيد "السهم المختار" [2] نحو المختلين، غرساً قمته المثلثة في روح الحياة. رأس السهم هو الإيمان الذي يربط ضارب السهم (المسيح) بالمضروبين به، وكأن النفس ترتفع بمصاعد إلهية، فتوى في داخلها سهم الحب الحلو يجرحها، متحلية بالجروح....
إنه جرح حسن، وألم عذب، به تخترق "الحياة" النفس.

[5011] القديس غريغوريوس النيسي

❖ هل يقدر أحد أن يرى حواحات الحب الإلهي الكثيرة مثل تلك التي في نشيد الأناشيد، هذه التي تشتكي أنها مجروحة: "إني مجروحة حباً" (نش 2: 5)؟! وأنه يرى السهم الذي يوج نفوساً كثرة بحب الله إلا في ذلك الذي قال: "جعلني مثل رمح مختار"؟!.

❖ إن التهاب أحد ما في أي وقت بالحب الصادق لكلمة الله، إن تقبل أحد الحواحات الحوة التي لهذا "السهم المختار" كما يسميه النبي، إن كان قد جرح أحد بومح معرفته المستحقة كل حب حتى أنه يحن ويشتاق إليه ليلاً ونهاراً، فلا يقدر أن يتحدث إلا عنه، ولا ينصت إلا إليه، ولا يفكر إلا فيه، ولا يميل إلى أية رغبة أو يتوجى سواه، متى صار الأمر هكذا تقول النفس بحق: "إني مجروحة حباً". أنها تتقبل جرحها من ذلك الذي قيل عنه "جعلني سهماً مختلاً، وفي جعبته يخفيني" [2].

يليق بالله أن يضرب نفوسنا بجرح كهذا، يجرحها بمثل هذه السهام والرماح، يضوبها بمثل هذه الحواحات الشافية [503].

العلامة أوريجانوس

❖ كلمات الرب سهام تلهب الحب لا الألم... لهذا يليق بنا فهم "سهامك انغرست في" (مز 38: 2) هكذا: كلماتك انغرست في قلبي.

❖ ليت غير الأوصياء يُجرحون، فإنهم إذ يُجرحون حسناً يصيرون أوصياء. ليقبل هؤلاء إذ صاروا مقيمين في الكنيسة جسد المسيح مع الكنيسة: "إني

LXX مجروحة حباً" (نش 2: 5).

القدیس أغسطس

د. بالصليب خضع الابن مطيعاً للآب، صار من أجلنا عبداً لكي يتمجد الآب فيه، ويتمجد هو أيضاً في ضعف الصليب. "وقال لي: أنت عبدي

إسرائيل الذي به أتجد، أما أنا فقلت: عبثاً تعبتُ باطلاً، وفرغاً أفنيتُ قدرتي، لكن حقي عند الرب وعملي عند إلهي" [4].

يتساءل البعض: من هو عبده إسرائيل؟ أنه السيد المسيح الذي جاء من اليهود، وقبل برادته العبودية مع أنه مساوٍ للآب في الجوهر (في 2:

7). جاء كعبد لرفع العبيد فيهِ إلى البتوة لله، بهذا مجد الآب وتمجد هو أيضاً خلال الضعف، إذ يقول الرسول: "وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه

وأطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفعه الله أيضاً واعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض

ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (في 2: 8-11).

في لحظات الآلام حين ظهر رب المجد كما في ضعف قال: "أنا مجدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته، والآن مجدني

أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يو 17: 4-5).

إن كان الصليب علواً وضعفاً من الخرج لكنه مجد من الداخل. يقول العلامة أوريجانوس : [لا تزدد في القول بأن صلاح المسيح يظهر

بطريقة أعظم وبالنور الإلهي... لأنه وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (في 2: 6-8) [506].

الصليب أيضاً مجد لأنه صالح الآب مع البشر، وفتح أمامنا باب الفدوس لنشارك الرب مجده ونعيش معه نُسبحه مع السمائيين.

وى البعض أن ما قيل هنا أيضاً يُخص الكنيسة المختفية في المخلص بكونها إسرائيل الجديد هذه التي تمجد الله خلال قبولها شركة الآلام

والصلب مع مسيحتها فتتعم بقوة قيامته وبهجتها، لهذا استحققت أن تسمع الصوت الإلهي: "أنت عبدي إسرائيل الذي به أتجد". أما هي ففي آلامها تقول:

" عبثاً تعبتُ باطلاً وفرغاً أفنيتُ قدرتي، لكن حقي عند الرب وعملي عند إلهي" [4].

ه. نجاح رسالة السيد المسيح في ضمه الأمم إلى الإيمان: إن كان السيد قد ظهر على الصليب في ضعف حتى فرقه الجميع، إذ جاء إلى

خاصته وخاصته لم تقبله (يو 1: 11)، صار مجروحاً في بيت أحبائه (ك 13: 6)، فقال: " عبثاً تعبتُ باطلاً، وفرغاً أفنيتُ قدرتي" [4]؛ هذا هو مظهر

الصلب الخرجي، أما عمله الداخلي فيعلنه الآب بقوة قائلاً للمصلوب: " قليلٌ أن تكون لي عبداً لإقامة أسباط يعقوب، وردّ محفوظي إسرائيل، فقد جعلتك

نوراً للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض" [6]. وكأنه يقول للابن المصلوب: إن عملك الفدائي لا يمكن أن يُحد ثوره في حدود شعب معين وإنما يمتد

إلى أقصى الأرض فتكون نوراً للأمم وسرّ الخلاص الإلهي لكل البشر.

عندما حمل سمعان الشيخ الطفل يسوع قال: "لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعدته قدام جميع الشعوب، نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك

إسرائيل" (لو 2: 30: 31). كما قال بولس وبنابا: "لأنه هكذا أوصانا الرب، قد أقمنا نوراً للأمم لتكون أنت خلاصاً إلى أقصى الأرض" (أع 13:

46-47). يقول العلامة أوريجانوس : [لو لم يصر عبداً ما كان يقيم أسباط يعقوب ولا يغير قلب إسرائيل المشتت، ولما صار نوراً للأمم لخلاص أقصى

الأرض].

جاء مسيحنا نوراً للشعوب والأمم؛ النور الحقيقي الذي يضيء كل إنسان آت في العالم (يو 1: 9)، يدعوننا من الظلمة إلى النور (1 بط 2: 9)

حتى نسلك في النور ونصير أبناء للنور وأبناء للنهار (1 تس 5: 5)، بل ونصير نوراً للعالم (مت 5: 14). بهذا يتحقق قول إشعياء النبي: "لا تكن لك

بعد الشمس نوراً في النهار، ولا القمر ينير لك مضيئاً، بل الرب يكون لك نوراً أدياً والهك زيباً؛ لا تغيب بعد شمسك، وقمرك لا ينقص لأن الرب يكون

لك نوراً أدياً" (إش 6: 19-20). يضيئ المخلص - نور الأمم - على النفس بكونها عروسه فتترك خفيات الحكمة (أى 11: 6).

❖ ربي وإلهي... يا نور نفسي! لا تتوقف قط عن إنارة خطواتي!...

إلهي... أنت رجائي... بدون نورك - الذي به نُعين كل شيء - يصعب علينا أن نكتشف منارات الشيطان وحيله.

❖ أنت هو الكلمة القائل: "ليكن نور"، فكان نور. قل هذه العبارة الآن أيضاً حتى تستنير عيناك بالنور الحقيقي، وأمزج من غوه من النور؛ فبدونك كيف أقدر أن أميز النور عن الظلمة، والظلمة عن النور؟!

[508]

القديس أغسطينوس

أهانته اليهود وجوده طالبين صلبه وقبلته الشعوب الوثنية وخضعت له بالإيمان وقبلت عمله. لهذا دُعي السيد "المهان النفس"، "مكروه الأمة"، "عبد المتسلطين" " إذ تسلط عليه الأشرار وابعضوه واهانوه؛ وفي نفس الوقت قيل " ينظر ملوك فيقومون، رؤساء فيسجدون" [7]. حيث يقوم الملوك عن كراسيهم في حضوته ويسجد له الرؤساء متعبدين له.

2. عمله الخلاصي:

بين أيدينا حديث إلهي رائع يكشف عن سرّ خلاصنا في المسيح يسوع ربنا الذي لا يُعبّر عنه؛ ففي المسيح المخلص ننال الآتي:

أ. استجابة الله لنا؛ فقد حان الوقت أن يسمع الآب لنا خلال ابنه المحبوب المصلوب كذبيحة طاعة للآب وموضع سروره، فيستجيب لنا الآب فيه واهباً نفسه لنا أباً، مقدماً لنا حضنه كموضع راحة أبدية نستقر فيه. هذا ما عناه بقوله: "في وقت القبول استجبئك" [8]. فقد حان الوقت الذي فيه يُعلن قبولنا لدى الآب في ابنه المقبول رُلياً، فيستجيب لنا على النوام.

ب. بالمسيح يسوع مخلصنا صار الله نفسه عوناً لنا ومعيناً: " وفي يوم الخلاص أعنتك" [8]. تسلّم الرب نفسه قيادة المعركة ضد عدو الخير لنختفي نحن فيه وننال فيه الغلبة والنصرة. وكما يقول الرسول: "ولكن شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصوته في المسيح كل حين ويُظهِر بنا رائحة معرفته في كل مكان" (2 كو 2: 14). يقول القديس أغسطينوس : [هذا هو اليوم الذي صار الشفيح حجر الولاية الرئيسي، فلنوح ولنبتهج فيه [509].

يليق بنا أن نميز بين "يوم الخلاص" [8] أو "يوم الرب" وأيامنا نحن، يوم الرب مَوْح يَهَبُ خلاصاً أما أيامنا التي نسلك فيها حسب هوانا فمُحطّمة ومُهَلِكة. يقول القديس أغسطينوس : [بالجوى أدعو أيامي (مز 116: 2) أيام يؤسي، أيام موتي، أيام حسب آدم مملوءة تعباً وعوقاً، أيام حسب الفساد القديم. إذ يصوخ في مزور آخر: "غرقت في حمأة عميقة" (مز 69: 2)، "هوذا جعلت أيامي قديمة" (مز 39: 5)؛ في أيامي هذه أدعوك (مز 166: 2). فإن أيامي تختلف عن أيام ربي [510].

ج. بالمصلوب أيضاً صرنا محفوظين في الرب، إذ يقول: "فأحفظك" [9]. ففي الصلاة الوداعية يقول المخلص: "لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير... قدّسهم في حقك" (يو 17: 15، 17).

د. التمتع بالمصلوب كعهد مع الآب: " وأجعلك عهداً للشعب لإقامة الأرض لتمليك أملاك الوري" [8]. قدم الله عهده الجديد ليس منقوشاً على حجر وإنما مسجلاً بالدم في جسد الابن الكلمة المتجسد، خلال هذا العهد لا تتمتع الكنيسة برُض الموعد التي تقيض عسلاً ولبناً وإنما توث الأرض أي الشعوب التي كانت قوّاً كالوري لتُقيم منها فودوساً إلهياً ومملكة سماوية. في جسد بشويته صالح الآب مع البشوية وأقام في كل قلب مؤمن حقيقي موائناً لا يُعبّر عنه.

أما سمات هذا الملوكوت الجديد أو الموائت الداخلي أو الحياة الإنجيلية الكنيسة الحقّة فهي:

وُلاً : الحرية؛ " قاتلاً للأسوي أخرجوا، للذين في الظلام إظهروا" [9]. فقد كسر متريس الجحيم وأعطانا حرية مجد وُلاد الله لنعيش حاملين

سلطاناً على الحيات والعقرب وكل قوة العدو (لو 10: 19)، نسلك في النور، لا سلطان للظلمة علينا.

وهبنا مخلصنا الحرية الداخلية فلا نُستعبد لعدو الخير ولا لشهوات الجسد ولا لمحبة العالم، أما ما هو أهم فهو ألا نستعبد لأننا "ego" ، لا نتوقع بعد في الأنا إنما نُصلب مع مسيحننا المخلص لنعلن اتساع قلبنا لنحمل فيه الله غير المحدود ويتسع لكل بشر حتى المقاومين لنا. خلال هذه الحرية الداخلية نقبل بوضاننا الخضوع لله كعبيد له، فنعيش أحرارًا لا سلطان للعدو على أعماقنا.

❖ [\[5111\]](#) كن خادمًا وحرًا في نفس الوقت؛ كن خادمًا بخضوعك لله، حرًا لا تُستعبد لشيء، لا لمديح فلرغولا لهوى ما.

❖ حر نفسك من قيود الخطية، عش في حرية، فقد حرك المسيح (غل 5: 1) . أطلب حرية العالم الجديد خلال حياتك الزمنية. لا تستعبد نفسك لمحبة مال ولا لمديح نابع عن رضاء الناس. [\[5121\]](#)

❖ لا تضع قانونًا لنفسك لئلا تُستعبد لقوانين من عندياتك. كن حرًا، إنسانًا في مركز يسمح له أن يفعل ما يشاء. [\[5131\]](#)

❖ حر نفسك من نير العالم بحرية الحياة الجديدة. [\[5141\]](#)

❖ كن حرًا، حر نفسك من كل عبودية مخوِّبة؛ فإنك إن لم تصر حرًا لا تكن عاملاً للمسيح، فإن ملكوت أورشليم السماوية الحرة لا تقبل أبناء العبودية. [\[5151\]](#) أبناء الأم الحرة هم أنفسهم أحرار (رو 8: 5)، ولا يستعبدون للعالم في شيء.

❖ لا تُؤرم نفسك بجهد فوق طاقتك لئلا تُستعبد نفسك للحاجة لإرضاء الغير. [\[5161\]](#)

الأب يوحنا السرياني المتوحد

ثانيًا : التمتع برعى إلهي خصب، " على الطريق وعون وفي كل الهضاب مراعاهم" [9] . ما هو هذا الطريق إلا المخلص الذي دعى نفسه "الطريق" (يو 14: 6)، به ندخل إلى هضاب مثوة لنجد كل احتياجاتنا، فلا نروع ولا نعطش ولا يضبونا حرولا شمس؛ فيها يبايع الروح القدس كميابه حية تروى أعماقنا وتهبنا ثورًا [10].

ثالثًا : التمتع بطريق ممهد يدخل بنا إلى الأحضان الإلهية، " واجعل كل جباليّ طريقًا ومناهجي توتفع" [11] . ما هي هذه الجبال إلا وصايا الرب التي تبدو كجبال شاهقة يصعب تسلقها، لكن باتحادنا مع المسيح "الطريق" يصير السير على الجبال أمرًا طبيعيًا، وتتحوّل الوصية إلى لذة وبهجة لا إلى أوامر قاسية وحرمان.

في الوقت الذي فيه يجعل الوصية الصعبة سهلة إذ يحول جباله الشاهقة إلى طريق نوح بالعبور فيه، إذا به يقول "ومناهجي (مسالك) توتفع"، بمعنى أن سهولة الوصية لا تعني نزولنا إلى الأمور الدنيا ونسأهلنا مع أنفسنا في قبول الملمات الجسدية وتحقيق الرغبات الزمنية، إنما على العكس يحملنا بمسالكه إلى فوق لنمرس الحياة السماوية العُلوية ببهجة قلب وفوح كحياة مقبولة ومبهجة في الرب.

رابعًا : انفتاح أبواب الكنيسة أمام كل الأمم من المشرق والمغرب والشمال والجنوب. " هؤلاء من بعيد يأتون، وهؤلاء من الشمال ومن المغرب وهؤلاء من أرض سينيم" [12] . يقصد بالأتين من بعيد سكان الشرق الأقصى، كما يقصد بلرض سينيم (أسوان) جنوب مصر بكونها تمثل القادمين من الجنوب.

خامسًا : التمتع بحياة التسبيح والفوح كحياة تعيشها النفس (السماوات) ويمرلسها الجسد (الأرض) ويعبر عنها خلاص الطاقات البشوية (الجبال). هكذا تشترك السماوات مع الأرض بجبالها في الترنم للرب، " لأن الرب عوى شعبه وعلى بائسيه يتوحم" [13]. سرّ بهجتنا تغريات الله المعلنة بالروح القدس في أعماقنا خلال استحقاقات الدم الثمين، فقد أقامنا المصلوب من بؤسنا وتواضع علينا ورحمته العملية.

هذا الفوح يعم على الكنيسة كلها الممتدة هنا عبر الأجيال وأيضًا في السماوات، لهذا يقول القديس البابا أنثاسيوس الرسولي : [لسنا وحدنا في

فوحنا، فإنه في السماء توح معنا "كنيسة الأبيكار" جميعها (عب 12: 23) ... انظروا يا أصدقائي، ها الخليفة كلها تحفظ معنا العيد، إذ يقول الموتل: "كل نسمة فلتسبح الرب" (مز 150: 6)، وذلك من أجل هلاك أعداء الرب ومن أجل خلاصنا [517].

الآن رأينا كيف انتقل الرب من الحديث عن كورش كمنقذ لشعب الله من السبي إلى ما هو أعظم وأبقى، الحديث عن السيد المسيح كمخلص لكل البشرية، ينفذهم من الأسر الأبدي ليهبهم بركات خلاصه بالدخول بهم إلى ملكوته أي التمتع بالحياة الجديدة الكنسية المفوحة في الرب، كحياة فودسية مقدمة لكل الشعوب والأمم.

3 . إقامة المتروكة عروساً أبدية:

لم يكن يتوقع شعب الله أنه يُسبى، وحين سُببت إسرائيل أو مملكة الشمال ظنت مملكة يهوذا أنها لن تُسبى لأنها تحتضن هيكل الرب في أورشليم مدينة الله. لكن سُببت يهوذا وانهرت أورشليم بالهيكل الذي دنسوه بالعبادة الوثنية والوجاسات كما جاء في حزقيال ولَميا، وظن المسييون أنها ربما شهر قليلة ويتدخل الله ليحررهم، لكن عوت الشهور والسنوات تلو السنوات، فظن الشعب أن الله قد نسيه، وشعر الكل بالغولة والحرمان والتوك. هذا ما عبّر عنه النبي هنا هكذا: " وقالت صهيون قد تركني الرب وسيدي نسيني" [14]. هذا الشعور بالغولة هو ثوة طبيعية يُعاني منها غالبية البشر أن لم يكن جميعهم في بعض اللحظات. فالإنسان في وقت التجربة يشعر نفسه وحيداً، ليس من يشركه مشاعوه وأحاسيسه ولا من يلمس مولته الداخلية. يشتكي علماء النفس من هذا العوض "الشعور بالغولة" بكونه مرضاً يكاد يكون عامّاً خاصة بين العواحقين، حين يكون أن أقرب من لهم لا يقدر أن يتفهم حقيقة عالمهم الداخلي ومشاعوهم الخفية.

علاج هذا العوض هو الالتقاء بالمخلص، الذي وحده يقدر أن يدخل إلى الأعماق ويقيم علمه محبة، يعلن بصليبه صداقة فريدة شخصية خلالها نتمتع بحب إلهي فائق واتحاد مع الله لا يقدر الزمن ولا تستطيع الأحداث أن تُحطمه. بالصليب ضم الله البشرية إليه كعروس سماوية مقدسة لا يفارقها عريسها السملوي، عوض الشعور بالتوك.

والعجيب أن المخلص نفسه صوخ على الصليب قائلاً: "الوي لوي لماذا تركتني؟! (مر 16: 34). كأنه كمثل للبشرية ونائب عنها يعلن عن موقفنا كمتروكين ومحرومين! صار بالصليب كمن هو متروك لكي يزع عنا الشعور بالحرمان والتوك ويردنا إلى الأحضان الإلهية عروساً مقدسة! الآن بماذا يُجيب الرب على شعور صهيون بالحرمان؟

" هل تنسى الأم رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟! حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك" [15]. بلا شك أن الأمومة تعتبر من أسمي نرجات الحب البشري، فالأم التي تحمل ابنها أو ابنتها كجنين لشهور في أحشائها يصعب أن تتساه بعد ولادته. ومع هذا فقد نسيت بعض الأمهات أبناءهن وبناتهن، إذ قدم بعضهن أطفالهن ذبائح بشوية، يلقيهم إياهم في النار وسط ضوبات الطبول كوع من العبادة للإله بعل. وفي بعض المجاعات سمعن عن أمهات أكلن أطفالهن. ولا زال نسمع الآن عن جرائم قتل تقوم بها بعض الأمهات ضد أطفالهن. وفي كل يوم أيضاً زى أمهات وآباء يقتلن أبناءهن خلال الجو العائلي الكئيب أو المشاكل العائلية خاصة الانفصال والطلاق. ما أكثر ضحايا الطلاق؟! لم يتوقف الآباء والأمهات بالأجيال الجديدة، ولا اعطوا لهم حساباً في حياتهم، إنما في أنانية يُريدون تحقيق ما يظنوه سلاماً على حساب حياة ولأدهم وسلامهم الروحي والنفسي وأحياناً الاجتماعي والمادي أيضاً. قد تنسى الأم رضيعها أما الله فلا ينسانا!

❖ عناية الله هذه وحبها الذي يظوهما الرب بصلاحه... يُقلنهما بقلب أم مملوء حناناً ولطفاً، إذ يريد أن يعبر عنه بمثال من العاطفة البشرية، فلم يجد في خليقته مشاعر حب أفضل كي يُقلن بها.

[518] الأب شيريمون

❖ إنه ليس فقط يعتني بنا، إنما يحبنا بلا حدود، حباً مقدساً ملتهباً، حباً شديداً حقيقياً لا ينفصم ولا ينطفئ... ❖

يجابوب النبي الذين اکتأوا هوة وأتوا قائلين: "قد تركني الرب وسيدي نسيني"، قائلاً: "هل تنسى الأم رضيعها فلا تحم ابن رضيعها؟". كأنه يقول: يستحيل على الأم أن تنسى رضيعها، فبالأولى لا ينسى الرب البشوية. وهو بهذا لا يقصد تشبيهه حب الله لنا بحب الأم لثورة بطنها، وإنما لأن حب الأم يفوق كل حب، غير أن حب الله حتماً أعظم منه. لهذا يقول: "ولو نسيت الأم رضيعها أنا لا أنساك يقول الرب". تأمل كيف تفوق محبة الله محبة الأم؟!...

يؤكد رب الأنبياء وسيد الجميع أن حبه يفوق محبة الأب لأولاده، كما يفوق النور الظلمة والخير والشر... إنصت ماذا يقول؟ أم أي إنسان منكم إذا سأله ابنه سمكة يعطيه حية؟! فإن كنتم وانتم أشرار تعرفون أن تعطوا ولادكم عطايا جيدة فكم بالحوى أبوكم الذي في السموات يهب خوات للذين يسألونه؟! (مت 7: 9-11). كاختلاف الخير عن الشر هكذا تعلقو محبة الله على عواطف الوالدين... هناك أمثلة أخرى كحب الحبيب لمحبيته، إلا أن حب الله لن يعادله هذا الحب (مز 103: 11)...

[\[519\]](#) القديس يوحنا الذهبي الفم

"هوذا على كفي نقشتك" [16]. من العادات الوثنية القديمة أن ينقش الإنسان اسم محبوبه على كفه، علامة أنه لن ينساه حتى الموت، وأن كل ما يعمل به يديه إنما لحساب محبوبه. لقد نقش الرب اسم كنيسته المحبوبة لديه على كفه بالمسامير، لتبقى آثار الجلحات علامة حب أبدي! بل نقش اسم كل عضو فيها على كفه علامة محبته الشخصية لنا باسمائنا.

"أسورك أمامي دائماً" [16]؛ كأنه يقول أنا أعلم أن أسورك قد تهدمت، أنا لن أنساها، سأبنيها لكن في الوقت المحدد، سرّد لك قوتك وحصانتك، وردد إلى رُضي بنيك واطرد الهادمين والمخربين منها [17].

من هم هؤلاء البنون المسوعون إلى صهيون إلا قائلو الإيمان الذين يأتون إلى كنيسة العهد الجديد ويتمتعون بأسورها التي ليست من صنع يد بشوية، أما الهادمون والمخربون فهم جاحدو الإيمان الذين يُطردون منها.

"رفعي عينيك هواليك وانظري. كلهم قد اجتمعوا أتو إليك. حي أنا يقول الرب تلبسين كلهم كحلي وتتنطقين بهم كعروس" [18]. يا لها من صورة بهية لكنيسة العهد الجديد، فإنه عوض المدينة التي تهدمت أسورها، وطرد منها شعبها كمسيبين، ودخلها الهادمون والمخربون، يُقيم الرب كنيسة العهد الجديد لا كمدينة حصينة فحسب يرجع إليها ولأدها مسوعين ويُطرد منها الأشرار المخربون، إنما تصير عروساً سماوية تحمل زينة فريدة، هي اجتماع ولأدها فيها كالأولاد لله، لهم حوية المجد الداخلي. في الشوق كان جمال المرأة هو ولأدها، تفخر بهم كمجد لها وكثوب عرسها المستمر؛ هكذا تعزز الكنيسة بولأدها الممجدين فيها، كمنطقة عروس ثمينة تتمنطق بهم.

تصير عروساً مثورة، أما ولوداً، يكثر ولأدها الروحانيون حتى يبدو كأن الأرض قد ضاقت بهم ولا يوجد موضع للمخربين ليسكنوا معهم. لا يقف العدو صامتاً إنما يريد أن يدخل ويخرب ولأدها، هذا الذي سبق فأثكلها بتحطيمه إيمان البعض، إذ يقول لها: "ضيق علي المكان، وسعي لي لأسكن" [20]. أما هي فزوى يد الله العجيبة والعاملة فيها بالرغم من مقاومة العدو المستورة، فتدرد في قلبها قائلة: "من ولد لي هؤلاء وأنا ثكلى وعافر منفية ومطرودة؟ وهؤلاء من رباهم؟ هانذا كنت متروكة وحدي. وهؤلاء أين كانوا؟" [21]. إنها نعمة الله الفائقة التي تُخرج من الأكل أكلاً ومن الجافي حلوة! وإنها نعمته الغنية التي تُقيم فينا ثورا متكاواً ليس من عنديتنا، إنما هو عطية الله المجانية لمؤمنيه السالكين بالروح.

4. إقامة الذليلة ملكة:

إن كانت صهيون قد عاشت كأمة أسوة ذليلة في أرض الغربة، الآن تعود إلى وطنها كملكة يشتاك الكل أن يرفعها على الأكتاف ويخضع لها الملوك ويسجدون أمامها يلحسون غبار رجليها.

هذا هو عمل الله في حياة النفس التي سبق فأذلته الخطية، إذ يقيمها الرب ملكة، تجلس عن يمين الملك، يشتاك الكل أن يخدمها.

" هكذا قال السيد الرب: ها اني ارفع الي الامم يدي والى الشعوب اقيم رايتي" [22]. ما هورفع اليد إلا مجيء السيد المسيح إلى العالم ليبسط يديه على الصليب فيضم إليه الأمم كقوله: "وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع" (يو 12: 32). وأما الآية التي يُقيمها فهي "عَلَمُ الحُب" (نش 2: 4)، أي إعلان الفداء على الصليب.

بهذا العمل الخلاصي تتمجد كنيسة المسيح، إذ يُقال لها: " يأتون بؤلادك في الأحضان، وبناتك على الأكتاف يُحْمَلْنَ، ويكون الملوك حاضنيك، وسيداتهم موضعاتك، بالوجه يسجدون لك ويلحسون غبار رجلك، فتعلمين أني أنا الرب الذي لا يقوى منتظروه" [22-23].

لقد تحقق ذلك، فقد صار الملوك والملكات مؤمنين عاملين في كنيسة الرب مثل قسطنطين الكبير وهيلانة، يخدمون الكنيسة كملكة روحية فوق الكل.

5. الله فادي كنيسته:

بدت هذه الوعود كأنها خيال بالنسبة لمعاصري إشعيا وأيضًا فيما بعد بالنسبة للمسيبيين، لذلك أكد الله أنه هو بنفسه الذي يُحقق هذا الخلاص، بكونه القادر وحده أن يُحطم إبليس الجبار ويسحب منه الذين سبق أن سباهم.

" هل تُسلب من الجبار غنيمة؟! وهل يفلت سبي المنصور؟! فإنه هكذا قال الرب: حتى سبي الجبار يُسلب، وغنيمة العاتي تفلت. وأنا أخاصم مخاصمك وأخلص أولادك، وأطعم ظالميك لحم أنفسهم ويسكرون بدمهم كما من سلاف فيعلم كل بشر إنني أنا الرب مخلصك وفاديك عزيز يعقوب" [24-26].

هكذا يليق بنا أن نثق في الله مخلصنا ولا نضطرب أمام قسوة إبليس وعنفه، فإن المخلص قادر أن يُحررنا من سبيه مهما كان العدو عاتيًا وجبرًا، يردنا إلى كنيسته ويُخاصم عنا مخاصمينًا، أي يقود المعركة بنفسه، فيأكل العدو لحم نفسه ويشرب ويسكر كما بدمه، أي يرتد عمله على رأسه وينوق من عنفه مرة حتى يفقد وعيه كمن في حالة سكر.



الأصاحح الخمسون

بذلت ظهري للضربين

في الأصاح السابق رأينا صورة رائعة لعمل الله الخلاصي، فقد أعلن أنه أعظم حبًا من عاطفة الأم نحو رضيعها، لن ينسى شعبه بل نقشه على كفه وأقامه عروسًا مقدسة وملكة متوجة تشركه أمجاده السماوية. أمام هذا الحب الإلهي وقفت الأمة اليهودية متذورة عليه وجاحدة الإيمان به، لذا صار يُعاتبها على جودها، طالبًا قبول عمل الصليب في حياتها.

1. كتاب الطلاق [3-1].
2. طاعة الصليب [9-4].
3. دعوة للطاعة [11-10].

1. كتاب الطلاق:

كان اليهودي إذا ما طلق امرأته ولو بدون سبب مقبول يعطيها كتاب طلاق ويطودها من بيته، كما كان يمكنه أن يبيعهما أمة لدائنيه (تث 24: 3-1)، وكان يجوز له أن يبيع أولاده لدائنيه، أما الله فلم يفعل بهم هكذا. أنه يسأل الأمة اليهودية التي جددته ورفضت الإيمان به عن كتاب طلاقها مؤكداً لها أنه لم يرد أن يُطلقها ولا أن يطودها إنما هي طلقت نفسها بنفسها، وطردت نفسها من بيت الله عريستها خلال زناها ورجاساتها فكسوت الزواج المقدس.

" هكذا قال الرب: أين كتاب طلاق أمكم التي طلقتها؟! أو من هو من غمائي الذي بعته إياكم؟! هوذا من أجل آثامكم قد بعتم، ومن أجل ذنوبكم طُلِّقت أمكم" [1].

لقد جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله (يو 1: 11)؛ لهذا ففي عتاب أوي يسأل رافضي الإيمان أن يظهروا كتاب طلاق أو اسم الدائن الذي إياه سلمه ولأده؛ كأنه يقول لهم إني لا أود طلاق أمكم ولا أن أبيعكم لأحد. هي اختزلت إبليس عوي عريساً لها وأنتم بعتم أنفسكم بملذات الخطية وشهوته، وكما قال السيد المسيح لمقاوميه "أنتم من أب هو إبليس" (يو 8: 44).

يقول الأب إواهم في مناظرات كاسيان [ذات الملذات التي نتنعم بها (في الخطية) تصير عقوبة لنا، فتتحول المباحج والتنعيمات إلى أشبه بعذابات لمتابعها] ^[520].

وروى العلامة أوريجانوس أن المجمع اليهودي ارتكب الزنا ضد العريس وقتله (يو 19: 6، 15؛ لو 23: 18) [إنها (كعروس) ثرت ضد رجلها أكثر من ثورته ضدها، هذا الذي طودها ونبذها موبخاً إياها بسبب ابتعادها عنه] ^[521].

إن كان قد طودها إنما لأنها تركته وطردت نفسها بنفسها، فأعطاها سؤال قلبها الشيرير. لقد جاء السيد المسيح كما إلى بيته فلم يجد أحداً، فقد تركته ومعها الأولاد [2]. دعاها لعلها ترقّ لرجلها وترجع إليه فلم تُجب [2]؛ لم تحبّ به ولا استجابت لندائه بل حرمته من كل حقوقه الزوجية والأبوية.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [ينطق بهذه الأمور ليُظهر اننا نحن الذين بدأنا بالهجر، وهذا يسبب هلاكنا. لا يشاء الله أن يتوكلنا أو يُعاقبنا بل وأن عاقب يفعل ذلك (كما) لا رادياً، إذ يقول: "لا أشاء موت الخاطئ مثل أن يرجع ويحيا" (حز 18: 32 الترجمة السبعينية). يبكي يسوع على هلاك أورشليم كما نفعل نحن على أصدقائنا] ^[522].

الله لا يُريد هلاكنا بل يطلب أن نكون دائماً ملتبهين بالروح كعروس متهللة بعريستها لا أن يكونوا كزوجة متعودة تتوك بيتها. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [تعمق بالأكثر ذاكراً مثلاً يخترق أعماق الأمور، قائلاً: "كفوح العريس بالعروس هكذا يوح بك الرب" (إش 62: 5). فالحب يكون في وُجّه عند البداية (بين العروسين). وقد استخدم هذا الأسلوب لا ليحمل شيئاً بشرياً إنما لكي نلمس شدة التهاب محبته الحقيقية] ^[523]...

من جانبها تركته رفضت أن تعيش في فوح العرس السموي الدائم، أما من جانبه فإنه يعمل لحسابهم كمخلص يفديهم بحياته، قدير لا يعجز عن العمل من أجلهم، إذ يقول: " هل قصرت يدي عن الفداء؟! وهل ليس فيّ قوة للإنقاذ؟! هوذا بوجرتي أنشفت البحر، أجعل الأنهار قوفاً، ينتن سمكها من عدم الماء ويموت بالعطش. ألبس السموات ظلاماً وأجعل المسحّ غطاءها" [2-3].

لقد جاء السيد بنفسه كما إلى بيته ليخلص بعدما ناداها خلال الناموس والأنبياء، جاء ليخلص ومع هذا ففي سخرية قالت أمته وخاصته: "خُصّ آخريين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها؛ إن كان هو ملك إسرائيل فليقول الآن عن الصليب فنؤمن به" (مت 27: 42).

هكذا سخرت به أمته، مع أنه هو الذي أقام لها طريقاً وسط بحر سوف ونهر الأودي، وعند صلبه ثرت الطبيعة فانكسفت الشمس وانخسف القمر، وحلّ الظلام على وجه الأرض.

2. طاعة الصليب:

وى بعض الدارسين والآباء ان المتحدث هنا إشعياء النبي الذي أعلن أن الله وهبه لسان المتعلمين لكي يغيث النفوس الخاؤة بكلمة الرب الحيّة؛ هذه الكلمة ليس لها زمن معين أنما تعمل فيه كل صباح، فتهبه أذنًا روحية قاوة على الاستماع للصوت الإلهي [4].

❖ "يوقظ (يضيف) لي أذنًا لأسمع" [4].

يعني إضافة (الأذن) التي من الروح... فإنه بعدما وهبه الروح قلب الأنبياء لم يعد له قلب بشوي بل صار له قلب روحي، وكما قال الرسول: "لنا فكر المسيح" (1 كو 2: 16). وكأنه يقول: لقد قبلت بركة الروح وتعلمت الأمور التي لا ينطق بها إنسان ولم يكن أحد منا ولا من الأنبياء يبركها بذهنه الذاتي.

[/1524/](#)
القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ سمع النبي أكثر من (أنبياء) كثيرين، وهكذا يسمع المؤمنون أيضًا أكثر من الموعوظين. هنا يجب على الموعوظين أيضًا أن يبركوا أنهم لا يتعلمون هذه الأمور من الناس بل يكونون متعلمين من الله (إش 54: 13).

[/1525/](#)
القديس يوحنا الذهبي الفم

إن كان النبي يتحدث عن نفسه أنه تمتع بأذن روحية إضافية، ربما يعني أكثر مما تمتع بها أنبياء كثيرون، فإن النبي يتحدث أيضًا عن نفسه كرمز للسيد المسيح، كما سبق فتحدث داود النبي عن نفسه كرمز للمسيا.

إن كان السيد المسيح قد جاء معلمًا للبشرية لكنه جاء فريدًا في ذلك من جهة الآتي:

أ. وهو كلمة الله واهب الحكمة والعلم والمعرفة قبل ناسوتنا فصار ابن الإنسان الذي يخضع ويطيع. إنه العبد العواني الذي يرادته تقدم إلى سيده في الوبيل ليثقب أذنه من أجل غيوته على بيت أبيه (جز 21: 6). لهذا يقول: " السيد الرب فتح لي أذنًا وأنا لم أعاند، إلى الوراء لم أرتد" [5].
قدم نفسه يرادته لا لثقب أذنيه فحسب وإنما لبذل حياته، فأطاع حتى الموت موت الصليب.
في طاعته الباذلة والمملوءة حبًا قدم ليس فقط أذنيه للثقب، وإنما أيضًا ظهره للضوب، وخديه للناقين ووجهه للعار والبصق... قدم كل حياته محتملاً الآلام لنحسب نحن العصاة مطيعين فيه، ونجد نحن المتألمون فيه راحة.

❖ ربنا ومخلصنا يسوع المسيح مثال لنا كيف نتألم... فيلادته سمح لهم أن يقولوه حتى الموت، فزى فيه صورة لكل صلاح وخلود. بذلك هو مثال لنا، نتبعه فنستطيع أن ننوس على الحيات والعقرب وكل قرة العدو.

[/1526/](#)
البابا أنثاسيوس الرسولي

❖ قد تقولين: العدو مرعب وخطير لا يمكن أن يُحتمل. انظري إليه ثانية وقلنيه بصورة أخرى فتتعلمي أن تحتويه. فإن الاتهامات والشتائم والتوبيخات والتعيرات التي يصبها الأعداء مع خطتهم هي أشبه بثوب مهلهل وصوف أصابه العث [9]... لهذا لا يتعبك شيء مما يحدث؛ كفي عن طلب معونة هذا الإنسان أو ذاك، وأن تعوي وراء الظلال، إنما بإلحاح إدعي يسوع الذي تخدمينه، فإنه إذ يحني رأسه في لحظة من الزمن تنتهي كل الشورور.

[/1527/](#)
القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ اختار أن يحتمل كل هذه الأمور إنما لكي يُغوي المتألمين.

[/1528/](#)
القديس أغسطينوس

في نوبة صريحة واضحة تحدث إشعياء النبي عن أحداث الصليب فقال على لسان المخلص: " بذلت ظهري للضربين، وخدي للناقين، وجهي لم أستر عن العار والبصق" [6].

❖ اظهرت لي تدبير تعطفك.

احتملت ظلم الأشرار، بذلت ظهورك للسياط، وخديك اهملتها للطم. لأجلي يا سيدي لم ترد وجهك عن خوي البصاق.
اتيت إلى الذبح مثل حمل حتى إلى الصليب...

القداس الاغريغوري

❖ ذاك الجاهل كيف تجاسر وتقل في وجهه!؟

كيف تجاسوت أيها اللسان ان تتضح بالبصاق!؟...

كيف احتملت أيتها الأرض هرة الابن!؟...

منظر مخوف، مملوء دهشة، أن روى الإنسان الشمع قائماً يتقل في وجه اللهيب...

وهذه أيضاً من أجل آدم حدثت، لأنه كان مستحقاً البصاق، لأنه زل! وعود العبد قام السيد يقبل هذا كله!

قدم وجهه ليستقبل البصاق، لأنه وعد في إشعياء أنه لا يرد وجهه عن احتمال خوي البصاق!...

[529]

مار يعقوب السروجي

سلم السيد المسيح نفسه للآلام حتى الأعماق، محتملاً كل خوي وعار ليكمل طريق الطاعة عنا وباسمنا، معلناً عجز الألم والعار عن تحطيم

المؤمنين، مؤكداً أن طريق الصليب ملوكي يدخل بنا إلى وه، إذ يقول: "عرفت أنني لا أخرى، قريب هو الذي يبرني" [7-8]. يقول الرسول بولس:

"الفداء الذي ببسوع المسيح الذي قدمه الله كفولة بالإيمان بدمه لإظهار وه" (رو 3: 25).

❖ أما قوله "إظهار وه" فماذا يعني؟... ليس فقط من جهة كونه براءً، وإنما يجعل أولئك الممولئين بقروح الخطية النتنة اولاً...

إذاً لا تشك... لا ترفض برّ الله الذي هو ليس بأعمال (الناموس) إنما بالإيمان (الحي) وهو سهل ومفوح للجميع.

[530]

القديس يوحنا الذهبي الفم

3. دعوة للطاعة:

أطاع الرب لكي يدعونا إلى الطاعة، فصار مثلاً لنا، كما صار عوناً فيه نختفي فنسلك طريق الطاعة... إذ يقول: "من منكم خائف الرب سامع

لصوت عبده، من الذي يسلك في الظلمات ولا نور له، فليتكلم على إسم الرب ويستند إلى إلهه" [10].

كأن من يريد التمتع بنور الطاعة والاستماع لصوت الرب ومسيحه فليتكلم عليه لينقذه من ظلمات العصيان.

يُشبه العصاة بالقادحين نراً من عندياتهم [11] [ليبخروا للرب بخوراً غريباً، ليس بخور الطاعة المموجة بالحب، إنما بخور الأناثية والانتكال

على الذات... لذا يليق بنا ألا نشعل نار برّنا الذاتي وحكمتنا البشوية إنما نتقبل نار روح الله القدوس واهب البر والطاعة للوصية.

❖ ليتنا لا نسير على ضوء نرنا [11] واللهيب الذي أشعلناه نحن، فإني أعرف نراً مطهورة أرسلها المسيح على الأرض (لو 12: 49)، وهو نفسه

بطريقة رمزية بدا نراً تبدد ما هو مادي في العادات الوديئة. هذه النار يريد أن يلهبها بسوعة، إذ يشناق أن يسوع بنا إلى صنع الصلاح.

[531]

القديس غريغوريوس النزيوي

<<

الأصاحح الحادي والخمسون

الشعب المفدي

في الأصحاح السابق ظهر السيد المسيح كمخلص أطاع الأب حتى الموت، لكي بطاعته يفتدينا ويخلصنا من روح العصيان، واهباً إيانا روح الطاعة به وفيه. الآن نجد في هذا الأصحاح يدعو شعبه للتمتع بالفداء كحياة إنجيلية موحية، حياة مقامة فيه، خلالها نتمتع بخروج مستمر تحت قيادته بروح الغلبة على قوات الظلمة... هذا هو سر كل تغوية.

1 . دعوة للتمتع بعمل الفداء [1-16].

2 . سر سقوط أورشليم [17-20].

3 . قيام بعد السقوط [21-23].

1 . دعوة للتمتع بعمل الفداء:

في هذه الدعوة تكررت كلمة "اسموا" أو "انصتوا" ثلاث مرات [1، 4، 7]. فإن كان "كلمة الله" قد سمع وأطاع وهو الخالق والديان والمشوع فبالأولى أن يتسم شعبه بروح الطاعة... وكأنه لا يمكن لنا الدخول إلى الحياة الإنجيلية والتمتع بالخلاص المجاني ما لم نسمع وننصت ليعمل الرب فينا. ما هو مضمون الدعوة؟

أ. تكرر كلمة "اسموا" تعني أن الدعوة في صميمها حث على الطاعة، طاعة الإيمان المملوءة ثقة في الله وحباً.

❖ [الطاعة تقيم أصدقاء الله]. أنه يقول: "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي" (يو 14: 15)، لم يقل "اصنعوا معجزات" إنما ماذا قال؟ "احفظوا وصاياي". مرة أخرى: "أنتم أصدقاؤني" (يو 15: 14) ليس عندما تخرجون شياطين بل "إن فعلتم ما أوصيكم به... لنجاهد أن نصير أصدقاء الله لا أن نبقي أعداء له.

[15321](#)
القديس يوحنا الذهبي الفم

ب. " اسموا لي أيها التابعون البرّ الطالبون الرب" [1]. بالطاعة يتحول الاستماع إلى سلوك عملي، أي اتباع البر أو السير في طريق برّ الله، أما غاية ذلك فهو طلب الرب والالتقاء به والاتحاد معه. هذا هو إيماننا، وهذه هي مسيحيتنا: استماع، طاعة، حياة، اتحاد مع الرب!
ج. الاقتداء بإيمان إواهم؛ " انظروا إلى الصخر الذي منه قُطعتم وإلى نقوة الجب التي منها حُفرتم، انظروا إلى إواهم أبيكم وإلى سلة التي ولدتم، لأنّي دعوته وهو واحد و بركته واكثرته" [1-2].

كأنه يقول لهم إن كنتم تستصعبون الدعوة، قائلين كيف نسمع صوت الرب ونتبعه ونطلبه في حياتنا؟ انظروا إلى أبيكم إواهم وسلة التي ولدتم. لقد جاء إواهم من عائلة وثنية، بل كان العالم كله في ذلك الوقت قد انحرف عن معرفة الله، فجاء إواهم كما من صخر قاس ومن طين في نقوة جب، لم يسمع من والديه كلمة تغوية؛ ولا تسلم شريعة إلهية، ولا سنده كاهن أو نبي، ومع هذا إذ دعوته استجاب، كان واحداً وحيداً في إيمانه فبركته وأكثرته... وصار شعبي من نسله!

حقاً إن كنا نسلم بأن آدم مخلوق من التراب، ونحن قد جُبلنا من الصخر ليس لنا إحساس روحي، بل توغنا كما في وحل الجب فلا نياس، لأن أبانا إواهم هو أيضاً من نسل آدم وقبل الدعوة وأطاع ونال المواعيد الإلهية في نسله.

كان إواهم شيخاً وسلة زوجته عاقراً، كان رحمها كصخر بلا حياة، عاجز عن الإنجاب، لكن الله أقام من الحجرة ولأدًا لإواهم.

❖ يمكن لله أن يخرج من الحجرة أناساً... فإن الطفل الذي يُحبّل به في رحم متحجر يكون كمن وُلد من حجرة...

الآن في هذه النبوة [1-2] [ترون أنه يُظهر لهم بأنه أقام منذ البداية أباً بطريقة معجزية كما من حجرة، وما حدث قبلاً يمكن أن يتحقق الآن

[\[533\]](#)
القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يستطيع الله أن يجعل من الحجارة أولاداً لإبراهيم (مت 3: 9). يُشير هنا إلى الأمم، إذ هم حجوة بسبب قسوة قلوبهم. لنقوًا: وأزوع قلب الحجر من لحكمم وأعطيك قلب لحم" (حز 36: 26). فالحجر صورة القسوة، واللحم رمز اللطف. لقد أراد أن يظهر قوة الله القادر أن يخلق من الحجارة الجامعة شعباً مؤمناً.

[\[534\]](#)
القديس جيروم

د. دعوة مغوية إذ يحول الله خائبها وصحليها إلى جنة للرب أو إلى فردوس. هذا هو عمل الله في كنيسته، يهب ثمار روحه القنوس لشعبه فيصير الكل ملكوتاً مثوياً في الروح. " فإن الرب قد غوى صهيون، غوى كل خربها ويجعل بريتها كعدن وباديتها كجنة الرب" [3].
كثوًا ما تحدث سفر إشعياء عن عمل الله الخلاصي كإقامة ملكوت الله المثمر، وتحويل البرية بستاناً روحياً (إش 32: 5)، يسكنها الحق (إش 32: 6)، توح وتهلل بالله ساكنها (إش 35: 1) الخ... الذي يُقيم منها فردوساً وسماً.

تطلع القديس يوحنا الذهبي الفم إلى الكنيسة خاصة عند مملستها ليونجيا الأفلرستيا (القداس الإلهي) كسما، قاتلاً: [هي أعلى من السماء وأكثر اتساعاً من المسكونة] [\[535\]](#). يتحدث على لسان السيد المسيح، فيقول:

"لقد غرستك في الفردوس، والشيطان طردك!

انظري، ها أنا اغرسك في!

إني اسندك فلا يعود يقوى الشيطان على الاقتراب منك.

لا أرفعك إلى السماء، بل إلى هنا حيث رب السماء.

أحملك في داخلي أنارب السماء!" [\[536\]](#).

يقول القديس اكليمنس الإسكندري [\[537\]](#): [إن الكنيسة الأرضية هي أيقونة الكنيسة السماوية، لهذا نُصلي كي نتحقق رادة الله على الأرض كما في السماء. كما يقول: [إن سجلت نفسك كأحد أعضاء شعب الله تصير السماء مدينتك والله هو مشروعك] [\[538\]](#).

ه. دعوة للوح والبهجة؛ " الفوح والابتهاج يوجدان فيها؛ الحمد وصوت الترنم" [3]. هذا الخط واضح في السفر كله بكونه سفر الخلاص، يعلن عن قيام ملكوت الفوح الداخلي والترنم والتسبيح بلا انقطاع.

عندما زار القديس يوحنا كاسيان مصر، هاله أن يجد صحليها وؤاها من الإسكندرية حتى أسوان قد امتلأت بالوهبان، لا يُسمع منهم إلا صوت التسبيح غير المنقطع، حتى حسب نفسه أنه في السماء، متساءلاً: أعل هؤلاء ملائكة أرضيون أم هم بشر سمائيون!؟.

هذه هي سمة الكنيسة الحقيقية: فوح داخلي لا ينقطع!

ينعكس هذا الفوح على كل حياة الكنيسة، وقد لاحظت مدام بوتشر أنه لم توجد أيقونة واحدة في كنائس مصر القديمة الفقرة تحمل صورة شهيد يتعذب أو في ألم، ولا صورة للجحيم والعذابات، إنما كل الأيقونات يشع فيها روح الفوح والرجاء، حتى الشهداء زاهم فحين يتطلعون نحو السماء، ناظرين إلى إكليل مجدهم.

انعكس الفوح على العبادة ففي كل يوم تقوياً تحتفل الكنيسة بعيد سيدي أو عيد أحد الأنبياء أو الوسل أو السمائيين أو الشهداء الخ... وكأن الكنيسة تخلق جوًا من الفوح الروحي وسط متاعب هذه الحياة، فيختبر أولادها تغريات الروح القدس وفرحه السملوي؛ فيعيش المؤمن يشرك السمائيين ليونجياتهم وتهليلاتهم الهادئة المبهجة بغير انقطاع.

إحدى علامات الفوح البارزة في الكنيسة أن الكتاب المقدس - خاصة الأناجيل- أثناء الليتورجيات لا يُقرأ وإنما يُسبح به بنغم يملأ النفس تغوية. وقد شهد مستر ليدر الكاتب الإنجليزي المعروف في بداية القرن التاسع عشر عند زيارته مصر أن مجرد سماع الإنجيل أثناء القداس الإلهي في الكنيسة القبطية له أثر على النفس.

و. دعوة للكورة، فإن من ينعم بوح الخلاص لا يقدر أن يصمت عن الشهادة للحياة الإنجيلية، إنما يحمل شريعة الرب وإنجيله " نوراً للشعوب" ، مؤكداً لكل أن الحياة في المسيح ليست ببعيدة ولا مستحيلة، فإن برّ المسيح قريب إلى كل قلب [5] ، وفواعيه مبسوطان بالحب على الصليب للشعوب، بكونه رجاء الكل [5].

الكورة أو الشهادة لعمل المسيح الخلاصي من صميم حياة كل مسيحي، وليست من عمل الكاهن وحده، لهذا يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: ليس شيء تافه مثل مسيحي لا يهتم بخلاص الآخرين.

لا تقل إنني فقير، فإن فلسي الأرملة يخجلانك. وبطرس أيضاً قال: "ليس لي فضة ولا ذهب"، وبولس كان فقيراً حتى أنه كثراً ما عانى من الجوع.

لا تحتج بظروفك القاسية، فإنهم هم أيضاً كانوا في ظروف قاسية.

لا تحتج بجهلك، فقد كانوا غير متعلمين.

ربما تكون عبداً هرباً، انسيموس أيضاً كان هذا!

قد تكون مريضاً، تيموثاوس كان كذلك!

كل أحد يقدر أن يُعين أخاه حتى ولو بالإرادة الصالحة، إن لم تكن لديه القدرة أن يفعل شيئاً...

لا تقل أنك لا تستطيع أن تؤثر على الآخرين، فإنك مادمت مسيحياً يستحيل إلا أن تكون ذا تأثير... فإن هذا هو جوهر المسيحي.

إن قلت أنك مسيحي ولا تقدر أن تفعل شيئاً للآخرين يكون في قولك هذا تناقض، وذلك كالقول بأن الشمس لا تقدر أن تضيء [539].

ز. دعوة لخلاص أبدي يتعدى السموات والأرض؛ " **رفعوا إلى السموات عيونكم، وانظروا إلى الأرض من تحت، فإن السموات كالدخان**

تضمحل والأرض كالثوب تبلى، وسكانها كالبعوض يموتون، أما خلاصي فإلى الأبد يكون ووي لا ينقض" [6].

نقض السموات والأرض مع بقاء الخلاص إلى الأبد، إنما يُشير إلى صلب الإنسان القديم للتمتع بالإنسان الجديد الذي على صورة خالقه. يؤم أن تروى السموات القديمة والأرض القديمة فينا لنتمتع بالسموات الجديدة والأرض الجديدة التي سكانها ليس كالبعوض يموتون وإنما يسكنها برّ الرب الأبدي.

إن كانت السموات تُشير إلى النفس والأرض إلى الجسد، فإن اضمحلال السموات وبلاء الأرض يعنيان تحطيم أعمال الإنسان القديم بالنسبة للنفس كما للجسد، لتقديس نفوسنا وأجسادنا بكوننا الخلقة الجديدة المتجددة كل يوم بعمل روح الله القديس.

أما قوله " **وسكانها كالبعوض يموتون**" [6] فيُشير إلى ضعف أعمال الإنسان القديمة، إنها كالبعوض تموت! أما أعمال الإنسان الجديد فهي برّ المسيح الذي لا ينقض، أو هي الحب الذي لا يسقط أبداً.

ح. دعوة جادة وشجاعة لا تضطرب أمام مقاومة الناس؛ " **لا تخافوا من تعيير الناس، ومن شتائمهم لا ترتاعوا، لأنه كالثوب يأكلهم العث،**

وكالصوف يأكلهم السوس، أما وبي فإلى الأبد يكون، وخلاصي إلى دور الأنوار" [7-8].

من يرفع نظره إلى المخلص الأبدي لا يخشى تصرفات الناس ومقاومتهم فإنها تبطل وتنتهي أما خلاصنا فيبقى أبدياً.

الإنسان الروحي الحي يتطلع إلى إنسانه القديم الذي خلعه في مياه المعمودية كثوب قد بلى، وكبعوض قد مات في ضعف، أما تعييرات الناس وشتائمهم فكثوب يأكله العث وكصوف يأكله السوس! إنها أمور زمنية بالية لن تبقى كثيراً، نحتملها بلا اضطراب، فإننا بهذا نُشرك مخلصنا الذي احتمل

التعبوات والإهانات بسور من أجلنا. قابل الشر بالحب، محتملاً ضعفات الأثوار.

❖ لا تطفئ النار بنار أخرى وإنما بالماء.

❖ ليس ما يصد صانعي الشر عن شوهم مثل مقابلة المضرور ما يصيبه من ضرر بوقه.

[5401]

القديس يوحنا الذهبي الفم

ط. دعوة للتمتع بالحياة المقامة الغالبة للموت والمحطمة للتنتين القاتل. " استيقظي استيقظي إبسي قوة يا نواع الرب، استيقظي كما في أيام القدم كما في الأوار القديمة. ألسيت أنتِ القاطعة رهب الطاعنة التنتين؟! " [9].

الكنيسة هي "نواع الرب" التي تلبس قوة قيامته فتستيقظ كما من نوم الموت. لتقم الكنيسة كلها سواء الذين جاوعوا من أصل يهودي أو أممي، لذا يُكرر كلمة "استيقظي" مرتين.

الله واهب النصوة أعطاها قديماً قوة فغلبت مصر (الاسم الشوي رهب كما سبق فأينا) حينما أنقذها من يد فوعن الذي غرق في مياه بحر سوف كتنتين مطعون عاجز عن الحياة. الرب نفسه هو الذي يهب كنيسته في العهد الجديد قوة قيامته لا لتغلب فوعن بل قوات الظلمة، ولا لتجد لها طويلاً في وسط البحر وإنما لتعبر إلى السموات عيناها.

❖ الآن إذ بطل الموت (بقيامه السيد المسيح)، وانهدمت مملكة الشيطان امتلاً الكل فرحاً وسعادة.

[5411]

البابا أنثاسيوس الرسولي

ى. دعوة للتمتع بالله نفسه كمعزٍ؛ "أنا أنا هو معزيكم" (إش 59: 12)، مع عدم طلب التغيرات البشرية ولا التخوف من مضايقات البشر، لأن حياتهم إنما هي كالعشب (إش 59: 12).
خلال تمتعنا بتغيرات الله يؤمنا ألا نخاف الإنسان لأنه زائل، ومضايقاته أيضاً زائلة، إن اضطربنا منه نعيش في فوع كل يوم [14] مع أنه لا يوجد ما يستحق ذلك.

لقد حل اليأس بالمأسورين وظنوا أنهم يموتون في السبي، لكن الله أكد لهم: "سريعاً يُطلق المنحني (المأسورين) ولا يموت في الجب (في السبي) ولا يعدم خزّه" [14]. يليق بهم أن ينتظروا وعد الله ولا ييأسوا قط. إن كانت مملكة بابل قد أغرقتهم كالبحر فإن المخلص رب الجنود قادر أن زعج بابل: "وأنا الرب إلهك مزعج البحر فتعج لوجهه، رب الجنود اسمه" (إش 49: 15).

2. سرّ سقوط أورشليم:

بعد أن قدم هذه الدعوة المفوحة للتمتع بالحياة الجديدة في الرب، أراد توضيح سرّ سبي أورشليم حتى تترك ضعفاتنا وتقوم من سقطاتها. لذا بدأ بالقول: "انهضي انهضي قومي يا أورشليم" [17]. فما يكشفه من ضعفات أصابتها لا يعني به التشهير إنما هو كشف عن الجواحات لمعالجتها، وتوضيح لسرّ السقوط كي تهض وتقوم. أما ضعفاتنا فنتلخص في شربها "من يد الرب كأس غضبه ثقل كأس الترنج شربت" [17].
كانت العادة أن يقدم للمحكوم عليهم بالإعدام كأس من خمر شديد حتى يترونا قبل تنفيذ الحكم؛ هكذا شربت أورشليم من يد الرب كأس غضبه على خطاياها لتترك أنها سقطت تحت العقوبة لا بأسوا لبابل وإنما بأسوا تحت حكم الموت لأن خطاياها قد سببتها وأفقدتها وعيها.
لقد شربت بلادتها من كأس العصيان فترنحت، ولم تجد من بينها من يمسك بيدها، صلت كأم يحتوها ولأدها دون أن يخجلوا. صار الذين يوثون لحالها هم "الغراب والانسحاق والجوع والسيف" [19].

3. قيام بعد سقوط:

مع كل كشف للضعف أو للشر يفتح الرب باب الرجاء للخلاص. لهذا بعدما كشف لها عن سر سقوطها لا في السبي البابلي بل في سبي الخطية وثوبها من كأس غضب الله لتتروح، عاد يؤكد لها أنه يعفو عنها، ليُسلم الكأس لمضايقيها الذين قالوا لنفسها " انحني لتعبر، فوضعت كالأرض ظهورها وكاتزفاق للعابرين ". كانت العادة أن يمر الغالبون بأقدامهم على أعناق المهزومين. لهذا أمرها الغالبون أن تلقى بنفسها على الأرض ليسير العدو على ظهورها كرقاق ضيق يعبرون فيه. لقد عاشت في مذلة لأنها تركت الله وعصته... الآن يغفر لها ويُحررها!

«

الأصحاح الثاني والخمسون

بهجة الخلاص

بعدما أعلن عن دعوته الجامعة للتمتع بعمل الخلاص الفريد كشف عن ضعفات شعبه التي بسببها ذاقوا العولة، الآن وقد فتح لهم باب الرجاء على مصواعيه يتحدث عن بهجة الخلاص وروعه.

1. البسي ثياب جمالك [2-1].
2. خلاص مجاني [6-3].
- 3 . بشلة مفوحة [10-7].
- 4 . اعوال الشر [12-11].
- 5 . مجد عبد الرب [15-13].

1. البسي ثياب جمالك:

" استيقظي استيقظي، البسي عرك يا صهيون، البسي ثياب جمالك يا اورشليم المدينة المقدسة، لأنه لا يعود يدخلك في ما بعد أغلف ولا نجس، انتفضي من التراب، قومي اجلسي يا اورشليم، انحلي من ربط عنقك أيتها المسبية ابنة صهيون " [2-1].

بينما يؤكد النبي عودة الشعب من السبي بكرامة لم يكن يتوقعها إذ به يتحدث عن عودة البشرية إلى مكانها الأول، رجوعها إلى مدينة الله الروحية وتمتعها بهائه الفائق لتعيش حرة من كل نجاسة كما أراد الله لها...

الله يحب الإنسان ويشاق أن يدخل به إلى الأمجاد ليعيش في حياة قدسية مكرمة ومجيدة، لهذا جاءت الدعوة هنا للتمتع بالوكلات الإلهية التالية:
أ. الحياة المقامة المجيدة: "استيقظي استيقظي"، فقد انحدرت كما إلى القبر لتضطجع وسط الظلمة ويحل بها الفساد. هذا هو حال إسرائيل في بابل حيث فقتوا كل رجاء في العودة إلى بلادهم وتمتعهم بالحرية، فحسوا أنفسهم كأموات. هذا هو حال كل إنسان أسوته الخطية فانهرت حياته الداخلية وفقد الإرادة الصالحة والقوة على التمتع بالحياة القدسية ليصير أشبه بميت يحل به الفساد. أنه محتاج إلى من يوقظه من موت الخطية، ويهبه الحياة الجديدة المقامة.

يقول الرسول: "ذلك يقول: استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح" (أف 5: 14). "وأقامنا معه وأجلسنا معه في السمويات في المسيح يسوع" (أف 2: 6).

الآن قد جاء المخلص إلى كل نفس ساقطة ومهانة لئناجيها قائلاً: "مررت بك ورأيتك وإذازمنك زمن الحب، فبسطت ذيلي عليك" (حز 16: 8) ... ماذا يعني بسط ذيله عليها إلا قبولها عروساً له تتحد معه وتتمتع بحياته المقامة؟! جاءها كعريس لتجد فيه "القيامة" فتستيقظ كما من الموت الأبدي.

هذا ما عناه الرسول بولس بقوله: "لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثرة الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح" (رو 5: 17).

هكذا تتحد النفس بالعريس واهب الحياة فتخلع عنها الأكفان وتوتدي ثوب العرس: " البسي عرك يا صهيون، البسي ثياب جمالك يا أورشليم المدينة المقدسة" [1]. يقول لها: "البستك مطرزه ونعلتك بالتخس وأزرتك بالكتان وكسوتك زاً، وحليتك بالحلي... وجملت جداً جداً فصلحت لمملكة،

وخرج لك اسم في الأمم لجمالك لأنه كان كاملاً ببهائي الذي جعلته عليك يقول السيد الرب" (حز 16: 10-14). ما هو هذا اللباس الذي سكب عليها بهاء الرب فجملت جداً وصلحت أن تكون ملكة لإشخاص المسيح نفسه الذي نختفي فيه كقول الرسول: "قد لبستم المسيح" (غل 1: 27).

❖ يليق بالكنيسة كلها أن تتهلل مسبحة السيد المسيح على مثال النسوة القديسات حينما تحققن قيامة الرب، هذا الذي أيقظ البشرية من النوم، إذ أعطاها الحياة وملاها بنور الإيمان.

[\[542\]](#)
القديس إيرونيموس

❖ اليوم هو "عيد القيامة"، وإنه لي لبداية جديدة.

❖ لقد مسحني السرّ الإلهي... الذي يحضوني إلى هذا اليوم العظيم المشرق، واهباً عوناً لضعفي، فيعطيني ذاك الذي قام من الأموات - في مثل هذا اليوم- حياة لنفسي أيضاً، ويلبسنى الإنسان الجديد (إف 4: 23-24)، ويجعلني من الخليفة الجديدة من هؤلاء الذين ولوا من الله... فأكون مستعداً أن أموت معه وأقوم أيضاً معه...

بالأمس (الجمعة العظيمة) دُبح الحمل ورُشت القوائم بدمه... وعبر الملاك المهلك بسيفه المهلك مرتعباً وخائفاً... لأننا محفوظون بالدم الثمين.

بالأمس قد صُلبت مع المسيح، واليوم أنا ممجد فيه!

بالأمس مُت معه، واليوم وُهب حياة معه!

بالأمس دُفنت معه، واليوم أقوم معه!...

من استطاع أن يفهم هذا السرّ العظيم في المسيح وما صنعه لأجلنا ولم يُعطِ المسيح نفسه فهو لم يعطه شيئاً!

[\[543\]](#)
القديس غريغوريوس النريوي

ب. تصوير مدينة مقدسة لا يعود يدخلها أغلف ولا نجس، أي لا يدوسها بعد الغباء. كمدينة الله تتقدس من كل نجاسة لتحمّل طبيعة الحياة السماوية اللائقة بالملك السموي.

❖ الآن يا أحبائي... قد دُبح الشيطان، ذاك الطاغية الذي هو ضد العالم كله، فنحن لا نقرب من عيد زمني بل من عيد دائم سموي...

الآن بطل الموت، وانهدمت مملكة الشيطان، لذلك امتلأ كل شيء بالفوح والسعادة...

يؤمننا أن نقرب إلى العيد هكذا لا بثوب مدنس، بل أن نلتحف نفوسنا بأثواب طاهرة. يؤمننا أن نلبس ربنا يسوع (رو 13: 4)، حتى نستطيع أن نحتفل بالعيد معه.

الآن نحن نلبسه عندما نحب الفضيلة ونبغض الشر؛ عندما نُرب أنفسنا على العفة ونُमित شهواتنا؛ عندما نحب البر لا الإثم؛ عندما نُكرم القناعة، ويكون لنا العقل الواسخ؛ عندما لا ننسى الفقير بل نفتح أبوابنا لجميع البشر؛ عندما نعين الضعفاء وننبذ الكبرياء.

[\[544\]](#)
البابا أثناسيوس الرسولي

ج. تنتفض من التواب، إذ لا تعود تتعلق النفس بالؤمنيات وإنما تطلب ملكوت الله ووهه ولأوهذه كلها راد لها. تحيا منطلقة نحو الأبدية متحررة من رباطات العالم.

د. تقوم كملكة لتجلس على كوسي الملك [2] ، بعدما كانت أمة وعبدة أسوة تجلس في الزاب تخدم سادتها في مذلة وهوان، تقوم إلى يمين الملك السملوي. وكما يقول الموتل: "جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير" (مز 45: 9).

هـ. التمتع بالحرية: "انحلي من ربط عنقك أيتها المسبية ابنة صهيون" [2] . بعدما كانت موبوطة من عنقها لتسحب كإحدى الحيوانات في السبي انحلت هذه الربط وعادت إليها كرامة الحرية لتعيش سيدها نفسها، صاحبة سلطان داخلي. إن كانت الخطية تدل الإنسان لتسحبه كما تشاء، تلهو به كأعبوبة في يدي عدو الخير، ففي المسيح يسوع يعيش الإنسان ملكاً (رؤ 1: 6) ، يحمل سلطاناً على قلبه وفكره وأحاسيسه وجسده.

في اختصار يقوم الإنسان من موت الخطية، يخلع أكفانه ويلبس السيد المسيح نفسه ثوباً أبدياً، يرفض كل نجاسة ليحمل بر المسيح فيه، ينتفض من زاب محبة الأرضيات لتحلق نفسه في السمويات، يقوم من المذلة ليجلس عن يمين الله ليتمتع بشركة الأمجاد. تُفك قيوده الداخلية لينعم بحرية مجد وولاد الله.

2. خلاص مجاني:

" فإنه هكذا قال الرب: مجاناً بُعْثُم وبلا فِضَّة تُفَكُون" [3]. لم يبع الله شعبه لبابل، إنما هم الذين باعوا أنفسهم بأنفسهم خلال تركهم الله وعصيانهم له، فسلمهم لهم. لم ينالوا شيئاً مقابل ذلك ولا نال الله شيئاً، لأن بابل لم تشكر الله الذي سلمهم هذا الشعب كأسرى بل جدفوا عليه. كأن الله لا يود تسليمهم لبابل لكنهم أزموه ببيعهم أنفسهم للخطية والرجاسات الوثنية.

لقد سبق فقول شعب الله إلى مصر وتغرب هناك وأذله فعون؛ ومع ذلك لم يتعلم فباع نفسه لآشور الذي ظلمه بلا سبب أو بلا إثرة من جهة الشعب ضد آشور... لهذا يتدخل الله ليخلص شعبه ويتمجد اسمه القدوس.

نحن أيضاً سلمنا أنفسنا لسلطان الخطية واستعبدنا أنفسنا لعدو الخير بلا ثمن... الآن تقدم المخلص ليفكنا مجاناً، لا بذهب أو فضة وإنما بدمه الثمين (رؤ 5: 9).

3 . بشرة مفوحة:

جاءت البشارة برد الشعب عن السبي من قبل الرب نفسه الذي ملك على شعبه [7] ، فارتفعت أصوات التسييح والتّونم، لا من أجل رجوعهم إلى بلادهم وإنما من أجل " رجوع الرب إلى صهيون" [8] . جاء بنفسه ليؤذي شعبه، ويشمر فراع قدسه للعمل لإصلاح ما حلّ بشعبه ومدينته من خراب، ليعلن علانية "أمام عيون كل الأمم" [10] لتمجده كل أطراف الأرض.

جاء الحديث بالأكثر عن البشارة المفوحة الخاصة بإنجيل الخلاص:

" ما أجمل على الجبال قديمي المبشر المخبر بالسلام، المبشر بالخير، المخبر بالخلاص، القائل لصهيون: قد ملك إلهك" [7] . ما هما هاتان القدمان الجميلتان إلا كنيسة العهد الجديد التي تنطق خلال كلمة الله (الجبال) لتبشر بالإنجيل وتعلن أن ربنا يسوع قد ملك على خشبة وأنه أقامنا معه!؟

❖ وى (إشعيا) أنه ما أجمل وما أليق كورة الوسل السالكين في (الرب) القائل "أنا هو الطويق"، ممتدحاً أقدام السالكين في الطويق العقلي الذي ليسوع المسيح، فإنه خلال هذا الباب يدخلون إلى الله (الآب). إنهم يبشرون بالأخبار السرة، هؤلاء الذين أقدامهم جميلة إذ صار لهم يسوع (طويقاً لأقدامهم وسواً لجمالهم).

[\[545\]](#)
العلامة أوريجانوس

❖ عندما يركزون لنا بإنجيل هذا السلام الذي سبق فتنبأ عنه: "ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام، المبشرين بالخير" [7] ، يبدأ كل واحد منا أن يكون ابناً للسلام بطاعته وإيمانه بهذا الإنجيل، فإنه يتبرر بالإيمان ينال سلاماً مع الله.

[\[547\]](#)

❖ ما هما قدما الرب؟ أنهما الإنجيليون القديسون!.

❖ [\[548\]](#) خلال أقدام البشر الجميلة المخوة بالصالحات صلت قلوب البشرية طويلاً مفتوحاً للرب.

القديس أغسطينوس

4 . اعْزَالُ الشَّرِّ:

بروح النوبة رأى إشعياء الكهنة حاملي آنية الرب التي أخذها نوحذ نصرّ والتي استعملها بيلشاصر في الوليمة باستخفاف (عز 1: 7-11)، في موكب مهيب استغرق حوالي أربعة شهور.

كشف النبي عن سرّ مهابة هذا الموكب ألا وهو:

أ. من الجانب السلبي: اعْزَالُ الشَّرِّ والخروج المستمر من أسر الخطية؛ " اعْتَرَلُوا اعْتَرَلُوا، اخرجوا من هناك، لا تمسوا نجسًا؛ اخرجوا من وسطها، تطهروا يا حاملي آنية الرب" [11]. دعوة للخروج المستمر كقول الرسول: "لذلك أخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب، ولا تمسوا نجسًا فأقبلكم، وأكون لكم أبًا وأنتم تكونون ليّ بنين وبنات" (2 كو 6: 17-18).

❖ ينصح بولس قائلاً: "اعزلوا الخبيث من بينكم"، "حتى يُرفع من وسطكم الذي فعل هذا الفعل" (1 كو 5: 13، 2). إنه أمر موعب، وموعب حقًا، هو مجمع الأثوار، فإن وباءهم ينتقل بسوعة ويؤثر على من يتعاملون معهم كمن هم موضى... "فإن المعاشات الرديئة تُفسد الأخلاق الجيدة" (1 كو 15: 33)... ليته لا يكون لأحد صديق شوير.

[\[549\]](#) القديس يوحنا الذهبي الفم

ب. من الجانب الإيجابي: قبول الله نفسه قائدًا للموكب، لهذا نخرج في هوء وطمانينة واثقين من قوة قائدنا وحمايته لنا كل الطويق؛ "لا تكلم لا تخرجون بالعجلة، ولا تذهبون هاربين؛ لأن الرب سائر أمامكم وإله إسرائيل يجمع ساقتكم" [12].

5 . مجد عبد الرب:

إذ أوصى أن يقود الرب المخلص الموكب، قدم لنا صورة عن مجد المخلص الذي صار عبدًا ليتمجد لحسابنا وباسمنا، وقد فسر اليهود القدامى هذا النص على أنه خاص بالمسيا.

أ. "هوذا عبدي": صار الكلمة جسدًا، وحُسب عبدًا للأب كنائب عن البشوية، العبد الذي يطيع فنحسب فيه مطيعين لله.

ب. "يعقل يتعالى ويرتقي ويتسامى جدًا" [13] ، هو حكمة الله، من أجلنا قبل روح الحكمة والفهم يستقر عليه (إش 11: 2) مع كونه هو روحه القدوس الغير منفصل عنه.

ج. منظره على الصليب أثار دهشة السمايين والأرضيين: " كما اندهش منك كثيرون. كان منظره كذا مُفسدًا أكثر من الرجل وصورته أكثر من

بني آدم" [14]. هذا ما سيعلنه باكثر وضوح في الأصحاح التالي: "لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه..." (إش 53: 2-3).

د. خلال هذا المنظر المؤلم كذبيحة مرفوعة على الصليب نضح بدمه على الأمم فقدّسهم له، وسد أفواه ملوك (ربما يعنى قوات الظلمة) إذ

أبصروا خلاصًا لم يكونوا يدركونه من قبل.

<<

الأصاحح الثالث والخمسون

المسيح المصلوب

يعتبر هذا الأصحاح من أروع الأصحاحات المحببة لدى المؤمنين لأنه يكشف عن سر الصليب وقوته، حيث بسط الرب يديه بالحب العملي ليخلص البشرية، كما سبق فقال: "وأخلصكم بزواج ممدودة" (خر 6: 6).

تحدث عن منظر المخلص أنه "كذا مُفسدًا أكثر من الرجل" (إش 52: 14)، لكن خلال هذا المنظر المؤلم نضح بحبه ودمه على أمم كثيرين ففداهم (إش 52: 15). هذا ما يعلنه هذا الأصحاح بكل وضوح. وكما يقول القديس أكليميندس الروماني: [المسيح هو مسيح المتواضعين لا المتعجبين على قطيعه. فإن صولجان عظمة الله، ربنا يسوع المسيح لم يأت في موكب الكرياء والزهو، مع أنه كان قادرًا أن يفعل هذا، لكنه جاء في اتضاع كما أعلن عنه الروح القدس ^[550]].

1. الصليب سرّ فائق [1].
2. الصليب عار وحي [2-3].
3. الصليب فداء وخلص [4-12].

1. الصليب سرّ فائق:

يفتتح النبي حديثه عن الصليب قائلاً: " من صدق خيرنا؟! ولمن استعلنت فراع الرب؟! " [1].

إن كان معاصرو إشعيا النبي لم يستطيعوا قبول النوات الخاصة بظهور كورش لرد الشعب من السبي البابلي فكيف يقدرون أن يصدقوا أمر الصليب؟! حقًا إنه سرّ عجيب يقف أمامه السامثيون والأرضيون في دهشة إذ يرون فراع الرب قد استعلنت خلال التجسد لكي يبسط الرب يديه على الصليب ليحتضن الأمم، واهبًا إياهم قوة قيامته وبهجتها خلال شوكتهم الآلهة وصلبه.

❖ أن الله، ابن الله، فراع الرب يحتمل آلامًا كهذه!

[\[551\]](#) القديس كيرلس الأورشليمي

يبقى موضوع استعلان فراع الرب أو تجسد كلمة الله موضوع دهش الخليقة السماوية والأرضية، كيف يصير الكلمة جسدًا؟!

❖ بأي كلمات نبلك الله، وأي شكر يمكننا أن نقدمه له!...

لقد أحبنا، حتى أنه وهو الكائن الأولي، الأقدم من كل المسكونة ذاتها صار في السن أصغر من كثير من خدامه في العالم!

كطفل كان يصيح في طفولة غير متكلمة وهو "الكلمة" الذي بونه تعجز كل فصاحة البشر عن الكلام!

أنظر يا إنسان ماذا صار الله من أجلك!...

مع كونك إنساناً أردت أن تكون إليها فضلت! وهو مع كونه الله أراد أن يكون إنساناً لكي يرد ذلك الذي ضل!
الكوياء الإنسانية هبطت بك أسفل، لكي ما بالاتضاع الإلهي وحده ترتفع إلى فوق!

[552]

القديس أغسطينوس

❖ لم يستطع أحد أن يتكلم عن زليتك، فلأتكلم عن مجيئك يا معلمي بالدهش...
الحب جذبك لتأتي إلى بلدنا من أجلنا... صوت معنا ومنا وأنت ربنا!
هوذا عمانوئيل معنا بجورنا، ومن أجل هذا تكلمت الألسن غير المستأهلة لك...

[553]

القديس يعقوب السروجي

بقوله " ولمن استعلنت فراع الرب؟! " [1] يعني ظهور السيد المسيح ليس فقط خلال التريخ، الأمر الذي يُذهل الخليقة كلها، وإنما ظهوره في حياتنا الشخصية أو تجليه المستمر في القلب كمصدر شبع داخلي.

[554]

❖ فراع الرب هو المسيح، فلا تتسه! لا تجعل (الأعداء الروحيين) يفوحون قائلين: إنما يوجد المسيحيون إلى حين!.

❖ "ولمن استعلنت فراع الرب؟!"

باعطائك مسيحه يهبك فراعه، وباعطائك فراعه يهبك مسيحه.

[555]

إنه يقود (الإنسان) إلى الطريق بقيادته إلى مسيحه. ويقوده إلى مسيحه بقيادته إلى الطريق، والمسيح هو الحق .

❖ "تفتح يدك فتشبع خوا" (مز 104 : 28).

ماذا يعني فتح يدك يرب؟ المسيح هو يدك. "لمن استعلنت فراع الرب؟!" إنها تفتح عندما تُستعلن، فإن الإعلان هو انفتاح. "تفتح يدك فتشبع

[556]

خوا"؛ عندما تعلن عن مسيحك تشبع خوا .

القديس أغسطينوس

مسيحنا - فراع الآب - قد استعلن لنا لكي نتمتع به كسرّ حياتنا، قائلين: "فإن الحياة قد أظهرت، وقد رأينا ونشهد ونخوكم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا" (1 يو 1 : 2).

2 . الصليب عار وقرى:

جاء الرب المخلص كغصن ينبت قدام إسرائيل وكجذر من أرض يابسة لذلك استخف به الشعب، وخاصته لم تقبله.

" نبت قدامه كفوخ" [2] ، إذ جاء من نسل داود كنبته صغوة، كغصن وهو خالق الكومة وموجدها. جاء مختفياً، في اتضاع، لذارمُ إليه بالعليقة الملتهبة نلاً التي تبدو نباتاً ضعيفاً لا قوة له، لكنه بلاهوته نار متقدة!

جاء "قدام" إسرائيل بكونه الراعي الذي يتقدم قطيعه!

" وكعرق من أرض يابسة" [2] ؛ جاء ظهوره بطريقة غير متوقعة، فقد ظن اليهود أن يروا المسيا ملكاً عظيماً ذا سلطان، قاوراً أن يُحطم

الإمراطورية الرومانية ويقم دولة تسود العالم؛ أما هو فجاء كجذرٍ مختفٍ في أرض جافة لا يتوقع أحد أنه ينبت ويأتي بثمر. جاء من أرض يابسة إذ ولد من القديسة مريم المخطوبة ليوسف النجار، وكان كلاهما فقيرين؛ "افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفوقه" (2 كو 8 : 9).

جاء السيد المسيح كعرقٍ من أرض يابسة، إذ كان اليهود في ذلك الحين في حالة جفاف شديد، جاء وسط اليبوسة ليقم من البرية فردوساً. قالت

عنه العروس: "كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبي بين البنين" (نش 2 : 3).

" لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه، محتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا، محتقر فلم نعتد به" [2-3].

هنا ينتقل النبي من منظر التجسد إلى منظر الصليب؛ في التجسد آه نبتة صغوة من نسل داود، وجوزاً من أرض يابسة، جاء كابن للبشر حين كانت البشوية كلها بما فيها شعب الله في ييوسة تامة، وجاء من عائلة فقوة حتى قال نثنائيل: أمن الناصورة يخرج شيء صالح؟! الآن يتطلع النبي إلى منظر الصليب، فواه بلا صورة، بلا جمال، بلا منظر، محتقر لا يجسر أحد أن يقرب إليه، رجل أخوان، نخفي وجوهنا ونسوّها عن رؤيته بسبب الحزن الشديد.

❖ ليس له شكل ولا جمال في أعين اليهود، أما بالنسبة لداود فهو أروع جمالاً من بني البشر (مز 45: 2). على الجبل (أثناء التجلي) كان بهيماً ومضيئاً أكثر من الشمس (مت 17: 2)، مشواً إلينا نحو سوه المستقبل.

[\[5571\]](#)
القديس غريغوريوس النزيوي

❖ ذاك الذي هو أروع جمالاً من بني البشر آه البشر على الصليب بلا شكل ولا جمال؛ كان وجهه منكساً، ووضع غير لائق. مع هذا فإن عدم الجمال هذا الذي لمخلصك أفاض ثمناً لجمالك الذي في الداخل، فإن مجد ابنه الملك من داخل (مز 45: 2).

[\[5581\]](#)
القديس أغسطينوس

3. الصليب فداء وخلص:

بعد أن تحدث عن الصليب من الخرج دخل بنا إلى الأعماق لنكتشف سوه وقوته كذبيحة أثم وكفرة عن خطايانا، إذ يقول:

" لكن أخواننا حملها وأوجاعنا تحملها، ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً" [4]. ما حمله ليس أخوانه ولا أوجاعه إنما هي أخواننا وهمونا وجراحاتنا...

ما يحمله إنما هو ثقل خطايانا التي انحنى برادته ليحملها بحبه في جسده عنا.

❖ لقد حمل خطايانا واحتمل أوضاعنا ومع هذا لم يُعانٍ من شيء يحتاج إلى علاج، فقد جُرب في كل شيء مثلنا ولم يكن فيه خطية. من يضطهد النور الذي يضيء في الظلمة لا يقدر أن يغلبه [\[5591\]](#).

❖ [\[5601\]](#) لقد سُحق ووجع لكنه شفى كل مرض وكل ضعف.

القديس غريغوريوس الترنوي

❖ لا نخجل من المصلوب بل بالحى تقتر به قائلاً: خطايانا حملها، أخواننا تحملها وجراحاته شُفينا.

[\[5611\]](#)
القديس كيرلس الأورشليمي

حمل السيد المسيح أخواننا كما شاهدناه في بستان جشيمانى وهو يشرب كأسنا حتى النهاية، في كل مورتها، إذ صلى لأبيه قائلاً: "يا أبتاه إن لم يكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشوبها فلتكن مشيئتك" (مت 26: 42). لقد أخذ بطرس وابني زبدي لبروه قد أبتدأ يحزن ويكتتب، قائلاً لهم: "نفسى حزينه جداً حتى الموت" (مت 26: 38).

"الذي لم يعوف خطية صار خطية لأجلنا" (2 كو 5: 21)، إذ قدم نفسه ذبيحة إثم يحمل خطايانا وآثامنا ويكفر عنها. " وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه [ولا احتماله التأديب عنا لما تمتعنا بالسلام] وبحوره شُفينا. كلنا كغنم ضلنا، ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا" [5-6].

❖ سلم الرب جسده للموت لكي نتقدس خلال مغفرة الخطايا التي نتحقق برش دمه...

يؤمننا أن نشكر الرب من الأعماق لأنه أخبرنا عن الأمور الماضية، وأعطانا حكمة بخصوص الأمور الحاضرة، ولم يتوكلنا بغير فهم بخصوص الأمور المستقبلية.

[1562](#)
الرسالة إلى برناباس

❖ إننا نتلقى بدمه الثمين الذي يُطهرنا من كل خطية، دمه الذي لا يصوخ للنقمة مثل دم هابيل (عب 12: 24).

[1563](#)
البابا أثناسيوس الرسولي

❖ ليتنا نُذكر أنفسنا نفع الإيمان الحقيقي. فإنه من المفيد لي أن أعرف أن المسيح حمل ضعفاتي لأجلي، وخضع لآلام جسدي؛ حتى انه من أجلي - أي لأجل كل واحد - صار خطية ولعنة (2 كو 5: 21؛ غل 3: 13).

من أجلي اتضع وخضع!...

صار لعنة - لا من جهة لاهوته بل من جهة ناسوته - إذ هو مكتوب "ملعون كل من عُلق على خشبة" (غلا 3: 13).

بالجسد علق، ولهذا صار لعنة، ذلك الذي حمل لعنتنا!

بكي حتى لا تبكي أيها الإنسان كثراً!

يا له من علاج مجيد! أن تكون لنا تغوية المسيح.

لقد احتمل هذه الأمور بصبر عجيب من أجلنا... ونحن حقاً لا نقدر أن نحتمل الصبر العادي من أجل اسمه.

هوذا دموعه تغسلنا وبكؤه يُنظفنا!

[1564](#)
القديس أمبروسوس

❖ بالموت أقام الموتى من الموت، إذ حمل اللعنة مخلصاً إيانا منها.

[1565](#)
القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بموت البار الذي تم بمحض اختيله، زع موت الخطاة الذي حدث بالضرورة كحكم نستحقه.

[1566](#)
القديس أغسطينوس

"ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تُساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه" [7].

يتحدث النبي هنا في صيغة الماضي وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [هذه هي عادة الأنبياء في القديم أن يتحدثوا عن المستقبل كما عن

الماضي [1567](#)].

❖ بالتأكيد نتحدث النوة بأكثر وضوح عن الرب يسوع عندما قيل "مثل حمل سيق إلى الذبح" [7] (بكونه فصحنًا).

لقد مُسحت جبهتك بعلامة (دمه) وأيضاً القائمتان، إذ حمل كل المسيحيين ذات العلامة.

[1568](#)
القديس أغسطينوس

❖ عندما دخل (بيلاطس ورجال الدين) في حوار الواحد مع الآخرين كان في سلامة، محققاً قول النبي: "لم يفتح فاه، وفي اتضاعه انزع حكمه" [7-8]

(الترجمة السبعينية).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لاق به أن يكون صامتًا أثناء آلامه، ولكنه لا يكون صامتًا في الدينونة.

❖ جاء لكي يُحاكم، ذلك الذي يأتي بعد ذلك ديانًا، لهذا سيأتي بسلطان ليدين، ذلك الذي في اتضاع عظيم حُكم عليه [\[569\]](#).

❖ [\[570\]](#) لقد احتمل الشر بصبر، إذ كان يجلب البر فيما بعد.

❖ إذ أقتيد كذبيحة "أمام جزيه لم يفتح فاه"، وعندما صُلب ودفن كان دائمًا إله الآلهة الخفي [\[571\]](#).

القديس أغسطينوس

❖ ما جُدد صمت! ولما صُلب صلي لأجل صالحيه! بماذا أكافئ الرب عن كل ما أعطانيه؟! كأس الخلاص آخذ وادعو اسم الرب.

[\[572\]](#) القديس أيرونيوس

❖ رى القديس أغسطينوس أن السيد المسيح صمت أثناء محاكمته والاستواء به لأنه أخفى لاهوته حتى يتموا ما رأوه، أما في مجيئه الأخير ليُدين "فيعطي صوته صوت قوة" (مز 68: 33) "لا يصمت" (مز 50: 3)، إذ يعلن لاهوته.

"وفي جيله من كان يظن أنه قُطع من رُض الأحياء، أنه ضُرب من أجل ذنب شعبي" [\[8\]](#).

❖ "في جيله من يقصه" [\[8\]](#) . لقد وُلد لُليًا... وُلد من الآب بلا زمن، ووُلد من البتول في ملء الأمانة.

[\[573\]](#) القديس أغسطينوس

" وجُعِل مع الأشرار قوه ومع غنى عند موته، على أنه لم يعمل ظلمًا ولم يكن في فمه غش" [\[9\]](#).

❖ صلوه مع لصوص، محققين النوة لا رادياً. ما فعلوه لإهانتته حسب للحق لكي تترك قوة النوة العظيمة...

❖ حاول الشيطان أن يلقي بحجاب على ما حدث لكنه عجز، لأنه الثلاثة صلوا أما يسوع فوحده تمجد حتى نُترك سلطانه على الكل. لقد حدثت معجزات عندما سُمِر الثلاثة على الصلبان، لكن أحدًا ما لم ينسب ما حدث للآخرين بل ليسوع وحده. هكذا أُحبطت خطة الشيطان تمامًا وارتد الكل على رأسه فقد خلص واحد من اللصين، هذا الذي لم يسيء إلى مجد الصليب بل ساهم فيه ليس بقليل. فإن تغيير لص وهو على الصليب وجذبه إلى الفوس ليس بأقل من زلولة الصخور.

[\[574\]](#) القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ رى القديس أغسطينوس أن النوة "وجُعِل مع الأشرار قوه" قد تحققت بإقامة حراس أشوار عند قبر السيد المسيح قبلوا رشوة ليكذبوا قائلين "إن تلاميذه أوثا وسوقوه ونحن نيام" (مت 28: 13). لقد نطقوا كذبًا فشهتوا عن قيامته، إذ ما داموا نيامًا فكيف عرفوا أن تلاميذه سرقوه؟! [\[575\]](#). لقد شهتوا أن جسده ليس في القبر أما اتهامهم سرقه الجسد فهو أمر لا يقبله العقل.

" من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصى مع أئمه وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين" [\[12\]](#).

❖ إن كان من أجلك ومن أجل خطاياك أحصى مع أئمة فلتكن حافظًا للناموس لأجله. اعبد ذلك الذي عُلق من أجلك حتى وإن كنت أنت معلقًا... أشتري خلاصك بموتك وأدخل مع يسوع إلى الفوس لتعوف من أين سقطت (رؤ 2: 5).

[\[576\]](#) القديس غريغوريوس النزيوي

❖ إنه يشفع فينا كل يوم غاسلاً أقدامنا، ونحن أيضًا نحتاج إلى غسل أقدامنا يوميًا بسلوكنا بالحق بخطوات روحية، فنعرف الصلاة الربانية، قائلين: "واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا" (مت 6: 12).

[\[577\]](#) القديس أغسطينوس

دعوة الكنيسة للتونم

بعدما تحدث عن آلام المسيح المخلصة يدعو الكنيسة لحياة التسييح والفرح، فقد وجدت عريستها السموي الذي يهبها خصوبة روحية وثوراً

متكاوفاً عوض العقر وعدم الإثمار. رفعها من المذلة إلى مجد ولاد الله، ومن الفساد إلى وه السملوي. واهباً إياها نصوة على كل قوات العدو.

1. تسييح من أجل الإثمار [3-1].

2. تسييح من أجل عريس السموي [10-4].

3. تسييح من أجل تجديدها [13-11].

4. تسييح من أجل نصرتها [17-14].

1. تسييح من أجل الإثمار:

" تونمي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالتونم أيتها التي لم تتمخض، لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الرب " [1].

وي العلامة أوريجانوس أن البعل أو الزوج هنا هو الناموس ^[5781] الذي لربط به الشعب القديم كزوج، وكان يليق به أن ي قدم ثوراً متكاوفاً،

بينما حُرمت الأمم منه لكنها إذ اتحدت بالسيد المسيح خلال الإيمان به أنجبت ولاداً مقدسين للرب.

يقولن القديس أغسطينوس ^[5791] بين كنيسة العهد القديم وكنيسة العهد الجديد، الأولى تزوجت بالناموس فصلرت مع ولادها في عبودية لأنها

كانت تطلب البركات الزمنية، أما الثانية فهي تتعبد لله من أجله هو ليكون هو الكل في الكل، خدمتها حرة تخص ولاد المرأة الحرة لا الجارية، هذه كانت قبلاً عاقراً ولم يكن لها ولاد أما الآن فصار لها ولاد كثيرون أكثر مما كان للأولى... هذا يهبها فرحاً وتونماً.

ما نقوله عن كنيسة العهد الجديد ككل نقوله عن كل نفس ترتبط بها، فانه مهما كانت حياتنا الماضية عقيمة وجافة فإن مراحم الرب المتسعة

قادرة أن تهبننا ثمرًا روحية

للنفس (بنين) وللجسد (بنات)، بقبولنا الصليب وتمتعنا بالقيامة معه.

❖ جاء الناموس يعمل ليجعل الناس أولراً لكنه لم يستطع، فجاء (المسيح) وفتح طريق البر بالإيمان، وبهذا حقق ما اشتهاه الناموس. ما لم يستطع

الناموس أن يحققه بالحرف حققه هو بالإيمان.

^[5801] القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ^[5811] تمتد الكنيسة يميناً ويسلراً فلا تعود تذكر عار قومها.

❖ لقد دُعيت أورشليم، لكن أورشليم الأولى رفضت أن تسمع، فقيل لها: "هوذا بيتكم يترك لكم خراباً..." (مت 23: 38). أما تلك التي كُتبت عنها:

"تونمي أيتها العاقر التي لم تلد... فلم تحتقر الذي دعاها. إنه يرسل لها مطراً ويهبها ثوراً..."

دعا الكنيسة من كل العالم بعد قيامته، فلا تعود ضعيفة على الصليب بل قوية في السماء ^[5821].

❖ تتحقق تلك النبوة التي يتحدث فيها إشعياء على لسانك إلى كنيستك، مدينتك المقدسة، العاقر التي لها ولاد وهي مستوحشة أكثر من تلك التي لها زوج.

فقد قيل لها بالحق: "افحي أيتها العاقر التي لم تلد..." أكثر من الأمة اليهودية التي لها زوج بتسلمها الناموس، وأكثر من تلك التي لها ملك منظور. [15831](#)
فإن ملكاً أنت مخفي، ولكِ أولاد كثيرون من العريس الخفي.

القديس أغسطينوس

ما هي نتيجة هذا الإثمار؟

أ. " اوسعي مكان خيمتك، ولتبسط شقق مساكنك؛ لا تمسكي. أطيلي أطنابك وشدي أوتادك، لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار وورث نسلك أمماً ويُعمرُ مدناً خربة" [2-3].

تطلع النبي إلى كنيسة العهد الجديد كخيمة اجتماع مع الرب وقد جاء إليها أعداد بلا حصر من اليمين (اليهود) ومن اليسار (الأمم) في فيض لا ينقطع حتى ضاق الموضع جداً فطلب توسيع مكان الخيمة وبسط الشقق المصنوعة منها وإطالة اطنابها... فإنها تمتد لتصير الأرض للرب ولمسيحه؛ إنها تحول أمماً وثنية إلى مقدس للرب، وتعمر مدناً خربة إلى مساكن مقدسة لشعب الله.

هذه هي صورة النفس التي تلتقي بالصليب، تصير بالحق خيمة الرب التي يتسع قلبها يوماً فيوماً ليحمل صورة المخلص محب البشر. يفتح أعماقه للصالحين (الذين من اليمين) والطحالين (الذين من اليسار) لكي يضم بالحب كل نفس إلى حياة الشركة مع الله في ابنه بالروح القدس. كأن عمل الصليب المثمر هو سكب روح الحب فينا لنشرك المصلوب حبه؛ نبسط أروع قلوبنا لنحتضن الكل، ليتحقق فينا قوله الإلهي: "ليعلم الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعضاً لبعض" (يو 13: 35).

إن كان الصليب قد فتح أبواب الرجاء أمام كل الأمم بالحب الإلهي فإن شهادتنا للمصلوب لن تتحقق مادامت خيمة قلوبنا ضيقة وأوابها مغلقة وأطنابها قصوة وأوتادها مؤاخية... لنهَب قلوبنا للمصلوب فيقيمها مملكة حبه المتسع لكل البشرية الدائمة النمو!

❖ كثراً ما ندين الآخرين كمدن خربة مع أنه كان يليق بنا أن ندين أنفسنا لأننا لم نحمل حب المصلوب فينا الذي يعمر المدن الخربة! لا يليق بالإنسان أن يهتم بنفسه فقط بل يؤمه أن يهتم بالآخرين أيضاً... فإنه أي فائدة لمصباح لا يضيء للجالسين في الظلمة؟! وأي نفع للمسيحي الذي لا يفيد غيره، ولا يود أحداً إلى الفضيلة؟!

[15841](#)
القديس يوحنا الذهبي الفم

2 . تسبيح من أجل العريس السموي:

إن كان الصليب علماً، يتعثر فيه اليهود ويحسبه الأمم جهالة (1 كو 1: 23)، لكننا نحمل ثوه فنركه "قوة الله وحكمته" ولا نستحي منه (غل 6: 14). لهذا يقول النبي: " لا تخافي لأنك لا تخزين، ولا تخجلي لأنك لا تستحين، فانك تسيين حوى صباك وعار تملك لا تذكرينه بعد" [4]. عند الصليب تلتقي النفس بعريسها واهب الحياة غالب الموت فتنتسى توملها القديم وحوى صباها إذ عاشت زماناً طويلاً كوحيدة متروكة ليس من يملأ وَاغ قلبها. تطلعها للعريس المصلوب يشبع كل أعماقها الداخلية فلا تبالي بسخرية بنات أورشليم الراضات الخلاص، بل في قوة الحب تقول: "أحلفكن يا بنات أورشليم بالطباء وبأبائال الحق ألا يُثَقِّظن ولا تُتَّبِهِن الحبيب حتى يشاء" (نش 3: 5).

يقول لنا القديس يوحنا الذهبي الفم حورًا بين العريس السموي والنفس البشرية، جاء فيه:

[عظيم هو مهري!... جاء وأخذني، وعين لي مهر، قائلاً: اعطيك غناي!

هل فقدت الفوس؟ رده لك...

ومع ذلك لم يعطني المهر كله هنا؛ لماذا؟

لكي اهبه لك عندما تدخلين الموضع الملوكي.

هل أنتِ جئتِ إليّ؟ لا، بل أنا الذي جئتُ إليك... لا لكي تمكثي في موضعك، وإنما لكي آخذك معي وارجع بك. فلا تطلبي مني المهر وأنتِ هنا في هذه الحياة، بل كوني مملوءة رجاءً وإيماناً [585].

هذا هو سر فوحنا، وهذا هو موضع تسييحنا الذي لا ينقطع. لقد حوّل الصليب توملنا إلى عرس فريد فيه نتحد مع الرب نفسه، "لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه، ووليك قنوس إسرائيل إله كل الأرض يُدعى، لأنك كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب وكزوجة الصبا إذا رُدُّك قال إلهك" [5-6].

كنا في عار كإمرأة قد هجرها رجلها فانكسرت نفسها بالخزي والعار، رذلها بسبب زناها ورجاساتها، وها هي تصير عروساً لرب الجنود لقنوس إسرائيل إله كل الأرض يسوع المسيح. إذ تلتقي بعيسها وتتعلم بأمجاده تنسى فزة توملها بكل هولتها فتحسب الماضي كله بالنسبة لها أقل من لحظة أو طرفة عين. نعمة رب المجد وإحساناته التي تجعلنا معه وتوحدنا مع أبيه تجعلنا نترك بؤح كلماته لنا: "لحيظة تركتك وبواحم عظيمة سأجمعك، بفيضان الغضب حجبْتُ وجهي عنك لحظة وبإحسانٍ أبديٍّ رَحْمُكَ قال وليُّك الرب" [7-8].

أمام مواحم الله الأبدية نحسب كل أيام ضيقنا أشبه بلحيظة عبرت لندخل الأمجاد السماوية. أما قول هـ "سأجمعك" فهي تعني جمع الكنيسة المقدسة معاً من كل الأمم والشعوب والألسنة كجسد واحد للرأس، أو كعروس واحدة لعيسها السموي. أيضاً فيها يجتمع المؤمنون معاً، كل رجال العهد القديم مع رجال العهد الجديد، وفيها يجتمع السمائيون مع الأرضيين، ويجتمع الكهنة مع الشعب الخ... هذا كله لن يتحقق ما لم يجتمع الإنسان مع نفسه ككل حيث تخضع النفس مع الجسد بكل حواسه ومشاعره والعقل مع القلب والمواهب الخ... فيصير بكليته مقدساً للرب. هذا الحب الزوجي بين المسيح والنفس البشرية أبدي لا يزول؛ فكما قدم الله وعداً لنوح ألا يغرق العالم بالطوفان خلال غضبه على البشرية [9] هكذا يهبنا الرب وعداً ألا يفلقنا قط أو يزعرحمته عنا، إذ يقول: "فإن الجبال تزول والآكام تززع أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يزوع قال راحمك الرب" [10].

في اختصار اخترنا عروساً له نزلنا عار توملنا، مؤكداً حبه لنا ورحمته علينا، مقدماً لنا وعداً أكيدة متجددة أبدية. أقامنا من بيت الزنا وغسلنا وقدسنا عروساً له يدخل بنا إلى سمواته كملكة تجلس عن يمينه. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [الله رغب في الزانية، فماذا يفعل؟ إنه لا يقودها إلى العلا وهي زانية، فهو لا يريد أن يدخل بها إلى السماء وهي على هذا الحال، إنما قول إليها. قول إلى الأرض مادامت تعجز هي عن الصعود إلى فوق. جاء إلى الزانية ولم يخجل من أن يمسك بها وهي في سكرها... [586].

3. تسبيح من أجل تجديدها:

سرّ تسبيحنا إننا كنا كعاقر وهبنا الله كؤة من البنين، وكمتوحشة متروكة وجدت الرب نفسه عريساً لها، وأيضاً كمدينة خربة قام الرب بتجديدها وإعادة بنائها.

"أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية هأنذا أبني بالآتمد حجرتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك، واجعل شُرفك ياقوتاً وأبوابك حجرة بهرمانية وكل تخومك حجرة كريمة" [11-12].

يا لها من صورة رائعة تكشف عما وصلت إليه البشرية من انحطاط وما حل بها من مجد فائق لا يُنطق به، كانت كمدينة خربة مهدمة، حُسبت في ذل وحل بها الاضطراب بواسطة العدو الذي سبى شعبها وافقدهم كل رجاء فصلوا بلا تغوية، الآن يقوم الرب ببنائها هكذا: أ. يبني بالآتمد حجرتها، علامة القوة والمتانة. هذه الحجرة هي النفوس التي قبلت الإيمان بالمخلص فصلرت حجرة حية في هيكل الرب، لا

يقدر عدو الخير أن يَُحطمها

أو ينزوعها!

ب. الأساس من الياقوت الأزرق. الأساس هو ربنا يسوع السملوي (الأزرق)، حجر الزاوية الذي يضم الكل معاً فيه.

ج. الشوف من الياقوت الشفاف إشارة إلى مجد المؤمن الداخلي القائم على بر المسيح والحياة المقدسة فيه، ينعكس على الشرفات الخرجية.

د. الأبواب التي من الحجارة البهرمانية، تُشير إلى تقديس الحواس واهتمامنا بها دون تحطيمها أو الاستخفاف بها.

هـ. كل التخوم حجرة كريمة تُشير إلى التقديس الكامل للنفس مع الجسد.

و. كل سكانها يُحسبون تلاميذ الرب وبنيتها مملوئين سلاماً [13]، إذ يتلمذ أعضاء الكنيسة المخلصين على يدي الرب نفسه خلالها، يختفي

أمامهم كل كاهن أو معلم ليرى الرب نفسه عاملاً في الجميع. وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : [انظر كرامة الإيمان، إنه ليس من بشر ولا من

إنسان إنما بواسطة الله يتعلمون هذا!... لا تعني البتة هنا "كل" (كل بنيك تلاميذ الرب) بطريقة مطلقة، إنما تعني كل من لهم الإرادة. فإن المعلم يجلس

مستعداً أن يمنح ما لديه للجميع ويسكب تعليمه لكل [587]. ويقول **القديس أغسطينوس** عن نعمة التعلم بواسطة الله: [تُدعى هذه النعمة "تعلماً" فإن الله

يعلم من يدعوهم حسب غرضه واهباً إياهم أن يعرفوا ما يجب أن يفعلوه، وفي نفس الوقت أن يعملوا ما يعرفوه [588]. وكان التعلم بواسطة الله كعطية

إلهية يحمل شقين متكاملين: المعرفة الروحية الحقة، التمتع بالعمل والممارسة لهذه المعرفة في حياتنا اليومية. يهبنا أن نعرف الحق ونحياه فيه!

خلال هذه التلمذة يتمتع بنو الكنيسة بسلام فائق: "وسلام بنيك كثيراً" [13].

بجلوسنا عند قدمي المخلص نسمع صوته ونتمتع بإمكانياته لنمرس الحق فيه يهبنا سلام الروح الداخلي كعطية خاصة لبنية.

وصف **البابا أثناسيوس الرسولي** القديس أنبا انطونيوس بعدما قضى فترة في نسكه الشديد، قائلاً: [جسده لم يتغير... أيضاً تزاج نفسه بلا

عيب، إذ لم تضيق نفسه كما من الحزن، ولا انغمست في لذة، ولا تأثرت بضحك أو بأس [589].

❖ السلام هو الموات الذي وعد به السيد تلاميذه قبل صلبه... قائلاً: "سلاماً أتوك لكم، سلامي أنا أعطيكم". فمن أراد أن يكون ورثاً للسيد المسيح

فليملك على سلام المسيح ويسكن فيه.

[590] **القديس أغسطينوس**

ز. سر سلام الكنيسة الكثير وبنيانها وقوتها هو برّ المسيح، إذ يقول: "بالبر تثبتين، بعيدة عن الظلم فلا تخافين، وعن الارتعاب فلا يدنو منك"

[14]. يقول الرسول: "الذي أُسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا" (رو 4: 25).

4. تسبيح من أجل نصرتها:

ما يوح قلب الكنيسة التي بناها الرب بنفسه واختزلها عروساً له ومملكة سملوية، متلمذاً ولأدها على يديه، واهباً إياهم سلامه الفائق، مقدماً لهم

برّ ه عاملاً فيهم ليعيشوا بالبر ورفضوا كل شر وظلم، إنها في ذات الوقت تُقاوم من قرات الظلمة مجتمعة فيهبها الرب نصرة عليهم وغلبة حتى على الموت.

أ. اتحاد قرات الظلمة ضدها: "ها انهم يجتمعون اجتماعاً ليس من عندي" [15] ... يتشاورون ويعملون معاً ضد كنيسة المسيح كما اجتمعت

قوى الشر قبلاً تطلب صلب عريسها فتحول ظلمهم إلى خلاص للعالم، وأخرج الله من الأكل أكلاً ومن الجافي حلو.

ب. اتحادهم معاً يسقطهم تحت قدمي الكنيسة: "من اجتمع عليك فإليك يسقط" [15].

ج. اجتماعهم هو بسماح إلهي: "وأنا خلقت المهلك ليخرب" [16] ؛ لهذا لا نخشاه ولا نضطرب من شدة عنفه، فإنه في يد الخالق ممسوك به.

د. تنتهي حتمً كل مقاومة وتكلم الكنيسة لتتال مواتاً وأبدياً: "كل آلة صورت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحميين عليه.

الأصاحح الخامس والخمسون

دعوة عامة للخلاص

كشفت الرب عن عمله في الكنيسة التي أقامها من حالة الترميل إلى العوس الأبدي، ومن الخراب إلى مدينة الله الثمينة فائقة الجمال، والآن يفتح الرب أبوابها للجميع كي يأتوا إلى ينوع المياه الحية ويشربوا ويرتووا ويجنوا طعامًا لائقًا يُناسب احتياجات الكل، ويدخلوا في عهد جديد أبدي. أمام هذه الدعوة يليق ب العطاش أن يُعلنوا عن تجاربهم عمليًا بطلب الرب ورفض الشر مع التسليم الكامل بين يدي المخلص بوح وتهليل قلب.

1. دعوة للخلاص [5-1].

2. تجاوب الإنسان [13-6].

1. دعوة للخلاص:

جاءت الدعوة الإلهية للتمتع بخلص الرب المجاني تحمل البنود التالية:

أ. دعوة عامة للعطاش: "أيها العطاش جميعًا هلموا إلى المياه، والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرًا ولبنًا" [1]. إنها دعوة عامة للجميع، أبواب الكنيسة مفتوحة أمام الكل، ينصت إليها من يشعر بالاحتياج أي "العطاش". وكما قال الرب "طوبى للجياح والعطاش إلى البر فانهم يشبعون" (مت 5: 6). كما سبق فكرنا أن المياه في الكتاب المقدس تُشير أحيانًا إلى الروح القدس الذي يعمل في مياه المعمودية؛ وكأن الدعوة هنا موجهة إلى الجميع للتمتع بالعماد مجانًا.

يتحدث القديس غريغوريوس النزيوي عن عطية العماد قائلاً: [لا تتردد مهما كانت الرحلة طويلة، إن كانت بالبحر أو بالبر مادامت العطية مقدمة لك، مهما كانت العوائق كثرة أو قليلة فإن إشعياء يدعوك: "أيها العطاش جميعًا هلموا...". يا لسوعة مراحم الله، يا لسهولة العهد! إنك تتنازل هذه الوكة بمجرد أن تُريدها. انه يقبل رغبتك ذاتها كثمن عظيم. انه يتعطش إلى عطشك، ويروي كل الواغبين في السر. يقدم لطفًا لكل السائلين لطفًا. إنه مستعد للعطاء بسخاء، بوح بالعطاء أكثر من وحي نائليه [591].

ب. عطاء مشبع للكل، هذه العطية المجانية التي لا تُشترى بفضة ولا بثمن تقدم لكل إنسان احتياجاته؛ فيجد الكبار خمرًا يفوحهم والصغار لبنًا يسندهم.

الخمر الروحي الذي يتمتع به الكبار يُشير إلى حالة الفرح التي يتمتع بها البالغون في القامة الروحية، فتتلاذذ نفوسهم بدسم الرب [2]. وكما يقول الشيخ الروحاني: [طوبى للحامل في قلبه ذكرك في كل وقت، لأن نفسه تسكر دائمًا بحلاوتك].

اللبن الروحي المقدم للصغار يُشير إلى توفيق الله بالمبتدئين، فيُقدم لهم ما يناسب معدتهم الروحية حتى ينموا وينضجوا؛ يعرف كيف يُقدم لكل واحد ما هو لبنياته وسلامه وشبعه ولوائه.

هكذا لا يشعر أحد بالحرمان بل كما قيل: "كلوا الطيب ولتلاذذ بالدسم أنفسكم" [2].

❖ أما تربيون الشيع؟ وكيف يكون ذلك؟

يشتاق الجسد إلى الشبع، لكن يعود إليه الجوع مرة أخرى بعد الهضم، لذلك يقول السيد المسيح: "كل من يشوب من هذا الماء يعطش أيضاً" (لو

4: 13)...

إذن ليتنا نجوع ونعطش إلى البر، لكي ما نشبع منه...

ليت إنساننا الداخلي يجوع ويعطش حتى يكون له الطعام والشرب المناسبين له.

لقد قال (الرب): "أنا هو الخبز الذي تزل من السماء" (يو 6: 41). هذا هو خبز الجوع.

ليتنا نشتاق أيضاً إلى الشرب كالظمأى، "لأن عندك ينوع الحياة" (مز 36: 9) ^[592].

❖ طوبى لمن نسى حديث العالم بحديثه معك، لأن منك تكتمل كل احتياجاته.

أنت هو أكله وشوبه!...

أنت أعطيت روح ابنك في قلبه، والروح أعطاه دالة أن يطلب منك كل ما لك، مثلما يطلب الابن من أبيه! معك حديثه في كل حين، لأنه لا يعلم

له أباً غيرك! ^[593].

الشيخ الروحاني

❖ آه! إنني لن أشبع إلا عندما يتجلى مجدك قدامي!...

من يمتلكك تشبع كل رغباته!

لكن يا لبشاعة بؤسي! ويحي يا إلهي، فإن قلبي يميل إلى الهروب منك؛ الهروب منك أنت أيها الغني الحقيقي والفوح الحقيقي، لكي يتبع العالم

الذي ليس فيه إلا الحزن والألم.

^[594]
القديس أغسطينوس

❖ ليكونوا بالأكثر محتاجين كي يستحقوا أن يشبعوا، لئلا بينما هم يظهرون التخمّة المتعرفة يُحرمون من الخبز الذي يهب حياة صحية.

"اطلوا الرب" أيها المحتاجون والجوع والعطاش، فانه هو الخبز الحيّ النزل من السماء (يو 6: 33، 51).

"اطلوا الرب فتحيون". أنتم تطلبون الخبز لكي يعيش جسدكم، والرب يطلبكم لكي تحيا نفوسكم.

^[595]
القديس أغسطينوس

❖ ["مسود العينين من الخمر ومبيض الأسنان من اللبن" (تك 49: 12)].

عيناه حوروان بالخمير، هاتان هما شعبه الروحي الذي يسكر بكأسه؛ وأسنانه بيضاء أكثر من البن الذي هو الكلمات التي يوضعها الأطفال الذين

لم يتأهلوا للطعام القوي كقول الرسول (1 كو 3: 2؛ 1 بط 2: 2).

^[596]
القديس أغسطينوس

❖ لتسكر، ولكن كن حوياً من المصدر. إن كانت تشوب بكثرة من كأس الرب الرائعة فسوى سُكرك في أعمالك، ويظهر في حبك القدسي للبر، وأخوياً

في تعوُّب ذهنك عن الأرضيات إلى السمويات.

^[597]
القديس أغسطينوس

لنتقدم إذن إلى مسيحننا ونشتر خمره ولبنه مجاناً حسب وعده ودعوته.

ج. دخ ول في عهد أبدي لإقامة مملكة داود الساقطة حسب الوعد الإلهي الصادق؛ " وأقطع لكم عهداً أبدياً، مراحم داود الصادقة" [3]. خلال

هذا العهد نصير ملوكًا (رؤ 5: 10) منتسبين لملك الملوك الذي قيل عنه " هوذا قد جعلته شلغاً للشعوب، رئيساً وموصياً للشعوب" [4]. هو الملك واضع شريعة العهد الجديد والوصية الجديدة لا لشعب معين بل لكل الشعوب.

د. قبول الأمم الوثنية الراجعة إلى الله بالإيمان: " ها أمة لا تعرفها تدعوها وأمة لم تعرفك تركض إليك من أجل الرب إلهك وقنوس إسرائيل لأنه قد مجدك" [5].

لم يكن هذا الأمر مقولاً لدى الشعب القديم، بل وحتى بعد انفتاح الباب أمام الأمم بقيت الكنيسة في العالم كله إلى قرون في دهشة أمام حب الله للبشرية كلها، يجذبهم من الوثنية ورجاستها ليعنوا مجد الله. في عجب يقول القديس أغسطينوس: [كيف دخلت الأمم إلى الإيمان هكذا سويغاً؟!... نسألهم: ماذا تريدون؟ يجيبون: "معونة مجد الله" ^[598]].

2. تجاوب الإنسان:

أمام هذه الدعوة العامة المجانية المقدسة للعطاش يليق بالإنسان أن يعلن تجاوبه معها وقبوله لها عملياً بالوسائل التالية:

أ. الصلاة أو طلب الله للالتقاء معه: " أطلبوا الرب مادام يوجد ادعوه وهو قريب" [6].

إن كان الله قد أحبنا أولاً، قل إلينا ليعلم أنه ليس ببعيد عنا إنما على أبواب قلوبنا يوعها لنفتح له ويدخل فيها (رؤ 3: 20)، فإنه يليق بنا أن نطلبه سائلين إياه أن يتسلم مفاتيح قلوبنا لكي يفتح فيدخل ويغلق فلا يشركه أحد في قلوبنا، بكونه "يفتح ولا أحد يغلق، ويغلق ولا أحد يفتح". إعلان قبولنا لحب الله خلال الصلاة هو تجاوب الحب بالحب، وإعلان النفس عن رغبتها في عيسها الفريد الذي يطلب يدها أبدياً. ب. التوبة: " لئترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتب إلى الرب فيوحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفوان" [7].

ماذا تعني التوبة إلا الإعلان عن قبول النور دون الظلمة، والمسيح دون بليعال (2 كو 6: 14)؟!

التوبة هي الطريق الذي مهد به القديس يوحنا المعمدان للسيد المسيح، والذي كرز به التلاميذ لتهيئة البشرية لقبول ملكوته في داخلهم!

ج. الاتكال على حكمة الله والثقة في خطته وتدابيره نحن، إذ يقول: " لأن أفكاري ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقى يقول الرب، لأنه كما علت

السماوات عن الأرض هكذا علت طرقى عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم" [8].

إيماننا بالعريس السموي يستلزم الاتكال عليه بثقة في إمكانياته كقدير كُلي الحكمة والحب، يعرف كيف يخطط لعروسه، لبنائها وخلصها،

حتى إن بدت خطته قاسية وتدابيره مؤفة.

د. الإرتواء بكلمة الرب واهبة الثمر: " لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنتب

وتعطي زرعاً للورع وخزواً للآكل هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي، لا ترجع فرغة، بل تعمل ما سررت به وتنجح في ما أرسلتها له" [10]-

[11].

لقد قل كلمة الله متجسداً ليروي الطبيعة البشرية بدمه كمطر فريد قادر أن يعيد خلقها ويُجدها، مولاً إياها من بوية قاحلة تسكنها الوحوش

العيفة إلى فودس مثمر يسكنه الثالوث القنوس ويتهلل به السمائيون و أيضاً الأرضيون. هكذا يليق بنا أيضاً أن نقبل كلمة الله المكتوبة لا للرواسة

العقلانية البحتة وإنما كحياة مُعاشة تُعطي ثراً إلهياً.

هـ. التسبيح الدائم علامة قبول العريس قليياً والتجاوب معه داخلياً؛ " لأنكم بفوح تخرجون وبسلام تُحضرُونَ، الجبال والآكام تشيد أمامكم ترنماً

وكل شجر الحقل تصفق بالأأيادي" [12].

الخروج بفوح إنما يعني خروج النفس من "الأنا"، واتساعها بالحب لحساب عيسها وكل أحبائه، اتساعها للسمائيين والأرضيين... تخرج لكي

تعود بالكل في سلام ومصالحة مع الله والملائكة والبشر. هذا الحب المتسع يخلق جراً من الفوح خلاله تنوم الجبال والتلال أي جماعة المؤمنين

المحيطين بك، إذ يرون عُرسًا أبدياً قائماً في داخلك. أما شجر الحقل الذي يُصَفَّق بالأأيادي فيعني أن الفوح لا يكون باللسان فحسب وإنما يُعلن بالعمل (بالأيادي)...

و. ثمر إيجابي متكاثر، فلا يكفي انتزاع الشوك والقويس وإنما يؤزم ظهور السرو والآس علامة ختمنا باسم الرب واهب الثمر الروحي. بمعنى آخر قبولنا لدعوته لا يعني تركنا للشر فحسب وإنما صنعنا برّ المسيح ومملستنا حياته القدسية المثورة بعمل روحه القنوس فينا.

«

الأصاح السادس والخمسون

بيت الصلاة لكل الشعوب

قدم الله دعوة جماعية للتمتع بالخلاص المجاني معلناً الرّام الإنسان بالتجلوب مع الدعوة عملياً، والآن يقدم الله كنيسة بيت الله المفوح لكل الشعوب. لا يظن أحد في نفسه انه "ابن الغريب" أي من نسل عابدي الأوثان بل يُحسب نفسه مُفزراً لخدمة الرب والتعبّد له، ولا يُحسب إنسان أنه خصي أو شجرة يابسة بل هو عمود في بيت الرب.

ليس عند الله محاباة؛ يفتح بيته للجميع، يأتيه الغرباء قابلو الإيمان، ويُحرم منه الذين نالوا الشريعة والنويات لكنهم جحوه.

1. بيت الصلاة لكل الشعوب [1-8].

2. رفض جاحدي الإيمان [9-12].

1. بيت الصلاة لكل الشعوب:

في الأصاح السابق كانت الدعوة لجميع العطاش (إش 55: 1)؛ لليهود والأمم، للعطاش والجياع، للعمي والصم الخ... لكي ينهلوا من ينابيع إنجيل الخلاص المجاني وعطية الروح المقدسة لكنيسة العهد الجديد. الآن إذ خشى أن يوّاجع أحد عن العطية حاسباً نفسه غريباً ابن غريب لأنه ولد من عائلة وثنية جاحدة للإيمان، أو لأنه عقيم بالطبيعة لكونه خصياً أو شجرة يابسة، لهذا أخذ يُشجع الكل للدخول من أبواب مواحم الله المتسعة:

أ. خلاص الرب ليس ببعيد، "لأنه قريب مجيء خلاصي واستعلان وي" [1]. فمن جهة الزمن لم يكن باقياً سوى سبعة قرون لمجيء السيد المسيح مخلص العالم، أي حوالي 700 سنة، وألف سنة عند الرب كيوم واحد (مز 90: 4). أما ما هو أهم فإن خلاص الرب قريب من كل أحد، لأن الكلمة في داخل القلب، وصليب الرب ممكن إعلانه في كل نفس. وكما قال القديس أغسطينوس : [لغباوتي كنت أبحث عنك خرجاً... وكنت أنت في داخلي عميقاً أعمق من عمقي وعالياً أعلى من علوي].

طوبى خلاصنا في أعماقنا لأنه وهب لنا روح الله القدس وعضويتنا في جسد واحد السيد المسيح خلال المعمودية... فصرنا مسكناً لله وهيكلًا له، لهذا يقول الرسول: "الكلمة قريبة منك، في فمك وفي قلبك" (رو 10: 8).

عندما يتحدث مار أفوام السرياني عن ميلاد الرب المجد يسوع يوجه أنظرتنا إلى داخلنا حيث اقترب الرب إلينا وجاء ليحل بالإيمان في قلوبنا (أف 3: 17).

❖ ليزين كل إنسان أبواب قلبه في هذا العيد، فإن الروح القدس يشقائق أن يدخل ويسكن في القلب ويقدهسه. إنه يطوف على كل الأبواب لكي يوين يدخل!

لتبتهج أبواب القلب في هذا العيد مع أبواب الكنائس، حتى يوح الإله القنوس في الهيكل المقدس، وتتهلل أفواه الأطفال بالتسبيح، وبيتهج المسيح

[599]

مار أفام السرياني

ب. بقوله " **احفظوا الحق وأجروا العدل، لأنه قريب مجيء خلاصي واستعلان وي** " [1] يكشف عن مفهوم الفضيلة. فإننا نلتم أن نحفظ الحق وان نملس العدل، أي نسلك حسب الوصية الإلهية التي هي حق وعدل وهذا أمر صعب بل مستحيل على الطبيعة البشرية في ذاتها. أما إن أعلن الخلاص في القلب وتجلي بر المسيح فتصير الوصية سهلة وممكنة بل طبيعية وعذبة، لأن الذي يتمها هو الله الساكن فينا والعامل بروحه فينا. الفضيلة عند القديس يوحنا كاسيان [هي التي خلالها نقدم ملكوت القلب للمسيح] [600].

إننا نسلمه القلب لكي يعمل فيه فيحولنا إلى شبيهه ومثاله. يقول العلامة أوريجانوس: [إننا خلقتنا على صورة المسيح، لهذا فالفضائل في نظره هي أن نصير واحدًا معه، هو نفسه الفضائل التي نقتنيها] [601]. [هو العدل والحكمة والحق في ذات الوقت. لذلك فمن يملس هذه الفضائل بحق يكون شويكًا حقيقيًا في الطبيعة الإلهية] [602].

يقول القديس غريغوريوس النزيوي: [يدعى الله حبًا وسلامًا، بهذه الأسماء يحثنا أن نتشكل حسب هذه الفضائل التي هي سماته] [603].

الفضيلة هي عمل الله في مؤمنه قابلي دعوته والمتجاوبين مع محبته:

❖ [604] ألا نلاحظ انه ليس شيء ما نفعله بدون المسيح.

❖ لا نقدر أن نحوي في طريق الله إلا محمولين على أجنحة الروح [605].

❖ ليس أقوى من الذي يتمتع بالعون السموي، كما انه ليس أضعف من الذي يحرّم منه [606].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الله قنوس ويقدر، الله بار وبيبر.

[607]

القديس أغسطينوس

ج. هذه العطية الإلهية مجانية لكنها لا تعطى قسواً ولا للمتواخين وإنما للمتجاوبين معها عملياً. " طوبى للإنسان الذي يعمل هذا وابن الإنسان الذي يتمسك به، الحافظ السبت لئلا ينجسه والحافظ يده من كل عمل شر " [2]. فإن كان الله قد وهبنا قيامته أو حياته المقامة "سبتاً"، أي راحة لنفوسنا، فيليق بنا أن نعيش هذه الحياة ونحفظها، ولا نعيش في شقاء الموت وفساده. لنحفظ يدنا من ممرسة كل عمل شير حتى لا نخضع لموت الخطية بل نبقي في الرب "سبتنا" الحقيقي.

سبتنا الحقيقي هو ربنا يسوع الذبيح القائم من الأموات، فيه يجد الأب راحتته (سبته) من جهتنا إذ ننتير فيه ونحسب أولاً له؛ وفيه نجد راحتنا إذ نجد فيه موضعاً في حضن الأب.

❖ نصير نحن أنفسنا اليوم السابع (سبتاً) عندما نمثل بركات الله وتقديسه ونفعم بها.

[608]

القديس أغسطينوس

د. تحويل الغرباء إلى أبناء بيت الله: " فلا يتكلم ابن الغريب الذي اقترن بالوب قاتلاً: إفرزنا ي الرب من شعبه " [3]. إنما يتمعون بالعهد الإلهي، لهم حق العبادة وخدمة بيت الرب. " وأبناء الغريب الذين يقترنون بالوب ليخدموه وليحبوا اسم الرب ليكونوا له عبيداً كل الذين يحفظون السبت لئلا ينجسوه ويتمسكون بعهد " [6].

ماذا يعني قبول الغرباء كأبناء بيت الرب والتمسك بالعهد الإلهي؟ انه تمتع بالاتحاد مع السيد المسيح، للدخول إلى المقادس السماوية بلا عائق،

كأبناء مقدسين فيه وكأعضاء جسده، لهم حق الاتحاد مع الأب بالروح القدس خلال دم العهد، دم السيد المسيح الكفري.

انفتاح باب الخلاص أمام الغباء لكي يصيروا أبناء الله، لهم حق العبادة، كما الخدمة يُعطي رجاء للجميع وكما يقول القديس هيبوليتس:
[يظهر "الكلمة" حنوه مع عدم محاباته للوجه...]

يحب أن يُعَلِّم الجاهل، وأن يود المخطئ إلى الطريق الحقيقي.

بسهولة يجده الذين يعيشون في الإيمان، والذين لهم العين الطاهرة والقلب المقدس، الذين وغبون أن يُقوعوا الباب؛ فإنه يفتح الباب سريعاً.

انه لا يطرد أحداً من خدامه كمن هو غير مستحق للأسوار الإلهية.

لا يكوم الغني اكثر من الفقير، ولا يحتقر الفقير بسبب قوه.

لا يزوي بالزوي ولا يرفض الخصى كمن هو ليس ورجل [3-4].

لا يبغض الإناث بسبب عصيان المرأة في البداية (حواء)، ولا يرفض الذكور بسبب عصيان الرجل.

إنه يطلب الجميع، وورغب في خلاص الكل، مشتاقاً أن يجعل الكل أبناء الله، داعياً كل القديسين كرجل واحد كامل [1609].

هـ. يهب الخصيان أبناء: " ولا يقل الخصى: ها أنا شجرة يابسة" [3]. لم يكن يُسمح للخصيان جسدياً أن يُضموا إلى الكهنوت (لا 21: 20) ولا

أن يشتركوا مع الشعب في المحافل... (تث 23: 1).

الآن إذ انفتحت أبواب مراحم الله لا يوجد في كنيسة الله خصي روعي، إذ ليس بينهم عقيم بل الكل مُنتم (نش 4: 2)... الكل يشهد لله ويأتي

بأبناء له. كأن التقاءنا بالرب لا يقف عند حقنا في دخول بيته والتمتع بعهده إنما يهبنا قرة الشهادة له والإثمار.

لقد وعد الله شعبه إن أطاع "مباركاً تكون فوق جميع الشعوب. لا يكن عقيم ولا عاقر فيك ولا في بهائمك" (تث 7: 14).

و. يقيم المؤمنين أبطالاً وتبقى ذكراهم خالدة أبدياً حتى في السماء. " إني أعطيهم في بيتي وفي أسوري نصبا واسماً أفضل من البنين والبنات،

وأعطيهم اسماً أبدياً لا ينقطع" [5]. يا للعجب فقد جاء الرب إلينا متجسداً لكي يموت في أرضنا ويقوم لرفعنا إلى بيته السموي خالدين لا يقدر الموت

أن يُحطمنا، بل تصير أسماؤنا منقوشة في كتاب الله وعلى كفه أدياً.

سرّ خلود اسمنا في البيت الإلهي السموي هو اتحادنا بالسيد المسيح، بكوننا الحجرة الحية القائمة على حجر الزاوية. "مبنيين كحجرة حية، بيتاً

روحياً، كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح، لذلك يتضمن أيضاً في الكتاب هأنذا أضع في صهيون حجر زاوية مختلراً

كريمة، والذي يؤمن به لن يخزي" (1 بط 2: 5-6).

ز. التمتع بعبادة موحدة لنا وموضع سرور الآب: " وآتى بهم إلى جبل قدسي وأفرحهم في بيت صلاتي، وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة

على مذبحي لأن بيتي بيت الصلاة يُدعى لكل الشعوب" [7].

ماذا يعني هذا إلاّ تمتعنا بالعبادة لا كواجب نلتزم به أو شكليات وإنما كل ارتفاع موح على جبل الرب المقدس وابتهاج ببيت الرب السموي، كبيت

صلاة نقدم حياتنا محرقة حب وذبيحة مقدسة ملتحمة بذبيحة المسيح القُدوس، نتהל نحن ويقبلها الآب بكونها حاملة رائحة المسيح الذكية، موضع سروره.

يقول العلامة توتليان : [تخرج هذه الذبيحة من كل قلب، وتتغذى على الإيمان، وتواعى الحق. تدخل في واءة ونقلوة، في عفة، وتؤثر بالحب. يؤمننا أن

نحرسها بعظمة الأعمال الصالحة، مقدمين زواهير وتسابيح على مذبح الله لننال كل الأشياء منه [1610].

ح. انفتاح بيت الرب أمام كل الشعوب من بينهم منفيو إسرائيل. ربما قصد بالمنفيين هنا عودة الساقطين أيضاً من المسيحيين (إسرائيل الجديد)،

فإن أبواب بيت الرب مفتوحة لكل حتى بالنسبة للمؤمنين الذين سقطوا أو انحرفوا، إذ رفضت بعض الواطقة قبولهم. وقد كتب القديس كيريانوس

رائعين في هذا الأمر تحت عنوان التوبة.

هكذا يُقدم لنا هذا الأصحاب صورة حية عن كنيسة العهد الجديد، سماتها: إنها بيت صلاة أي موضع التقاء الله مع الناس حيث ننعم بشركة حية

مع الله القريب منا، الذي يُقيم مسكنه فينا [1]. هي مسكن الحق والعدل، مادمنًا نتحد بمسيحنا البار والقادر أن يُبرر الفجار، مقدمًا لهم نفسه حقًا وعدلاً وواوًا وحبًا [1]. سمة هذا البيت تقديس الإرادة الحرة: أبوابه مفتوحة للجميع بلا استثناء لكن نون قهر أو إثم [2-3]، من يدخله يُوع عنه التغرب عن الله ويصير من أهل بيت الله، أما من وغب في البقاء خرجًا فليس من يؤمه بالدخول. داخل هذا البيت يصير الكل كأشجار مثورة لا تعرف البيوسة [3]، لأنه بيت الرب وفردوسه المثمر. من يسكنه يحيا مع مخلصه في أمجاده إلى الأبد فيُنقش اسمه في السماء ويُقام له نصب تذكري لا يتحطم [5]. في الداخل فوح أبادي لا ينقطع وعبادة مقدسة علوية ملائكية (إش 57: 7). أخوًا فانه بيت الرحمة، من خرج منه لا تُغلق الأبواب في وجهه بل تبقى أحضان الرب تنتظر عودته.

2. رفض جاحدي الإيمان:

إن كان بيت الرب مفتوحًا للجميع حتى بالنسبة للمؤمنين الساقطين، أيًا كان سقوطهم، لكن الدخول إليه هو خلال "التوبة". من يبقى في جحوده إنما يبقى خراج بيت الرب، ليس تحت رعاية، يتعرض حتمًا للوحوش المفترسة وسط الوعر الخرجي الذي اختلّه. يتطلع النبي إلى رافضي الإيمان لوى مواقبيهم عميًا كلهم بلا معرفة روحية [10] إذ لا ينعمون بعطية الروح القدس واهب الاستنارة؛ صاروا ككلاب عاجزة عن النبح، لا تقدر أن تتطق حتى بكلمة للبنيان لخالص القطيع، متهلونون ومواخون: "حالمون مضطجعون محبو النوم" [10]. رعاتهم ككلاب تأكل ولا تنبح، تهتم بالريح القبيح لا بنفع الشعب، أي طماعون لا يفهمون الحب العوي البازل [11]. يسكرون ويلهون، بل ويدعون الآخرين ليشركوهم سكوهم وترفهم، حاسبين أن حياة اللهو والتوف تنوم إلى الغد بل ويتوقعون ترفًا أكثر مما هم عليه. هذه هي صورة الرعاية الفاقدة للحب الإلهي الحق.

بينما في بداية هذا الأصحاح يفتح الرب بيته الروحي لكل الشعوب بلا تمييز، داعيًا الغرباء للتمتع بالاقتراب منه والاتحاد معه لئوال شوكه أمجاده الأبدية، يطلب حتى الساقطين أن يرجوا إليه لينعموا بحبه، إذ به يقابل ذلك بأنانية بعض الرعاة الذين توقعوا حول "الأنا ego"، ليغلقوا أبواب مواحم الله في وجه الناس، يطلبون ما هو لذتهم الوقتية على حساب خلاص الآخرين.

«

الأصحاح السابع والخمسون

الرجاسات كعائق للخلاص

بعدما تحدث عن دعوة الله المجانية لكل العطاش كي يشربوا من ينابيع الخلاص، وانفتاح بيت الرب للعبادة السماوية الموحدة حتى لا يشعر أحد أنه غريب أو عقيم يقدم لنا في الأصحاحات (57 - 59) عوائق التمتع بعمل الله الخلاصي والدخول إلى بيت الرب. في هذا الأصحاح يركز على الرجاسات أو الؤنا الروحي كعائق، فاتحًا أبواب الرجاء أمام الراجعين إليه.

1. موت الصديق [1-2].
2. إدانة الأشوار [3-13].
3. بركات الرجوع إلى الله [14-21].

1. موت الصديق:

"باد الصّدِّيق وليس أحد يضع ذلك في قلبه، ورجال الإحسان يُضْمون وليس من يفطن بأنه من وجه الشر يُضم الصّدِّيق. يدخل السلام، يستريحون في مضاجعهم، السالك باستقامة" [1-2].

هنا يتحدث النبي عما يحل بؤلاد الله عبر الأجيال إذ يسقطون تحت ضيقات كثرة بلا سبب، مجروحين كمخلصهم حتى في بيوت أحبائهم (ك 13: 6)، يجدون عدوة حتى من أهل بيتهم (مت 10: 36). لكن النبي يتحدث هنا بالأكثر عن عصر منسي الملك الذي سفك دماء بريئة كثرة (2 مل 21، 2 أي 33) حتى اشتهى الأوار الموت وحسوه راحة مमारؤه بأعينهم. وينطبق ذلك بأكثر وضوحاً في أيام الدجال أو ضد المسيح حيث يملك إنسان الخطية في هيكل الرب ويضطهد الكنيسة (2 تس 2: 4 الخ.)، حتى يُقال: "من هو مثل الوحش؟! من يستطيع أن يحل به؟!" (رؤ 13: 4)، وأعطى أن يصنع حرباً مع القديسين ويغلبهم وأعطى سلطاناً على كل قبيلة ولسان وأمة... هنا صبر القديسين وإيمانهم" (رؤ 13: 7، 10). أمام هذا المرّ يُقال: "من وجه الشر يُضم الصّدِّيق" [2].

إذ يُباد الصّدِّيقون أو يُضطهدون ويقتلون لا يفكر أحد في ذلك، إذ يعيش الأثوار في لهو كأطفال صغار بلا فهم يموت والوهم والمحبون الذين يخدمونهم وهم لا يدرون، أما الصّدِّيقون فيفوحون بالموت حاسبين ذلك إواجاً عن نفوسهم من الجو القاتل للنفس، جو الشر البغيض.

❖ "في رسالته إلى رُملة شابة".

حقاً لو أنه هلك بالكلية أو انتهى أمره تماماً، لكان ذلك كلثة عظمى، وكان الأمر مخزناً. لكن إن كان كل ما في الأمر أنه أبحر إلى ميناء هادئ وقام وحلة إلى الله الذي هو بالحق ملكه، لهذا يؤمننا ألا نحزن بل نوح. فإن هذا الموت ليس موتاً، إنما هو نوع من الهجرة والانتقال من سيئ إلى أحسن، من الأرض إلى السماء، من وسط البشر إلى الملائكة ورؤساء الملائكة بل ويكون مع الله رب الملائكة ورؤساء الملائكة... الآن هو في أمان وهناء عظيم.

❖ لو كان زوجك سالماً مثل أولئك الذين يعيشون في حياة مخجلة لا ترضى الله كان بالأولى لك أن تتوحي وتبكي، ليس فقط عند انتقاله، بل حتى أثناء وجوده حياً هنا. ولكن بقدر ما هو من أصدقاء الله يؤمننا أن نُسر به، ليس فقط وهو حيّ هنا بل وعندما يوقد مستويحاً أيضاً... استمعي إلى ما يقوله الرسول: "لي اشتهاه أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً" (في 1: 23).

[\[611\]](#)
القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يا له من نفع نقتنيه بخروجنا من هذا العالم!

إذ حزن التلاميذ عندما أعلن لهم المسيح معلم خلاصنا ومعلم أعمالنا الصالحة انه سينطلق قال لهم: "لو كنتم تحبونني لكنتم توحون لأنني قلت أمضي إلى الآب" (يو 14: 28)؛ معلماً إيانا أن نوح عند رحيل أحد أحبائنا من هذا العالم ولا نحزن، متذكّرين حقاً قول الرسول الطوبوي بولس: "لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح" (في 1: 21)؛ حاسبين في الموت أعظم ربح... فبالموت نترك الأتعاب المؤلمة ونتخلص من أنياب الشيطان السامة لنذهب إلى دعوة المسيح لنا، متهللين بالخلاص الأبدي.

[\[612\]](#)
الشهيد كيريانوس

❖ [\[613\]](#)
يخاف من الموت من ينتظر بعد الموت موتاً آخر.

❖ [\[614\]](#)
بالموت يهرب الأولاد من الضيقات التي تفوق طاقتهم، نائلين سعادة خراء صوهم وراعتهم.

الشهيد كيريانوس

رى القديس أغسطينوس أن ما ورد هنا بخصوص موت الصديق دون أن يظن أحد يُشير إلى السيد المسيح الذي رُاد الأشرار إبادة بالصلب ولم يبركوا انه قد سمح بذلك لكي يُخلص ما قد هلك وباد. وكما يقول الرسول بولس: "لأن لو عرفوا لما صلوا رب المجد" (1 كو 2: 8) ^[6151].

2 . إدانة الأشرار:

يُعاني الصديقون من الأشرار، لكن ماذا يقدر الأشرار أن يفعلوا بهم؟ فإنه حتى الموت يحسبه الأشرار عطية إلهية خلالها يعبرون من الجو القاتم لينعموا باللقاء مع عيسى نفوسهم الموح. أما الأشرار فيستدعيهم الرب للمحاكمة، خلالها يتم الآتي:

أ. يحمل الأشرار عدة ألقاب من بينها:

* أبناء الساحرة: لقد رفضت الأمة كلها كلمات الأنبياء الصادقة والتجأت إلى السحر والوفاة للتعرف على المستقبل وطلب المشورة؛ هذا يُحسب رفضاً للانتساب لله وقبول البنوة لإبليس وأعماله الشريرة، فحُسب الأشرار بني الساحرة الساخرة بالله [4].

* نسل الفاسق والزانية [3]: لا علاقة لهم بالحياة البرة لا من جهة الأب ولا من جهة الأم، الأب فاسق والأم زانية؛ هكذا حلّ الفساد بالكل: الرجال والنساء.

لقد افتخروا بأن الله أُوهم وصهبيون أهم، لكن رجاساتهم كشفت عن حقيقتهم أنهم تركوا الانتساب إلى الله وكنيستهم لينتسوا للشير ومملكته. يقول الإنجيلي: "قالوا له: إننا لم نولد من زنى، لنا أب واحد وهو الله؛ فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأني خرجت من قبل الله وأتيت... أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا، ذلك كان قتلاً للناس من البدء... كذاب وأبو الكذاب" (يو 8: 41-44).

* أولاد المعصية [4]، لأنهم رفضوا الطاعة لله والاستجابة لإعلاناته النبوية ووصاياهم.

* نسل الكذب [5]؛ يعالجون أخطأهم بالكذب والخداع، عوض الصراحة والوضوح.

ب. انغماسهم في عبادة الأصنام باندفاع شديد ليقبوا أصناماً ويوقنوا تحت كل شجرة خضراء ويقدموا أطفالهم ذبائح بشرية يحرقونها لحساب البعل والعشتاروت [5]. هذه الصورة البشعة التي فيها أعلن البشر جودهم لله ولأطفالهم لازالت قائمة بصورة أو أخرى حتى اليوم، فعوض أن نشكوه من أجل عطايهم (الشجر الأخضر) نقدم أحياناً قلوبنا ملتهبه شواً لحساب إبليس ومملكته كقائد نجسة مقامة في القلوب، وعوض رعايتنا لحياتنا الداخلية لننعم بثمار روحية للنفس والجسد، أي ننجب ولأدًا وبنات في قلوبنا تسبح الله نقدم طاقات النفس والجسد كذبائح بشرية لحساب عدو الخير.

ج. ممرستهم الشر في الوديان [6] كما على الجبال العالية [7] وفي البيوت [8]... كأن الشر غير مرتبط بالمكان ولا بالظروف وإنما بالقلب الذي انحرف عن خالقه ورُاد الاستقلال عنه.

لعله رُاد أيضًا تأكيد أن الأشرار في عدم حياتهم يصنعون الشر علانية وخفية، في الأماكن العامة كما داخل البيوت.

د. يشبه الأشرار بأوأة زانية لا تشبع من الشر بل توسع مضطجعا [8] لتقبل الدخول في عهد مع كل أحد، وتتحد مع أي إنسان، عوض اتحادها مع الله كعيسى وحيد لنفسها تقيم معه عهداً أبدياً. لقد أحببت الأشرار لا لأشخاصهم، إنما لأجل الاضطجاع معها كقوضة لإشباع شهوات الجسد [8].

هـ. قدمت تذكريات -رسومات أو تماثيل - لمن ترتكب معهم الشر؛ عوض التوبة تفتخر بالشر. ربما عنى بالتذكريات إقامة التماثيل الوثنية كونا روحي، والارتباط بألهة غريبة عوض الله بعلها، أو لأن الرُنا التحم بالوثنية في حياتها.

و. تجملت ودهنت نفسها بالأطياب وبعثت رُسلاً إلى الملك ليرتكب معها الشر فتتحدث إلى الهوى [9]. ربما عنى بالملك هنا فُعون الذي رُسلوا إليه لكي ينقذهم من آشور، فحسب الله هذا العمل زناً روحياً، بكونه اتكالاً على الفراع البشوي عوض الثقة بالله.

الذي يقوده فقوًا!

[618]

القديس يوحنا الذهبي الفم

د. إن كان الله كمؤدّب يغضب على الشرير لكنه هو خالق النفوس الذي يشتهي خلاصها ورجوعها إليه، لذا لا يُخاصم إلى الأبد ولا يغضب إلى الدهر، إنما يُريد عودة لكل إليه ليشفي كل ضعف ويقود الشعب بنفسه ويرد لهم تغوياته، إذ يقول:

" لأني لا أخاصم إلى الأبد ولا أغضب إلى الدهر" [16]. وكما يقول القديس أغسطينوس أن ما تُعانيه من متاعب هنا هو بسبب غضب الله (على خطايانا) حتى نتوب [619].

يكمل الحديث هكذا: " لأن الروح يُغشى عليها أمامي والنسمات التي صنعتها"

[16] ... الله الذي خلق النفوس البشرية لن يتركها بل يشناق ويعمل لخلاصها.

" من أجل أثم مكسبه غضبت وضربته،

استتوت وغضبت فذهب عاصيًا في طريق قلبه،

رأيت طريقه وسأشفيه أقوده ورد تغويات له ولنأخيه" [17-18].

ما يحل به من ضربات هو غضب إلهي، فإن الله في محبته يستتر ويغضب ليضرب ولأده إلى حين. ربما عنى بالاستتار هنا أنه لا يحتمل أن يرى ولأده تحت الألم والضيق لذا يكون كمن يضرب ويستتر إلى لحيزة حتى يجتذب بالتعب ولأده. لذا يؤكد أنه وإن بدا كمن استتر لكن عينيه على طرق المودّبين بواسطته حتى يشفيهم ويقودهم بنفسه ويعوض نوحهم بتغويات إلهية. حب إلهي أوي فائق!

[620] ❖ إن عانيت من شر فاحتملته بلطف تُوع عنك كل الشرور.

❖ هكذا هو حب الله المتوفّق. أنه لن يزوع وجهه عن التوبة الصادقة، فإنه حتى وإن كان الإنسان قد اندفع إلى الشر حتى النهاية عينها إذ يختار الرجوع إلى الحياة الفاضلة يقبله الله ورحب به ويعمل كل ما هو لإصلاحه ويرده إلى حالته الأولى. [621]

القديس يوحنا الذهبي الفم

هـ. فيفيض عليهم بسلام مضاعف بينما يمتلئ الأشرار اضطرابًا، إذ يقول: " خالقًا ثمر الشفتين؛ سلام سلام للبعيد وللقريب، قال الرب وسأشفيه؛ أما الأشرار فكالبحر المضطرب لأنه لا يستطيع أن يهدأ ويقذف مياهه حمأة وطينًا، ليس سلام (فوح) " قال إلهي للأشرار" [19-21].

يدعو البعيدين (غير المؤمنين) والتوبيين (المؤمنين الساقطين) لكي يأتوا بالتوبة إليه لينالوا سلامًا مضاعفًا. وكما يقول القديس أغسطينوس:

[عد الرب بالتغوية الحقيقية في كلمات إشعياء: "أعطيه تغوية حقيقية، سلامًا فوق سلام" [17] (LXX)]. بدون هذه التغوية يجد الناس أنفسهم وسط بهجة لضية هي أنحلال أكثر منهاراحة [622]. وأيضًا: [ما يدعوه الشرير فوحًا ليس فوح [623].

<<

الأصاح الثامن والخمسون

الصوم المرفوض

بعدما تحدث عن أونا المرتبط برفض الله والتعبد للأوثان كعائق عن التمتع بخلص الله والسكنى في بيت الله ينتقل إلى شكلية العبادة كعائق

آخر، خاصة في الصوم وحفظ السبت.

1. عبادة رياء [2-1].
2. الصوم المفروض [5-3].
3. الصوم المقبول [7-6].
4. ثمار العبادة الحقة [12-8].
5. حفظ السبت [14-13].

1. عبادة الرياء:

إن كان الالتصاق بعبدة الأوثان أثار روح الفساد والعصيان في حياة الشعب، فأقاموا عبادة الأصنام تحت كل شجرة خضراء وفي كل وادٍ وعلى الجبال والتلال علانية ولتكونوا الزنا وملسوا الرجاسات وقدموا أطفالهم ذبائح بشرية، لكن ما هو أخطر أنهم خلطوا هذا الشر العظيم بعبادة الله الحيّ لرضاء لضمائهم. هذا هو أخطر عدو يواجه المتدينين ويُعثر الناس في معرفة الله: الرياء أو التستر على الشر والفساد بشكليات العبادة نون التوبة الصادقة.

الآن يطلب الله من النبي أن يتكلم علانية وبصوت عالٍ كيقوق يفصح ضعفاتهم ويعلن عن تعدياتهم وخطاياهم، أي يكشف جراحاتهم حتى لا تهدأ ضمائمهم خلال عبادة مملوءة رياء. وكأنه بالطبيب الذي يكشف عن الجراحات أو الأمراض الخفية لعلاجها في أعماقها. يقول الرب: " نادِ بصوت عالٍ. لا تمسك. رفع صوتك كيقوق وأخبر شعبي بتعديهم وبيت يعقوب بخطاياهم" [1]. في العهد الجديد أرسل لنا ربنا يسوع روحه القدس "يُيكث العالم على خطية" (يو 16: 8)، أي يكشف للنفس في أعماقها جراحاتها الخفية ويثورها للتوبة عوض التستر على الجراحات فتفسد الجسد وتهلكه.

كشفت الخطية أو فضحتها لا يعني رفض الله لشعبه أو تخليه عنهم بل على العكس علامة حب لهم لهذا يقول: "أخبر شعبي... وبيت يعقوب" [1]، نون تملق من جانبك نهرهم، بل نادِ بصوت عالٍ ولا تتوقف.

عندما تحدث عن عبادة الأوثان أو الزنا أو إجرة أولادهم النار كذبائح بشرية لم يطلب الله من النبي أن يُنادي بصوت عالٍ كما بيوق لأنها خطايا واضحة لكنه إذ يتحدث عن الرياء يطلب ذلك، لأنها خطية خفية تتسلل إلى نفوس المتعبدين، يصعب على الإنسان اكتشافها. لهذا عندما وبخ الرب الزناة أو العشرلين كان غالبًا ما يتحدث معهم فادي نون حوح لمشاعرهم، أما مع القيادات الرائية فكانت كلماته حزمة وأحاديثه علانية. لقد تستر الشعب بالمظاهر الخرجية مثل:

أ. الصلاة الظاهرة والمستورة: وإياي يطلبون يوماً فيوماً" [2].

ب. الابتهاج بالمعونة الروحية العقلانية: " ويسرون بمعونة طريقي كأمة علمت واولم تترك قضاء إلهها" [2] ؛ أي يواظبون على دراسة الكتاب وحضور الاجتماعات كما لقوم عادة، أو كما ابتهاج هيرودس بسماعه يوحنا المعمدان.

ج. يُظهرون غوة نحو مملسة العدل والتقوى [2].

د. "يسرون بالتقرب إلى الله" [2] ، أي التظاهر بأنهم قريبون من الله، يتعبون له ويعرفون أحكامه وقضاه.

2. الصوم المفروض:

" يقولون: لماذا صمنا ولم ننظر؟ نلنا أنفسنا ولم تلاحظ؟" [3]. ويُجيب على هذا بالآتي:

أ. " ها إنكم في يوم صومكم تُوجدون مسرة وبكل أشغالكم تُسخرُون" [3] . لقد ظن الفريسي أن الله يُسر به لأنه يصوم يومين في الأسبوع (لو 18: 12)، وهؤلاء أيضاً يملسون الصوم لكنهم يصنعون كل ما يسوهم لا ما يسر الله، علامة ذلك أنهم على خلاف الناموس لا يعطون فرصة للعاملين

عندهم للراحة ومثل كتهم أصوامهم وعبادتهم بل يسخرونهم من أجل الطمع ومحبة الاقتناء والغنى.

الله لا يُريد صومنا عن الطعام مجرداً، إنما وافقه صوم النفس عن محبة العالم والطمع، الأمر الذي يظهر جلياً في معاملتنا مع الغير. بمعنى

آخر يليق بنا أن نضبط نفوسنا مع ضبط بطوننا.

ربما عنى " بالمسوة" هنا ليس فقط النفع المادي وإنما إشباع الملذات الجسدية عوض العفة.

ب. " ها انكم للخصومة والتّواع تصومون، ولتضربوا بتكّمة الشر. لستم تصومون كما اليوم لتسميع صوتكم في العلاء" [4]. عوض أن يُدين

الإنسان نفسه ويلومها يوم صومه، يدخل في خصومة مع الغير ويدينه، لهذا لا يقبل الله صومه ولا يسمع صوته في العلاء. هذا ما حدث عندما أراد

آخاب ملك إسرائيل وإزابل أن يسلبنا حقل نابوت البزريعي، إذ خططت إزابل لقتله ظلماً وطلبت من الشيوخ والأشواف أن ينادوا بصوم (1 مل 21: 9،

(12).

في الوقت الذي فيه يملسون الصوم يجمع الإنسان يده ليلكم أخيه ظلماً عوض تقديم أعمال المحبة. لذلك يقول الأنبا يوساب الأبيح: [لا تصم

بالخبز والملح وأنت تأكل لحوم الناس بالديونة والمذمة. لا تقل إني صائم صوماً "نظيفاً" وأنت متسخ بكل الذنوب].

ج. " أمثل هذا يكون صوم اختاره؟! يوماً يذلل الإنسان فيه نفسه، يحني كالأسلة رأسه ويفرش تحته مسخاً ورماداً؟! هل تسمى هذا صوماً

ويوماً مقبولاً للرب؟! [5].

حسن للإنسان أن يربط الصوم بالتذلل والنسك، لكنه إن توقف عند المظهر الخارجي فقد جوهه. كان يليق بالصائم أن يتذلل تائباً عن خطايا،

شاعراً بضعفاته، فيملىس الإتضاع في قلبه جنباً إلى جنب مع تذله، لا أن يحمل الصورة الفريسية، كقول الرب: "ومتى صمتتم فلا تكونوا عابسين

كالرثين، فأنهم يُغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين. الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجورهم" (مت 6: 16).

3. الصوم المقبول:

أ. تقديم أعمال المحبة عوض طلب المسوة الذاتية [3] وتسخير الغير لحسابنا. الصوم هو بذل "الأنا" وصلبها لكي يحيا المسيح "الحب" فينا،

فنحمل سمات محبته ونملس عمله كأعضاء جسده. هذا هو الصوم في مفهومه الإيجابي. " أليس هذا صوماً اختاره: حل قيود الشر؛ فك عقد النير،

واطلاق المسحوقين أحراراً وقطع كل نير؟! أليس أن تكسر للجائع خبزك، وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك؟! إذ أرايت عرياناً أن تكسوه، وأن لا

تتغاضى عن لحمك؟! [6-7].

ما أجمل القول " لا تتغاضى عن لحمك "، وكأن الصائم إذ يُصلب مع المسيح يبرك أن لحم الآخرين هو لحمه، حين يحل القيود إنما يحل قيود

نفسه، حاسباً نفسه مقيداً مع المقيدين (عب 13: 3)، مسجوناً مع كل سجين، جائعاً ومسكيناً وتائهراً وعرياناً مع من يعانون من هذه الأمور. بالصوم يجب

الآخرين كنفسه، بكونهم أعضاء بعضهم لبعض، أو أعضاء تعمل معاً في جسد واحد للرأس الواحد ربنا يسوع.

❖ لا يُحسب الصوم صالحاً بطبيعته الذاتية، إنما يصير صالحاً وموياً للرب بالأعمال الأخرى. هرة أخرى، يمكن أن يُعتبر الصوم - خلال الظروف

المحيطة - ليس باطلاً فحسب بل ومكروهاً بالحق كقول الرب: "عندما تصومون لا أسمع لصواتكم".

[624] الأب ثيونس

❖ علمهم أن يكسروا خزم للجائع، وأن يرضوا الفقراء الذين بلا مؤى، وأن يكسوا الوأة، ولا يتجاهلوا من هم من دمهم. والآن ينالون على وجه

الخصوص نفعاً من احتياجنا (بتقديمهم العطاء) أكثر من نفعهم بخواتنا.

[625] القديس غريغوريوس النزوي

❖ سمعت من إشعياء: "اكسر خوك للجائع" (إش 57: 5)؛ فلا تظن أن الصوم كاف بذاته.

يضبط الصوم نفسك لكنه لا ينعش الآخرين. ضيقك لنفسك ينفك إن كان فيه تغرية للغير. ها أنت تجحد نفسك؛ انظر من الذي أعطيته ما قد حرمت نفسك عنه؟!... كم فقير شبع من الإفطار الذي حرمت نفسك عنه!؟

[626] القديس أغسطينوس

4. ثمار العبادة الحقّة:

أ. التمتع بالنور الإلهي: " حينئذ ينفجر مثل الصباح نورك " [8] . إذ يملس الإنسان الصوم بصورته الإيجابية إنما يتمتع بالاتحاد مع الآب خلال ابنه الوحيد بروحه القدس، فيصير الله "النور الحقيقي" مشوقاً فيه كنوره الخاص به. " يشرق في الظلمة نورك ويكون ظلامك الدامس مثل الظهر " [10]. صورة رائعة للصوم المرتبط بالعبادة والبذل لحساب الغير خلال اتحادنا بالله محب البشر. إن كان المساكين والمتألمون يشعرون وسط هولتهم كمن هم في ظلمة فإن عمل المحبة النابع عن قلب متسع يكون كإشراق الشمس التي تُبدد الظلمة. هذا النور لا ينبع عن مظهر العطاء الخرجي إنما عن تجلي رب المجد في القلب المحب. وكما يقول رب المجد: "أنتم نور العالم... فليضي نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجوا بأبكم الذي في السموات" (مت 5: 14، 16).

الصوم المرتبط بالحب النابع من القلب حيث مملكة المسيح قائمة والمترجم بالسلوك العملي يلتحم مع صوم السيد المسيح فيتقدس ويُقبل لدى الآب.

ب. التمتع بصحة الروح والنفس والجسد، " وثبتت صحتك سريعاً " [8]؛ " وينشط عظامك فتصير كجنة ربا وكنيع مياه لا تنقطع مياهه " [8]، [11]. ما هي العظام التي تنشط لإلّا صحة النفس التي تتمتع بعظام الإيمان الذي يسند حياة الإنسان كلها؟! كأن الصوم المقدس يعين الجسد، وقد ثبت علمياً أن الصوم بفترة الانقطاع مع الامتناع عن الدسم مفيد صحياً؛ كما هو مفيد للنفس التي بالصوم تخضع في اتضاع لله ليثبتها وينميها في الإيمان ليقم منها فروسه الذي لا تجف مياه أنهلته وينابيعه. ج. التمتع بالله كقائد للنفس كمصدر مجدها الداخلي ووّها: " ويسير برك أمامك ومجد الرب يجمع سافتك " [8]؛ " يقودك الرب على النوام " [11].

د. استجابة الصلاة: " حينئذ تدعو فيجيب الرب، تستغيث فيقول هأنذا " [9] . مادمنّا في اصوامنا نتطلع لا إلى الشكل الخرجي إنما إلى انفتاح القلب لله خلال قدسية الحياة واتساعه بالحب نحو البشر، لهذا يوح الله بمثل هذا الصوم، معلناً ذلك خلال استجابته للصلاة.

❖ أُويد أن ترفع صلاتك إلى الله؟ ليكن لها جناحاً والعطاء والصوم!

[627] القديس أغسطينوس

❖ يسمع الله ليّ سريعاً لأنني لا أطلب السعادة الأرضية، بل تعلمت الاحتمال المقدس من العهد الجديد؛ فلا اطلب الأرض ولا خواتها ولا الصحة الزمنية ولا الغلبة على الأعداء ولا الغنى ولا الواكز الزمنية...

[628] القديس أغسطينوس

هـ. حالة شبع داخلي: " ويشبع في الجيوب (القفار) نفسك " [11] . بنواتنا نحن قفار وجوب، لكننا إذ بالحب تُشبع الجياح يشبعنا الله من عندياته بالرغم من العجز التام لإمكانياتنا.

و. بناء الآخرين: " ومنك تبني الخرب القديمة. تقيم أساسات دور فدور فيسمونك مرمم الثوة مرجع السالك للسكنى " [12]. حينما تمتد أيدينا إلى العمل بالله في الأمور الصغرة كالعطاء المادي أو تغرية الخزانى الخ... يهبنا ما هو أعظم أن نكون علة بناء حياة الغير الداخلية كمسكن مقدس للرب.

5. حفظ السبت:

بعدها قدم صورة حية عن الصوم المقبول كشف لنا عن حفظ السبت بالمفهوم الروحي الحق بكونه راحة روحية في الرب، مطالبًا إيانا بالآتي:

أ. " رددت عن السبت رجلك عن عمل مسرتك يوم قدسي" [13] . إن كان السبت هو يوم الرب المقدس لذا يليق فيه الكف عن إشباع المسوات أو الملذات الجسدية لنملس الحياة القدسية.

ب. التمتع باللذة والسرور في الرب يكرّم صاحب السبت ويمجده [13] ...وأن السبت ليس حرمانًا بل شبع داخلي وفوح، خلاله يحملنا الرب كما على مرتفعات الأرض لنحلق في السمويات ويطعمنا من مَنّ الموات الأبدى [14].



الأصاح التاسع والخمسون

عصياننا يحجب الخلاص عنا

في الأصحاح 57 يتحدث عن الوثنا الملتحم بالوثنية كعائق للتمتع بعمل الله الخلاصي المجاني، وفي الأصحاح 58 يتحدث عن الوياء كداء خطير يصيب المتدينين، والآن في هذا الأصحاح يتحدث عن العصيان لله كعائق.

1 . الخطايا الحاجبة وجه الرب [8-1].

2. أثر الخطايا [15-9].

3. الحاجة إلى الله المخلص [21-16].

1 . الخطايا الحاجبة وجه الرب:

" ها أن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص، ولم تثقل أذنه عن أن تسمع؛ بل آثامكم صلت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع" [2-1].

من جهة الرب فهو القدير لا تقصر يده عن أن تخلص وهو الأب المحب لا تثقل أذنه عن سماع صوت ولاده، إنما العيب كله في الإنسان الذي صلت آثامه - عصيانه للرب- حجابًا يفصل بين الله والإنسان، أفسدت عيني الإنسان فلم يعد يرى وجه الله، وأفسدت صوته فلم يعد لائقًا كي يسمعه الرب. الله يُريد أن يُخلص وقادر على ذلك لكنه لا يؤمننا قسواً، فتقف معاصينا وشورنا عائقًا عن التمتع به وبخلاصه.

❖ مادام هذا هو السبب الذي يجعلنا بعيدين عن الله، فلنزع هذا الحاجز البغيض الذي يُحرماننا من الاقتراب منه.

[629] القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ خطوة هي كل خطية لأنها تحزن الله.

[630] الأب ثيوفان الناسك

ماذا تعني الآثام والخطايا التي تفصلنا عن الله وتستر وجهه عنا؟ إنها رفض لنا موس الله ورغبة لخروج الإنسان خراج داوة ملكوته، إذ يقول الرسول: "والخطية هي التعدي" (1 يو 3: 5). هي رفض لله نفسه ولملكوته وناموسه وصورته التي خُلقتنا عليها... هذا هو ما يحزن قلب الله.

بمعنى آخر، خطايانا وآثامنا ليست فقط مجرد تصوفات معينة وإنما هي مؤشر عن حالة النفس الداخلية وموكرها بالنسبة لله... إذ تظن أن في الالتصاق معه نوعاً من العبودية والحرمان، فتُؤيد الخلاص منه والتحرر من وصاياه، معوة عن ذلك بوسيلة أو أخرى. لهذا يصور لنا الكتاب المقدس الخطية أحياناً ككائن مقوم لله، فيقول الرسول: "دخلت الخطية إلى العالم" (رو 5: 12).

عمل الخطية - دستور مملكة إبليس - انزاع البشوية عن مملكة الله وحرمانهم من الانتقاء بأبيهم والتمتع بانعكاس صورته عليهم والشركة في الطبيعة الإلهية، أما بزّ المسيح فعمله سحب النفوس المخووعة إلى ملكوت الله لتستر صلاحها وتتمثل بابتنائه وتشركه سماته ومجده. إن كانت الخطية هي "حالة النفس" وموكرها لكنها تُرجم بتصوفات داخلية في القلب والفكر والأحاسيس كما بتصوفات خلجية بالكلمات والعمل.

يقول القديس كيريلوس:

[لقد فُدمت حقيقة الأمر بفم النبي بروح إلهي... أن الله يستطيع أن يمنع الأشياء المقاومة لكن استحقاقات الخطاة الشروية تمنع تقديمه العون... لتُحصى خطاياكم ومعاصيكم، لتؤخذ في الاعتبار حواجات ضماؤكم، ليكف كل واحد منكم عن التذمر على الله وعلينا، إن حسب نفسه مستحقاً ما يُعاني منه ^[631]].

يعدد النبي هنا مجموعة من الخطايا سبق أن ارتكبتها الشعب، ولا زال يسقط فيها كثير من البشر:

أ. القتل أو العنف: "لأن أيديكم قد تنجست بالدم وأصابكم بالإثم" [3]. إن كان "الله محبة"، دستوره الحنو والتفوق والرأفة، فإن الخطية دستورها البغضة والعنف والقتل ظلماً. لهذا إذ أراد الرب أن يقتلع مملكة الخطية من جنورها قال: "قد سمعتم أنه قيل للقديس لا تقتل... وأما أنا فأقول لكم أن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع، ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم" (مت 5: 22-21).

ب. الكذب: "شفاهم تكلمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر" [3]. إذ رفضوا الله وانتسوا لمملكة إبليس حملوا سماتها وهي العنف ومعه الكذب والتضليل، فقد دعى عدو الخير "كذاب وأبو الكذاب" (يو 8: 44)، "المضل". فإن كان السيد المسيح هو "الحق" فعدو الخير هو "الكذاب" و"البطلان". الكذب هو دستور مملكة إبليس لهذا يُحزننا منه الكتاب المقدس: "كراهة الرب شفتا كذب، أما العاملون بالصدق فوضاه" (أم 12: 22). "كل كذب ليس من الحق" (1 يو 2: 21). "الفم الذي يكذب يقتل النفس" (حك 1: 11).

❖ كل إنسان متكبر مخادع، وكل مخادع كذاب. يعاني البشر من نطقهم بالخداع، مع أنه يمكنهم أن ينطقوا بالحق بسهولة تامة.

^[632] القديس أغسطينوس

ج. المحاباة: "ليس من يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق" [3]. أنهم يملسون دستور ملكهم، ألا وهو الظلم ومحاباة الوجه. أما ثمر أعمالهم الظالمة فهو هلاك الآخرين دون نفع لهم. يشبهون سيدة تحبل لا جنين بثوي يُوّج قلبها عند ولادته، إنما تعاني الأمهين من آلام الحمل والطلق، تحبل تعباً شديداً لتنجب إنما يهلكها ويهلك من هم حولها. "قد حبلوا بتعب وولوا إثمًا" [4]، وكما يقول الموتل: "هوذا يَمَخُضُ بالإثم، حمل تعباً وولد كذباً" (مز 7: 14).

التشبيه الثاني أنهم صلوا كأفعى تقدم بيضاً لكنه يفسد ما يميت لا ما يشبع ويسند [5].

التشبيه الثالث أنهم كالعنكبوت الذي ينسج خيوطاً لا تستر بل تصطاد الحشرات [5-6].

في التشبيهات الثلاثة السابقة يوجد عنصر مشترك هو "الخداع"، الأول تظهر الوأة حاملاً يُنتظر أن تُنجب طفلاً فتلد إثمًا، والثاني يظهر البيض

ليأكل الإنسان ويشبع فيفقس أفعى قاتلة، والثالث وى الإنسان نسيجًا دقيقًا رائعاً لكنه من صنع العنكبوت لا يستر الوى إنما يصطاد حشرات ليقتلها. هذه هي التشبيهات التي يُقدمها عن يحكمون بالظلم تحت أسم العادلة.

د. أما ما هو أخطر، أن ما يرتكبونه من آثام مذكورة هنا أو غير ولدة لا يسقطون فيها عن ضعف لا رادياً إنما يجرون إليها بأنفسهم، ويسعون نحو ارتكابها كمن يبتهج بها [7].

2. أثر الخطايا:

أ. الحومان من الاقتراب نحو الله "الحق": "من أجل ذلك ابتعد الحق عنا ولم يبركنا العدل" [5].

قبول الخطية قبول للبطلان ورفض الحق، أي دخول في مملكة إبليس وتعدي على مملكة الله.

❖ يا لشقائي... لقد انتابنتي حماقات جمّة، ومع أنك أنت هو الحق غير أنني لم أطلب منك المشورة. [633]

❖ عندما انفصلت عنك يا إلهي لم أعد بعد موجوداً، صوت كلا شيء.... [634]

القديس أغسطينوس

ب. "الانغماس في الظلمة: " ننتظر نوراً فإذا ظلام، ضياءً ففسير في ظلام دامس" [9].

❖ يا لشقائي... لقد داست عليّ الظلمة، ومع أنك أنت النور، إلا أنني حجبت وجهي عنك!. [635]

❖ أنت هو النور لأولاد النور! نهلك لا يعرف الغروب! نهلك يُضيء لأولادك حتى لا يتعثروا! أما الذين هم خلج عنك، فإنهم يسلكون في الظلام ويعيشون فيه؟... [636]

كل من يبتعد عنك أيها النور الحقيقي يتوغل في ظلام الخطية، وإذ تُحيط به الظلمة لا يقدر أن يميز الفخاخ المنصوبة له على طول

الطريق! [636]

القديس أغسطينوس

ج. فقدان البصوة، بلا قيادة واعية روحية: " نتلمس الحائط كعمي وكالذي بلا أعين نتجسس، قد عثرنا في الظهر كما في العتمة، في الضباب

كموتى" [10] . لقد أشرق السيد المسيح شمس البر وصورنا كمن في الظهيرة لكن بسبب فقدان البصوة تعثر البعض كمن هم في ظلمة؛ حجب لاهوته كما في ضباب الجسد وفي عدم إيمان سقط الجاحدون كالموتى.

د. صواخ بلا نفع؛ يُصلي الكبار بصوت عالٍ فزأرون، والصغار يهدرون كالحمام، فلا يوجد لهم خلاص [11]؛ ليس لسبب آخر غير تمسكهم

بالعصيان المستمر والمؤايد، فصار رفيقاً للإنسان، يرتكبه عن معرفة [12].

بمعنى آخر لا يكونون عن الصلاة، لكن بلا جوى لأنها لا تتبع عن قلب مخلص في اشتياقه نحو الله، وفي إيمانه بعمل الله في حياته، وفي

سلوكه الروحي. إن كان الله في محبته يشاق أن يستجيب لصوات الإنسان وطلباته قبلما يُعبر عنها الإنسان بلسانه لكن الإنسان بشوه وعدم إيمانه يفقد

التمتع بهذه العطية الإلهية.

❖ قد تأكد تماماً أن صلاته لن تُستجاب! من هو هذا البائس؟ ذاك الذي يُصلي ولا يؤمن أنه سيحصل على جواب.

مالقديس يوحنا كاسيان

هـ. الاترواف أو الحيدان عن الله بتمسكنا بالكذب وفقدان روح الصدق والاستقامة [14-15].

3. الحاجة إلى الله المخلص:

ساء الأمر جدًّا، لكن الله خالق الإنسان المهتم به ومحبيه لا يقف متوجًّا. " فؤاى الرب وساء فى عىنیه أنه لیس عدل. فؤاى أنه لیس إنسان وتحریر من أنه لیس شفیع، فخلّصت فؤاعه لنفسه ووبّه هو عَضَدَه " [15-16].

❖ بسبب هذا الانفصال رُسل الشفيع لكي يزوع الخطية عن العالم التي بها انفصلنا عنه كأعداء، وذلك لكي نتصلح معه ونتحول من أعداء إلى أبناء.

[\[637\]](#)
القديس أغسطينوس

إذ لا يوجد شفيع يقدر على مصالحتنا مع الله قول الرب نفسه، وكما يقول القديس غريغوريوس الثيولوجوس : [لا ملاك ولا رئيس ملائكة ولا نبيًّا أتمنته على خلاصنا بل أنت وحدك تجسدت وتأنست واشبهتنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها [\[638\]](#)...].

ماذا فعل الشفيع الكفري بنا؟

أ. تقدم المعركة كقائد لنا ونائب عن البشرية، يهبها النصرة والغلبة بوجه وسلطانة: " قلبس البرّ كورع وخوذة الخلاص على رأسه؛ ولبس ثياب الانتقام كلباس، واكتسى بالغوة كرداء، حسب الأعمال هكذا يُجزي مبعضيه... " [17-18]. عوض الخطية التي لربطنا بها فحطمتنا لبس وه الإلهي ورعًا لنا، وعوض الهلاك الذي حل بنا لرتدى الخلاص خوذة على رأسه، وعوض الضعف أو الانهيار الذي سقطنا فيه قام ينتقم من إبليس وكل ملائكته، يرد عليهم شرهم فيفتقون سلطانهم على الأمم في المغرب أو المشرق. يتمجد المخلص في الشعوب والأمم إذ يهبهم نصوة حتى على العدو الذي يفيض كنهه جرف لكن الرب كما بنفخة روحه القديس يوقف فيضه [19].

ب. أقام كنيسته، صهيون الجديدة كمركز للتوبة [20]، أقامها مستشفى للمرضى وليس محكمة للقضاء والادانة، إذ يقول: "ويأتي الفادي إلى صهيون، وإلى التائبين عن المعصية في يعقوب يقول الرب" [20].

❖ اللطف (بالضعفاء والخطاة) هو الفضيلة الوحيدة التي تسعى نحو نمو الكنيسة، الأمر الذي يطلبه الرب ثمناً لدمه.

اللطف هو اقتداء بحنان السماء نحو البشر، يهدف نحو خلاص الجميع [\[639\]](#).

❖ ليتنا لا نضحك على خطية أحد بل نحزن، لأنه مكتوب: "لا تشمتي بيّ ياعوتي، إذ سقطت أقوم، إذا جلست في الظلمة فالرب نور..." (مى 7: 8-9). لم يقل هذا بلا جوى، لأن من يشمت بالساقطين إنما يكون قد أبتهج بنصوة الشيطان. لذلك بالحوى يؤمننا أن نحزن عندما نسمع عن هلاك شخص مات المسيح لأجله. [\[640\]](#)

الشهيد كيريانوس

ج. إقامة عهد جديد مع البشرية [21] مع تأكيد لتحقيق الوعود الإلهية.

<<

الأصاح الستون

المدينة المنورة

بعدها تعرض للعقبات التي تحول عن تمتع الإنسان بالخلاص (إش 57 - 59) (يُقدم لنا في نهاية السفر صورة مبهجة ورائعة عن بناء مدينة الرب الجديدة (60 - 66)).

هنا (إش 60) يُقدم لنا صورة رائعة لكنيسة العهد الجديد كمدينة الرب صهيون المنورة، أيقونة السماء.

1 . مدينة منورة [2-1].

2. جذابة للأمم [9-3].

3. مدينة مجيدة [22-10].

1 . مدينة منورة:

سبق أن أكد الرب أنه يقوم بنفسه بالخلاص ويفدي صهيون، مقيمًا عهده الجديد معها (إش 59: 15-21). الآن إذ قدم السيد المسيح خلاصه على الصليب، وأعلن الأب قبوله بالقيامة التي هي ليست عطية خلجية عن السيد المسيح إذ هو نفسه القيامة (يو 11: 25)، له سلطان أن يضع نفسه وله سلطان أن يأخذها (يو 10: 18)، يطلب من كنيسة العهد الجديد أن تتمتع بحياة فاديها كحياة مقامة لا موضع للظلام فيها.

" قومي استنوي لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك، لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم، أما عليك فيشرق الرب، ومجده عليك بوى " [2].

عندما عاد اليهود من السبي حسوا أنفسهم كمن قاموا من الموت، وتمتعوا بنور الحياة والحرية بعد سبعين عامًا من المذلة كما في ظلمة القبر. أما كنيسة العهد الجديد فقد تمتعت بما هو أعظم، اتحادها بالنور الحقيقي كعريس أبدي يُقيم منها عروسًا تحمل نوره وبهائه ومجده. وكما قال الرب عن نفسه "أنا هو نور العالم" (يو 8: 12)، دعى تلاميذه نور العالم (مت 5: 14)، إذ يحملونه فيهم.

ما هو سرّ استنلة الكنيسة؟

قيامة الرب التي قدمت لنا الحياة الجديدة التي لن يغلبها الموت، ولا تقدر الظلمة أن تقتصها ولا القبر أن يُحطمها. لذلك يقول الرسول: "استنقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيئ لك المسيح" (أف 5: 14).

لما كان العماد هو تمتع بقيامة المسيح فينا لذا دُعي هذا السر "استنلة".

❖ إذ نعتد نستتير، وإذ نستتير نُتبنى، وإذ نُتبنى نكمل...

يُدعى هذا الفعل بأسماء كثيرة اعني نعمة واستنلة وكمالاً وحميمًا... فهو استنلة إذ به زى النور القنوس الخلاصي، أعني أننا به نشخص إلى الله بوضوح.

[641] القديس اكليمينضس الاسكنوي

❖ الاستنلة وهي المعمودية... هي معينة الضعفاء ... مساهمة النور... انتفاض الظلمة.

الاستنلة موكب يسير تجاه الله؛ مساواة المسيح، أس الدين، تمام العقل!

الاستنلة مفتاح الملكوت واستعادة الحياة.

[642] القديس غريغوريوس النزيوي

❖ المعمودية هي ابنة النهار، فتحت أبوابها فهرب الليل الذي دخلت إليه الخليفة كلها!

[643] مار يعقوب السروجي

هكذا إذ نقبل الاتحاد مع ربنا يسوع المسيح المصلوب ندفن معه في المعمودية ونقوم حاملين إمكانية الحياة الجديدة، لنحيا كما يليق كأبناء للنور،

وأعضاء جسد المسيح القنوس. لا يليق بنا أن نقول بعد إلى ظلمة الخطية، ولا أن نعتذر بضعفنا البشري لأننا نحمل فينا نور الرب ويشوق علينا مجده. لا نصير بعد أرضاً مظلمة بل سماء تحتضن مجد الله وبهاءه.

هذه هي سمة الكنيسة كحياة جديدة في المسيح، الساكن فيها، يشوق عليها بوه الإلهي، فيقال عنا: "فليضئ نوركم قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجوا أباكم الذي في السموات" (مت 5: 16).

❖ عندما يملسون الإلهيات وينطقون بها، ويعيشون الحياة الإلهية، هل من قسوة القلب وامتعتين بسلام البر، يلاحقهم مجد عظيم في كنيسة المسيح. **القديس أغسطينوس** [644]

إذ جاء السيد المسيح إلى العالم ليقنتي البشرية عروساً له يسكب مجده وبهاءه في داخلها؛ يهبها روحه القنوس لكي تُرينها ويُجمِّلها لنتهياً بالمجد الداخلي للعروس السملوي الأبدي. فيقال لها: "اسمعي يا ابنتي وانظري وأميلي أذنك وأنسي شعبك وبيت أبيك، فيشتهي الملك حسنك، لأنه هو سيدك فاسجدي له... كل مجد ابنة الملك في خوها" (مز 45: 10-13).

2. جذابة للأمم:

مجد الله الداخلي في النفس جذاب، يقتنص النفوس لمملكته الروحية. فإنه إذ تصير كنيسة العهد الجديد مدينة منورة تجتذب الأمم، وكما يقول الرب نفسه: "أنتم نور العالم، لا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعة على جبل، ولا يوقنون سواجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضئ لجميع الذين في البيت، فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجوا أباكم الذي في السموات" (مت 5: 14-16). هذا تحقيق لما جاء في إشعياء النبي: " فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشواقك" [3].

تصير الكنيسة كعريسها عمود نور الحق الذي يقود الأمم في طريق الرب ويقوم فيهم ملوكاً روحيين أصحاب سلطان داخلي. تتطلع الكنيسة هوالها لتتظر من كل جانب عمل الله العجيب، يجتذب من كل الأمم ولأدأ وبنات لها، يأتون من بعيد ليصيروا أهل بيت الرب المكرمين، المحمولين على الأيدي [14].

تظهر قوة المسيح القائم من الأموات في حياة كنيسته بتحويل الطاقات (ثروة الأمم) لحساب ملكوته، إذ قيل لعروسه: " حينئذ تنظرين وتسيرين ويخفق قلبك ويتسع لأنه تحوّل إليك ثروة البحر ويأتي إليك غنى الأمم" [5]...

ما هي ثروة أو غنى الأمم التي تتقدس لحساب كنيسة المسيح؟

أ. ثروة البحر [5]، أي الأسماك واللؤلؤ. لقد حسب آباء الكنيسة الأولى السيد المسيح هو "السمة" (أخسوس)، وأما المؤمنون فهم السمك الذي يعيش مع السيد المسيح وفيه (جز 47: 9). يقول العلامة توتليان: [نحن السمك الصغير بحسب سمكتنا يسوع المسيح قد وُلدنا في المياه، ولا نكون في أمان بطريق ما غير بقائنا في المياه على النوام] [645].

ب. ذهب ولبان تحمله الجمال من مديان وشبا لا للتجارة، لكنه يُقدّم هدية لصهيون. كما قدم المجوس ذهباً ولباناً ومراً للسيد المسيح علامة ملكه وأنه إله يُقدّم البخور، ومتألم؛ هكذا يصير أعضاء جسده ملوكاً يقدمون اللبان كبخور طيب للمخلص.

ج. تقديم ذبائح مقبولة لخدمة بيت الرب وزينته [7-8]، هذه الذبائح هي حياتنا وأجسادنا وكل طاقاتنا التي تلتحم بالذبيح الفريد، فتصير محرقات حب مرفوعة خلال الصليب. يقول الرسول: "فاطلب إليكم أيها الأخوة وأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية" (رو 12: 1). تقدماتنا للرب هي "نفوسنا" ذاتها كقول القديس جيروم [646].

د. لعل أجمل ما نقدمه لصهيون هو تمتعنا بالقوة على الطوان كسحاب يحملنا روح الرب نحو السمويات فنعيش مع مسيحننا في أمجاده كما في

بيتنا الخاص. " من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها؟! " [8].

سيأتي الرب في اليوم الأخير على سحاب (مت 24: 30)، يأتي محمولاً على قديسيه السحاب الخفيف المنير (إش 19: 1) ... كأن تشبيهاً بالسحاب يعني أننا صونا عرشاً نحمل مسيحنا؛ أما تشبيهاً بالحمام فيعني أننا صونا روحيين، لأن الروح القدس ظهر أثناء عماد الرب كحمامة. بمعنى آخر أن رتبنا بكنيسة الله يصوننا عرشاً للرب حاملين ثمار روحه القنوس.

جاء في الترجمة السبعينية: " من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام مع صغرهم؟! " **وى القديس غريغوريوس النيصي** أن هذه العبارة النبوية تعلن من بعيد عن الكنيسة القادمة بأطفالها المملوئين جمالاً الكثوي العدد ^[647].

يقول **القديس غريغوريوس النيصي** بين أولاد الكنيسة الحقيقيين الذين في خفة الروح يطبرون كالحمام و السحاب وبين الأشرار الذين بسبب ثقل الخطية يغطسون كما في مياه عميقة. ليسير الواحد خفيفاً بما فيه الكفاية بينما يغطس الآخر في مياه عميقة. لأن الفضيلة خفيفة تطفو، وكل الذين يعيشون في طريقها يطبرون كالحمام ومثل الحمام مع صغرهم كقول إشعيا؛ وأما الخطية فتثقل؛ وكما يقول نبي آخر أنها تجلس على وزنة من الوصا (ك 5: 7) ^[648].

هـ. الفضة مع الذهب [9]. إن كانت الفضة تُشير إلى كلمة الله (مز 12: 6) فإن الذهب يُشير إلى الحياة السماوية النقية؛ وكأن غنى الكنيسة القادمة من الأمم يكمن في تمسكها بكلمة الله وتمتعها بالفكر السموي.

3. مدينة مجيدة:

أ. " **وبنو الغريب يبنون أسورك وملوكهم يخدمونك** " [10]. يُشير هنا إلى كورش الغريب الجنس الذي أمر وروح المسيبين وأعطى نحما التسهيلات لبناء السور.

الله في محبته يستخدم كل الطاقات الغريبة لحساب بناء ملكوته، مقدماً كل صلاح من أجل كنيسته؛ وهذا هو مجد الكنيسة الحق: تقديس كل عمل!

ب. جمال الكنيسة ينصب في فتح أبوابها دائماً، " **نهراً وليلاً لا تغلق** " [11]. لا تود خاطئاً ولا توح مشاعوه؛ تحمل قلباً متسعاً بالحب كوعيسها نحو الجميع.

إنها كسفينة فوح أبوابها متسعة، قبلت فوح وعائلته والحوانات والطيور الخ... من كان بداخلها خلص، أما من رفض فهلك. " **لأن الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيد وخاباً تخوب الأمم** " [12]. وكما يقول **الشهيد كيريانوس**: [إنه لا خلاص خرج الكنيسة].

ج. " **مجد لبنان إليك يأتي، السرو والسنديان والشربين معاً لزيئة مكان مقدسي وأمجد موضع رجلي** " [13]. لقد عُرفت لبنان بشجورها الممتاز، لذا تحول ثروتها الخشبية لاستخدامها في تزيين هيكل الرب. صورة رائعة لتحويل الطاقات الخاملة أو التي أسيء استخدامها لحساب هيكل الرب.

د. التمتع بسلطان روحي حيث تخضع قوات الظلمة تحت أقدام المؤمنين. " **وبنو الذين قهروك يسرون إليك خاضعين، وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك ويدعونك مدينة الرب صهيون قدوس إسرائيل** " [14]. حتى عدو الخير بكل طاقاته يشهد للمؤمنين أنهم مدينة الله المقدسة. لا يستطيع الأشرار إلا أن يشهوا لأولاد الله عن قدسية حياتهم حتى في لحظات اضطهادهم لهم.

هـ. تمتعها بالفوح الدائم الأبدي: " **عوضاً عن كونك مهجورة ومبغضة بلا عابر بك أجعلك فوحاً أبدياً فوح دور فدور** " [15]. هذا هو فوحها الأبدي أنها ليست بعد مهجورة ولا تعاني من حالة فواح أو عزلة أو بغضة الغير لها بل تمتلئ فوحاً فتصير مجيدة إلى الأبد.

و. يهبها الله أكثر مما تطلب وفوق ما تسأل، فإن سألت نحاساً يهبها ذهباً، وأن طلبت حديداً يهبها فضة وعوض الخشب يُقدم لها نحاساً، وبدل الحجرة حديداً... هكذا تجد في الله شعبها الداخلي وأيضاً سرّ غناها الروحي وشبع كل احتياجاتها.

ز. يسكن العدل فيها لذلك " لا يُسمع بعد ظلم في أرضك، ولا خراب أو سحق في تخومك بل تُسمين أسورك خلاصاً وأبوابك تسبيحاً" [18].
كل إنسان يجد فيها خلاصه وسرّ تسبيحه وفرحه، لأن الله العادل فيها يهب عدلاً ورواً، ولا يسمح بظلم أو خراب أو سحق أن يُملس في داخلها.
ح. بكونها أيقونة السماء لا تحتاج إلى شمس أو قمر لإضاءتها "بل الرب يكون لك نوراً أبدياً والهك زينتك" [19].
ط. التمتع بالحياة البرة [21].

ي. التمتع بقوة الله الفائقة "الصغير يصير ألفاً، والحقير أمة قوية" [22]. الإنسان بذاته يُحسب صغيراً أما كعضو في جسد المسيح فيُحسب ألفاً أي سموياً، لأن رقم 1000 يُشير إلى السماء. خرج المسيح بحسب حقراً يلهو به عدو الخير وتحطمه الخطية، أما في المسيح يسوع فيصير أمة قوية. يصير "أمة" إذ يحمل طاقات مقدسة للروح والجسد تعمل معاً بانسجام وفي وحدة، تحمل قوة روح الرب فيها.
هكذا يُقدم لنا هذا الأصحاح صورة حية عن كنيسة السيد المسيح بكونها المدينة المنورة الحاملة لإشواقات السيد المسيح فيها، تجتذب الأمم والشعوب خلال مجدها الداخلي، وتقدس كل طاقاتها وإمكاناتهم التي أساءوا استخدامها تفتح أبوابها أمام الجميع بالحب، ويفتح الرب أبوابها أمامها ليهبها أكثر مما تطلب وفوق ما تسأل، يهبها وه وعدله وقوته وجماله ونوره فلا يُعزها شيء!

<<

الأصحاح الحادي والستون

الحياة الجديدة

يقدم لنا السيد المسيح برنامجاً حياً لعمله الخلاصي فقد جاء من أجل المساكين ومنكسري القلب والمسيبين وكل النائحين ليهب غواً ومجداً خلال التجديد الذي يهبه للمؤمنين به ليقمهم كهنة وملوكاً له ويختلهم عروساً روحية مقدسة له.

1. برنامج المسيح الخلاصي [1-3].
2. الحياة الكنسية الجديدة [4-6].
3. الحياة الكنسية المجيدة [7-9].
4. حياة زوجية مفرحة [10-11].

1. برنامج المسيح الخلاصي:

يقدم لنا السيد المسيح على لسان إشعياء النبي برنامجاً حياً عن عمله الخلاصي، يعرضه في إيجاز مع عمق، وهو:

1 . تمتع البشوية بالروح القدس الذي يُجدد الطبيعة البشوية ويغنيها، يزع عنها فسادها ويهبها الحياة الجديدة التي في المسيح يسوع فتتم بشركة الحياة الإلهية... هذه العطية قُدمت لنا في شخص السيد المسيح القائل: "روح السيد الرب عليّ" [1]. كما سبق فقلنا في تفسير الأصحاح الحادي عشر أن الروح القدس هو روح الابن، ليس غريباً عن المسيح، لكنه بالتجسد قبل حلوله عليه باسم الكنيسة ولحساب المؤمنين به:

❖ لقد فلق الروح القدس الإنسان لأنه لم يكن قانواً على أن يحل في الفساد، ولكن الآن ظهر إنسان جديد بين البشر وهو وحده الذي يجعل عودة الروح ممكنة، لأن هذا الإنسان بون خطيئة.

❖ لقد وعد الله أن يعطي الروح مرة ثانية للبشوية... ولم تكن هناك طريقة أخرى يمكن بها إعادة هذه النعمة إلى الإنسانية بون مفارقة سوى في يسوع

المسيح... إنها عودة أبدية سببها حالة الاستوار والثبات.

❖ لقد منح المسيح الروح القدس لناسوته، وبذلك جعل الروح يتألف من جديد مع طبيعتنا.

❖ إن عودة الروح القدس للإنسان في المسيح، الإله المتجسد، آدم الثاني، عودة أبدية. فالروح القدس حلّ على آدم الثاني لوهّ. والبرّ في المسيح برّ ثابت، لأن اتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص المسيح ثابت... وهذا ضمان ثابت للبشرية واستوارها في الحياة الجديدة.

[649]

القديس كيرلس الكبير

❖ اسم "المسيح" يحمل ضمناً ذلك الذي يمسخ والممسخ والمسحة ذاتها. الأب هو الذي يمسخ، والابن يُمسح، والروح هو المسحة.

[650]

القديس إيريناؤس

❖ أضاء الروح القدس في كمال وجوده عليه، فالشبيه يستقر بالشبيه. أما بالنسبة لكم فبعدما سعدتم من جرن المياه المقدسة وهبت لكم المسحة التي هي رمز لما مُسح به المسيح؛ هذا هو الروح القدس.

[651]

القديس كيرلس الأورشليمي

إذ دُفع إلى السيد المسيح سفر إشعياء وأ هذا الفصل، "ثم طوى السفر وسلمه إلى الخادم وجلس... فابتدأ يقول لهم: إنه اليوم قد تمّ هذا المكتوب في مسامعكم" (لو 4: 17-21).

2 . جاء السيد المسيح ليُؤخّ قلوب المساكين بإنجيل خلاصه، ويعصب منكسري القلوب ويهب حربته للمسيبين... حاسباً مجيئه سنة يوبيل حقيقية مقبولة لدى الرب وواهبه غواء للنائحين (إش 61: 2، لا 25: 9، 40).

3. مجيئه "يوم انتقام لإلهنا" [2] ، حيث حطم سلطان قوات الظلمة، إبليس وملائكته وأعماله الشريرة.

4 . يُقيم الرب المؤمنين كأشجار برّ أو غروس الرب في الفردوس الإلهي [3] ، تحمل جمالاً عوض الرمد، ودهن فوح عوض الفوح، ورداد تسبيح عوض الروح البائسة؛ أي يسكب علينا جماله وفوحه وتسبيحه عوض المذلة والفوح والبأس!

2. الحياة الكنسية الجديدة:

رسالة السيد المسيح الذي مسحه الأب ليبشر للمساكين هي "تجديد المدن الخربة" التي صلت موحشة عبر الأجيال. لقد صلت الطبيعة البشوية في كل الأجيال أشبه بالمدن الخربة تحتاج إلى هدم وإعادة بناء. هذا هو عمل الله الخالق الذي يُقيم ملكوته فينا، فيحولنا بروحه القنوس من مسكن للخطية والشر إلى مقدس للرب. أما الأجانب الذين وعون غنمنا، وبنو الغريب الذين يقومون بحراسة أرضنا والعمل ككوامين في حديقتنا، فهم طاقات النفس الداخلية ونوافعها التي صلت كمن هي أجنبية وغريبة عن الرب وملكوته. إنها تخضع من جديد فلا تصير عثرة في طويق خلاصنا بل على العكس معيناً للنفس تسندها في جهادها. وذلك كما فعل الشعب العوراني قديماً حين حملوا الذهب والفضة والثياب الفاخرة من المصوبين واستخدموها في إقامة خيمة الاجتماع بدلاً من استخدامها في عبادة الأوثان في مصر [652].

يقول: " تُدعون كهنة للرب" [6] ، ذلك لأننا إذ نحمل الطبيعة الجديدة خلال المعمودية نصير روحياً كهنة، نرفع أيدينا للصلاة ونقدم أجسادنا نبيحة حب مقبولة لدى الأب. هذا الكهنوت يدعوه القديس أيرونيوموس "الكهنوت الشعبي" *Laic Priesthood* [653].

3. الحياة الكنسية المجيدة:

يهب الله كنيسته أيضاً من المجد الداخلي والتغويات السماوية والفوح الدائم.

أ. مكافأة مضاعفة عوض المتاعب القديمة: " عوضاً عن خزيكم ضعفان، وعوضاً عن الخجل يبتهجون بنصيبهم، لذلك يرثون في أرضهم

ما هي المكافأة المضاعفة التي نتمتع بها عوضًا عن خزيانا؟ التمتع بغوان خطايانا، ونوال برّ المسيح؛ بمعنى آخر نزع حوى الخطية والتمتع بمجد المسيح فينا؛ العفو عنا كعبيد عصاة وقبولنا كأبناء لله في المسيح يسوع الابن الوحيد الجنس.

لم يقف عمل المسيح الكفري عند إيفاء الدين الذي أثقل كاهلنا، وإنما قدم لنا وه لنشركه مجده؛ يقول الرسول: "لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستورة مع المسيح في الله، متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضًا معه في المجد" (كو 3: 3-4).

لعله أيضًا يقصد بالموات المضاعف القيامتين: القيامة الأولى التي ننالها هنا في حياتنا الوهمية إذ ننعم بالحياة المقامة، والقيامة الثانية حين يأتي رب المجد على السحاب لنقوم معه ونوجد معه في المجد. وكما يقول **القديس أغسطينوس** : [نحن الذين متنا موتًا مزدوجًا (موت النفس والجسد)، نقوم قيامة مزدوجة. حتى الآن نحن قمنا قيامة واحدة، وهي القيامة من الخطية، لأننا دُفنا معه في المعمودية، وقمنا معه خلال المعمودية بالقيامة. هذه القيامة هي الخلاص من خطايانا؛ وأما القيامة الأخرى فهي قيامة الجسد. هو أعطانا القيامة العظمى، وما نحن ننتظر الأقل! القيامة الأولى أعظم من الثانية، إذ خلاصنا من خطايانا أعظم من قيامة الجسد ^[654]].

إن كانت سمة مملكة إبليس الأتانية التي تجلب الكراهية فأن خزيانا الذي سقطنا فيه هو اتسامنا بالأتانية القاتلة، عوض هذا القوي صار لنا الموات المضاعف أي الحب من جانبيه المتكاملين، حب الله وحب القريب. وكأن عمل المسيح فينا أن يُحطم الأنا ليهبنا حبًا فائقًا لله ولخليقته.

ب. " **بهجة أبدية تكون لهم** " [7] ؛ مادامت الحياة الكنسية هنا هي عيون الحياة السماوية، تتسم بالمجد المضاعف عوض القوي، وبالحب عوض الأتانية... فإنها تحمل بهذا طبيعة الفرح والبهجة! سرّ فرحنا أننا نحمل مسيحين فينا، ليقيم ملكوته السلمي الموح في أعماقنا.

ج. " **وأقطع لهم عهدًا أبدياً** " [8] ... كثوًا ما يكرر سفر إشعياء الحديث عن هذا العهد بين الله وكنيسته المعلن في جسد المسيح المصلوب كسرّ مصالحة أبدية.

د. بركة في ثمرهم الروحية كما نسلهم: " **ويُعرف بين الأمم نسلهم، ونريتهم وسط الشعوب، كل الذين يرونهم أنهم نسل بركة الرب** " [9]... ما هو هذا النسل المبارك الذي يعرفه الأمم؟

لا يقصد ولادنا حسب الجسد، وإنما بالأكثر الذين يتعلمون للرب خلالنا، والذين يعرفون على الخلاص وينالون الميلاد الجديد خلال شهادتنا الحية لإنجيل خلاصنا.

وربما عنى بالنسل والنزية الأعمال المقدسة التي هي ثمار روح الله القنوس فينا، وعطية نعمته المجانية في حياتنا.

4 . حياة زوجية مفرحة:

الحياة الكنسية الحقّة هي حياة عوس دائم مملوء فرحًا وبهجة بلا انقطاع، خلاله توتدي ثوب الخلاص كثوب العوس الأبدي، أو كثوب كهوتى عام...

" **فرحًا أفوح بالرب، تبتهج نفسي بالهي لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص، كساني رداء البرّ مثل عريس يتزين بعمامة (تاج) ومثل عروس تتزين بحليها** " [10].

في بعض الكنائس التقليدية يردد الكاهن العبرة السابقة عند ارتدائه الثياب الكهنوتية للاشواك في قداس الأفلستيا، حاسبًا أنه يتقدم لسرّ الأفلستيا كما إلى عوس موح، يحتاج إلى ارتداء ثياب الخلاص الخفية ورتداء البرّ وزينة الروح... ما هو هذا الثوب إلا السيد المسيح نفسه؟! يلبسه المؤمنون عند تمتعهم بمياه المعمودية (غل 3: 27).

❖ حقًا المسيح هو زينة العروس، هذا الذي هو الكائن والذي كان والذي يأتي، المبارك الآن وإلى الأبد، أمين.

وإنما لأجل الاسم الذي حملوه.

تمتعت كنيسة العهد الجديد بالانتساب إلى اسم المخلص كمصدر حيّ للتمتع بوه الفائق كسرّ جمال لها: " وتكونين إكليل جمال بيد الرب، وتاجًا ملكيًا بكف إلهك" [3]. يدعوها الرب "إكليل جمال" و "تاجًا ملكيًا" لا لتوضع على رأس الرب لأنه لا يحتاج إلى كرامة إضافية، إنما هي في يده؛ هي عمل يديه، مجدها من صنعه هو. يعتز بها ويبقى هو الرأس وهي جسده المجيد.

2. عروس سملاوية:

أحد الأسماء الجديدة التي تمتعت بها الكنيسة هي "عروس المسيح". " لا يُقال بعد لك مهجورة، ولا يُقال بعد لأرضك موحشة، بل تدعين حفصية وأرضك تُدعى بعولة، لأن الرب يُسر بك وأرضك تصير ذات بعل؛ لأنه كما يتزوج الشاب عواء يتزوجك بنوك، وكفوح العريس بالعروس يفوح بك إلهك" [4-5].

خرج المسيح المخلص كانت تدعى "مهجورة" و"موحشة"، كُرّض قفر بلا حياة ولا ثمر وكفتاة هجرها الكل فصلت نفسًا خربة يُحطمها الشعور بالغلة والتوك. الآن بالمسيح صلت عروسًا أبدية سملاوية لذا حملت لقبين مكرمين عوض الاسمين القديمين: "حفصية" وتعني "مسوتي بها" و"بعولة" أي "ذات البعل" أو "متزوجة"؛ صلت موضع سرور الله تعيش في حضن عريسها السلموي. يحب بنوها أرضها ويعملون بسور وبهجة كأنهم متزوجون الكنيسة، يعملون لحسابها لا كعبيد ولا كأجراء ينتظرون المكافأة وإنما كبعل يُسر بعروسه يطلب راحتها وتوفها... هذه هي سمة أولاد الله الذين بوح يكوسون قلوبهم وأفكلهم وطاقتهم للعمل في كنيسة المسيح. يلاحظ أن هذه العروس فريدة وعجبية من جهة الآتي:

أ. أنها عواء وأم لها بنين في نفس الوقت، الأمر الذي لن يتحقق في حياة أية فتاة، لكنه تحقق في القديسة العواء مريم والدة الإله. فقد ولدت يسوع رب المجد وبقيت دائمة البتولية، لأن ابنها واهب البتولية، فصلت العضو الأمتل في الكنيسة. كنيستنا عواء عفيفة (2 كو 11: 2)، وهي أم المؤمنين في نفس الوقت. نحن أيضًا إذ نقبل العضوية الكنسية تصير نفوسنا في الداخل بولاً عفيفة، وبالحب تحمل نوعًا من الأمومة نحو البشر.

❖ يلزم أن تكون بتوليتكم روحية...

حقًا لا يقدر كثيرون أن يكونوا بتولين حسب الجسد، لكن يلزم كل مؤمن أن يكون بولاً حسب الروح. إذن تيقظي يا نفسي، واحرصي على بتوليتك.

❖ أم السيد المسيح عواء، وعروسه "الكنيسة" عواء أيضًا.

[\[658\]](#) القديس أمبروسيو

❖ النعمة جعلت العواء أمًا ولم تحل بتوليتها.

[\[659\]](#) الأب ثيودسيوس أسقف أنقرة

ب. بقوله: " كما يتزوج الشاب عواء يتزوجك بنوك" [5] ، يكشف عن وحدة الكنيسة فقد حسب كل ولادها أشبه بشاب واحد، لأن الجميع يعيشون بهدف واحد وغاية واحدة هي الاتحاد مع الأب في ابنه يسوع المسيح بالروح القدس. ومن ناحية أخرى يوضح أنه لا يعني الزواج بالمفهوم الجسداني، لأنه لا يليق بالولاد أن يتزوجوا أهم، إنما يعني تعلق أبناء الله بعروسه الكنيسة واتحادهم بها. أخيرًا تشبيه أبناء الكنيسة بالشاب يعني اتسامهم بالشبوية الدائمة، حيث لا تلحق بهم شيخوخة ولا يصيبهم ضعف.

ج. بقوله: " وكفوح العريس بالعروس يفوح بك إلهك" [5] ، يكشف عن اتسام الكنيسة بالفوح الدائم، وعن بقائها في حالة عوس دائم فيه يشناق

الطوفان كل نحو الآخر. بمعنى آخر لا يقدّم العوس ولا يخضع للزمن، إنما يبقى عوساً دائماً أبدياً.

والعجيب أنه في طقس الكنيسة القبطية توجّه الأناظر أثناء قداس الزواج نحو الكنيسة كعروس المسيح، وأيضاً نحو القديسة مريم كمثال حيّ

للتمتع بعروس داخلي مع السيد المسيح. ففي نهاية خدمة هذا القداس يتغنى الشمامسة بهذا النشيد:

"السلام للعروس المضيئة،

أم الذي يضيئ،

السلام للتي قبلت إليها الكلمة الكائن في أحشائها،

السلام للتي هي أكرم من الشلروبيم،

السلام للتي ولدت لنا مخلص أنفسنا...".

3 . حواسة مع التهليل:

عانى اليهود من السبي فحسبوا أنفسهم كزوجة هوارجلها أو أرض صلت قواؤها هو الرب يودهم ليصيروا أبناء عاملين في أرضهم

(بلدهم). لكن ربما خشي البعض من التعرض للسبي مرة أخرى، لهذا يؤكد الرب حواسته لشعبه الراجع إليه.

إن كان عدو الخير قد أسونا في أرضه، وحرمانا من أرض الموعد، ومن التمتع بالمقدسات السماوية، الآن بالصليب صونا عوساً للرب،

ورجعنا كما إلى الفردوس كبيت خاص بنا أو كمدينة مقدسة نسكن فيها مع إلهنا الذي يُقيم حواسة مشددة بقطعة عند أسورنا وأقرب العدو ليل نهار بلا

توقف [6].

من هم هؤلاء الحواس الذين يقيمهم الرب على كنيسته إلاّ خدامه الأمناء اليقظين، خاصة بروح الصلاة الدائمة مع العمل الواعي المملوء حباً.

هذا ما نلمسه في خدمة الرسول بولس القائل: "لذلك اسهروا متذكّرين إني ثلاث سنين ليلاً ونهلاً لم أفتر عن أن أنذر بدووع كل واحد" (أع 20: 31).

وأيضاً في خدمة صموئيل النبي القائل: "وأما أنا فحاشا لي أن أخطئ إلى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم بل أعلمكم الطريق الصالح المستقيم" (1 صم

12: 23). هكذا تلتحم الصلاة الدائمة مع الحب والتعليم المستمر بكونها جميعاً عمل حواسة لمدينة الرب.

في حياة الإنسان المسيحي الحق صاحب المعرفة الروحية العملية - الغنوسي - يؤم إقامة حواسة مستورة داخلية، عبر عنها القديس اكليميندس

الإسكنوري بقوله: [يليق بالغنوسي أن يتأمل في الله قدر المستطاع] ^[660].

ما أروع العبرة: " يا ذاوي الرب لا تسكتوا، ولا تدعوه يسكت" [6-7]. هكذا يدعونا الرب أن نذكوه على النوام ولا نسكت فيستجيب هو

أيضاً ولا يسكت؛ نذكوه فيذكونا، فإنه مشتاق أن يُدخلنا معه في معاملات قوية ومستورة، طالباً أن يُثبتنا كأورشليمه المحيطة، ويجعل منا "تسيحة في

الأرض" [7]. كل من يتطلع إلينا أو يتلامس معنا يتمتع بأيقونة السماء، الفوح الداخلي الحق.

يهبنا الله أن نتمتع بثمر روحه القُدوس من قمح وخمر ولا يغتصبه العدو منا. ما هو القمح إلاّ التمتع بالشركة مع المسيح السنبلّة الفريدة؟! وما

هو الخمر إلاّ عطية الروح القدس واهب الفوح؟! كأن سهونا في الرب يحفظ شركتنا مع الله في المسيح يسوع قمحنا السموي

بواسطة روحه القُدوس الخمر الفريد.

4 . تهيئة الطريق لها:

تهيئة الطريق للرب في حياتنا هو تهيئة لطويقنا نحن في سمواته. هو يعبر إلى أبواب قلوبنا ليحملنا إلى أبوابه الدهرية. أقام صليبه راية حب لنا

لكي نجتاز بها المعركة الروحية وننال المكافأة السماوية. لذا قيل: " أعبروا أعبروا بالأبواب، هيئوا طريق الشعب، اعنوا اعنوا السبيل، نقوه من

الحجرة، رفعوا الراية للشعب. هوذا الرب قد أخبر إلى أقصى الأرض؛ قولوا لابنة صهيون: هوذا مخلصك آت ها أجرته معه وجزؤه أمامه" [10-

لقد جاء القديس يوحنا المعمدان يُهيئ الطريق للرب (مت 3: 3)، أما الذي يعمل حقيقة والذي يُكافئ فهو مخلص الكنيسة.



الأصاحح الثالث والستون

المسيح دائس المعصرة

ظهرت الكنيسة في الأصحاح السابق كعروس تتمتع بانتسابها لله مخلصها وعريسها، الآن يقدم لنا صورة للعريس الذي يبذل حياته من أجل

عروسه.

1. المسيح المصلوب [6-1].
2. تسبحة من أجل إحسانات الرب [9-7].
3. تذكير الله بأعماله القديمة معهم [14-10].
4. صلاة التوبة [19-15].

1. المسيح المصلوب:

في يوم خراب أورشليم على يدي بابل وقف بنو آدوم شامتين بل وقاموا بنور إيجابي ضد أورشليم بإلقاء القبض على الهلبيين لتسليمهم أسوي، ودخلهم بغنائمهم للوعي في أورشليم الخ... لهذا يصوخ المرثل قائلاً: "أذكر يرب لبني آدوم يوم أورشليم القائلين: هُوتوا هُوتوا حتى إلى أساسها" (مز 137: 7)؛ كما يقول عوبديا النبي: "من أجل ظلمك لأخيك يعقوب يغشاك الحرى وتنقوض إلى الأبد، يوم وقفت مقابله، يوم سببت الأعاجم قنرته ودخلت الغباء أبوابه وألقوا قرة على أورشليم كنت أنت أيضاً كواحد منهم" (عو 10: 11).

يشير آدوم (تعني وَابًا ومحبًا لسفك الدماء) إلى عدو الخير إبليس لهذا يظهر المخلص كقادم من آدوم بثياب حمر في جلاله وعظمته؛ غلب العدو وداسه كما في معصرة ليهب شعبه نصوة وخلصاً.

" من ذا الآتي من آدوم بثياب حمر من بصرة؟! هذا البهي بملابسه، المتعظم بكثرة قوته؟! أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص" [1].

تطلع النبي إلى المخلص وقد ارتفع على الصليب محطماً آدوم الحقيقي وواهباً نصوة وبهاء لمؤمنيه، فصار يسأله:

من أنت؟

من أين أنت قادم؟

ما هو حالك؟

ما هو عملك؟ وما هو هدفك؟

فمن جهة شخصه يقول: " أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص" [1] . كثيرون يتكلمون بالبر ويجيدون الحديث عنه، حتى بعض القادة الدينيين في

ذلك الحين كانوا قادرين على التعليم بخصوص البر. أما المخلص-ربنا يسوع - فهو الوحيد القادر أن يتحدث بالبر "العظيم الخلاص"، أي البر العملي

الذي يهب خلاصًا من الأعداء وتمتعاً بالأبدية. هو وحده البار الذي لم يعرف خطية (2 كو 5: 21)، حمل خطايانا في جسده ليكفر عنها بدمه المبذول، مقدمًا لنا وه وَا لنا. إنه فريد في وه، فمن جانب: هو وحده الذي بلا عيب مطلقًا، ومن الجانب الآخر قادر أن يبرر الآخرين. أنه البار الذي يُسر الآب به، يحملنا فيه لنحسب نحن أيضًا موضع سروره.

يتكلم السيد المسيح عن برّ لا بدمه فقط وإنما بكل كيانه وحياته التي بذلها بلوادة المقدسة خلال حبه الإلهي لأجل توبونا، ليُصلح من حال طبيعتنا الفاسدة ويهبها شركة الطبيعة الإلهية (2 بط 1: 4).

من جهة الموقع رآه قادمًا من "أوم" التي تعني "وَابًا" أو "دَمًا". وكان الوب جاء إلى حيث سقطنا، إلى أوم، حيث عدنا إلى وَابنا لكي يحول وَابنا إلى سماء. لقد قيل لنا "لأنك وَاب وإلى وَاب تعود" (تك 3: 19)، الآن إذ قول مخلصنا السموي إلى أرضنا لنتحد معه نسمع الصوت الإلهي: "لأنك سماء وإلى سماء تعود". هذا هو برّ المسيح الذي يرفعنا كما من الغزيلة ليقيمنا في سمواته. من جانب آخر فإننا إذ صونا "أوم" (= دم) محبين للقتال أو مبغضين للغير، فإن مسيحننا جاء إلى أرض المعركة ليغتصبنا من عدو الخير المحب لسفك الدماء لكي يتسع قلبنا بالحب والبذل!

من جهة عمله يقول: " قد دستُ المعصرة وحدي ومن الشعوب لم يكن معي أحد" [3]. دخل المعركة - معركة الصليب - وحده، وكما قال لتلاميذه: "وتكونني وحدي وأنا لست وحدي لأن الآب معي" (يو 16: 32). لباسه محمر وثيابه كدائس المعصرة [2]، إذ ألبسوه ثوبًا قوميًا (مز 15: 17) ليسخروا به. كما تُشير إلى أن جسده كله قد أفاض دمًا من الحواحات الواهبة الشفاء (إش 53: 5). هذا البذل هو سرّ جمال فائق يركه من اختبر الصليب كقوة الله للخلاص، لهذا قيل "البهي بملابسه" [1].

❖ صنع تدبويرًا رائعًا للجسد المتألم، فقد توين بالآلام وتمجد باللاهوت، فإنه ليس أكثر من ذلك غزوبة وجمالاً.

[\[661\]](#) القديس غريغوريوس النريوي

ما فعله إنما يوحي حبه العظيم وغرته نحو عروسه إذ أراد أن يُحررها من العدو إبليس ويهبها التمتع بسنة اليوبيل الدائمة أو التحرر غير المنقطع [4].

2. تسبحة عن إحسانات الرب:

لم يجد النبي ما يمكن للكنيسة العروس المفدية بالدم أن تقدمه مقابل إحسانات الله الدائمة والتي تجلت في أعرق صورها على الصليب سوى التسبيح له.

لم يقدم الله إحساناته من أجل مقابل ما، إنما من أجل مواعمه وكثرة إحساناته، متطلعًا إلينا إننا شعبه وبنوه؛ يُشركنا ضيقنا وآلامنا. "في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته (المخلص) خلصهم" [9]. إنه حب عجيب!

3. تذكير الله لأعماله القديمة:

إن كان الإنسان في غبوته يأخذ موقفًا مصادًا من خالقه وفاديه، فإن الله في محبته يذكر أعماله القديمة معهم كيف راعاهم خلال موسى، وكيف حل في وسطهم بروحه القديس. شق أمامهم المياه ليمجد اسمه فيهم... لا زال الله هو هو في حب يود أن يقود شعبه بنفسه! حقًا إنه يؤدبهم على موقفهم العدائي لكنه يبقى منتظرًا عودتهم، هذا ما عناه بقوله: " ولكنهم تمربوا وأحزنوا روح قدسه فتحول لهم عدوًا وهو حربهم، ثم ذكر الأيام القديمة الخ..." [10-11].

❖ إن كنا نصلي ونردد الزمير قدامه في كوياء بطريقة نقدية، في زهو، إن كنا نتمم الخدمة بنشيتيت فكر ليس فقط لا يصغي إلينا بل ويسلمنا

للشهير... يرتد ليصير خصمًا يُحربنا؛ بمعنى آخر يسحبنا من حضوته ويسلمنا للشيطان لتأديبنا حتى نتوقف عن التجديف (1 تي 1: 20).

[6621]

الأب ملرتيوس السرياني

4. صلاة وتوبة:

حين نسقط في الشر ونقف كمعادين لله، يبقى الله منتظرًا توبتنا. فلا نبرر أخطاءنا إنما نستدر حبه وغيوته نحونا بكونه أبانا الذي يعرفنا أكثر من إواهيم أب المؤمنين وإسائيل نفسه [16].

" تطلع من السموات وانظر من مسكن قدسك ومجدك" [15]. هكذا يشعر الخاطيء كأنه قد دنس الأرض بخطيته ورجاسته، وكان الله قد فرق الأرض ليبقى في السماء حيث مقدسه ومجده، لهذا يستدر مراحم الله، طالبًا منه أن يتطلع من سمواته الطاهرة نحو النفس الساقطة والمشتاقة إلى الرجوع إليه والتمتع بحضوته.

ربما جاء هذا الشعور كوليده لما حل بهيكل الرب من خراب، فقدر أي حرقيا ل النبي مجد الرب يُفارق الهيكل والمدينة "أورشليم" بل والأرض كلها، إذ يقول: "وخرج مجد الرب من على عتبة البيت ووقف على الكروبيم، فرفعت الكروبيم أجنحتها وصعدت عن الأرض قدام عيني" (حز 10: 18-91).

" أين غيوتك؟... ومراحمك نهي قد امتنعت" [15]. تقوم التوبة على أساس اكتشاف غوة الرب نحو أولاده وحبه الفائق العميق "زفير أحشائك" ومراحمه نحو الإنسان مهما كانت ضعفاته. كما تقوم على إواكه بنوته له (تث 32: 6؛ إش 63: 16).

" لماذا أضللنا يرب عن طرقك؟! فسيت قلبونا عن مخافتك؟! رجع من أجل عبيدك أسباط موائك" [17]. واضح هنا أن التائب لا يعني إلقاء اللوم على الله، إنما بعدما اكتشف أهوة الله في الحال يُعاتبه، بأنه كان ينتظر أن نعمته تسنده. حقًا لقد أخطأ وتمادى في الخطأ فأسلمه الله لذنه المرفوض، وتركه لفسوة قلبه (رو 1: 28)، الآن يطلب نعمته حتى لا يضل عن طريق الرب ولا يبقى في فسوة القلب. هذا ما عناه المرتل بقوله: "بكل قلبي طلبتك، لا تضلني عن وصاياك" (مز 119: 10).

حين يدخل الإنسان تحت التأديب يشعر بالمرارة لذلك يقف معاتبًا الله بكل وسيلة، ترة يسأله ألا يسمح بعد أن يتوكله في فساد ذهنه وفسوة قلبه، وأخرى يستوحمه من أجل قديسيه المبكرين الذين يطلبون عن البشرية [17]، وأخرًا يسأله أن يسوع بالنجدة إذ طال مدة التأديب. هذا ما عبر عنه النبي بالقول: " إلى قليل امتلك شعب قدسك، مضايقونا داسوا مقدسك، قد كنا منذ زمان كالذين لم تحكم عليهم ولم يدع عليهم باسمك" [18-19]. لقد حسوا المدة التي امتلك فيها الشعب الهيكل "قدس الرب" قليلة مع أنها تبلغ حوالي 400 عام من بناء الهيكل حتى السبي، أما مدة السبي (70 سنة) فحسوها طويلة للغاية بسبب هولتها، إذ يقولون "كنا منذ زمان...". صاروا تحت السبي مثلهم كسائر الأمم كأن الله ليس حاكمًا عليهم ينقذهم من هذا المر، وكان اسمه لم يدع عليهم...

إذ ذاقوا مرارة السبي اشتاقوا أن يملك الرب عليهم ويدعو اسمه عليهم حتى يخلصهم.

<<

الأصاحح الرابع والستون

تذوع من أجل مجيء المسيح

يحاول بعض الدارسين أن يفسروا حديث إشعيا النبي هنا - كما في كثير من الأصاحات - على أنه يخص مجيء السيد المسيح الثاني ليملك

ألف سنة قبل حدوث الضيقة العظيمة. لكن من الواضح أن النبي يتحدث هنا عن مجيء المسيح للخلاص الذي تحقق على الصليب، ولا زال يتحقق عملياً في قلب كل مؤمن جائع إلى الرب.

1. نزول المسيا من السماء [3-1].

2. بروكات انتظار المسيا [5-4].

3. اعتراف بالخطايا [12-6].

1. نزول المسيا من السماء:

" ليتك تشق السموات وتنزل، من حضرتك تتزلزل الجبال؛ كما تشعل النار الهشيم وتجعل النار المياه تغلي لتعوف أعداءك اسمك، لتوتعد الأمم من حضرتك" [2-1].

رى بعض المفسرين أن الحديث هنا خاص بالسيد المسيح عندما يقول من السماء علانية ليقيم مملكته على الأرض ألف عام، يملك ويهزم مقاوميه وأعداءه وكل الأمم الخ... على خلاف مجيئه الأول الذي كان مخفياً في أحشاء البتول، لا يصيح ولا يسمع أحد صوته الخ... لست أريد الحديث هنا عن الملك الألفي إذ تعرضت له في تفسير الأصحاح 19 من سفر الرؤيا، إنما ما أود تأكيده أن نصوص إشعيا النبي لا تُفهم بطريقة حرفية، لأن مسيحنا ملك روعي، رفض أن يملك مادياً، حاسباً تجسده الإلهي نزولاً كما من السماء ليلتقي بنا؛ كنا كالجبال في قسوة حياتنا فتزلزلت أعماقنا، أشعل ما في داخلنا من هشيم الشر، وجعل المياه الباردة فينا تغلي بالحب، واهباً إيانا نصوة على أعداء اسمه، لا خلال حروب منظورة وإنما خلال الإيمان العامل بالمحبة.

من أجل الخلاص من السبي أو الضيقات يكفي أن يطلب الإنسان من الله أن يتطلع من السموات وينظر من مسكن قدسه ومجده (إش 63: 15)، وإن كان الله مالى السموات والأرض بلاهوته... أما من أجل خلاصنا من خطايانا وعودتنا إلى الأحضان الأبوية فالأمر يحتاج إلى شق السموات ونزول كلمة الله إلى أرضنا [1]. وكما قال السيد المسيح عن نفسه.

* "لأنني قد تولت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني... أن كل من وى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (يو 6: 38: 40). قول من السماء ليحقق الطاعة عوض آدم الساقط في العصيان، مقدماً مشيئة الآب التي هي واحدة مع مشيئته. أما مشيئة الآب فهي تحقيق الخلاص والقيامة بروية الابن إيمانياً والثبوت فيه.

* "ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي قول من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء" (يو 3: 13).

وقال عنه القديس يوحنا المعمدان: "الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع" (يو 3: 31).

يسبح القديس مار أفام السرياني كلمة الله الذي شق السموات وقول قائلاً:

[مبارك هذا الذي بتجسده اشترى لطبيعتنا البشرية حياة!

مبارك هذا الذي ختم نفوسنا وزينها وخطبها لنفسه عروساً!

مبارك هذا الذي جعل جسدنا خيمة لطبيعته غير المنظورة!...

المجد لذلك الذي نظر إلينا كيف إننا قبلنا أن نشابه الوحوش في هياجنا وجشعنا، فقول إلينا وصار واحداً منا حتى نصير نحن

سمايين!... [1663].

تطلع داود النبي إلى التجسد الإلهي فقال: "طأطأ السموات وقول" (مز 18: 9).

وى البعض أن بقله " ليتك تشق السموات وتنزل، من حضرتك تتزلزل الجبال" [1] يعني أن الشعب وسط ضيقته شعر كأن الله قد حجب

وجهه عنهم بالسحاب: "الرب سكن في الضباب" (2 إى 6: 1)؛ "السحاب ستر له فلا يُرى" (أى 22: 14). وكأنهم يصوخون أن كانت خطايانا قد حجبتك وراء السحاب، وحجبت عنا إوارك أسوار مقاصدك؛ فإنه ليس من يقدر أن يصلح الأمر سواك. نحن لا نقدر أن نصعد إليك، أما أنت فتشقى الحجاب وتقول إلينا. لا يكفي أن تنتظر إلينا من سمواتك، نحن في حاجة إلى حولك وسطنا.

"تتزلزل الجبال" [1] ، إن كانت الجبال الصلدة قد رجفت في سيناء حين التقى الله بموسى (خر 19: 17-18)، وانشقت الجبال وانكسرت الصخور أمام الرب لما كلم إيليا (1 مل 19: 11)، فمن يقدر أن يقف أمامه؟! الله وحده القادر أن يحل كل مشاكلنا، فزول إنساننا القديم ويحطم جيروت شرتنا ليقيم مملكته في داخلنا. إن كان إبليس وكل جنوده وملائكنه بأعمالهم الشريرة وخداعاتهم كالجبال، فإن الرب يُزول مملكتهم بالصليب، وإن كانوا كالهشيم (أشبه بالقش الهش الجاف الذي لا يصلح إلا وقيداً) فإن الله يهلكهم بالنار.

إننا في حاجة إلى نزول الرب إلينا لأن أعداءنا الذين كالجبال هم أعداء إسمه، يقاومونا لينتزعونا عن ملكوته أو ينتزعوا إسمه وملكوته من داخلنا.

مقاومة الأعداء - إبليس وجنوده - مهما بلغ عنفها تصير كهشيم يحرقه الله بالنار لا ليبيد المقاومة فحسب وإنما ليحولها للخير، إذ يستخدم هذه النوان في تسخين مياه قلبنا البردة فتغلي حباً وغوة مقدسة [2]. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [حتى إبليس يمكن أن يكون سبب نفع لن إن فهمناه... هذا واضح في حالة أيوب. ويمكن أن نتعلم هذا أيضاً من بولس، إذ يكتب بخصوص الواني قائلاً: "أن يسلم هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي يخلص الروح" (1 كو 5: 5)]. انظروا حتى الشيطان قد صار سبب خلاص، لا بطبيعته، ولكن بمهارة الواسول كالطبيب الذي بحية ليستخرج منها نواء [1664].

2. بروكات انتظار المسيا:

كما عاش الأنبياء متوقبين مجيء المسيا للخلاص، نحن نبقي يوماً ننتظره ليملك لا على الأرض إنما في قلوبنا على حياتنا الداخلية كي يحملنا إلى شركة مجده؛ زى ما أعدده الله لنا، نمثل فرحاً بوه العامل فينا. يقول النبي: " منذ الأزل لم يسموا ولم يصغوا. لم تر عيناً غيرك يصنع لمن ينتظره الفرح الصانع البر... [4-5].

إن كانت أعمال الله منذ القدم عجيبة لكنه لم يُسمع قط ولم يُر مثلما صنع الرب مع البشرية خلال اعماله الخلاصية، فقد خرج كما من السماء ليلاقى الخطة بالفوح صانعاً البر في حياتهم، واهباً إياهم أمجاداً داخلية كعربون للمجد الأبدى. يعلق القديس هيبوليتس على هذه العبرة النبوية قائلاً على لسان السيد المسيح: [ادخلوا إلى الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم. تمتعوا إلى الأبد بما يوهب لكم بواسطة أبي الذي في السموات والروح القدس المحيي. أي فم يقدر أن يخبر عن هذه البركات التي لم ترها عين ولم تسمع بها أذن ولم تخطر على قلب إنسان، الأمور التي أعدها الله لمحبيه (إش 64: 4؛ 1 كو 2: 9)؟ لقد سمعتم عن الفوح غير المنقطع! لقد سمعتم عن الملكوت غير المتغير! لقد تعلمتم الآن عن وليمة البركات التي بلا نهاية! [1665].

3. اعتراف بالخطايا:

تبقى نفوسنا دائماً متهتلة من أجل أعمال الله الخلاصية الفائقة، منتظرين دائماً التلاقي المستمر معه ليؤز عار خطايانا ويعلن مجد وه فينا. أما طويق هذا اللقاء فهو:

أ. الاعتراف بالخطايا: "ها أنت سخطت إذ أخطأنا" [5]. يقول القديس كبريانوس: [حسنة هي التوبة! فإن لم يكن لها موضع في قلبك فستخسر نعمة الغسل التي نلتها في المعمودية منذ أمد بعيد، فإنه من الأفضل أن يكون لنا ثوب نصلحه عن ألا يكون لنا ثوب نوتديه، ولكن إذ أعد لنا الثوب هوة فيجب أن يتجدد... [1666]. ويقول القديس يوحنا الراجي: [التوبة تُجدد المعمودية، اوام عقد مع الله على حياة ثانية [1667]. ويقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [هل أخطأت؟ قل لله: "أني أخطأت" أي تعب في هذا؟... [1668].

ب. إيراكنا عجز البر الذاتي عن خلاصنا: " وقد صرنا كلنا كنجس وكثوب عدة كل أعمال برنا وقد ذبلنا كورقة وآثامنا كريح تحملنا" [6].
وكما يقول الأب مورتيروس السرياني : [كل كيائنا الداخلي مُبتلع عند رؤيتنا له (دا 10: 8)، بسبب مهابته تصمت أوهانا. عندما ننال قليلاً من القوة
للتحدث معه تلومنا ضمائرنا، وإذ نرى أننا قد أخطأنا وأثمنا في حضوته (مز 106: 6)]. إن تصورنا أننا صرنا في موضع الأوار فكل برنا كخرفة
الطامث (خر 36: 17)، فله تُنسب الغلبة أما لنا فخرى الوجه والعار (بلوخ 1: 15) [669].

يوضح لنا الأب ثيوداس كيف تتحول اعمالنا الصالحة إلى رداءة إن أتكنا على برنا الذاتي، فأن برنا يُحسب كخرفة الطامث إن قوبل بالبر
الإلهي [670].

ج. إيراك أوهة الله الحانية والغافرة للخطايا: " والآن يرب أنت أبونا؛ نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك. لا تسخط كل السخط..." [8]-
[9].

يقدم الله نفسه لنا أباً وعريساً وصديقاً وراعياً باذلاً... لكي يجتذب كل نفس بالتوبة إليه. وتحمل كنيسته ذات السمة لكي تحتضن الكل بالحب
لينعموا بخلاص الله العجيب. ففي رسالة إلى راهب ساقط يقول القديس باسيليوس الكبير:

[إنني أحزن عليك، لأنه أي كاهن لا ينتحب عندما يسمع هذا؟!...]

أي خادم للمذبح لا يوق صوته؟!]

أي "علماني" لا ينكسر خاطره؟!]

أي ناسك لا يحزن؟!...]

إنك حطمت الجميع دفعة واحدة، دفعة واحدة استهنت بالكل...]

تذكر الواعي الصالح الذي يتبعك ويناجيك...]

لرجوك ألا تتردد في أن تأتي إليّ بسبب أي اعتبار لرضي، فإني أنتحب إذ أجد ميّتي، الأرمه وأبكيه من أجل "خواب بنت شعبي" (إش 22:

[4].

هوذا الكل مستعد للتوحيد بك! الكل يُساهمون معك في جهادك فلا تراجع...]

إنه وقت للخلاص، إنه زمن للإصلاح!

كن منبسط الأسلير ولا تيأس، فإنها ليست (الكنيسة) شريعة لتُدين الخاطئ بلارحمة، بل (لها) شريعة رحمة تزع العقوبة وتنتظر الإصلاح.

هوذا الأبواب لم تُغلق بعد، العريس يسمع...]

أشفق على نفسك وعلينا نحن جميعاً في ربنا يسوع المسيح [671].

د. تُذكرونا أننا شعبه المنتسب إليه [9].

هـ. اعترفنا بما حل بنا من خواب، فقد صرنا بوية قاحلة، واشتعلت النوان في داخلنا، وتشوهت كل المقادس الداخلية.

<<

الأصاحح الخامس والستون

السموات الجديدة والأرض الجديدة

يطالبنا الله أن نحمل شوقاً نحو نزوله إلينا وحلوله في داخلنا، معترفين بأعماله الخلاصية الفائقة في حياتنا مع اعترافنا بآثامنا وعجز كل برّ ذاتي فينا، الآن يعلن دعوته للأمم بغير محاباة ليتمتع الكل بالحياة الجديدة فيه، والتي يُحرم منها الجاحدون أيا كان جنسهم.

1. عودة الأمم [1].

2. جحود شعبه [7-2].

3. اهتمامه بالبقية [10-8].

4. مقارنة بين المؤمنين والجاحدين [16-11].

5. السموات الجديدة والأرض الجديدة [25-17].

1. دعوة الأمم:

" أصغيت إلى الذين لم يسألوا، وُجِدت من الذين لم يطلبوني، قلت هاأنذا لأمة لم تُسم بإسمي" [1]. واضح هنا أن الحديث خاص بقبول الأمم التي لم تعرف الله ولا طلبته قبلاً ولا حملت اسمه، لكنها آمنت بالمخلص فتمتعت بما حرم شعب الله نفسه بنفسه منه. تحدث القديس بولس عن دعوة الأمم ورفض الجاحدين من اليهود في رسالته إلى أهل رومية (رو 9: 11)، مستشهداً بالعبارة النبوية الواردة هنا (رو 10: 20-21). فقد أصغى الله إلى الأمم التي لم تسأله، ووجده هؤلاء الذين لم يطلبوه، لأننا ونحن أعداء صالحنا مع الآب. أحب البشوية كلها قبلما تحبه، واختارنا قبلما نعرفه أو نطلبه. لقد أمال قلوبنا إليه إذ باورنا بالحب قبلما يُدعى اسمه علينا.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [هل سمع إسرائيل ولم يفهم؟ إن كانت الأمم الوثنية قد سمعت وأكرمت الإيمان فكم بالحري كان يليق باليهود الذين أعطاهم الله منذ القدم كل العلامات التي تستهدف رالة الغشوة عن عيونهم [672].

❖ من هم الذين لم يبحثوا عنه؟ من هم الذين لم يسألوا عنه؟ بالتأكيد ليس اليهود بل الذين هم من الأمم التي لم تعرفه، هؤلاء وصفهم موسى بالكلمات: "ليسوا شعباً"، "أمة غيبية"؛ وعلى ذات الأساس يُشير إليهم هنا من جهة جهلهم الوائد.

إنه عار عظيم للغاية أن الذين لم يطلبوه وجوهه، والذين بحثوا عنه فقوه (بعدم إيمانهم).

[673] القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من هو هذا الذي أعلن عنه (ووجدته الأمم) إلا كلمة الآب، عندما أرسله الآب، وفيه للناس القوة الصاورة عنه؟!

[674] القديس هيبوليتس

2. جحود شعبه:

" بسطت يدي طول النهار إلى شعب متمرد سائر في طريق غير صالح وراء أفكراه " لقد بسط الرب يديه على الصليب بالحب ليحتضن الكل ويهبهم حياة الغلبة كما بسط موسى النبي يديه أثناء المعركة ضد عماليق كرمز لعمل المسيح الخلاصي [675].

بسط الرب يديه من جانبه منتظراً أن نستجيب لهذا العمل بطلبه كل يوم كما يقول القديس بفنوتوس [676].

أما سرّ رفض الله شعبه فهو:

أ. تعودهم [2]، طالبين السير حسب أهوائهم الذاتية لا حسب فكر الله.

ب. كسومهم للشريعة، وانواقهم نحو العبادات الوثنية [3-4].

ج. اتكالهم على البرّ الذاتي [5].

رى القديس أغسطينوس أن جحد الإيمان بالوب هو موت، فقد شاهوا معزوات المخلص بأعينهم ولم يحيا خلالها بل بقوا كما في حالة موت ¹⁶⁷⁷¹.

3. اهتمامه بالبقية:

إن كان الشعب ككل قد أخذ موقف الجحود لكن هناك بقية مقدسة للوب مثل التلاميذ والرسل والمويمات وزكا العشار ولوي الخ... هذه القلة المقدسة لا تهلك بل تكون بركة. " هكذا قال الرب: كما إن السلاف يوجد في العنقود فيقول قائل لا تهلكه لأن فيه بركة، هكذا أعمل لأجل عبيدي حتى لا أهلك الكل" [8].

بين المقاومين وُجد مختارون للوب، عبيد له، يطلبونه [10].

4 . مقلنة بين المؤمنين والجاحدين:

أ. ظن بعض تزكي الرب أنهم ينجون بإقامة ولائم وثنية تتسم بالتوف والسكر، ولم يتركوا أنهم صلوا كغنم للذبح [11-12].

ب. غالبًا ما يظن الجاحدون أنهم يعيشون في توف بلا حومان، لكن سوعان ما يشبع المؤمنون ويروع الجاحدون، يوح الأولون ويحزن الآخرون. يتمتع المؤمنون بحياة التسبيح والتهليل الداخلي بينما ينكسر قلب الجاحدين [13-15].

ج. يتعرض المؤمنون للضيق لكنهم ينالون بركة الله الحق حتى وهم على الأرض فينسون متاعهم وسط تعويات الله وبركته [16].

5 . السموات الجديدة والأرض الجديدة:

يقدم لنا إشعياء النبي صورة رائعة عن عمل السيد المسيح الخالق لإقامة كنيسة العهد الجديد. لقد أقام سموات جديدة وأرضًا جديدة [17]؛ أقام تجديدًا حقيقيًا للنفس (السموات) وللجسد (الأرض)، فصلت النفس والجسد معًا في انسجام، إذ خضع كلاهما لروح القدس. انتهى الصواع القديم بين شهوات النفس وشهوات الجسد، ودخلنا بالروح القدس إلى حياة الفوح الروحي والبهجة السماوية، إذ امتلأت حياتنا بثمر الروح القدس من محبة وفوح وسلام (غلا 5: 22). نوح نحن كعروس مقدسة متجددة بعيسها، ويوح هو بنا، إذ يقول: " فأبتهج بأورشليم وأفوح بشعبي" [19]. إنها فحة الحب المشترك!

في هذه الحياة الجديدة التي صلت لنا في المعمودية تتحول الذناب إلى حملان فوعى الذئب مع الحمل، وتتحطم طبيعة الافتواس والشواسة فيأكل الأسد مع البقر. أما الحيات فلا تؤذي ولا تهلك من عرف بنوته لله وعاش بإمكانيات الحياة التي صلت له ¹⁶⁷⁸¹.

أما سمات هذه الحياة الجديدة فهي:

أ. لا نعود نذكر الحياة الأولى ولا تخطر على بالنا، لأن فيض بركة الرب تمتص كل طاقاتنا [17].

ب. حياة فوح وابتهاج دائم أبدي [18-19]، لا يسمع فيها صوت بكاء أو صواخ.

ج. ليس فيها إنسان يحمل عجز الطفولة أو الشيخوخة، بل يتمتع الكل بالنضوج الروحي [20].

د. مملوءة بركات: بينون بيوتًا روحياً يسكنون فيها مع الله ويغوسون كروماً ليشبعوا من ثمار الوح [21].

هـ. لا يغتصب العدو (إبليس) موضعاً فيهم [23].

و. مملوون سلامًا، لا يحل بهم الرعب [13].

ز. يستجيب الرب صلواتهم قبلما ينطقون بها: " ويكون أني قبلما يدعون أنا أجييب وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع" [24].

ح. تغيير الطبيعة بأنواع روح العدالة والتمتع بروح الحب والوحدة حتى بين الذئب والحمل، الأسد والبقر، الحية والإنسان! يأتي البشر من أمم متباينة اتسمت بعضها بالشواسة، وصار الكل شعباً واحداً تحت قيادة روح الله القديس.



الأصاح السادس والستون

أورشليم الجديدة

اختتم هذا السفر الإنجيلي بالكشف عن أورشليم الجديدة التي أقيمت بالسيد المسيح بعدما هدم الحرف القاتل الذي رتبط بالشكليات المفسدة لحياتنا الداخلية وعلاقتنا مع الله.

1. فساد العبادة الشكلية [4-1].

2. التمييز بين الشكليين والجاديين في العبادة [9-5].

3. أورشليم الجديدة [24-10].

1. فساد العبادة الشكلية:

كثوفاً ما اتكل اليهود على وجود الهيكل في أورشليم كمصدر أمان لهم، مهما كانت حياتهم أو علاقتهم بالرب. لهذا يوبخهم الرب قائلاً: " السموات كرسى والأرض موطنى قديمي، أين البيت الذي تبنون لي؟ وأين مكان راحتي؟" [1].

إن كان الله في محبته للإنسان سمح أن يبني له بيتاً، إنما من قبيل تنزل الله ليعلم حوله في وسطنا. الله لا تهمة الحجر والمباني الضخمة إنما يسكن في " المسكين والمنسحق الروح والمرعد من كلامه" [راجع 2]. لقد أترك سليمان الحكيم هذه الحقيقة لهذا صلى في يوم تدشين الهيكل، قائلاً: "لأنه هل يسكن الله حقاً على الأرض؟! هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك فكم بالأقل هذا البيت الذي بنيت" (1 مل 8: 27).

❖ لقد قبل بالحقيقة الهيكل الذي دُعي "هيكل أورشليم" بيتاً له أو محلته، ليس عن احتياج إليه وإنما لكي إذ تنظرون إليه تقدمون نفوسكم له.

[679] القديس يوستين

❖ ثرى ما هو هذا المسكن الذي يتذكروه داود فيسكب نفسه عليه (مز 42: 2)، مشتهداً هذا البيت في حب قوي حتى الموت؟ هل هو المسكن المصنوع من جلد وبوص واسمانجوني ورجوان؟! لاشك أن نظرة داود مختلفة عن ذلك تماماً...

أزوع عنك كل فكر رُضي، وتعال سر، في الطويق الذي يفتحه لك الأنبياء والوسل وفوق الكل سر في كلمة الله من كل قلبك وبكل فهمك، لتصعد إلى السماء وتتأمل روعة المسكن الأبدي الذي أوضح لك موسى مجرد ظله.

[680] العلامة أوريجانوس

❖ [681] كنيسة الله هي السماء!

❖ [682] "نفس البار كرسى الحكمة"... الأوار هم الكواسي .

❖ لقد صوت سماءً، فهل تخاف الأرض؟...

لذلك متى صار لك كمال المعرفة، وصار لك الحب، تصبح عرش الله وسماءً. فإن السماء التي نتطلع إليها بأعيننا هذه ليست بثمينة جدًا أمام الله. نفوسنا المقدسة هي سماء الله؛ أذهان الملائكة وكل الخدام هي سماء الله.

[683]

القديس أغسطينوس

الكنيسة هي الدخول في الصخرة كما فعل موسى النبي لكي يرى مجد الله، هذه الصخرة هي المسيح. نثبت فيه بروح الاتضاع مع الانسحاق فننعم بالسكنى الإلهية، لهذا قيل: " وإلى هذا أنظر إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي " [2].

[684]

❖ أتريد أن تكون موضعًا للرب؟ كن مسكينًا بالروح ومنسحقًا ومرتعدًا عند كلمة الله، فيتحقق لك ما تطلبه.

[685]

❖ لتوتعب قلوبنا عندما يتطلع الله إلينا فيستقر فيها.

القديس أغسطينوس

❖ لتوتعب من كلماته لكي يبيننا على الوام.

[686]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يليق بنا أن نحرص بأن نكون في الطويق الضيق المستقيم، طويق التسبيح والمجد، حيث يليق بكل المسيحيين أن يملسوا السلام والإتضاع وهوء الحياة الصالحة حسب كلمة الرب الذي لا ينظر إلا إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامه [2].

[687]

القديس كيريانوس

هكذا بالاتضاع وانسحاق القلب وخشية كلماته يتطلع إلينا الرب، ويسكن فينا، ويحولنا إلى سمواته المقدسة. أما من ينشغل بالشكليات في العبادة بروح الرياء والكروياء، فإن الله لا يجد فيه راحة وتصير عبادته مكوهة أمامه. يشتم الله الذبائح رائحة قتل ونجاسة وعبادة أوثان، إذ يقول: " من يذبح ثورًا فهو قاتل إنسان. من يذبح شاة فهو ناجر كلب، من يُصعد تقدمة يصعد دم خزير. من أحرق لبنًا فهو مُبركٌ وثنا " [3]. وكما يقول الحكيم: "ذبيحة الأثوار مكوهة الرب وصلاة المستقيمين موزاته" (أم 15: 8).

❖ الذبائح (الحيوانية) لا تقدر الإنسان، لأن الله لا يحتاج إلى ذبيحة، إنما ضمير مقدمها هو الذي يُقدس الذبيحة متى كان طاهرًا، وبهذا يحرك الله ليقبل التقدمة.

[688]

القديس إيرينوس

أما ثروة الانشغال في الشكليات بلا روح فهو الدخول في متاعب بلا تغوية، وعود أن يُطمئنهم الرب قائلًا لكل واحد منهم: "لا تخف لأني معك؛ دعوتك باسمك أنت لي" (إش 43: 1)، يقول لهم: " هم اختاروا طرقهم وبمكواتهم سرت أنفسهم، فأنا أيضًا أختار مصائبهم، ومخاوفهم أجلبها عليهم، من أجل أنني دعوتُ فلم يكن مجيب، تكلمتُ فلم يسموا بل عملوا القبيح في عيني واختاروا ما لم أسرَّ به " [3-4].

هم يختارون الطويق الثوير ويسرون بالوجاسات المكروهة من الرب، لذلك يتركهم الله لاختيلهم فيسقطون تحت مصائب يجلبها عليهم... هي ثروة طبيعية لتصفواتهم. يرفضون دعوتهم ولا يسمعون لصوته لذلك لا يسمع إلى صلواتهم ولا يستجيب إلى طلباتهم. يشوبون من ذات الكأس التي ملأوها.

2. التمييز بين الشكليين والجادين في العبادة:

إن كان الشكليون في العبادة يعانون من المتاعب بلا تغوية، فإنه على العكس الجادون في حياتهم، المرتعدون من كلمة الرب يتعوضون

للاضطهاد حتى الطرد لكنهم

يتمتعون بفرح حقيقي.

" اسمعوا كلام الرب أيها المرتعدون من كلامه. قال إخوانكم الذين أبغضوكم وطردوكم من أجل اسمي: ليتمجد الرب، فيظهر لفرحكم، وأما هم فيخزؤون" [5]. هذا ما حدث عندما أبغض اليهود تلاميذ الرب ورسله وطردوهم تحت ستار الغيرة على مجد الله والناموس الموسوي، لكن فرح التلاميذ

وخرى المضطهدون. أشار السيد المسيح إلى ذلك بقوله: "سيخرجونكم من المجامع بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله" (يو 16: 2).

أما ثمر الضيق الذي حل على رجال كنيسة العهد الجديد من إخوانهم فهو خراب الهيكل على يدي تيطس، إذ قيل هنا: "صوت ضجيج من المدينة، صوت من الهيكل، صوت الرب مجازياً أعداءه" [6].

انتهت المقاومة بخواب الهيكل، أما هيكل كنيسة العهد الجديد فأقيم في كل قلب يحمل ثوباً هو تجلي رب المجد يسوع في الحياة الداخلية لكل مؤمن. يحدثنا النبي هنا عن نشأة هذه الكنيسة بطريقة فائقة، قائلاً: " قبل أن يأخذها الطلق ولدت، قبل أن يأتي عليها المخاض ولدت نوباً. من سمع مثل هذا؟ من رأى مثل هذا؟" [7-8]. ما هذه الولادة إلا تجلي السيد المسيح في حياة المؤمنين.

يتطلع آباء الكنيسة إلى حياة المسيحي الروحية بعد عماده كحالة نمو للمسيح نفسه في داخل قلوبهم التي تتسم بالأومة له [689].

❖ كما يتشكل الطفل في الرحم، هكذا يبدو لي أن كلمة الله يتشكل في قلب النفس التي تقبلت نعمة المعمودية لتترك في داخلها كلمة الإيمان الأكثر مجداً وأكثر وضوحاً. [690]

❖ يبدو أنه من الخطأ أن نتحدث عن تجسد ابن الله من القديسة العذراء ولا نُشير إلى تجسده أيضاً في الكنيسة... إذ يليق بكل واحد منا أن يعرف مجيء ابن الله في الجسد بواسطة العذراء الطاهرة، وفي نفس الوقت أن يبرك مجيئه بالروح في كل واحد منا. [691]

العلامة أوريجانوس

❖ ما حدث لمريم التي بلا عيب حين أشوق فيها كمال اللاهوت الذي في المسيح يتحقق في كل نفس تملس البتولية كمنهج لها. حقاً لا يعود يأتي السيد ليحل حولاً جسدياً "إننا لسنا نعرفه بعد حسب الجسد" (2 كو 5: 6)، إنما يسكن فينا روحياً، ويحضر معه أباه كما أخونا في الإنجيل...

❖ بهذا يستطيع كل مسيحي أن يصير أمّاً لذلك الذي هو جوهرياً كل شيء، إذ يقول ربنا نفسه: "من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات فهذا هو أمي" (مر 3: 25، مت 12: 5).

[692] القديس غورغيوس اسقف نيقص

❖ (كل مسيحي) يحبل بالله في قلبه.

[693] القديس أغسطينوس

❖ يُنادي النفس التي تبدأ في الاتجاه نحو السيد المسيح هكذا: "يا مريم"، أي تتقبل اسم المرأة التي حملت به في أحشائها، إذ تلده النفس بمفهوم روحي. [694]

❖ احوص أن تُتم مشيئة الأب لكي تكون أمّاً للمسيح (مر 3: 25).

القديس أمبروسيوس

لقد وُلدت الكنيسة الجامعة بقوة كما في يوم واحد، إذ قيل: " هل تمخضُ بلادٌ في يومٍ واحدٍ؟ أو تولد أمةً دفعةً واحدةً؟" [8] ، إذ وُلدت في يوم

3. أورشليم الجديدة:

يختتم النبي حديثه بالكشف عن أورشليم الجديدة:

أ. تفيض فوحًا وبهجة على محبيها النائحين عليها بسبب ما تُعانيه من ضيقات [10]. من الخرج آلام ومتاعب، ومن الداخل فيض فوح حتى على الغير.

ب. تفيض شعبًا للجميع، تهب الأطفال تغريات كما من لبن ثدييها، بينما تهب الكبار من عصير ولذة فوة مجدها.

ج. فيض سلام كنهز، ومجد عظيم كسيل جرف. " لأنه هكذا قال الرب: هأنذا أدير عليها سلامًا كنهز ومجد الأمم كسيل جرف فتروضعون، وعلى الأيدي تُحملون، وعلى الركبتين تُدللون" [12].

الله نفسه يدير السلام على كنيسته كما يسقي الفلاح حقله، يرويه من ينابيع سلامه كما من نهر لا ينضب، ويفيض عليها المجد.

❖ في وعده للصالحين يقول أنه سيفيض عليهم نهر سلام، بمعنى يفيض عليهم بأعظم إمكانية. بهذا السلام ننتعش... ويشبع الكل منه، لأنه سيفيض حتى على الأجساد الأرضية بسلام عدم الفساد والخلود... كأن الله يسكب (نفسه) من الأمور العلوية إلى الدنيا، ويجعل البشر مساوين للملائكة.

[16961](#)
القديس أغسطينوس

د. مصدر تغذية إلهية: " كإنسان تغزيه أمه هكذا أعزيمك أنا وفي أورشليم تعزون" [13]. الله أب يهب الكنيسة أمومة ليس فقط نحو المؤمنين أبنائها وإنما نحو كل بشر، تحمل قلبًا متسعًا كويسها لتفيض حبًا على الجميع.

بكونها أمًا تقدم تغذية لأبنائها خاصة المتألمين وحاملي الصليب، هذه التغذية ليست من عندياتها، إنما هي عطية الروح القدس الساكن فيها... لذا يقول الرب " هكذا أعزيمك أنا" [3].

بالنسبة لرجال العهد القديم وجنوا تغزيتهم في أورشليم من جانبين: أنهم رجوا عن السبي، وأن الله يسكن في وسطهم. أما في العهد الجديد فيهبنا الروح القدس تغزياته بالغلبة على العدو محطم حريتنا وقبولنا مسكنًا للثالوث القوس.

" فترُونَ وتفرح قلوبكم وهو عظامكم كالعشب وتعرف يد الرب عند عبيده ويحرق على أعدائه" [14]. زى الصليب، إذ فيه ظهرت الحياة، وتعرف يد الرب أي يُكشف عن شخص السيد المسيح بكونه يد الآب... إذ به تحقق حب الله الآب عمليًا خلال ذبيحة الصليب. في الكنيسة ننعم بهذا فنتهلل قلوبنا فوحًا، وهو عظام إيماننا. هذه هي تغزيتنا في الرب خلال كنيسته: يهبنا فوح القلب السموي واتساعه بالحب وينمي إيماننا (العظام بكونها مركز الجسم).

هـ. مصدر للطهارة: " الذين يقدسون ويظهرون أنفسهم في الجنات وراء واحدٍ في الوسط آكلين لحم الخنزير والوجس والجرد يفنون معًا يقول الرب" [17]؛ " كما يُحضِرُ بنو إسرائيل تقدمة في إناء طاهر إلى بيت الرب" [20].

و. تعلن مجد الله وسط الأمم [18-20].

ز. مدينة كهنوتية: " وأتخذ أيضًا منهم كهنة ولاويين قال الرب" [21].

ح. مدينة أبدية: " هكذا يثبتُ نسلكم واسمكم" [22].

ط. شعب دائم التعبد: " ويكون من هلال إلى هلال ومن سبت إلى سبت أن كل ذي جسد يأتي ليسجد أمامي قال الرب" [23].

ي. ليس بينهم هالك... إنما يتحقق الهالك خرج أورشليم الحقيقية. " ويخرجون ويرُونَ جنث الناس الذين عصوا علي لأن يودهم لا يموت

ونلهم لا تطفأ، ويكونون رذالة لكل ذي جسد" [24].

[1] J. Vernon McGee: *Isaiah*, 1982, p. 7.

[2] أنطون يعقوب: تفسير نوات إشعيا، 1949، ص 8.

[3] H. A. Ironaide: *Expository notes on the Prophet Isaiah*, 1985, p. 3.

[4] See: *Epistle of Barnabas; St. Justin: Apology 1, dial. With Trypho.*

[5] Harry Bultema: *Commentary on Isaiah*, Michigan 1981, p. 19.

[6] *Ibid*, 1.

[7] Origen: *Comm. On Is. 3:6-12; St. Justin: Dial with Trypho.*

[8] J. Bultema, p. 12-15.

The New Century Bible Comm.: R. E. Clements, Isaiah 1-39, 1988, p. 9-11.

[9] H. Bultema, p. 3.

[10] *Ibid*, p. 10-11.

[11] *The New international Comm. On the O.T., Book of Isaiah 1-39*, John N. Oswalt, 1986, p. 28.

[12] H. Bultema, p. 4.

[13] *Ibid*, p. 5-6.

[14] القس لوقا سيداروس: تأملات في سفر إشعيا، ج 1، مقدمة للقمص بيشوي كامل، ص 5.

[15] Oswalt, p. 29.

[16] *Ibid*, p. 53.

[17] H. Bultema, p.20.

[18] Oswalt, p. 33.

[19] *Ibid*, p. 39.

[20] C. R. North: *Isaiah 40-55*, 1981, p. 29-30.

[21] C. R. North: *The Suffering Servant in Deutro-Isaiah: An Historical and Critical Study*, 1956, p. 192-219.

[22] Oswalt, p. 51.

[23] *Ironside*, p. 8.

[24] Cf. Augustine: *Sermons on the Liturgical Seasons*, trans. By M. S. Muldowney: *The Fathers of the Church*, vol. 38 (N. Y. 1959), p. 80-81.

[25] Bultema, p. 363.

[26] *Antiq. 11:1:2.*

[27] Oswalt, p. 21.

[28] *The Unity of Isaiah in the Light of Statistical Linguistics*, Hildeshein 1973, p. 274-7.

[29] Cf. E. G. Young: *Who wrote Isaiah?* 1958, p. 58-60.

[30] L. L. Adam & A. C. Rincher: *The popular Critical View of the Isaiah Problem in the Light of Statistical Style Analysis*, *Computer Studies* 4, 1973, 149-157.

[31] للاستفاضة في هذا الشأن (في الكتب العربية) راجع انطون يعقوب: تفسير نوات إشعيا/ ص 25، 26، وبالإنجليزية .H. Bultema, p. 368/371.

[32] *In Hebr. Hom. 23:8.*

- [33] *Stromata* 4:26.
- [34] *The Coptic Liturge of St. Gregory.*
- [35] *On Jealousy and Enby* 14.
- [36] *Adv. Haer.*
- [37] *Fest. Letters* 8.
- [38] *On the Ascension of Chirst.*
- [39] *In John hom.* 50:2.
- [40] *Ibid,* p. 80-1.
- [41] *On Ps.* 78.
- [42] *Paed.* 19.
- [43] *Ibid,* p. 2:8.
- [44] *On Virginity* 18.
- [45] *In Exod. Hom.* 6.
- [46] *Cat. Lect.* 12:7.
- [47] *Cat. Lect.*
- [48] *Comm. On John, Book* 10-18.
- [49] *Comm. On Matt. Book* 14:19.
- [50] *Institutes* 4:38.
- [51] *Adv. Haer.* 4:17:1.
- [52] *Frag.* 38.
- [53] *Stromata* 2:16.
- [54] *Fest. Letters* 6.
- [55] *Ep. Of Barnabas* 2.
- [56] *In John Book* 10:11.
- [57] *Fest. Letters* 12.
- [58] *Dial. With Trypho* 32.
- [59] *Fest . Letters* 12.
- [60] *Dial with Trypho* 12.
- [61] *Justin: Apology* 1:61: *Greg. Naz. Oration on the Holy Lights* 20: *Cyril of Jerusalem: Cat. Lect.* 1:1 etc.
- [62] *In John Hom.* 70:2.
- [63] *Cat. Lect.* 1:1.
- [64] *The Great Catechism* 40.
- [65] *Cassian: Conf.* 7:4.
- [66] *On Ps.* 104.
- [67] *Ep.* 1:8,9.
- [68] *In John hom.* 70:3.

- [69] *In Heb. Hom 12:7.*
- [70] *Ibid.*
- [71] *Exhort. To Heath 10.*
- [72] *Who is the rich that shall be saved? 39.*
- [73] *In Hebr. Hom 12:7.*
- [74] *Ad pop. P.G. 49:66,67.*
- [75] *In John 1:5.*
- [76] *Stromata 1:19.*
- [77] *Comm. On Matt. Book 12:4.*
- [78] *Adv. Haer 4:12:1.*
- [79] *In Defense of His Flight to Pontus 46.*
- [80] *Adv. Haer. 4:1:6.*
- [81] *On Ps. Hom 51.*
- [82] *Ep. 118:1P 22:39.*
- [83] *Ep. 7:5.*
- [84] *Comm. On John Book, 1 2:1.*
- [85] *Ironside, p. 18,19. Bultema, p. 50,51.*
- [86] *Sermons On N.T. Lessons, 39:2.*
- [87] *In 1John, hom, 1:13.*
- [88] *City of God 10:22.*
- [89] *In John tr. 6:9.*
- [90] *City of God 18:54.*
- [91] *In Num. Hom 3.*
- [92] *Apology 1:39.*
- [93] *Dial, with Trypho 135.*
- [94] *In Matt. Hom 2:10.*
- [95] *In Num. Hom 1.*
- [96] *Dial. With Trypho 133.*
- [97] *Cat. Lect, 13:12.*
- [98] *In 1 Tim. Hom. 8:3.*
- [99] *In 1 Tim. Hom 8.*
- [100] *Ibid.*
- [101] *Bultema, p. 70.*
- [102] *Oration on the Holy Baptism 38.*
- [103] *Adv. Haer. 4:22:1*
- [104] *Paed. 3:9*



[142] Adv. Haer. 3:19:1.

[143] للمؤلف: ستعود بقوة أعظم، 1967، ص 5.

[144] On the Trinity 7:6:12.

[145] Ibid 15:2.

[146] Reply to Faustus and Manichacan 12:46.

[147] Ibid 4:2.

[148] Sermons on the N.T. Lessons 39:4.

[149] Stromata 4:21.

[150] Adv. Haer. 3:21:6.

[151] Against Marcionists and Manichaeans 3.

[152] Apology 1:33.

[153] J.B. Carol: Mariology, 1955, vol. 1, p. 51.

Cf. Fr. T. Malaty: St. Mary in the Orthodox Concept, ch. 1.

[154] Adv. Haer 4:33:12.

[155] Comm. on Luke 2:57.

[156] Hymn 3 on Nativity.

[157] PG. 76:15-18.

[158] Bultema, p. 112.

[159] Ep. 164:7.

[160] Instructuions to Catechumens 2:2.

[161] In Heb. Hom. 4:5.

[162] Cat. Lect. 1:6.

[163] In Eph. Hom 20.

[164] On the Words of the Gospel, Or. 37:2.

[165] On the Theophany, Or, 38:2.

[166] On Ps. 88.

[167] Comm, on John, Book 2:21.

[168] Ep. 61:3.

[169] Of Christian Faith 3:84.

[170] Comm, on John, Book 1:42.

[171] Apology 1:35

[172] Contra Celsus 1.

[173] Comm, in Rom. 5:6.

[174] In John hom, 81:1.

[175] Stromata 5:1.

[176] Contra Celsus 6:67.

[177]

Cat. Lect. 12:24.

[178] راجع للمؤلف: رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، 1985، 205

[179] *In Rom. Hom. 17.*

[180] *In 2 Cor, 2.*

[181] *City of God 18:33.*

[182] *Apology 1:32.*

[183] للمؤلف: الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر، 1981، ص 215.

[184] *De Bapt. Christii.*

[185] *Oration 5 on the Holy Spirit, 29.*

[186] *Strom. 4:6.*

[187] *Hom. 18:10.*

[188] *Bultema, p. 149.*

[189] للمؤلف: الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر، 1981، ص 130.

[191] *On Repentance 1.*

[192] *PG. 33:333A, 428 A..*

[193] *PG. 61:418.*

[194] *PG. 46. 429C.*

[195] *On Eutropius, hom 2.*

[196] *Ep. To the fallen Theodore, 2.*

[190] للمؤلف: قاموس آباء الكنيسة وقديسيها، ج 1، 1986، ص 113

[198] *Cassian: Conf. 7:32.*

[199] *Bultema, p. 158.*

[200] *Institutionss 5:2.*

[201] *Whitaker: Documents of the Baptismal Liturgy, p. 37, 40.*

[197] القمص سمعان السرياني: سورة وأقوال مار أقوام السرياني، 1988، ص 123.

[203] *Bultema, ch. 14.*

[204] *On Eutropius, hom. 2.*

[205] *PG. 33:333A.*

[206] *PG. 33:357A.*

[202] للمؤلف: الكنيسة تحبك، للقديس يوحنا الذهبي الفم، 1968 المقدمة.

[208] *Institutions 12:4.*

[209] *Ibid 12:8.*

[207] هل للشيطان سلطان عليك؟ للقديس يوحنا الذهبي الفم، ص 62.

[211] *On Nativity, hymn 1.*

[212] *On Virginity 11.*

[210] القمص سمعان السرياني: سورة وأقوال مار أقوام السرياني، 1988، ص 132-133.

[2131] Cf. R.E. Clements: *The New Century Bible Commentary, Isaiah 1-39*, 1987, p. 152.

[2141] *Ibid* 152.

[2151] *Ser. On N.T. Lessons 6:9*.

[2161] المطران أبيفانيوس: الأمانى الذهبية من مقالات إكليل القديسين يوحنا الذهبي الفم، 1972، ص 49.

[2171] *New International Comm, on the O.T., Isaiah 1-39*, p. 338-9.

[2181] Cf. Bultema, p. 177.

[2191] *In Rom, hom 20*.

[2201] *On Ps, hom, 23*.

[2211] *Ironside: The Prophet Isaiah*, 1985, p. 99; *The New Westminster Dict, of the Bible: Arcor*.

قاموس الكتاب المقدس: عروعر.

[2221] *On Nativity, hymn 2*.

[2231] للمؤلف: الحب العوي، ص 45.

[2241] *In Matt. In Gen. PG. 57:30; 53:228*.

[2251] *In Paralyt. PG. 51:51*.

[2261] *In Act. PG. 60:124*.

[2271] C.F. Keil: *Comm, on the O.T., vol 7*, p. 343.

[2281] J.N. Oswalt: *The Book of Isaiah*, p. 352.

[2291] Cf. Oswalt, p. 353.

[2301] *Ibid* 351, n. 1.

[2311] *Ironside: The Prophet Isaiah*, p. 103/4.

[2321] Oswalt, p. 359.

[2331] *Ibid*.

[2341] *Ibid*.

[2351] *Cassian: Conf 5:5,6*.

[2361] *Serm, on N.T. Lessons 1; On the Holy Trinity 4:13*.

[2371] *Fr. T. Malaty: Introduction to the Coptic Orthodox Church, Ottawa 1088, ch 1*.

[2381] للمؤلف: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والروحانية، أتوا، كندا، ص 5-6.

[2391] Bultema, p. 195.

[2401] للمؤلف: آباء مدرسة الإسكندرية الأولون.

[2411] للمؤلف: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، 1986، ص 14.

[2421] *On Nativity, hymn 2*.

[2431] Bultema, p. 204.

[2441] *Ibid*.

[2451] *In Hebr. Hom 23:9*.

[246] Ibid.
[247] On Ps. 65.
[248] On Ps. 126.
[249] H. Bultema, p. 216.
[250] Ibid 216-7.

[252] Comm, on Luke, hom 131.
[253] In Evang, hom 39.
[254] Fest. Ep. 7.
[255] Bultema p. 221-2.

[257] In Joan, book 5:4.

[259] PL. 25:24,.

[260] H. Bultema, p. 226.

[261] Ibid 227.

[262] Cassian: Conf. 6:6.

[263] Against Arians 1:14.

[264] In Defense of His Flight to Pontus.

[265] Adv. Haer. 3:20:3.

[266] De Sacram. 5:12,13.

[267] De Trinit. PG. 39:708C.

[268] In 1Cor. Hom 24.

[269] Ep. 63:11.

[270] Myst. 43.

[271] Cat. Hom 15:20.

[272] Ibid 13:12; 16:30.

[273] Fr. Malaty: Christ in the Eucharist, 1985, book 1, ch. 6.

[274] PG. 33:841C.

[275] J.J. Collins: Collegeville Bible comm.. 13, Isaia p. 59.

[276] On Ps. 55.

[277] City of God 11:1.

[278] On Ps. 24.

[280] City of God 19:26,27.

[251] الإنجيل بحسب لوقا، 1985، ص 589-590.

[256] راجع تفسيرنا الروح القدس إيا يوحنا اللاهوتي، 1979، ص 42-43.

[258] للمؤلف: حزقيال، 1981، ص 176-180.

[279] للمؤلف: الحب الإلهي، 727-729.

[281]

- [282] *On Ps. 16.*
- [283] *On Ps. 16.*
- [284] *In Loan, hom 12.*
- [285] *On the Holy Trinity 14:19:25.*
- [286] *On the Spirit and the letter, ch. 37.*
- [287] *St. Chrysostom: In Heb. Hom 5:5; the Paralytic let down through the roof 6.*
- [288] *On Ps. 48.*
- [289] *On the Holy Virginity 39.*
- [290] *Ep. 36:31.*
- [291] *Incar, of the Word 31.*

[292] الحب الإلهي، ص 467-468

[293] الحب الإلهي، ص 469.

- [294] *Whitaker: Documents of the Baptismal Liturgy, p. 37, 39.*

[295] الحب الإلهي، ص 480.

- [296] *Paed. 1;9.*
- [297] *Contra Arians 2:42; 3:24.*
- [298] *R.E. Clements: The New Century Bible comm., Isaiah, p. 220.*

[299] الحب الإلهي، ص 432-433.

[300] الحب الإلهي، ص 366.

- [301] *Adv. Haer. 4:4:1.*
- [302] *Ironside: The Prophet Isaiah, p. 167.*

[303] الحب الإلهي، ص 378-380.

- [304] *Demonstration 4 on Prayer, 4.*
- [305] *St. Augustine: Sermons on N.T. Lessons 1:14,15.*
- [306] *In Luc. Serm. 134.*
- [307] *On Ps. 118.*
- [308] *Jamieson, Fausset and Brown: Comm. On the Whole Bible, p. 543.*

[309] قاموس الكتاب المقدس، ص 530.

- [310] *Ironside: The Prophet Isaiah, ch, 29.*
- [311] *Jamieson, p. 544.*

[312] للمؤلف: هل للشيطان سلطان عليك؟ ليوحنا ذهبي الفم ص 62.

- [313] *In Matt. Hom 55.*
- [314] *In Rom. Hom. 19.*
- [315] *In Matt. Book 11:11.*
- [316]

Instr. 1:9.

[317] On Ps, 49.

[318] Ibid 38.

[319] Ep. 1:15.

[320] Adv Eumon 1:37.

[321] Martyrius: Book of Perfection 5.

[323] Dialogue sur l' ame et les passions 4; trans. I. Hausherr, *Orientalia Christiana Analecta* 120, Rome 1938, 99

[324] Ep. to Olympias 10:2.

[325] In Jer. Hom.6:3.

[326] Sel. Ps. 119:85.

[327] De Baptismo 2.

[328] PG. 46:416C.

[329] De Mortuis. PG. 46:529A.

[330] De hominis opificio. PG. 44:237B.

[331] Ibid 161AB; In Christ; resurrectionem 3.

[332] Contra Eunom. 4. PG. 45:637A.B.

[333] On Ps. 146.

[335] To Eutropius, hom.2.

[341] On the Holy Baptism 27.

[342] J.J. Collins, p. 73.

[344] In Matt. PG. 58:592.

[345] In Gen. PG. 53:76, 77.

[346] In Rom. PG. 60:499.

[347] Cf. St. Cassian: Conf. 11:13.

[348] De verb Habents.

[349] Apology 2:11:2.

[350] Oratio 42:12.

[351] Origen: *Fragmenta in Joannem*, IX.

[352] Cf. Henri Crouzel: *Theologie de l'image de Dieu chez Origene*, Paris 1,956,239ff.

[353]

[322]

قاموس الكتاب المقدس، ص285.

[334]

سفر التكوين، 1988م، ص377.

[336]

الحب الإلهي، ص50.

[337]

الحب الإلهي، ص70-75.

[338]

الحب الإلهي، ص38-40.

[339]

ميمر عن المعمودية المقدسة.

[340]

الحب الإلهي، ص80-83.

[343]

للمؤلف: هل للشيطان سلطان عليك؟ ليوحنا ذهبي الفم، ص73 الخ.

Cf. Ironside: *The Prophet Isaiah*, ch 34.

[354]

On Ps. 8.

[355]

De Principiis, Pref. 8.

[356]

Bultema, ch 34.

[357]

Bultema, p. 318.

[358]

On the Baptism of Christ.

[359] للمؤلف: الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر، 1981م، ص131.

[360]

الرجوع السابق، ص131.

[361]

Sermon 5.

[362]

In Heb. Hom. 30:2.

[363]

Serm. on N.T. Lessons 16:3,4.

[364]

On Matt. Book 11:18.

[365]

On Ps. 46.

[366]

Cat. Lect. 5:4.

[367]

In Hebr. Hom.6:10.

[368]

Ibid 23:9.

[369]

للمؤلف: هل للشيطان سلطان عليك؟ للقديس يوحنا الذهبي الفم، مقال 3.

[370]

In 2 Tim. Hom. 8.

[371]

On Ps. 71.

[372]

De Anno Sermo 4; PG. 54:666.

[373]

Cf. Tomas' Spidlik: *The Spirituality of the Christian East*, 1986, P.307. *Nacertanye christianskago npravoucenija (Christian Moral Teaching)*, Moscow 1895, p. 122.

[374]

Ibid. 406.

[375]

Cf. Spidlik: *Theophane la Recluse*, p. 240.

[376]

Ibid 241.

[377]

The histories of the Monks who lived in the Desert of Egypt.

للمؤلف: قاموس آباء الكنيسة وقديسيها، العهد الجديد 1 1986، ص40.

[378]

In *Librum Jesu Neve*, hom. 8:4.

[379]

De Principiis 3:21.

[380]

Bultema, p. 344/5.

[381]

R.E. Clements, p. 291.

[382]

The Literal meaning of Genesis 6:17.

[383]

Expos. In Ps. 4:4; PG. 55:44 ff.

[384]

Demonstration 4, on Prayer 1,8,9.

[385]

The Syriac Fathers on Prayer and the Spiritual life, p. 36.

[386]

Ibid p. 219.

[387]

In Joan. Hom 12:3.

[388]

Ad Autolyeus 1:1-7; PG. 66:1024-36.

- [389] Dwar. Ep. 7.
[390] Ibid 8.
[391] The Syriac Fathers p.249.
[392] Ibid p. 229.
[393] Fragments from Comm. On the prophet Isaiah, 1.
[394] In John hom. 3,5.
[395] In Ezech. 9:2 PG. 13:734 CD.
[396] In John hom 16:4.
[397] Comm. On John, book 2:26.
[398] On St. Luke, Serm. 6.
[399] To whom who had invited Him, 8.
[400] Comm. On Luke 3:1-5. ترجمة مدام عايدة حنا بسطا
[401] In Luke hom 21.
[402] On the Soul and its origin.
[403] On Ps. 52.
[404] Ibid 103.
[405] Ibid 62.
[406] On the Catechising of the Uninstructed 16:24.
[407] Ep. To Olympias 1:1.
[408] Adv. Haer. 5:33:4.
[409] Against Eunom. 2:12.
[410] Institutes 8:3.

[411] العناية الإلهية للقديس يوحنا الذهبي الفم، ترجمة عايدة حنا بسطا، ص19.

[412] المرجع السابق، ص8-9.

[413] Against Eunom. 2:11.

[414] للمؤلف: الحب الإلهي، ص836-837.

[415] Demon. 4 on Prayer, 7.

[416] Hymn of Faith 20:9.

[417] The book of Perfection 43,45,82.

[418] Ibid 46:47.

[419] Bultema, p. 390.

[420] R.N. Whybray: New Century Bible Comm., Isaiah 40-60; p. 61.

[421] Ep. 1:10.

[422] Theolog. Orations 4:3.

[423] Bultema, p. 396.

[424] On Ps. 22.

[425] للمؤلف: الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر، 1981م، ص13.

[426] In Matt. PG. 58:79C.

[427] راجع للمؤلف: الإنجيل بحسب متى، 1987م، ص273-275.

[428] City of God 20:30.

[429] الحب الإلهي، ص866.

[430] De Spirit. Sanct. 15 .

[431] On Ps. 4.

[432] On Ps. 43.

[433] الحب الإلهي، ص62.

[434] Apophthegmata. Poemen. 84.

[435] On Repentance.

[436] Bultema. P. 404.

[437] Justin: Dial. with Trypho 122.

[438] Ibid 65.

[439] Fr. Malaty: Christ in the Eucharist, book 1 (The Mystery of the New Testament).

[440] PG. 81:128B.

[441] . On Ps. 43.

[442] الحب الإلهي، ص70-71.

[443] الحب الإلهي، ص75.

[444] De Incarn. 8,9.

[445] Ibid 54.

[446] Orat. Against Arians, Disc, 3:19.

(See our book: The Coptic Orthodox Church as a church as a church of Erudition and Theology, 1986, p. 82-83.)

[447] In joan; in Rom.; PG. 59:79; 60:466.

[448] In 2 Cor; 1 Tim.; PG. 61:477-480; 62:536-7.

[449] In Rom.; PG. 60:477.

[450] الحب الإلهي، ص15-18.

[451] الحب الإلهي، ص467.

[452] On Modesty 16.

[453] Ep. 63.

[454] Bultemore, ch. 43.

[455] In John hom 19:2.

[456] Adv. Haer. 4:5:1.

[457] Fr. M.F. Wahba: The Doctrine of Sanctification in St. Athanasius' Paschal letters, 1988, 77;

Fl Syr 14:4; p. 543; cf De Inc. 1:4 ;p. 36: 20:1, p. 47 ; Con. Gen. 1:5, p. 4.

[458] Fl Syr 10:4, p. 528; cf 1:1, p. 506.

[459] الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر، ص13.

[460] *Book of Perfection, 40.*

[461] *Adv. Haer 4:17:3.*

[462] *Resisting the Temptation of the Devil, hom 2,6.*

[463] *Letters to the Fallen Theodore. 1:15.*

[464] *In 1 Cor. Hom. 11.*

[465] *In 2 Cor. Hom 5.*

[466] *In Heb. Hom 14:7.*

[467] *In Zek. Hom 6:5.*

[468] *In Joan 5:2.*

[470] *Comm. On Cant. 3:1.*

[471] *Ep. To Furia 54.*

[472] *In Matt. PG. 57:99,80.*

[473] *On the Holy Spirit 9:22.*

[474] *Cat. Lect: Pref., 1:4.*

[475] *R.N. Whybray: The New Century Bible Comm., Isaiah 40-46, p. 104.*

[477] *On Ps. 110.*

[478] *In John hom 9:1 (St. Chrysostom).*

[479] *That Demons do not govern the World, hom 1:15.*

[480] *Conf. 6:6.*

[481] *On Ps.85.*

[482] *Ibid.*

[484] *In Hebr. Hom 17:4.*

[485] *In John hom 17:1.*

[486] *Ibid 18:1.*

[490] *A.J. Wensinck: Mystical Treatises, St.Isaac Syrian, p. 219.*

[494] *In Hebr. 29:33.*

[495] *Ep. 118:1.*

[496] *On Ps. 89.*

[497]

[469] ميمر عن المعمودية.

[476] قاموس الكتاب المقدس، ص795-796.

[483] الحب الإلهي، ص233-234.

[487] الحب الإلهي، ص421.

[488] الحب الإلهي، ص429.

[489] الحب الإلهي، ص167، 170.

[491] الحب الإلهي، ص730 الخ.

[492] الحب الإلهي، ص432.

[493] الحب الإلهي، ص70، 74.

On Ps. 116.

[498] On Ps. Hom. 51.

[499] Pasch. Ep. 2,3.

[500] On Ps. 138.

[501] Comm. On Cant., Sermon 4.

[502] In John, book 1:36.

[503] Comm. On Cant. 3;8.

[504] On Pa. 38..

[505] On Ps. 144.

[506] In John 1:37.

[507] In John, Book 1:37.

[509] On Ps. 118.

[510] On Ps. 166.

[511] Letter to Hesychius, 25.

[512] Ibid 26.

[513] Ibid 27.

[514] Ibid 29.

[515] Ibid 30.

[516] Ibid 22.

[517] Pasch. Letters 6.

[518] Cassian: Conf. 13:17.

[519] On Providence. 6. ترجمة مداام عابدة حنا بسطا

[520] Cassian: Conf. 24:24.

[521] In Matt. Book 14:17.

[522] In John hom. 68:2.

[523] On Providence, 6.

[524] In 1 Cor. Hom 7.

[525] In 2 Cor. Hom 2.

[526] Pasc. Letters 8.

[527] To Olympias, 1:2.

[528] On Ps. 92.

[531] Oration on the Holy Baptism 40:36.

[532] In Hebr. Hom 24:8.

[508] الحب الإلهي، ص 71، 74-75.

[529] الحب الإلهي، 424.

[530] الحب الإلهي، ص 424-425.

[533] *In Matt. Hom 11:3.*

[534] *In Matt. 3:9.*

[535] الكنيسة تحبك، ص 42.

[536] *De poen PG. 49-336.*

[537] *Strom. 4:8:66.*

[538] *Prot, 10:108.*

[539] *An Acts hom 20:4 ; PG. 60:162.*

[540] *In MRR. HOM 18:1.*

[541] الحب الإلهي، ص 644.

[542] الحب الإلهي، ص 638.

[543] الحب الإلهي، ص 654-657.

[544] الحب الإلهي، ص 643-644.

[545] *On John 1:11.*

[546] *On Rebuke and Grace, St. John Chrysostom 46.*

[547] *On Ps. 52.*

[548] *On Ps.68.*

[549] *In John hom 57:3.*

[550] *Ep. 1:16.*

[551] *Cat, Lect, 13:13.*

[552] الحب الإلهي، ص 341-342.

[553] الحب الإلهي، ص 244.

[554] *On Ps. 71.*

[555] *On Ps 86.*

[556] *On Ps 104.*

[557] *On the Son, 19.*

[558] *On the Good, Widowhood, 23.*

[559] *Orat. On Easter, 2:13.*

[560] *Orat, On the Son, 20.*

[561] *Cat. Lect. 13:34.*

[562] *Ep. To Barnabas, ch5.*

[563] *Pasch. Ep. 1.*

[564] الحب الإلهي، ص 421-422.

[565] الحب الإلهي، ص 423.

[566] الحب الإلهي، ص 426.

[567] *In John hom 13:3.*

[568]

[603] *Carminum Liber 1.11.9, r 19ff; PG. 37:668.*

{See T. Spidik, p. 291}.

[604] *In Eph. Hom 1.*

[605] *In Matt., In Gen. PG. 57:30; 53:228.*

[606] *In Paralyt. PG. 51:51.*

[607] *City of God 17:4.*

[608] *City of God 22:30.*

[609] *Treat. On Christ and Antichrist, 3.*

[610] *On Prayer, 28.*

[615] *On Ps. 82.*

[617] *On Ps. 40.*

[618] *Lowliness of Mind.*

[619] *On Ps. 77.*

[620] *In 1 Cor. Hom 23.*

[621] *Letters to the Fallen Theodore. 1:6.*

[622] *Ep. 130:3.*

[623] *On Ps. 97.*

[624] *Cassian: Conf. 21:14.*

[625] *On His Father's Silence, 20.*

[626] *On Ps. 43.*

[627] *Ibid.*

[628] *Ibid 138.*

[629] *To the Fallen Theodore, 1:8.*

[630] *Tomas Spidik: The Spirituality of the Christian East, p. 187.*

[631] *Treat. 5:11.*

[632] *On Ps. 140.*

[637] *Against 2 Letters of the Pelagians 4.8.*

[611] للمؤلف: رسالة إلى أرملة شابة، للقديس يوحنا الذهبي الفم.

[612] الحب الإلهي، ص 519.

[613] الحب الإلهي، ص 521.

[614] الحب الإلهي، ص 522.

[616] للمؤلف: الكنيسة تحبك، للقديس يوحنا الذهبي الفم، 1968، ص 61 الخ.

[633] الحب الإلهي، ص 169.

[634] الحب الإلهي، ص 171.

[635] الحب الإلهي، ص 167.

[636] الحب الإلهي، ص 71.

[638] *The Coptic Liturgy of St. Gregory the Theologian.*

[639] *On Repentance 1.*

[640] *Ibid 2.*

[641] *Kay's Writings of Clement of Alexandria, p. 437.*

[642] للمؤلف: الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر، 1981م، ص 83.

[643] ميمر عن المعمودية المقدسة.

[644] *City of God 5:14.*

[645] للمؤلف: الكنيسة بيت الله، 1979م، ص 311-314.

[646] *On Ps. Hom 23.*

[647] *On the Baptism of Christ.*

[648] *. On Virginité 18.*

[649] القمص متياس فريد: التجسد والروح القدس، 1981، ص 10.

[650] *Adv. Haer 3:18:3.*

[651] *On Myst. 3:1.*

[652] للمؤلف: الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر، 1981م، ص 14.

[653] *The Eialogue against Luciferians.*

[654] الحب الإلهي، ص 683.

[655] *On the Baptism of Christ.*

[656] *On the Myst. 4:8.*

[657] *. Ibid 5:10.*

[658] *De Virginibus 1:5:22. PL. 19:195.*

[659] *On the Nativity of our Saviour 2.*

[660] *Strom 4:26.*

[661] *Orat. On Easter 35.*

[662] *Book of Perfection 77.*

[663] *On Nativity hymn 2.*

[664] للمؤلف: هل للشيطان سلطان عليك؟ ليوحنا ذهبي الفم، ص 61.

[665] *Anti-Niciene Frs, bol 5, p. 253.*

[666] *On Repentance, 2.*

[667] *Ladder 5; PG. 88:764B.*

[668] *De Paenitentia 2:2, PG 49:285.*

[669] *Book of perfection, 10.*

[670] *St. Cassian: Conf. 23:4.*

[671] *Ep. 44.*

[672] *In Rom. Hom 18.*

[673]

Ibid.

[674] *Against the Heresy of One Noetus* 12.

[675] *See Ep. Of Barnabas* 12; *St. Justin Apol.* 1:35.

[676] *St. Sassian Conf.* 3:22.

[677] *On Ps.* 88.

[678] للمؤلف: الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر، 1981م، ص 14-15.

[679] *Dial with Trypho*, 32.

[680] *In Exod. Hom* 9.

[681] *Serm. On N.T. Lessons* 7:6.

[682] *On Ps.* 122.

[683] *On Ps.* 99.

[684] *On Ps.* 132.

[685] *On Ps.* 104.

[686] *In John hom* 7:1.

[687] *Ep.* 6:3.

[688] *Adv. Haer.* 4:18:3.

[689] *Hugo Rahner: our Lady and the Church*, p. 72.

[690] *In Exod. Hom.* 10:4.

[691] *De Sargiusga* 8:2.

[692] *De Virginitate* 2:13; *PG.* 46:324, 380.

[693] *Sermon* 181:4.

[694] *De Virginitate* 4:20 ; *PL.* 16:271.

[695] *Comm. On Luke* 10:25 ; *Pl.* 15:1810.

[696] *City of God* 20:21.